مركز البحوث العربية
للدراسات العربية والافريقية والتوثيق

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر



الجزء السادس

إسماعيل عبد الحكم | سمير أمين | على نجيب
بدر رضوان | عبد الله حسن | مكرم الله مرقص
روحية الساعى | عدلى عزيز | يوسف أحمد ماضى

تقديم

د. عاصم الدسوقى

تقديم

د. عاصم الدسوقى

ما يزال نهر الشهادات يفيض بذكريات الشيوعيين المصريين تسجل قطراته سطورا مضيئة فى صفحات نضال الحركة الشيوعية المصرية سعياً لتحقيق مجتمع العدالة الاجتماعية والمساواة فى الحقوق والواجبات.

وهذا لجزء يضم تسعة شهادات من مختلف فصائل الحركة تضيف الكثير والكثير من المعلومات والأفكار المجهولة عن نضال الشيوعيين ضد أنواع الظلم الاجتماعى وأشكال القهر السياسى، وعن مراجهة تلال عالية من التقاليد الطبقية التى نحض على التعايش مع الواقع والرضا بالمقسوم ولا توافق على أن تعمل المرأة بالعمل السياسى، وتكشف عن أصالة معدن المصريين عند الشدائد والانتصار للحق فى الوقت المناسب وفى هذا يتساوى الجميع: أهل المدن وأهل الريف، المتعلم منهم وغير المتعلم. ومن ذلك مثلا كيف أن أمهات المعتقلين تعلمن النضال وابتكرن وسائل لحماية أبنائهن وأزواجهن، بل ومساعدتهم فى الاختفاء عن أعين البوليس والقيام بدور وسيط بين المعتقلين وبين زملائهم خارج المعتقل. ومن ذلك أيضا أن السجانين، وهم من العساكر البسطاء كانوا يقفون مواقف شجاعة لصالح المعتقلين رغم التعليمات، بل أن بعضهم تعلم شيئا مما كانوا يسمعونه من حوارات.

ولا شك فى أن المعلومات المتفرقة التى تذخر بها هذه الشهادات وما سبقها وما سوف يأتى بعدها تمثل أحد المصادر الأساسية يستخدمها الباحثون عند دراسة تاريخ الحركة الشيوعية كما تستخدم لإعادة تركيب صورة المجتمع المصرى وعلاقاته..

ومن هذه المعلومات نعرف الكثير عن الظروف التى كانت وراء الانضمام للشيوعية والارتباط بإحدى فصائلها أو تجمعاتها مما يؤكد أنه لا رابطة شرطية بين الانتماء للشيوعية والوضع الاجتماعى.. فهناك من تخلى طواعية عن ميزات تضمنها له طبقته الاجتماعية وتمسك بالنضال ضد مصالح طبقته من أجل أن ينعم الجميع برفاهة العيش. وحتى عندما

تعمدت السلطات الإضرار بمصالح أفراد أسرة المعتقل والتضييق عليهم فى فرص العمل والحياة حتى يترك الأمر ويتراجع عنه لم يفعل. وهناك من عرض عليه السفر للخارج للحصول على الدكتوراه بشرط الابتعاد عن الشيوعية فأبى ولم يخضع ليس هذا فقط، بل أن الذين حرموا من مواصلة التعليم فى مراحله المختلفة بسبب الاعتقال أصروا على مواصلته بعد الخروج ليس بغرض الحصول على وظائف معينة إذ كان بعضهم تجاوز الأربعين، وإنما تأكيداً لذاتهم وتحديا للسلطات التى حرمتهم من حق التعلم.

وهذه الشهادات تحمل فى طياتها مرارة من ضعف البعض أمام بطش السلطات، ومرارة من الخصومة بين الرفاق بسبب اختلاف المواقف حتى داخل المعتقلات مما كان يؤدى آليا إلى الانقسامية واعتزاز كل تنظيم بمبادئه والاعتقاد بأنه وحده يمثل الشيوعية الصادقة ومن ثم مزيد من الحلقية والشللية واجتهاد البعض فى تفسير أسبابها.

كما تحمل بعض الشهادات نقدا ذاتيا لتصفية التنظيم الشيوعى الذى بدأت مراحله فى معتقل الواحات - آخر المعتقلات - ومحاولة إقناع الجميع بحل الحزب والانخراط فى صفوف الاتحاد الاشتراكى العربى (التنظيم السياسى للدولة) وكيف نجحت السلطة الحاكمة فى ذلك. ويجزم يوسف ماضى فى شهادته أن لويس أسحق الذى كان يعترض علنا فى المعتقل على حل الحزب دفع حياته ثمنا لموقفه إذ قتل برصاص الحراس. على أن تصفية الحزب كان إجراء غير متوقع لدى البعض وصدمة شديدة دفعتهم إلى تحليل الموقف فى شهاداتهم والبحث عن الأسباب هنا وهناك من باب الاجتهاد.

وبعض الشهادات شملت تحليلات ومراجعات للحركة الشيوعية العالمية مما يخرج عن نطاق الحدود المرسومة لتوثيق الحركة إلى حد ما مثل الحديث عن مأزق الفكر العربى المعاصر فيما يتعلق بالنهضة والحداثة، والحديث عن الستالينية ودور ستالين فى بناء الدولة الاشتراكية وانهيار الاتحاد السوفييتى فى مطلع التسعينيات من القرن العشرين الذى يرجعه التحليل إلى قيام خروشوف بفتح الباب لنقد ستالين وقرار المؤتمر العشرين للحزب فى ١٩٥٦ بعدم حتمية قيادة حزب الطبقة العاملة لتحقيق الاشتراكية وإمكانية تحقيقها بقيادة أحزاب بورجوازية.. ولكن لا بأس من إثبات هذه الرؤى ولو من باب الاجتهاد والتأملات.

وشأن كل الشهادات السابقة فإن شهادات هذا الجزء تحفل بمختلف الآراء حول تقويم يوليه ١٩٥٢ والموقف من جمال عبدالناصر بين وصفه بالدكتاتورية العسكرية أو الفاشية، وكذا حول الموقف من التأميم الذى يحقق نظام رأسمالية الدولة (احتكار) ولا يحقق اشتراكية لصالح الطبقة العاملة والاعتراض على مقولة خروشوف بأن عبدالناصر يبنى الاشتراكية فى مصر.

ومن الطبيعى أن يهتم أصحاب الشهادات بالحديث عن تجربة المعتقل المريرة والمعاملة غير الآدمية وعدم التفرقة بين المعتقلين السياسيين وبين المجرمين والقتلة وتجار المخدرات. وهنا تبدو حكمة على نجيب فى شهادته بقوله «ليس مهما الحديث عن التعذيب والتحمل وكأن قدرة الشيوعيين تتلخص فقط فى التحمل، وإنما ينبغى التأكيد دوما على أن كفاح الشيوعيين يتلخص فى قدرتهم على تغيير أفكار الناس»، وهذا ما حققه الرفاق حقيقة.

وأخيرا.. فإن الدعوة ما تزال قائمة من لجنة التوثيق لتتلقى المزيد من شهادات أولئك الذين ورد ذكرهم فى شهادات هذا الجزء والأجزاء الأخرى وما يزالون على قيد الحياة حتى لا يضيع نضالهم دون تسجيل للتاريخ وللأجيال القادمة.

شهادة

إسماعيل عبد الحكم

الاســــــــــــم : إسماعيل عبد الحكم

بيانات عائلية :

ولدت فى حى الحلمية وهو بالنسبة لى حبى الأول، فانا احب كل طوبة فيه، واعنى طبعا حلمية الأربعينيات، فقد كانت فترة الأربعينيات في البيوت المصرية كلها فترة زخم وطنى قوي، فكنا دائما نرى مظاهرات تهتف بسقوط الإنجليز، ونرى المعسكرات التي كان يقيمها الإنجليز في الخرابات وسط المساكن والأحياء (جاردن سيتى. قصر العينى). وشاهدت زوج خالتي وهو استاذ جامعى يضرب ابنه بالقلم بعنف شديد جدا لأنه قبل ان ياخذ شيكولاتة من احد عساكر الإنجليز امام منزلهم.

ولا انسي هذه الحكاية أبدا، فكنت مستغربا كيف يمكن لهذا الأب ان يضرب ابنه بهذا العنف بالرغم من انه لم يكن له اهتمامات سياسية.

وبالنسبة لأسرتي كنا من ابناء الطبقة المتوسطة (فابى كان مديرا عاما)، وكنا نسكن في منزل كبير بالحلمية به حديقة بها اشجار فواكه وتكعيبة عنب، إلا ان معظم اصدقائي كانوا من طبقات اقل مني، ولكن كنت اشعر بانهم اقوى واكثر تماسكا منى، وكان والدى يعترض على هذه الصحبة واحيانا كنت أُضرب، ولكن كنت اقابلهم دائما بدون علمهم. واقف معهم على الناصية ونلعب معا، وكانت هناك تقاليد للوقوف على الناصية فممنوع ان نعاكس بنت من داخل الحلمية.

وكان ابى شديد التدين مع افق واسع، كان يجب ان ننزل نصلى الفجر جميعا كل الأبناء في المسجد المقابل للمنزل، وعندما نعود إلى المنزل نذاكر حتى ياتى موعد المدرسة، وهو يجلس امامنا يقرا في المصحف. ويراقب استذكارنا وكان محبا جدا للقراءة وتعلم الفرنسية فى كبره، اما اخي الكبير فقد كان طالبا في الجامعة، قسم الفلسفة (لم يكن مشتركا في اى تنظيم)، ووعينا نحن على المناقشات الحرة التي كانت تدور بينه وبين ابي او بينه وبين اصدقائه في الفلسفة مثل محمود العالم، ومصطفي بهيج، واديب ديمترى (كان اكبر منهم بسنة)، وكان ابي مدركا اثناء حواره مع اخي ان الفكرة الملحدة لا تستطيع ان تهزمه نتيجة شدة إيمانه، وانه يستطيع ان يناقش بدون اللجوء إلى النقل. وبالطبع لم نكن كاطفال نفهم تفاصيل كثيرة مما كان يقال ، ولكن ندرك ان هناك نقاشا وان هناك إيمانا، وإلحادا، فلم تكن كلمات مثل الماركسية

* أجرت الحوار حنان رمضان - مركز البحوث العربية.

والشيوعية غريبة بالنسبة لنا في هذه الفترة، وكان بجوار هذه المصطلحات كلمات اخرى مثل الاستعمار، الإنجليز، الكفاح المسلح، والقتال ضد المستعمر.

واتذكر ان عمرى كان وقتها ست سنوات تقريبا، وكانت الحرب العالمية الثانية مستمرة، وكان لدينا راديو ماركة فيليبس في المنزل، فكنا دائما نجتمع ويضبط ابى الراديو على إذاعة لندن- او برلين لسماع اخبار المحور بانتظام، وكنا نسمع عن انتصارات الاتحاد السوفيتى، وكيف ان الناس في الاتحاد السوفيتى نتيجة الشيوعية يتمسكون ببيوتهم ويدافعون عنها، ونسمعها في الراديو كانت تقال من قبيل الدعاية لمقاومة الألمان، في الدعاية الرسمية. ثم تبدا المناقشات حول ما يتم في البلد مثلاً ان الأزهر قام بمظاهرة .. فقد كان الحى من حولنا فيه كم كبيرا من مشايخ وقيادات الأزهر، كالشيخ مامون الشناوى، والشيخ دراز في الحلمية، واحمد حسن الباقورى .. وبالمناسبة لم تكن ظاهرة التحجب قد ظهرت كانت النساء تلبسن اليشمك، نوع من الأرستقراطية، ليس كحجاب. حتى نساء المشايخ كن يلبسن احدث الموضات من ملابس وزينة، وكان هناك ما يطلق عليه المقابلة بين النساء، كن يتقابلن يوم الثلاثاء عند إحداهن ويتبارين في تقديم الضيافة (من حلويات وخلافه).

وكصغار كنا نذهب مع امهاتنا، ونراهن يتحدثن في القضية الوطنية ايضا. مثلاً عما تقوم به جمعية اليد السوداء من قتل الإنجليز، ومقاومة الإنجليز، والقول باننا يجب ان نستقبل الألمان لأنهم ارحم من الإنجليز المستعمرين.

وهناك واقعتان شهيرتان عاصرتهما في هذا الوقت وسمعتهما من اخى وابي، من خلال الحوار والمجادلة التي كانت تدور وسط العائلة في تمام الساعة الثانية والنصف اثناء تناول الغذاء، وكان موعدا مقدسا لجميع الأسرة.

الواقعة الأولى ، عندما حاولت عربة جيش إنجليزى ان تخطف فتاة من على محطة اتوبيس الجامعة بميدان الجيزة، فتصدى لهم طلبة الجامعة الموجودون فى المحطة ضربهم الإنجليز واطلقوا الرصاص عليهم واستشهد طالب منهم، وادى ذلك إلى مظاهرة كبيرة جدا في اليوم التالى في الجامعة لتحية الشهيد وتشييع جنازته. وادركت إلى اى مدى كانت ضراوة الاستعمار الإنجليزى.

وفي اليوم التالى من هذه المظاهرة فوجئنا بزوار الفجر ضابط بوليس ومعه اثنان من

المخبرين - وسأل على أخي طلعت وقال إنه مطلوب القبض عليه بتهمة اشتراكه في المظاهرات. وكان الضابط متفهما الوضع جدا ورفض أن يقبض عليه أو أن يفتش المنزل، على أن يذهب هو بنفسه في الصباح إلى النيابة، وطلب منا أن نحاول تسوية الموقف مع المخبر الذي أبلغ عنه وأعطانا كل التفاصيل. وعن طريق أخو هذا المخبر - كان وطنيا ويسكن معنا في الحلمية - تم الضغط على المخبر وغير أقواله في المواجهة وحلت المشكلة. وأتذكر أن جميع العائلة قد اجتمعت. وكنا نحن الصغار مستفيدين من هذه اللمة لأنهم كانوا يعطونا نقودا، ونلعب مع أولاد العائلة - وبالمناسبة هؤلاء الأطفال جميعهم كان لهم دور في الحركة الوطنية بجميع تياراتها.

الواقعة الثانية هي واقعة كوبري عباس، وفي هذا اليوم دخل أبي البيت منزعجا وسمعناه يقول أن إسماعيل صدقي فتح الكوبري على طلبة الجامعة، وسأل عن أخي لأنه تأخر، كلنا انتظرنا طلعت حتى حضر في المساء ثم بدأ يحكي لنا عن التفاصيل، وكيف نزل الطلبة في المياه، وكيف بدأت الناس تشد بعضها. وأعتقد أن هذه الواقعة لم تصور بشكل جيد في السينما، أو تحكي في الكتب كدراما.

وهذه الواقعة من الوقائع التي أثرت في، وأدركت أن في استطاعة الجماهير أن تقوم بأعمال فدائية، وأنه يمكن أن يكون لهم دور كبير.

ثم رأينا رحيل الإنجليز من المعسكرات التي كانت في وسط المنازل، وبدأت تتركز في منطقة القنال.

بالنسبة لي دخلت مدرسة أولية وكانت في مبنى مملوكي قديم، وكان الشيخ زكريا. وهو شيخ معمم - هو الذي له اليد العليا في كل شئ رغم وجود ناظر، ولا يستخدم إلا المسطرة الحديد ولكنه كان شخصا محبوبا جدا وله تلاميذ كثيرون وتربي علي يديه معظم أبناء الحلمية، ثم انتقلت إلى مدرسة ابتدائية وهي مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية في شارع الخليج المصري وكان حسن البنا يدرس لنا الدين في السنة الأولي والثانية، وكنت مبهورا به كمدرس، ولم يحضر لنا كثيرا فبعد نصف العام ترك المدرسة وقيل إنه استقال.

كان بداخل الحلمية في هذا الوقت المركز العام للإخوان المسلمين، (وكان خالي يسكن أمام هذا المقر)، كما كان يوجد حزب مصر الفتاة - أحمد حسين، وكانت لجنة الوفد في الخليفة بجوار الحلمية.

واتاح لى هذا ان ارى الأخوان وهم يفرشون الحصر في الشارع أمام المقهي ويصلون ويسمعون خطابا من حسن البنا يوم الثلاثاء، وبالرغم من اننى كنت اذهب لسماع خطاب الإخوان، حيث كانوا يضعون الميكرفون في بلكونة خالى. إلا انني لم اكن مبهورا بهم. بل كنت أحب الكشافة الجوالة الخاصة بهم فقط، لأنني لم أكن اشعر في كلامهم بحماس ضد الإنجليز والسرايا. بل كان معظم الكلام في الدين. اما أحمد حسين فكان يخطب يوم الخميس، وكنت اشعر بابتهاج وتاجج وانا اسمعه، فحديثه كان شيقا، وكلامه كله حماس، وكنت اجدهم يلبسون القمصان الخضراء، والجميع يهتفون ضد الإنجليز في الفترة من (١٩٤٤-١٩٤٨).

واتذكر، ونحن طلبة في الثالثة الابتدائية عام ١٩٤٧، انني شاهدت من خلال النظر من نافذة الفصل في المدرسة، حيث كانت تطل على شارع الخليج، خروج مدرسة الخديوية بمظاهرة تابعة للإخوان (فقد كان للإخوان وقتها نفوذ في المدارس الثانوية)، وكان الهتاف فيها، الله اكبر ولله الحمد، وقلبوا الترام وحرقوه، ولا اتذكر أسباب هذه المظاهرة جيدا هل هى بسبب البغاء او من اجل قضايا الإخوان، لأننا كنا نقترب من عام ١٩٤٨ والإخوان ضربوا في١٩٤٨ .

وهتفنا ضد الإنجليز باعتبار ان اى عمل من هذا النوع هو عمل لمواجهة الإنجليز وليس عملاً تخريبيا، وخرجنا نضرب طوب في البوليس الذى كان يحاصر مدرسة الخديوية وضربوها بالقنابل المسيلة للدموع، وكان ينصحوننا في حالة الضرب بهذه القنابل ان نبل منديلنا بالماء ونضعه على انفنا حتى لا ندوخ، وخرجنا وحاولنا فك الحصار عن المدرسة الثانوية. ومنذ هذه الفترة بدا يكون هناك نوع من الاتصال غير التنظيمي . بل الروحى اكثر، مع هذه المدرسة، فكنا نمر عليها ونحن في طريقنا إلي مدرستنا لمعرفة اى اخبار عما سيفعلوه (من إضراب، او مظاهرة)، وكان الناظر قوى جدا وكان أحيانا ينهر الأولاد، وأحيانا اخرى يسكت. وعندما تقوم المدرسة بعمل مظاهرة نقوم نحن ايضا بتقليدهم، ونقف على الناصية ونهتف نفس الهتافات يفن-يفن، يسقط يفن. (واتذكر هنا شيئا فكاهيا وهو انه كان نادرا ما يتم إضراب في اليوم الذي يوزع علينا فيه دجاج كغذاء في المدرسة باعتبار ان الدجاج كان اغلى بكثير من اللحمة، وكان الجزارون لا يعملون في هذا الزمن يوم الاثنين، لذا كانت المدارس تقدم دجاجا فى هذا اليوم).

وبالمناسبة كانت ظروف الحياة الاقتصادية صعبة، فبالرغم من ان ابي كان مديرا عاما إلا انه كان يذهب إلى البنك هو وصديقه لكى يضمن كل منهما الآخر لعمل سلفة من اجل تعليمنا (فقد كنا اربعة اولاد وبنت ولم تكمل تعليمها الجامعي واكتفي بالشهادة الفرنسية المتوسطة) والذى وقف ضد استكمال تعليمها هو اخى الكبير الذى كان في الجامعة وخالى الذى كان تعليمه فرنسيا. اما ابى فقد كان مع ان تستكمل تعليمها واعطاها كافة الضمانات، بالرغم من ان وقتها كان لابد لكى تخرج عند جدتى من خروج اثنين (مثلاً انا واخى الصغير) حرس معها.

المهم انتقلت إلى مدرسة "على مبارك الثانوية بالحلمية" التي كانت قد بدات في إنشاء فصول ثانوى فيها عامد١٩٤٨.

وكانت المدارس الثانوية قليلة ومعروفة كلها، ففي الحلمية يوجد ثلاث مدارس، مدرسة الخديوية، وهذه كانت من أهم المدارس الثانوية والمملوءة بالحركة الوطنية، ومدرسة الحلمية الجديدة، اما عن المدارس الثانوية في القاهرة كلها فهى مدرسة الخديوى إسماعيل، والمعهد العلمى وهو مدرسة اهلية في السيدة زينب، ومدرسة فاروق الأول وفؤاد الأول في العباسية، ومدرسة التوفيقية في شبرا كذلك مدرسه الإيمان القبطية.

وكانت كل هذه المدارس تقوم بمظاهرات مستمرة ضد الإنجليز كما ذكرت فعندما يحدث إضراب في إحداهم مثلاً فى العباسية في مدرسة فاروق الأول تنضم لمدرسة فؤاد الأول، وخليل اغا كانت ماتزال يبنى فيها مدارس ثانوى، ثم يلتقون بمدرسة التوفيقية بشبرا، وكل ذلك يتجمع ويذهب للجامعة، وكان اقرب مكان للجامعة هو حي الحلمية، لأن الترام وقتها كان يمشي في شارع محمد على وشارع خليل. ومن ثم كان هذا الحى شعلة نشاط للحركة الوطنية، ولم يكن البوليس يستطيع ان يضربهم داخل الحلمية، فلم يكن يجرؤ مخبر ان يراقب احدا داخل الحلمية. وكانت الطلبة هي القيادة الحقيقية للحركة الوطنية.

وكنت تجد داخل هذه المدارس كل التيارات، ففي مدرستى على سبيل المثال، تجد في كل فصل الوفديين بحكم انتماءات الآباء، وبعض السعديين، والأخوان المسلمين وهؤلاء كانوا متقوقعين داخل مصلية المدرسة، وكان نفوذهم ضعيفا جدا في مدرستنا، وكل ما نشاهده أنهم يدخلون المصلية في الفسحة، ويعملون مجلة حائط بجوار المصلية، فلم

يكن لهم دور ابدا في هذه الفترة في المظاهرات ضد الإنجليز، لأنهم لم يكن فيهم قيادات لامعة. وكان الوفديون هم البارزون في قيادة قصة العداء للإنجليز، وبعض المستقلين الوطنيين الذين لا تعرف لهم اتجاها سوى العداء للإنجليز فقط.

وقد لعب الأستاذ ميخائيل رومان، مدرس الطبيعة بمدرستي والكاتب المسرحي المعروف بعد ذلك، دورا كبيرا في تكويني، فقد كان إنسانا غريبا، وكان يقال إنه من عائلة غنية في الصعيد. وبالرغم من انه كان غير منسق في ملبسه، إلا انه كان مبهرا فى كلامه، فكنت اشعر من خلال المناقشات معه انه يقول لنا كلاما مختلفا تماما عن باقى الأساتذة الوطنيين. ومنهم الأستاذ عبد الشافي غنيم. وكان يشن هجوما شديدا علي فؤاد سراج الدين، وفي هذا الوقت كانت اخبار اليوم بدات تصدر، كان أبي يشتريها هى والأهرام وهذه الجريدة كانت ضد سراج الدين والوفد. وكنا جميعا فى هذا الوقت نتحدث عن الإنجليز، والأمريكان، والصين، تلك البلد التى تتحرك تحت قيادة شيوعية.

ومن الأفكار الغريبة التي كان يقولها لنا ميخائيل رومان، مثلا بالنسبة لمقاطعة البضائع الإنجليزية التى كان يدعو لها أحمد حسين في هذه الفترة، كان يقول لنا ان كل ذلك يتم لحساب الإنجليز، وان فكرة المقاطعة تحرف الحركة الوطنية عن ان تقود كفاحا مسلحا حقيقيا في مواجهة الإنجليز. وقد صعقت عندما سمعت هذا الكلام، واخذت هذا الكلام وعرضته على ابى واخى في الجلسة الأسرية التى تحدث دائما أثناء الغذاء.

وكان اخى يوافق هذا الراى، ويؤكد ان الذى يقول بمقاطعة البضائع الأجنبية يخدم فؤاد سراج الدين والإقطاع لأن كل ذلك يحرف القوى الوطنية عن ان تمشى في المسار الحقيقى للكفاح المسلح ضد الإنجليز.

وبدات تتوطد العلاقة مع أستاذنا واصبح بيننا حوار غير الحوار العام داخل الفصل، لكنه كان حوارا سياسيا عاما ليس له اى طابع تنظيمى.

وبالنسبة لقضية فلسطين فى هذا التوقيت فقد كانت مثارة في الجرائد. ولم يكن يوجد احد ليس متعاطفا مع القضية الفلسطينية، فكل الناس تريد أن تحارب، ولديها تاكيد بان الجيش المصرى سيذهب ويحارب وينتصر وشاهدت الأخوان المسلمين يتدربون في ميدان مصطفي فاضل بجوار المقر الرئيسى لهم، وفي حوش مدرسة الخديوية الذى يطل علي مقرهم. وكان يقال إنهم يتدربون استعدادا للسفر متطوعين إلى فلسطين، ثم سمعت ان الملك قرر ان يرسل الجيش المصرى إلى فلسطين وقام بعض

الأقارب الذين لهم علاقة بالجيش ببذل وساطات حتى لا يذهبوا للحرب، لأن النتائج غير مأمونة الجانب حسبما كان يقال أيامها.

وكان يتم استعراضات للجيش سواء الذاهبة او القادمة من فلسطين، وقصر عابدين كان بجوار الحلمية والقلعة، وأتذكر انني رايت الضبع الأسود، قائد القوات المصرية في فلسطين وهو متجها إلى قصر عابدين، وشاهدت الاستعراض وهو مكلل بأكاليل الورود، والناس تهتف لفلسطين. ورغم ذلك لم تكن هى القضية الأساسية. ولم تكن بسخونة الكفاح ضد الإنجليز (كان هذا إحساسى، وإحساس من حولى).

وفى انتخابات عام ١٩٥٠، نزل فيها الوفد والأخوان بثقلهم، ستة وعشرون شخصا وهم أعضاء مكتب الإرشاد للأخوان المسلمين بالكامل، وكان تمركزهم الرئيسى في الأحياء المتوسطة (المنيل، العباسية) وليست الفقيرة. وجميعهم فشلوا، رغم أن الشيخ احمد حسن الباقورى كان مرشحا في الانتخابات في منطقة الحلمية والدرب الأحمر، وكان يقف وراءه تكتل رهيب من مشايخ الأزهر. كما كان فتحي الرملي يرشح نفسه كشيوعي فى هذه الانتخابات في المنيرة، وفشل ايضا.

وبالنسبة للنضال المسلح

فى هذا الوقت بدأ الأخوان في عمل معسكرات، وبدأت الدولة تعمل معسكرات وكان ملعب مدرسة الخديوية من الأماكن التي يتم فيها التدريب، وبدأنا نحن مجموعة الشباب الموجودة فى الحى نتمرن على بنادق وهمية مع تدريبات الحكومة من شدة رغبتنا، وكان الأخوان لايريدون إلا أعضاء الأخوان فقط، وبدأت تظهر فضائحهم فى الجرائد في علاقتهم بالسرايا، وأثناء بدايات الكفاح المسلح، والتدريب على السلاح للذهاب إلى القتال من كل الأحزاب (من الوفديين، والشيوعيين، كما كان يحشد احمد حسين الناس لعمل كتيبة وهو يلبس زى المقاتل الأخضر للذهاب للقتال، والأخوان كما قلت وإن كانت طريقتهم بطيئة جدا تكاد تكون غير معلنة).

حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥١

وقد عاصرت حريق القاهرة منذ بداية حدوثه حتى انتهائه، فقد كنا نعلم بأن مجموعة الحزب الاشتراكى سوف يقومون بإضرابات وكان ذلك طبقا للتكليفات لنا في اليوم السابق، وقبل يوم الحريق كان هناك حصار من الجيش الإنجليزى على مدينة

الإسماعيلية. وكانت حكومة الوفد موجودة، (وفؤاد سراج الدين وزير الداخلية وسكرتير الحزب).

وخرجنا في يوم الحريق بمظاهرات من مدارس الحلمية الثانوية، وقابلنا المدارس الأخرى في السيدة، وقيل إن بلوكات النظام سيقومون بمظاهرة قادمين من القنال على اساس أن سراج الدين كان يسلحهم بالعصيان، وهم قادمون لكى يطالبوا بالسلاح لكى يحاربوا الإنجليز. فتقابلت كل هذه المظاهرات في ميدان الأوبرا وكان يقود مظاهرة بلوكات النظام ضابط منهم لا اتذكر اسمه الآن، وفي كازينو الأوبرا عندما راينا ضابطا يجلس مع سيدة وامامهم زجاجة بيرة، صعد احد المتظاهرين وكسر الزجاج، وبدأ الضرب في الكازينو.

وفجأة راينا حالة من حالات الجنون، بدات الناس تكسر في محلات اليهود (شكوريل - صيدناوى - شملا .. إلخ). ودخلنا شارع قصر النيل. ولم يكن هناك في البداية، اى نوع من انواع السرقة، مجرد عملية تخريب وتكسير، وفتح خزن البنك وحرق الفلوس. ولم نجد اى مقاومة من البوليس، اختفي، وقبل المغرب بقليل بدأ ما يطلق عليه السرقة بعد أن كانت مظاهرة من الطلاب وبلوكات النظام تحولت إلى اناس من أحياء شعبية من الغوغاء، ومن يكسر محل حلال عليه، وفى المغرب نزل الجيش بالأسلحة ليضرب الناس، ولكن لم يكن فيه بوليس، مجرد جيش يضرب نار في الهواء بهدف إبعاد الناس فقط، وكانت مشاعر الناس وقتها انها تعمل عملا معاديا للأجانب معاديا لليهود والاستعمار، نوع من الثأر لما حدث في بلوكات النظام في الإسماعيلية.

فلم يكن في هذا الوقت حرق محل يهودى مستهجنا وطنيا، ثم بدأ الجيش بعنف في طرد الناس من وسط البلد، كان هذا هو يوم ٢٦ يناير، وطبعا تم إعلان الأحكام العرفية. واستقالت وزارة الوفد، وتولى نجيب الهلالى الوزارة، وبدات حركة اعتقالات ضخمة وانتشر الأمن في الشوارع وقد سمعنا هذا من خلال الراديو بالليل اثناء التجول في الشوارع.

وفي هذه الفتره كانت هناك إضرابات لمطالب العديد من الفئات، فالبوليس كان يقوم بإضراب، وكان له مطالب واستولوا على حديقة الأزبكية، وعسكروا فيها كنوع من التمرد، ونزل الجيش، وحاصروهم بالدبابات والمشاة.

كما كان هناك إضراب الممرضين والممرضات بالقصر العينى، فى هذه الفترة

واعتصموا داخل القصر العيني، وعندما حاول البوليس أن يقتحمه بداوا يعملون تحصينات من الداخل، ويضربون البوليس، والبوليس يضربهم، حتى نجح البوليس اخيرا فى اقتحام القصر العينى وضرب كل المرضى واساتذة الجامعة وقد رايت ذلك بنفسي من على السور وساعدنى في ذلك قرب مسكن خالتى من القصر العينى.

أما الإضراب الشهير والذي قتل فيه سليم زكى، فقد قامت به كلية الطب والصيدلة وكان مروعا، حيث قاموا بكهربة سور كلية الصيدلة، حتى يكون حماية لهم عندما يقتحم البوليس الكلية. ولاسيما أن الاقتحام يتم بعربات مصفحة، ومدرعة فيتم بسهولة كهربتها. وقبل المغرب وقف سليم زكى بالعربة المصفحة ومعه قوات من الخيالة استعدادا للاقتحام، وخطة الاقتحام ان يتم قطع الكهرباء عن المنطقة كلها ثم يتم الاقتحام وبالفعل قطعت الكهرباء، وبدا في الاقتحام، وفجاة شاهدت قنبلة تضرب من فوق عليه، وبدأ الضرب من فوق سطح الكلية علي العربة المصفحة التي كان يقف في برجها سليم زكي وبدا الضرب من فوق ومن اسفل، وانا جريت إلى سطح بيت خالتي، وشاهدت مناظر جنونية والخيول تدوس على البشر، ثم بداوا في جمع هؤلاء الناس المهروسين في عربات البوليس. وهذه من المناظر القاسية التى رايتها وانا صغير.

وكان عادل فهمى من أشهر زعماء الجامعة في هذا الوقت كان فى كلية الحقوق. وكانت له نغمة خاصة في الهتافات، وبالرغم من اننا كنا مازلنا طلبة في الثانوى إلا اننا كنا نعتبر مقرنا الرسمى هو الجامعة. فجاء وطلب منا الاشتراك في المظاهرة تاييدا للمتظاهرين، وخرجت المظاهرة من الجامعة ودخلت في فم الخليج على الجزارين، وطبعا حاول البوليس أن يضربنا، واتذكر من هتافات عادل "ليه تضربنا يا سراج الدين." وعندما تمر المظاهرة بين الناس يحاول ان ينسج شعارا لهم؛ لكى يجعل جميع الناس تؤيده. ويومها اندس مخبران وسط المتظاهرين، الأول اكتشف وتم ضربه بشدة وجاءت عربية الإسعاف واخذته، وهم أخذوا مسدسه وناولوه للمتظاهرين داخل كلية الصيدلة. (واتذكر نفس هذه الحكاية حيث حدثت بعد ذلك في عام ١٩٥٢ وسط كلية الهندسة في إحدى المظاهرات عندما وجد كارينه لمخبر معه ونصبوا له مشنقة على الشجرة وسط الكلية، على اساس ان يُعدم شنقا بناء على قرار الجماهير).

بدايات التعرف على الفكر الماركسى

بدات تظهر مجموعة آل الشرقاوية داخل المدرسة، وكانوا يعيشون معنا في الحلمية.

ورايناهم يذكرون في المظاهرات العامة شعارات مثل السلام، الخبز والحرية .....إلخ. ولكني لم اكن ارى لديهم نوعا من الفروسية، بمعنى انهم لا يستطيعون ان يسيطروا على الناس، ولا ان يقولوا كلاما مقنعا، وفي نفس الوقت يتناقشون مع الأخوان ويدخلون معهم في استفزازت .. وخلافه.

وبالرغم من ذلك كنا نناصر بعضنا بعضا إذا حدثت اى مشكلة لأحد فينا بصرف النظر عن ان هذا يعمل بالسياسة ام لا، باعتبارنا من منطقة واحدة، فإذا دخلوا في مشاجرة مع الأخوان، فقد كنت اتشاجر وادافع عن نفسي والاخرين. واتذكر انني كنت اكسر زجاج مجلة الحائط الخاصة بالأخوان عندما كانوا يعلقونها واقطعها لهم، وفي نفس الوقت أدخل أصلي معهم فرضا بفرض، فقد كنت اتعامل مع المصلية على انها ليست ملكا لهم فقط بل هى ملك للجميع.

وعندما تولى الوفد السلطة اتسع نطاق الحركة الوطنية في عدائها في مواجهة الإنجليز. واول مظاهرة ذهبت إلى بيت النحاس يوم ظهور نتيجة الانتخابات من مدرستنا، وكنت احضر جميع المظاهرات بالرغم من اننى لم اكن احب الوفد. واستمرت المظاهرات للوفد اكثر من عشرة ايام. وبدانا نسمع عن الطليعة الوفدية

ثم بدانا نسمع في هذا الوقت في مظاهرات الجامعة بعض الهتافات مثل "اعترفوا بالصين الشعبية" ، "نريد السلام ولا نريد الحرب"، و"الخبز والحرية" وهذه الشعارات كانت تدهشني واتساءل لماذا نعترف بالصين الشعبية هذا المكان البعيد جدا، ومن يكتب هذه الشعارات، فذكر هذه الشعارات يحتاج إلى ثقافة وعلم بما يحدث في هذا البلد. كل هذه الأسئلة كنت اطرحها في المنزل واكمل الصورة مع أستاذي ميخائيل رومان الذي كان يتكلم عن الخبز للفقراء، ومع استاذ آخر. ولكن كل هذا كنت اتصوره على انه مجرد شعارات، وليس مضامين اجتماعية، فلم نكن نعرف ان هناك حزبا وراء ذلك.. فكل هذه الأشياء مجهولة بالنسبة لنا، ولا نعلم عنها شيئا.

وظهرت جرائد اخرى مع الأخبار(التى كانت اكثر رواجا فى هذا الوقت) والأهرام: مثل المصرى، والاشتراكية، والجماهير، وجريدة ابو الخير نجيب، والملايين، وكان اخى يشتريها، ووجدناها ايضا مع استاذنا، واشتركت انا واخى الصغير واشتريناها.

وبدات تحدث مظاهرات ضد قانون قدمه استفان باسيلى للحد من حرية الصحافة، وكان هناك كم هائل من الإضرابات.

كما ذكرت كان اقرب الأحزاب لى هو الحزب الاشتراكى-مصر الفتاة. لذا انضممت

له في أوائل الخمسينيات واتذكر، من كثرة ترددنا علي الحزب واشتراكنا في النشاطات الجماهيرية وعمل المظاهرات في المدرسة بناء علي تعليمات الحزب، أن قام عادل حسين، وهو أخو أحمد حسين، وكان خطيبا مفوها وعمل لنا محاضرة عظيمة (مدرسة كادر)، فحديثه ـ في هذه الفترة ـ يجعلك متوهجا من الداخل، وكانوا يطلبون منا القيام ببعض الأعمال. كعمل مظاهرة داخل المدرسة، وكنا نفعل ذلك، ولكن لم نكن نعرف ماهى الاشتراكية. وأول مرة شعرنا اننا بداخل التنظيم، عندما جاء عادل حسين، واخطرنا بان هناك إضرابا لعمال الكوكا كولا في حزب العمال، (وكان قائد حزب العمال النبيل عباس حليم، وكان يمشى بكلب ضخم معه، فكانت الناس تخاف ان تتهجم عليه). وطلب منا عادل أن نؤيد هذا الإضراب، وفعلاً ذهبنا ورفعنا عادل وهو يخطب ويهتف وكان سعيدا بنا وطلب منا أن نحضر في اليوم التالى لكى يشرح لنا ماهى الاشتراكية، وسمعنا منه درسا مكثفا عن الاشتراكية والفرق بينها وبين الشيوعية، وكان يشرح لنا مميزات الاشتراكية ويقول إنها افضل من الشيوعية.

وكان هذا أول درس وآخر درس، اما العمل اليومى للناس فكان غالبا جدا، واعتبرنا انفسنا اننا داخل الحزب الاشتراكى، كنا نشترك في إضراباتهم ومظاهراتهم التى نتكلف بالاشتراك فيها (مثل تصريحات بيفن - مقاطعة الكوك كولا)

وذات مرة، تقريبا أوائل عام ١٩٥٠، قمنا بمظاهرة كبيرة، وقلبنا سور سطح المدرسة على بلوكات النظام الذين كانوا اسفل السور بالشارع، وارسلوا ضابط المباحث إلى المدرسة وقبض على مجموعة من الطلبة وانا منهم بهدف التهويش، وذهبنا إلى قسم الخليفة، وكان ضابط المباحث الموجود في القسم يعرف والدي، وعندما سمع ابى ما حدث اتصل به وتم الإفراج عنى يومها، وكانت مندبة فى المنزل؛ فقد كان والدى يوافق على أن افكر ويكون لى رأي ولكن لا يوافق على دخولى اي تنظيم، فغير مسموح لى بان انشغل عن دروسى، وبالتالى كنت لا اذكر انني اشترك فى مظاهرات المدارس.

وبدأت كلمة الاشتراكية يصبح لها صدى، وفي نفس الوقت بجوارها الشيوعية، وقد اثار طرح الفرق بينهما العديد من الأسئلة فى ذهننا.

فإذا كان الفكر العالمى يقول إن الاشتراكية مرحلة وإن المرحلة التالية هي الشيوعية وبالتالى فهى الأفضل، إذن من اين نأتى بها.

وهذا هو الحوار الذى دار بيننا انا والأصدقاء. وبالمناسبة كنا نصحى جدا ونحن في هذا السن، فنشترى جريدة الاشتراكية من مصروفنا، وعندما كانت تصادر، كنا نشترى العدد ب(٥ قروش) كل واحد فينا يدفع قرش صاغ، مبلغ كبير، ولكن كنا سعداء بهذا و«الاشتراكية» كان اكثر تقدما من "الشعب".

ومن خلال علاقتي العميقة انا واخى الصغير بميخائيل برومان، بدأنا نسأله ماهو الفرق بين الشيوعية والاشتراكية، ثم ننقل ما يقوله لنا للأصدقاء. وبدأنا نسأل كيف نصل للشيوعية، فذهبنا إلى لجنة السلام في شارع عبد العزيز، نسمع خطبا فقط، وكان فيها نوع من الهرجلة، وكان فيها بعض السيدات، ولم نشعر بانهم منضبطين، ولم نكن نسمع ما يقوله المتحدث من شدة الصخب، والناس متحررة، وهذا عكس ما كنا نراه عند احمد حسين او حتى مكرم عبيد فالناس منتظمة، ومستمعة تماما، ومتفاعلة مع ما يقوله، فالخطيب هو المسيطر، وممنوع اى هتافات في غير محلها.

ولم نقتنع بهم كشيوعيين سوى بعض ساعات عندما كنا نرى المنجل والمطرقة (الشعار العالمى، المنجل لحصد القمح رمز الفلاح، والمطرقة رمز العامل).

وحتى مجموعة الطلبة الشيوعيين (مجموعة الشرقاويين) الذين كانوا معنا في المدرسة، لم نكن مقتنعين بهم، وعندما أفسر عدم اقتناعى بهم الآن، اقول إننا كنا نريد أن نتعامل مع اناس اقوى منا، ونحن كنا نحميهم من الأخوان، فاعتقد ان هذا كان المبرر. وبالإضافة إلى منشوراتهم التي كانت توزع في المدرسة والتي لم نجد فيها كلمة الشيوعية واضحة، ولا يوجد فيها منجل او مطرقة، وكان يتم التوقيع عليها باسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)، وكانت طباعتها رديئة.

وبعد ان بدأت صورة أحمد حسين تهتز ويقال عنه إنه سافر امريكا وأخذنقودا منهم. وذكرت جرائد الشيوعيين انه استفاد من حملة الكوكا كولا والبيبسى وأخذ نقودا من ورائها.

الحزب الشيوعي المصرى

ظللنا نبحث بجدية عن الشيوعية، حتى جاء احد اصدقائنا من الشلة وقال لنا إن هناك احد الأشخاص رآه اكثر من مرة في الحزب الاشتراكى، يعتقد انه شيوعى، لأنه قابله في الشارع، وسلم عليه ومشي معه وقال له ان احمد حسين ليس زعيما جيدا،

والحل هو الشيوعية. طلب منه أن تظل العلاقة بينهما فقط، إلا انه قال لنا، وقررنا ان نكلمه لكى يحضر ويجلس معنا، وكانت الجلسة عندى في المنزل.

وفي هذه الجلسة عرف لنا الشيوعية، وذكر ان الانتهازية التى تدعى الشيوعية، لأنها لا تفهمها بشكل جيد، أخطر من الإمبريالية على الشيوعية، وكان هذا الكلام فيه قدر من المعقولية والتنظيم، والقى علينا بقنبلة في نهاية الجلسة، وهي انه سوف يحضر لنا مجلة شيوعية في الجلسة القادمة وكنا سعداء جداً بذلك.

ثم أحضر لنا هذا الشخص ما وعدنا به. مجلة مطبوع عليها المنجل والمطرقة اسمها الحزب الشيوعى المصرى. فلا تتخيلوا مدى سعادتنا لحصولنا علي ما نريده بالضبط وهو لم يكن يريد ان يجندنا كمجموعة، بل يريد كل واحد على حدة للأمان، ونحن اولاد حتة واحدة، ورجالة مع بعض ولا نعرف التنظيم واحتياطاته.

وبدأ يفهمنا ذلك، وبدات انا واحد أصدقائى نتحمس جداً للانضمام للتنظيم واندفعنا نحو هذا الشخص. اما أصدقائي الآخرون فاخذوا المسالة بتحفظ اكثر.

وجلس معنا حوالى ثلاث جلسات، ثم قال لنا، إننا أصبحنا مرشحين وكان هذا في أوائل عام١٩٥١، وسوف تكون هناك اجتماعات دورية، ثم اختار لنا الأسماء الحركية، واكد علينا ان هذه هى الأسماء التى نعرف بعض بها، ولو قابلنا بعض في اى مكان بدون ان نكون محددين موعداً للمقابلة، لا نسلم على بعض، وكأننا لا نعرف بعضنا البعض نهائيا، وقال إننا نستعد للثورة، وانها على وشك ان تتم.

وبعد ذلك، بدانا لانصدق احمد حسين، عندما فهمنا ان هناك مراحل انضج، ونؤمن بمدى أهمية الطبقة العاملة والفلاحين.

واتى لنا بتقرير "نحو ثورة مقبلة" للرفيق خالد (فؤاد مرسى- سكرتير عام الحزب)، وطلب منا أن نذاكره جيداً ونؤمنه بعد ان دربنا على كيفية تامينه في المنزل، حتي لا تمسك معنا اية أوراق لو تم القبض علينا، واكد علينا ان المسالة ليست هزلا، ولابد من الاهتمام بكل ما يقوله، وبدأ كل فرد يصنع مخبأ في منزله، ونتعلم الا نتكلم او نثرثر باى كلام عند الحلاق لأنهم معروفون للبوليس، فهناك قسم من المباحث خاص بالشيوعية، وبدات دروس في الأمان على مستوى راقٍ جداً، وشديد الاحترام ولابد ان نراعى ونلاحظ هل نحن مراقبون أم لا؟ وبدات تتم مقابلات تنظيمية بيننا نحن الثلاثة، ناخذ موعداً عند الأتوبيس ونصل قبل الموعد بخمس دقائق لنتاكد من ان المكان خال

من المخبرين على المحطة، وبالرغم من اننا نعرف بيوت بعضنا البعض، إلا اننا كنا ناخذ مواعيد فى اماكن مختلفة مثل القهوة، ونكتب محضر الاجتماع ونبيضه بخط غير خطنا، حتى لو ضبطت هذه الورقة عند احدنا لا تثبت علينا، وكنا ناخذ مواعيد احتياطية، بمعنى لو حدث ولم يات احد الاجتماع، لا نذهب لمنازل بعضنا البعض، بل ننتظر الموعد الاحتياطى، او الموعد الشهرى. وهكذا اعتبرنا انفسنا دخلنا سلوكا آخر تماما.

وكنا نمارس هذه الطقوس عن ظهر قلب، وجلسنا ثلاثة شهور في حالة تربية ثقافية وتنظيمية، للتدريب حول كيفية توزيع المنشورات أو الكتابة على الحوائط (كنا نمضى هذا الوقت بالحزب الشيوعى المصرى)، وما هى المواد التى تستخدم في ذلك (حصا جوز المستخدم في الموبيليا - ثم تطورت بعد ان اضفنا لها مادة للتثبيت (الغراء)، وكانت اهم ميزة لنا، اننا غير مكشوفين للبوليس وفي نفس الوقت معروفين في حينا، فبدانا نوزع الراية ومنشورات أخرى فى صناديق البوستة، واستلمنا اول كمية، وكان فى الماضى كل منزل به صندوق البوستة، فكنا ندعى اننا نذهب للمذاكرة عن احد الأصدقاء ثم نبدأ في التوزيع، واحدنا يضع المنشور في الصندوق والآخر يراقب الطريق. ثم بدانا نضعها تحت أعقاب الأبواب، ثم في أماكن التجمع العمالى حيث كان هناك جراج لمقار بجوار الخليفة، فكنا نرميها من على السور لأن النقل وقتها كله كان قطاعا خاصا مملوكا للأفراد مثل (درويش ، أبو رجيلة)، وورش الميكانيكا التى كانت منتشرة في معروف، فقد كنا نحاول ان نبحث عن البشر الذين كُتبت لهم هذه المنشورات، فطبقًا للأدبيات الأساس هو الطبقة العاملة وهو الحيف الرئيسى. وإن كنا نعرف من الأدبيات ايضا ان هذه الطبقة ليست الطبقة العاملة بل حرفيين ولكن الحرفيين هم جزء من ثورتنا المقبلة.

وبدانا ننظر لكل من حولنا بنظرة اخرى، فنسال مثلاً هل هؤلاء يمكن ان يكونوا معنا ام لا؛ من منهم يمكن ترشيحه للحزب (فكرة التجنيد)؟. وبدانا نوزع منشورات لأصحابنا على اساس اننا وجدناها في صندوق البوسطة لدينا، دون ان نعلن عن وجودنا في الحزب.

وهكذا اصبحت عضوا قاعديا فى خلية الحلمية، فالأساس كان الحى وليست المدرسة.

ثم اتى لنا بتقرير أخر اسمه "في التنظيم" للرفيق عاصم (إسماعيل صبرى عبد الله- المسئول التنظيمى للحزب).(فالسكرتارية المركزية كانت مكونة من خالد وعاصم وسعد زهران مسئول الدعاية).

وفيه يتحدث عن ما هو التنظيم، شروطه . السرية . حديدية التنظيم، وماذا يحكم التنظيم هل الديمقراطية المركزية؟ وهل هى ديمقراطية في الأساس ام مركزية؟وكيفية اتخاذ القرارات، ومناقشة الأفكار الانتهازية، وكان التقرير يعتبر دراسة نظرية من امتن ما يمكن، ولهذا كانت معظم كوادر الرية على مستوى نظرى عال جدا إذا قورنوا بأى تنظيم آخر، وكنا نكاد نكون حافظين لكل التقارير، وكانوا يهتمون جدا في الاجتماعات بالتثقيف، فإذا سال عضو سؤالاً ولم يعرفه مسئوله، يحضر له الإجابة في الاجتماع التالى.

هكذا كان هناك نظام من بداية الترشيح ويوجد لائحة واستراتيجية. وكان يُعرض على المرشح اللائحة ويقراها ويتم ترشيحه بعد الموافقة عليها، ويظل ثلاثة اشهر طبقا للائحة (ولكن عمليا لم تكن تتم بهذه الدقة هذه لأن الأحداث كانت ساخنة جدا) ثم يمنح العضوية، وكان يتم احتفال تنظيمى للعضو الجديد فهذه مناسبة لابد من الاحتفال بها. وكان الاحتفال نوعا من التعهد للاستمرار فى النضال والكفاح، وكانت الناس مخلصة جدا فيما تقوله، ويتم التدريب على السرية والأمان من خلال امثلة، مثلا أن الرفيق فلان حدث منه كذا وهذا خطأ ونقد نفسه عليه، كذلك ممارسة النقد والنقد الذاتى وفي رايى أن هذه من الأشياء المهمة في التربية منذ الصغر لأنها تولد فيه النقاء ونوعا من الجراة مع نفسه اولاً، حيث يستطيع ان يتطهر وينقد نفسه ويواجه الآخرين باخطائه ويقيم نفسه .ومن أهم دوريات الحزب الشيوعى المصرى الشيوعى المصرى الشهير بالراية)

راية الشعب، وهي جريدة الحزب الجماهيرية وكانت تطبع طباعة ممتازة بمطبعة حروف، وكان يوضع شعار المنجل والمطرقة مع اسم الجريدة وهي مبوبة تبويا جيدا، وتحتوي علي تحليل سياسى عام وخاص باهم الأحداث السياسية والاقتصادية والكفاحية سواء العالمية أو المحلية مع الكثير من الأخبار النضالية في العالم وفي مصر.

الحقيقة، وهي نشرة خاصة بالكادر الحزبي والأعضاء الحزبيين، وتناقش المشاكل

الحزبية والتنظيمية، وتقوم بالرد علي الأفكار الخاطئة سواء في داخل الحزب او خارجه طبقا لما كان يقال، الأفكار الانتهازية سواء كانت يمينة او يسارية وإبراز الخطأ في ذلك والهدف الرئيسي هو تربية الكادر، وتثقيفه ثقافة ماركسية لينينية سليمة.

Egypt Compatant، مجلة للأجانب في مصر بالفرنسية ولم ار منها غير عدد واحد وكانت غير منتظمة الصدور.

الثقافة الوطنية، وهي مجلة للثقافة العامة، وتتناول موضوعات ثقافية لكل المثقفين بشكل عام وليس بها شرط أن يكونوا أعضاء في الحزب، وفيها نشر صلاح عبدالصبور قصيدته الشهيرة هل «عاد ذو الوجه الكئيب، ذو الأنف المقوس، ذو الندوب»، ولم يكن عضوا في الحزب، وكان الهدف منها هو محاولة تجميع المثقفين من خلال إتاحة فرصة النشر حول المشاكل الثقافية.

ولم يكن للحزب الشيوعي المصري اي جرائد علنية، ولا يؤمن بمسالة العلنية في البداية بل يؤمن بالسرية المطلقة حيث إنها مفروضة عليه.

ومن اهم وسائل التثقيف التي تميز بها الحزب الشيوعي الكتيبات او الكتب الصغيرة او ما يمكن أن يسمي بالتقارير السياسية والتي تناقش موضوعات أساسية، او مشاكل نظرية ومن أهم هذه التقارير «ثورتنا المقبلة» للرفيق خالد وهي دراسة في حوالي ٣٢ صفحة فيها يناقش حقيقة الثورة المقبلة وقوى هذه الثورة واعدائها ومع من نتحالف ومن نحيد، ومن نعادي، و«صراع الطبقات في مصر» وكانت أول دراسة جادة وشاملة واثارت الكثير من المناقشات واكتسبت احترام الجميع، وكانت هذه الدراسات تتميز بالتوثيق الجيد إبراز المراجع الهامة.

ومن أهم التقارير «في التنظيم» وفيه يناقش الرفيق عاصم اسس التنظيم وكل الأسس التي يرتكز عليها الحزب والمبادئ التنظيمية التي تحكم العمل بالحزب وحقوق الأعضاء: وكذلك المستويات المختلفة وعلاقاتها ببعضها ومسئوليتها.

لائحة الحزب، وكانت مطبوعة طباعة جيدة، وكان كل مرشح يقراها حزبي يقرءها ويناقش كل التفاصيل فيها ويسأل عما فهمه منها حتي يتم التاكد من أنه قد درسها جيدا حتي يمكن ان ينال شرف العضوية.

وبالمناسبة انا كنت شديد التدين في هذه الفترة: واصلى الفروض في أوقاتها، وهذه من الأشياء التى يحترم فيها هذا التنظيم جدا. فأثناء الاجتماعات (بعد ان سلمنا

لمسئول آخر وزاد عدد الأعضاء اثنين) عندما كان يحين أذان الصلاة كنت استأذن من المسئول وانزل لأصلي في الجامع، ثم نكمل الاجتماع، ولم يكن يعترض على هذا لا المسئول ولا احد من اعضاء الخلية. وكنت احترم عقلى تماما. فالذى لا يدخل فيه ولا اقتنع به لا امارسه.

كانت الخلية تجتمع كل أسبوع، تناقش جدول أعمال مكون من، المسائل التنظيمية، وتحليل سياسى لأهم الأحداث التى تمت بين الاجتماعين، وكان دائما يأتى من القيادة المركزية. ثم التكليفات وكان لابد من وجود مسئول في الخلية عن الاتصال، له مواصفات خاصة، فلابد ان يكون اكثرنا امانا واكثرنا حركة غير جماهيرية، واكثر معرفة بالتنظيم وأسلوب الأمان، واقل ثرثرة، على أساس انه يحمل مطبوعات، وبالتالى هو اكثر عرضة للخطر، ومسئول عن كتابة محاضر الاجتماعات، فهو الذى يحتفظ بارشيف الخلية. سواء من كتابة التقارير في الداخل او التقارير التى تاتى من اعلى او عمليات التثقيف. وكانت معظمها كتب بيروتية او كتب غير متداولة فى السوق، بالإضافة إلى شراء كتب من كشك إسماعيل الذي كان امام كازينو الأوبرا (وقد اصدر الحزب امرا لكل مسئولى الاتصال بعدم الاقتراب من هذا الكشك لأنه كشف للبوليس بدا يتعاون معهم). وكنا ننصح بقراءة الادب، خاصة الأدب الروسي، مكسيم غوركى، وكل ترجمات سامى الدروبى، وكتاب في التنظيم لستالين وكانت هناك كتب عن الإلحاد مثل " ارنى الله". كما كنا داخل الخلية نناقش الأفكار الانتهازية، مثلاً لماذا تبعد الأحزاب الأخرى عن اسم الحزب الشيوعى. وهكذا من خلال التقارير العليا بدانا نعرف ان هناك تنظيمات اخرى: وانها انتهازية. فلم نكن نعرف في هذا الوقت أن هناك تنظيمات اخرى سوى حدتو عن طريق آل الشرقاوية في المدرسة.

كما كانت تناقش فكرة الأممية في ادبيات الحزب الشيوعى المصرى، وفكرة الدولية الثانية وكيف انها خانت الطبقة العاملة في هذا الوقت: وبالتالى كان لزاما على الشيوعية الدولية ان تؤسس الأممية الجديدة التى استبعدت منها الاشتراكية الديمقراطية.

وكان فهمنا لحدوث ثورة في مصر انها ستتم من خلال قتال، وان الثورة ستقوم على مرحلتين ، المرحلة الديمقراطية ثم المرحلة الاشتراكية، وان فكرة المرحلة الواحدة فكرة انتهازية وخاطئة، لأنها تصفي الثورة وتسلمها للأعداء لأنها ليست نابعة من مفهوم لينيني ستاليني منضبوط طبقا للاقوال التى كانت تقال في هذه الفترة.

وفي هذه المرحلة كانت الصين قد تحررت، وكان يعتبر هذا شكلاً إيجابيا جداً للأفكار الشيوعية والاشتراكية، لأنها بلد، كان الأفيون هو الذى يحكمها ثم أصبحت القيادة فيها للحزب الشيوعى، وصور الرفيق ماوتس تونج كانت شيئا مبهرا جداً، وكان هذا يظهر حتى في الصحافة العادية. والكلمات المأثورة لنابليون " الصين نائمة ويا ويل العالم إذا استيقظت".

وبالتالى بدأنا نتطلع لثورتنا، وانه يجب الالتصاق جيداً بالعمال والفلاحين لكى نستطيع تحقيق ثورة حقيقية، وأن هذه الثورة لن تتم إلا بحمل السلاح (وهذا كان في الأدبيات فقط، ولم يكن موجودا في التطبيق العملى) بل كان مجرد تحريض على المظاهرات سواء كان في الجامعة أو الأماكن العمالية. ومن الأشياء التى كانت تقال لنا في الاجتماعات والبيانات أن الحزب الشيوعى المصرى له جذور في الريف، وان هناك كوادر فلاحية كثيرة خاصة في ملوى، حيث بها كم كبير من أعضاء الحزب الشيوعى المصرى.

وأنا شخصيا تأثرت بكل ما علمه لى الحزب، حيث شعرت بأنه يعاد تربيتى مرة أخرى، من خلال التأكيد على أهمية النضال والكفاح والارتباط بالطبقة العاملة والفلاحين. كل ذلك جعلنى أفكر في الذهاب إلى بلدنا، بالرغم من أن تجربة أهلى مع البلد كانت سيئة، حيث أصيب أخى الكبير بالتيفود فى أول زيارة له للبلد. ولكن أتيح لى فرصة الذهاب إلى الريف. قرية موشا (بلد سيد قطب الذي تعرفت عليه في الحزب الاشتراكي قبل أن يدخل مع الأخوان وهو متخرج في دار العلوم، فقد كان يكتب في المجلة الاشتراكية، وكان أحمد حسين يسمح له في بعض الأحيان أن يخطب، وكان اتجاهه في هذا الوقت أميل للنقد الأدبي منه إلى أى نوع من التفكير الديني) لزيارة عمى بعد رجوعه من الحج وكان هذا عام ١٩٥١. ومن الأشياء التى بهرتنى في الريف، أننى وجدت شيخ البلد عضواً في الحزب الاشتراكى، وأثناء زيارتنا للعمدة وقف شيخ البلد والقى قصيدة لأحمد شوقى (الاشتراكيون أنت إمامهم) وفي فترة وجودى فى القرية تقربت منه جداً، ووجدته شخصا محبوبا جداً لدى الناس، ووجدت أيضا أخوانا مسلمين في القرية وكان هذا واضحا من خلال شكل العداء للأقباط الموجودين في القرية، كما لم أنس منظر الفلاحين الغلابة وهم ينزلون من على الركايب (الحمير) عندما يرون الناس الأكابر (ومنهم عمى)، وهذا أشعرنى بمدى القهر الموجود في الريف، وكيف أن من يمتلك بعض الأفدنة عليه أن يستخدم كما هائلاً من البشر، وبدون اعتبار

لأي نوع من الآدمية.

وهكذا اكدت لى رحلتي إلى القرية كل الكلام الذى كان يقال على أغنياء الريف، والفقراء المعدمين وعمال الزراعة... من خلال التقرير التحليلى للطبقات في مصر الذى قرأته، مما أدى إلى زيادة اقتناعى بكل ما يقال لنا.

وطوال هذه الفترة لم احتك بالأطراف الأخرى المشتركة في تنظيمات أخرى، وكان التركيز على الحى والمدرسة .

وفكرة التمصير داخل الحزب كانت فكرة أساسية، لم يكن في تنظيمنا أجانب، وكان يقول أن قيادة اليهود خطأ، واننا لسنا ضد اليهودية، وإنما اليهودى إذا كان مخلصا فيجب أن يكون في القاعدة نظرًا لحساسية هذا ولاسيما بعد القضية الفلسطينية. ولم أر أجانب إلا بعد الوحدة، ومنهم ميرى بابادوبليو، وفي الحقيقة كانت جيدة، فنتيجة قراءة الأدب الروسى الجاف عن النضال وغيره، كانت المرأة صلبة.

بالنسبة لرؤية التنظيم للطبقة العاملة، كانت ترى أنها هى الأساس كما ذكرت، والمفروض أن تقود، ولكن ليس بمفهوم العامل، وإنما هناك كثير من المثقفين يمكن أن يتركوا فكريا أصولهم الطبقية ينحازوا للطبقة العاملة المصرية، وهؤلاء يقال عنهم انهم قيادات عمالية لأنهم أعضاء في الحزب الشيوعى، وهؤلاء هم الطليعة للطبقة العاملة المصرية.

وكان هذا يتضح جيدًا في الأدبيات، أما أنا فلم أكن أحتك بالعمال في هذه الفترة. (بعد ذلك رأيت قيادات عمالية، وكنا نعمل معا عملاً جماهيريا. بعد أن اكتشفت للبوليس، وتم القبض على فى ١٩٥٤).

ومن أوائل المعارك التى شاهدتها داخل التنظيم «الرد على عامر» الذى قام بكتابته فؤاد مرسى (عامر هو عبد الرحمن شا كر . عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى) وكان من الناس الجماهيريين، وقال وجهة نظره عن حريق القاهرة وهي مختلفة عن وجهة نظر الحزب وقتها، فالحزب كان يرى أن هذه غوغائية وأن السرايا هى التى دبرت هذه المؤامرة بهدف أن تضرب الحركة الجماهيرية التى بدأت تنتعش. وكتب فؤاد مرسى هذه الرؤية لكى يحذر من هذا التفكير، وهذا الرأى مكتوب بشكل أوضح في كتاب عبد الخالق الشهاوى «الحلم والسجن والحصار».

أما عبد الرحمن شاكر فكان رأيه أنه كان يجب على الحزب في هذا الوقت أن يستغل فرصة التحرك الجماهيرى الواسع ويستفيد منها في حركة جماهيرية واسعة.

فرد فؤاد مرسى قائلاً هذا الكلام ليس صحيحا، لأن هذه مؤامرة الهدف منها ضرب الجماهير، ولم تكن حركة الجماهير هذه حركة جماهيرية منظمة، لكنها كانت منظمة لتخريب الحركة الجماهيرية الحقيقية التى يجب ان تكون بقيادة حزبنا.

والرد على عامر كان من التقارير المهمة، وصنع نوعا من الحيوية داخل التنظيم ففيه رؤية نظرية رائعة، وليس مجرد الرد، ولكن التعريف بالانتهازية اليمينية، وما فعلته بالحزب البلشفى، راى لينين وستالين في هذا الموقف. وكان الفرد منا ياخذ هذه الآراء قضايا مسلم بها، فالذى يقال من اللجنة المركزية او السكرتارية المركزية او الأدبيات التى توزع كلام لا يقبل النقاش.

اما بالنسبة لوجود ديمقراطية فى الحزب، فالحقيقة اننا كناشبابا صغارا، كل ما يهمنا هو الشيوعية، ووجدناها فى هذا المكان، ووجدناها متاصلة، فعندما نعمل مقارنة بين التقرير السياسى لفؤاد مرسى مع اى منشور سياسى آخر نجد فرق السماء من الأرض، لذا عندما نقرا كلاما بهذا المستوى، ونحن مازلنا شبابا صغارا، كان يبهرنا، ولم نشعر بتمرد إلا بعد سنة ١٩٥٦. ولكن في النهاية كانت هناك حرية التعبير لدرجة اننى كما ذكرت كنت اترك الاجتماع واذهب للصلاة في الجامع ولا احد يناقشنى في ذلك، واتصور انه لو ناقشنى احد في ذلك، لكنت بالتاكيد تركت التنظيم، فقد كنت ايامها اربط بين هذا الفكر والإيمان، فلا يمكن ان يكون هؤلاء الناس هدفهم خدمة الناس ويكونوا ضد الدين، وبالتالي ما يقال عن العداء للدين او الموقف من الدين غير صحيح، ومطروح من الناس المعادين لهذه الأفكار التقدمية، والحقيقة أن كل جيلي في هذه الفترة كان ليبراليا، فنحن مثلاً اولاد حى واحد، عندما يتم ضرب الأخوان المسلمين بالرغم من اننا ضدهم، لكننا كنا نحميهم لأنهم مطاردين من الدولة. وهذا فهم ليبرالى للامور.

فكان من حقنا ان نخاطب اللجنة المركزية كعضو قاعدى، ومن حقنا أن نخاطب السكرتارية المركزية، ونرسل تقريرا، ويرسلون لنا ردا، ولكن عندما يكون عملاً تخريبيا مثل الذى قام به عامر في ذلك الوقت، فإنه يجب أن يعرى، ويجب أن يتم توحيد الكوادر حول وجهة نظر الحزب، وتم فصل هذا الرفيق. فالحزب الشيوعى المصرى كان يمثل الانضباط على طريقة م.ش.م ولكنه كان اكثر وعيا، فعبد الرحمن شاكر بعد أن حدث كل هذا الهجوم عليه لم يسمح لنفسه ان يناقش احدا في هذا التقرير، بمعنى ان الحزب قال هذا، والأمر انتهى.

حجم الحزب، كان لدينا تصور أن حجم التنظيم مهول وأننا على وشك تولى السلطة، من خلال ما كنا نقراه في منشورات ومجلات الحزب، وكنا نشعر بذلك، فأنا أتذكر ذات مرة أنه كان لدى موعد تنظيمى لكى أحضر بعض المنشورات ليتم توزيعها، وبعد شرح كيف أصل وما الذي سأقوله، قابلت على القهوة شخصا سمينا كان يشرب الشيشة، وشكله فلاح تماما، ولكنه يلبس بدلة، وأعطانى انطباعا بمدى قوة الحزب، وأن هناك فلاحين مشتركين فى الحزب ولكنهم متنكرين، والمضحك أننى اكتشفت بعد ذلك أن الذى قابلته هو الدكتور "رواش"، وكان وقتها طالبا فى كلية الطب.

أما الخلية فكانت لا تزيد بأى حال من الأحوال عن خمسة أفراد للأمان، وكانت الوجوه في جهاز الاتصال دائما وجوها جديدة، ليست هى الوجوه التى نراها في المظاهرات، وإنما وجوه مامنة.

وكنا نعتقد أن الجهد الذى وراء هذا الكم من المطبوعات والنشرات والكتب النظرية جهدا كبيرا، ولم يكن هذا إحساسى فقط، وإنما كان إحساس المباحث، وقد قرأت في القضايا، أن حسن المصيلحى فى شهادته في المحكمة، قال إننا كنا نعتقد أن هذا التنظيم تنظيما ضخما، وأن به فلاحين كثيرين فى أماكن مختلفة. فقد كان له صدى كبير.

وبدأنا في هذه الفترة ننشط ونجند، فكونا أكثر من خلية، خليتين في الحلمية، خليتين فى السيدة، خلية في فم الخليج وخلية في المدرسة، وكان من الطبيعي أن نترقى فكل واحد منا أصبح مسئول عن خليتين، ويحركهم، للكتابة على الحوائط، وتوزيع منشورات، والمشاركة في المظاهرات .. إلخ.

وبدأت تنتهى تقريبا الدراسة عام١٩٥٢، وأثناء ذلك سمعنا بيانا يقول باستيلاء الجيش على السلطة فأخذنا بعضنا جريا إلى أقرب مكان وهو قصر عابدين ولم نجد فيه شيئا، فالجيش لم يستول على شئ، والناس تقف في الميدان فرحة، حتى جاء يوم ٢٦ وجدنا الجيش يلتف حول قصر عابدين إلا أن المعركة كانت أساسا في الإسكندرية.

في أواخر هذا الأسبوع جمعنا اتصال ، قيل لنا إن هذا انقلابا أمريكيا فاشيا لأنه معاد للديمقراطية ثم صدر تقرير فؤاد مرسى، وجوهر التقرير يقول ، إن الاستعمار الأمريكي جرى فى الفترة الأخيرة، لأنه لا يستطيع أن يحكم بالطريقة التقليدية، وأن

الجماهير تكشف الأساليب القديمة للسلطة سواء الإقطاع الراسمالي او التحالف مع الاستعمار، وخوفا من ان تقفز الجماهير على السلطة بقيادة الأحزاب الشيوعية، ولم يكن في يد امريكا إلا ان تقوم بانقلابات عسكرية تغير السلطة، وباساليب فاشية في مواجهة الجماهير.

وفى هذا الوقت صدر قرار بالإفراج عن كل المعتقلين السياسيين ماعدا الشيوعيين، وهذا كان يركز عليه جدا، ورايى الخاص جدا ان هذا الكلام كان صحيحا نظريا وقتها لأن ستالين فى المؤتمر ١٩ قال ان البرجوازية القت بعلم الثورة في الوحل، وكان لزاما على الطبقة العاملة ان تقوم بالثورة وبالتالى البرجوازية فقدت ثوريتها والثورية أصبحت للطبقة العاملة من خلال أحزاب شيوعية، وبالتالى لا يوجد اساس نظرى عند احد يعرف هذه النظرية بشكل جيد من هؤلاء يمكن ان يقول انه من الممكن لبرجوازية ان تكون وطنية بعد ما قاله ستالين. فإذا قال إن هذه وطنية فإن هذا معناه انه مخالف لكلام ستالين ومؤتمر ١٩، وبالتالى ليس لديه أساس نظرى يستند إليه، ولكن فى هذه الأيام كان يحدث انقلاب عسكرى كل فترة في امريكا اللاتينية وفي معظم الولايات، فقد كان الشكل الانقلابى هو الشكل السائد.

إذن فلماذا هذا الانقلاب ليس فاشيا او متحالفا مع الاستعمار بدليل انه ما زال محتفظا بالشيوعيين داخل المعتقلات، وبعد ذلك العداء المستمر للديمقراطية والأحزاب حتى التقليدية منها وهذه الحكاية لم تظهر على السطح لأننا كنا لا نهتم بالمناقشات مع الانتهازية باعتبارنا لسنا مكشوفين. وباعتبارنا فى اماكن ليست فيها تنظيمات انتهازية.

وهكذا صدرت تعليمات مشددة بان الفاشية سوف تبطش بالشيوعيين، وبالتالي يجب المزيد من الأمان والمزيد من حديدية التنظيم. ومع بداية العام الدراسى، كنا في التوجيهية. وكانت كل الأحزاب مضروبة الوفد والسعديين باستثناء الأخوان، بداوا ينشطون جدا، وشعاراتهم واضحة القرآن اساس الحكم، والجبهة الوطنية، حيث كان الشعار في هذه الفترة عمل جبهة وطنية لمواجهة الفاشية بين كل القوى الوطنية المستعدة لمحاربتها وشعارها الدستور أساس الحكم، والجبهة تتسع لكل القوى الوطنية، ولكل من يريد ان يقف في مواجهة الفاشية، بما ان الفاشية سوف تقهر الناس والمجتمع، وفعلاً الكثير من الناس يتشككون في الثورة، وبدات الجامعة تعمل، وكان بعض زملائنا الذين يسبقوننا دخلوا الجامعة ـ جامعة فؤاد(القاهرة الآن)، او جامعة إبراهيم

(عين شمس) ولم تكن في العباسية وقتذاك. بل كانت في اماكن مختلفة، مثل كلية التجارة التي كانت في مبنى معهد التعاون وبناء على وجود هؤلاء الزملاء، أصبح مقرنا الرسمي في الجامعة كما ذكرت، وفى احتفال الشهداء الذى كان يتم في شهر نوفمبر قررنا عمل مظاهرة، وبالطبع كان يتم عمل ترميم وتنظيف قاعة الاحتفالات بالجامعة ودهانها، وكانت توجد سقالات في القاعة، وعندما دخل رجال الثورة، هجم طلبة الجامعة عليهم، ولكن جزءا كان يريد الترحاب بهم، جزءا يريد ان يناقشهم ويقول لهم يجب الإفراج عن الطلبة المعتقلين...، المهم دخلوا، ووضع جمال عبد الناصر الورود على النصب التذكارى الذى كان ما زال داخل الجامعة. خرج بعد هذه السنة إلى الميدان. واصبحت القاعة فريقين، فريق على السقالات، دورين من الجماهير العادية يقول الدستور أساس الحكم، وفريق آخر أسفل من الأخوان يقول القرآن أساس الحكم، وقد كان الأخوان المسلمين يحشدون ليس فقط من طلبة الجامعة ولكن ايضا من خارج الجامعة، والاثنان يريدان ان يرى مجلس الثورة قوتهما، فكانت القوتان في قمة استعراضهما، والجبهة الوطنية التي تكونت في هذا الوقت ايضا استعرضت اقصى ما عندها. وفي البداية بدا ان الأخوان مسيطرين بالكامل ثم بدات ما يطلق عليها الجبهة الوطنية، كان وقتها عبد المنعم الغزالى، ومصطفى الحسينى، وحامد الأزهرى(وفد)، والخطيب (وفد)، وبدات تحدث ردود على الأخوان. وتوقفت الخطب التى بدات على المنصة، ووصل الصراع إلى درجة أن الأخوان عندما وجدوا الموقف متجمدا شدوا السقالات من أسفل، وسقط معظم الناس، وكانت هذه أول مواجهة جماهيرية على أرض الجامعة داخل القاعة، فقد كان الأخوان يريدون ان يظهروا للثورة مدى سيطرتهم، وفشل المؤتمر وتحولت المسالة من دخولهم ككتلة واحدة إلى انهم تفرقوا، وجزء منهم تم حمله على الأكتاف، ونحن لم نكن نعرف أن مجلس الثورة سوف يحضر بالكامل بزيهم الرسمي، وبالتالي لم نرتب استقبالاً حقيقيا، كنا نعتقد انه مجرد الاحتفال التقليدي للجامعة، ولذا حدث تذبذب في كل الأحزاب الأخرى الوفديين والسعديين، ولكن من الواضح ان الأخوان كانوا يعرفون، وقابلوهم بشعاراتهم، وكان الشعار الرئيسى الله اكبر ولله الحمد والشعار العملي القرآن دستور أما الشعار الرئيسي لنا الدستور أساس الحكم، الذي كان من المفترض انه المادة السادسة من اهداف ثورة يوليو، وتوج كل هذا برمي منشور من الراية في القاعة، فقد كنا نريد ان نؤكد على انه انقلاب فاشي،

ومطلوب تكتيل كل الناس في مواجهته، وان المحك الرئيسي هو الديمقراطية. وكان له رد فعل كبير على الناس، وكان تكليفي فقط هو إحضار المنشور إلى الجامعة، وفي هذه الفترة كان يتم التشديد على عدم الاشتراك في المظاهرات، وان أجلس في البوفيه اثناءها حتى لا أعرف، ولكن كنت لا اطيق. (واتذكر مرة كنت البس بلوفر كاناريه، فجاء مسئول من التنظيم كان فى كلية الهندسة، وقال لى ما الذي تلبسه، فقلت بلوفر أختي عملته لي، فقال يا رفيق لا يجب أن تلبس هذه الألوان الزاهية خاصة في المظاهرات، لأنها تخطف العين، وبالتالى اي مخبر او ضابط مباحث ينظر من اعلى يمكن ان يعرفك، هكذا كانت درجة الأمان، ورغم انزعاجى فى البداية من هذا التوجيه، إلا انني ادركت ان القصد حسن).

وعندما حدث هذا انتهى المؤتمر وبدا يخرج رجال الثورة من جانب القاعة، وكان موقفهم موقف المتفرج، المشدوه، ونتيجة لهذا المؤتمر تم إغلاق الجامعة، وفى هذه الفترة كانت تغلق الجامعة بانتظام، طبعا كان هذا يصعب مسالة دخولنا للجامعة ولكن كانت لنا سكة معروفة كما ذكرت، وهى الدخول من حديقة الحيوانات، ثم النط من على السور ودخول كلية الهندسة، أو من الخلف من عند كلية التجارة. وكنا نشعر أن البوليس موجود طوال الوقت في الشوارع، وبدا "المصرى" يصادر، وكل فترة تظهر قضية من قضايا الشيوعية، وهكذا كان الصراع موجود من ١٩٥٢ إلى١٩٥٤ على اشده، وبشكل عنيف حتى مارس ١٩٥٤، واصبح التنظيم يكبر، تملأ الدنيا منشورات، بيانات ومجلة الراية، نوزعها في المترو، أو نربطها فى بالونة حتى لا يقبض على احد وهو يقوم بتوزيع المنشورات، كنا نتفنن كثيرا، وننزل في الشوارع نشطب على شعارات الجيش بالبوية، حيث كانوا يملأون الشوارع بشعاراتهم (نحن نحمى الدستور)، وكانت هناك ردود من الجيش في مواجهة الكلام التي تقوله الأحزاب الأخرى، سواء كانوا وفديين أو شيوعيين او أخوان، او الحزب الاشتراكي إذ كان قد بدا يضعف، وبدخل أحمد حسين السجن، وفي هذه الفترة ايضا فكرنا أن نقوم بهتاف بسقوط الفاشية والعسكرية على ميكروفون ساعة الجامعة التي كانت متصلة بالإذاعة مباشرة، إلا انهم قد اوقفوها. كل هذا كان يشعرنا باننا في تنظيم قوي، وله كيان متاصل مثل اى حزب نقرا عنه في الجرائد.

قوانين الإصلاح الزراعى

كان رد فعل التنظيم على قوانين الإصلاح انها محاولة ليست لتصفية الإقطاع وإنما

لتقليم اظافرهم.

بالنسبة لخميس والبقرى (وخميس كان عضوا في الراية)، كنا ندين بشدة ما حدث، وكانت تنزل منشورات . عاشت ذكرى خميس والبقرى.

وتنظيمنا استمرت فترة حسنى حسين مسئولنا، لأنه كان عضو منطقة ، ثم تم القبض عليه ١٩٥٤، وفقدنا الاتصال ولكن تم استعادته بسرعة، وبدات الضربات للشيوعيين بقوة، وحدثت ضربة للحزب الشيوعي في هذه الفترة وهى مطبعة الراية، فقد كانوا يستاجرون شقة دكانا باسفل، وكان يتم الاتصال بين الشقة واسفل من خلال المطبخ.

وبدا يحدث انشقاق بين الأخوان والثورة، وازدادت الخلافات، ولا سيما بعد تاسيس هيئة التحرير وتولي الضباط مهمة تاسيسها، وقد ادرك الأخوان ان الثورة بدات تعتمد علي نفسها وتربي كوادر فيها وتشتري الأنصار من القيادات النقابية.

وبداية الصدام كان في يوم ٣١ يناير ١٩٥٤ تقريبا كان هناك احتفال في الجامعة على مستوى العالم هناك صراع بين مصدق في إيران لتاميم البترول مع الشاه، ودعا الأخوان نواب صفوى رجل الدين الإيراني المعروف في ذلك الوقت، وخطب في مؤتمر الجامعة خطبة عصماء، وكانت قد بدات في هذا الوقت ما يطلق عليه هيئة التحرير

فوجئنا بدخول عربة بميكروفنات إلى الجامعة بقيادة كمال يعقوب، وبدات تشوش على نواب صفوى، وتقول شعارات الجيش / هيئة / هيئة . هيئة التحرير. والحق يقال في نفس الوقت كان رجال الجهاز السرى للاخوان المسلمين يضربون كل من على العربية وقلبوها وولعوا فيها في لمح البصر، وقد تمت هذه العملية بشكل شديد التنظيم، وبقدر عال من التدريب، وكانت هذه من اهم المعارك التى تمت بين الأخوان والسلطة. والإنذار من قبل الأخوان للثورة والذي بنى عليه في نفس الليلة اتخاذ اول موقف ضد الأخوان. ولكن بدات بمجرد احتفالات لبعض الأفراد من الاخوان، وفى المساء طلب منا ان نذهب إلى الأخوان فى المركز العام، وحضر نواب صفوي، وشعرنا بوجود ربكة شديدة فيما بينهم. وفي اليوم التالي تم غلق المركز العام، ولكن لم يستمر الموقف، وتشكلت الحكومة واتوا بالباقورى، ويبدو أن عبد الناصر وقتها قرر تصفية الأخوان ولكن ما زال الوقت المناسب لم يات بعد، وبدا الأخوان المسلمين وكوادرهم، ونحن دهشنا لماذا يكلفونا بالحضور مع الأخوان، كان في ذلك الوقت (والعهدة في ذلك على رؤوف

نظمي، كانت له أسماء حركية كثيرة لأنه كان محترفا ويتحرك كثيرا جدا، منها محجوب وهمام)، ولكن سوف أقول ما رأيته، كان هناك اتصالات بين الحزب الشيوعي ممثلاً فى محجوب، والأخوان ممثلاً فى سيد قطب- وهذا ما ذكره في شهادته التي عملتها معه، أن هناك شخصا مشتركا قابله وقابل سيد قطب، وتفسيره لهذا الاتصال بأن أي أحد يريد أن يقف ضد الفاشية أهلاً به، وبدأ الأخوان في الجامعة ينقلبون على الثورة، وبدأ يحدث تنسيق بيننا حتى في المؤتمرات والمنشورات، وهذا ما يطلق عليه الوحدة والصراع، فإذا شعر الأخوان أننا قلة يأكلوننا ويأخذون منشوراتنا، كانت قاعة الاحتفالات بالجامعة تعقد بها كافة المؤتمرات اليومية في هذه الفترة وكان أسلوب إلقائنا للمنشورات، حتى لا يظهر من الذى يرمي المنشورات، نأتي من أعلى ونرمى أول رمية ثم نقول ارمي أسفل، فكل الناس ترمى حتى تغرق القاعة كلها بالمنشورات، كل هذا كان يتم بالتعاون بيننا، وبمعرفة أبو شلوح أحد قادة الأخوان فى هذا الوقت، من كلية الحقوق، وكنا نشعر أننا لا نتعاون مع بعض من قلبنا، كل فرد يتعاون مع الآخر والخنجر معه، وهناك بيان أو اثنان صدروا مشتركين. حتى جاءت أحداث مارس. وفي الفترة من آخر يناير حتى مارس كانت كل المؤتمرات تتم بتنسيق بين الأخوان والشيوعيين، وبدأت أحداث مارس من ٢٨ فبراير، الشارع كله كان مملوءا بشعارات باسم الحزب الشيوعي المصري، تطالب بالدستور وعودة الجيش إلى ثكناته، وبالديمقراطية، وسقوط الفاشية والشعارات التقليدية الخبز والحرية، والثورة أيضا كانت تلصق شعاراتها على الحوائط، فكنا نقوم في الليل نرمى على هذه الشعارات حبرا أسود لكى نلطخها، وأتذكر أننا نزلنا مرة خصوصا لتلطيخ صورة جمال عبد الناصر التي كانت توضع في شارع رمسيس عند غمرة. وكان كل يومين تقريبا نصدر منشورا نغرق به القاهرة، وكل أسبوع أو عشرة أيام نصدر مجلة الراية. وكل هذا غذي الاتجاه ضد الثورة، وبالذات فى أجواء الجامعة، وفي أجواء الشوارع العادية، فكانت كل الناس مسيسة، والإنجليز ما زالوا لم يخرجوا، وبالعكس هناك اتجاه للتفاوض، وكان هذا الاتجاه بالنسبة لرجل الشارع خطير جدا، لأن طول عمر الناس في مصر ضد المفاوضات، فكيف يقابل رجال الثورة الإنجليز ويتم التفاوض، كل هذا ساعد على تعبئة الناس ضد رجال الثورة، وبدأت الوقائع بما نطلق عليه مجلس الدولة، خرجت الجامعة في اتجاه المجلس، فالسنهورى (كان له أصول سعدية) قال بيانا حول الديمقراطية، وأى

كلام حول الديمقراطية كان يعمل حساسية با لنسبة للناس ورجال الثورة وفي نفس الوقت كانت جريدة المصري، وروزاليوسف قد بدات تاخذ خط عودة الجيش لثكناته، وتحقيق الديمقراطية، والعودة لدستور ٢٣، وكتابات احمد ابو الفتح، وكل هذا عبا الشارع المصري، وخرجنا من الجامعة لمجلس الدولة، وحدث تعدي على السنهوري، ورفع قميص مملوء بالدم، والهتافات بالشهداء، كما لجات الثورة إلى....... وقد رايت مجدى حسنين قرب جاردن سيتي وهو يجمع الشيالين من محطة مصر، وكان يمسك مديرية التحرير، وكان ما زال ضابطا، جميعهم يشتمون في الطلبة والمثقفين، وكان الشيالون لهم لبس مخصوص، وكل شيال له رقم على ذراعه، بمعنى انه يمكن تمييزهم بسهولة، وفي اليوم الثانى بدأ إضراب عمال النقل العام.

ونسيت أن أذكر أنه كان هناك تكتل مهم جدا داخل الجامعة، وهو "اتحاد الصعيد"، وهو يعتمد اساسا على عصبية الصعيد، وكل صعايدة الجامعة داخله، وليس له انتماء حزبي إلى أحد، وكانت كل القوى تحاول ان تحتويه، ولكن لم تسيطر عليه اى قوى، لأنه كان معتمدا على عصبية الصعيد، ومن الممكن ان يكون بداخله أفراد منتمون لأحزاب، ولكن لا أحد يستطيع أن يشده. وقد حاولت الثورة أيضا أن تشده، وكان له دور كبير فى انتخابات اتحاد الجامعة التى كانت من اهم الانتخابات التي تتم في مصر في ذلك الوقت بعد انتخابات مجلس الشعب، وخاصة انتخابات كلية الحقوق، لأنها كانت المركز الرئيسي للحركة السياسية المصرية باعتبار انهم وزراء المستقبل، ففيها كل الاتجاهات، واتذكر الصراع الذى تم بين الخطيب (الوفد)، وحسن دوح (اخوان)، وكان هنالك اثنان اعضاء مجلس نواب فى هذا الوقت حافظ شيحا (كلية الحقوق)، ومصطفى موسى (كلية الهندسة) والاثنان وفديان، وهما كانا أعضاء برلمان الوفد سنه ١٩٥٠ قبل ١٩٥٢، وكان المانشيت الرئيسى لجرائد فوز الخطيب بانتخابات كلية الحقوق، والاتحادات وقتها كانت أهم تنظيم داخل الجامعة، وكانت كلية العلوم يسيطر عليها الشيوعيين بشكل عام، وفي كلية الآداب كانت لطيفة الزيات ممثلة للشيوعيين، والوفد مسيطر على الحقوق، وهذه كانت الكليات الرئيسية داخل الجامعة، بالإضافة إلى كلية التجارة، والهندسة بالخارج.

كنا نحن في الصباح نقوم بالمظاهرات وفي المساء نمر على كل الجرائد ونقول نحن..طلبة جامعة فؤاد نحتج على كذا وكذا، وهذه كانت فرصة بالنسبة لنا نجرى فيها

حوارًا مع الصحفيين والمهتمين، كما كنا نذهب إلى ما يطلق عليه مقر الأحزاب، العمال / النبيل عباس حليم، وايضا أعيننا على الطبقة العاملة لأنها سيكون لها دور معنا. ثم نتفق معا على ما سنقوم بعمله في اليوم التالى، وكان هناك احتمال ان تغلق الجامعة، لأن العام الدراسي كان قد بدأ، وكانت تغلق بمنتهى البساطة. يكتب بيان من إدارة الجامعة يذكر فيه أنه تم تاجيل الدراسة اسبوعا مثلاً وينشر في الجرائد. ولكن كان هناك تنبيه انه حتى لو صدر مثل هذا القرار، أن نتوجه للجامعة كانه يوم دراسي عادى جدًا، لكى نحرك الجامعة، وكان عدد طلبة الجامعة كبيرًا جدًا، وهناك حماس عام، فالجامعة حتى ١٩٥٤ كانت تحكمها التنظيمات السياسية، الشيوعيين والوفد اوما يطلق عليه الجبهة الوطنية وهي احزاب ما قبل ١٩٥٢ مع الشيوعيون والليبراليين والأخوان، وبعد ضرب قيادة الأخوان، تجمع باقى الأخوان، وكانوا في الجامعة يجلسون على الحشيش في انتظار التعليمات، وعندما يُقال الله اكبر ولله الحمد، يتجمع الكل، ويرفعون المصاحف إلى اعلى بطريقة عسكرية. وفي هذا اليوم قرر عمال النقل العام بقيادة الصاوى احمد الصاوى ان يعلنوا الإضراب، ويتوقف النقل العام تأييدا لجمال عبدالناصر فى مواجهة محمد نجيب، وقوفا فى مواجهة التيار الديمقراطى، والحقيقة ان كل الناس كانت متحمسة جدًا. تحركت مظاهرة كبيرة جدًا آلاف إلى مجلس قيادة الثورة، وكان مجلس قيادة الثورة في هذا الوقت بجوار كوبرى قصر النيل. عند كازينو قصر النيل، وخرجت الجامعة كلها وكانت لا تقل عن ١٠ آلاف طالب، وكان من الزعامات الموجودة وقتها عادل فهمى-الذى كان من أفضل الناس التى تقول شعارات مباشرة ومؤثرة. واتجهنا حتى وصلنا إلى كوبرى الجلاء، ثم وجدنا، فى البداية مجموعة ضباط من الشرطة، واتذكر ان قائد هذه المجموعة كان على درجة إنسانية عالية جدًا، قال لنا ارجوكم ارجعوا، انا اخوتى معكم. انتم لا تعرفون ماذا سيحدث، طبعا الناس ابعدته، وبدات تواصل مسيرتها، ولكن فوجئنا بعربات البوليس الحربى تحاول ان تجرى وسط الناس، إلا أن العدد كان كبيرًا جدًا لدرجة أن الناس رفعت عربتين ورمتهما من كوبرى قصر النيل وحدثت مجزرة، وفى الحقيقة لم يحدث ضرب نار إلا فى النهاية. ولم يصل احد إلى مجلس الثورة، وبدات تتجمع الناس فى ميدان التحرير استكمالاً للمظاهرة، في نفس الوقت كانت جميع الشوارع مليئة بالمظاهرات من مختلف الاتجاهات، بقايا طلبة الجامعة يهتفون ضد الثورة، والضباط الذين بدأوا يجمعون اناسا (مثل نقابة

الجالسون على المقاهى وبالمناسبة كان يقال هذا فى الراديو. أشياء خرافية كانت تحدث)، واستمرت القاهرة طوال ثلاثة ايام فيما يطلق عليه الكر والفر، وكانت البلد مليئة بالمنشورات من (الشيوعيين والأخوان . مما يسمى بالجبهة الوطنية ولجان الوفد) وبدأ يتم عمل كريدون حول الجامعة، ليس على باب الجامعة وإنما على آخر شارع الجامعة، كنا ندخل حديقة الحيوان ثم نقفز من على السور لكى ندخل الجامعة، الأشخاص المعروفون الزعماء أو المطلوب القبض عليهم.

ثم بدات تحدث المناورات السياسية المعروفة، عودة نجيب ام عودة مجلس الثورة ورجوع الجيش للثكنات. ولكن الجامعة اغلقت تماما في هذه الفترة وتم السيطرة عليها، حتى آخر مارس، بدات الأمور تهدا قبل إن نجيب عاد، ولكن بداوا يشددون في الدخول للجامعة وعملوا نظام الكارنيهات للطلبة، بدات تحدث ضربات موجعة للتنظيمات الشيوعية، وبالتالي حدث في هذا الوقت فقدان اتصال بين الأعضاء، ولكن لأن داخل كل التنظيمات الشيوعية معروف نظام الميعاد / والميعاد الاحتياطي / الميعاد الدوري الذى يحاول تربيط الناس رغم عدم معرفة اماكنهم، لذا استطعنا معرفة تجميع بعضنا البعض فيط اواخر ايام الجامعة. لكن كان عدد كبير مما نعرفهم تم القبض عليهم، في هذا الوقت كانت مجموعتى لست معروفة، لأننا لم نكن نشترك في العمل الجماهيري إلا قليلاً طبقاً لتعليمات الحزب، ولكن نتحرك في العمل السري جيدا؟ (توزيع المنشورات . الكتابة على الحوائط . تجنيد الناس . التثقيف الحزبي والتثقيف العام) حتي جاء الاحتفال بـ ٢٣ يوليو، تم اجتماع في لجنة القسم والمنطقة وتقرر عمل برنامج للاحتفال بثورة ٢٣ يوليو بطريقتنا الخاصة. الاحتفال كان سيتم في ميدان عابدين، باعتباره هو الميدان الرئيسي للبلد في هذا الوقت، ميدان الثورة،فهم كانوا في قصر عابدين وفي نفس الوقت هيئة التحرير في مبني المحافظة بجوارهم. وقيل إن عبد الناصر سيخطب ويقول قرارات مهمة في المساء، و اتفق بيننا ان نبدا احتفالنا عصرا، بأن يتم عمل مجموعات مكونة من ثلاثة افراد، كل مجموعة ترمي منشورات في حي من الأحياء بحيث تتم تغطية القاهرة باكملها بمنشورات الراية وكانت كما ضخما كان مشتركا في هذه المسالة حوالي ٣٢ شخصا، من شبرا، وباب الخلق، والعتبة، والحسين، والسيدة وكل المناطق الحيوية، ثم يتجمع كل هؤلاء وندخل صوان الاحتفال، ومعنا كم من المنشورات و توزع داخل الصوان. ولكن من الواضح الجلى انه كان بيننا

واحد متعاون مع المباحث. الخطة بشكل عام كانت معروفة لدى المباحث العامة، وكنت المسئول الرئيسي لهذه العملية، فأنا الذي أعرف المخبأ وأسلم لرئيس كل مجموعة، فأول دور تم بنجاح، ولكن في الدور الثاني لاحظت أن هناك نوعا من المراقبة اللصيقة، فعندما ركبت الأتوبيس لأنزل في باب الخلق، كنت أنزل قبل المحطة بالطبع، لاحظت أنه يوجد في الميدان ناس ليست مريحة، وزادت الشكوك عندما سلمت هذا الشخص البوليس المشكوك فيه كميته، وكان يقف بجواره بعض الأفراد، وعندما تحركت لأسلم الأشخاص الآخرين كميتهم في نفس المنطقة تحركوا ورائي وكان معي أخي الأصغر(محمود) فقلت له إننا مراقبون وكان هذا الكلام أمام دار الكتب فدخلنا في الشارع وكان خاليا، فبسرعة أخرجت المنشورات ورميتها في صندوق الزبالة، وفجأة تمت إحاطتنا بأناس من أول الشارع وآخره وظهرت عربنان ملاكي، وتم زجنا في إحداهما، وأدركت أن معي في جيبي خريطة بهذا العمل كله(مكتوبة على ورق بفرة)، ولكن كنا نكتب بطريقة مختلفة بحيث إذا تم مضاهاة الخط، لا ننكشف، المهم وصلنا إلى المباحث العامة، وعندما جاءوا لتفتيشي، تعصبت عليهم وحاولت أخلع الجاكت الذى كنت ألبسه، وأثناء ذلك أخرجت ورقتى البفرة وبلعتها، وكانت معى بعض الأوراق الأخرى ليست لها أهمية كبيرة رميتها من الشباك. وطلبت أن أشرب ماء، وأصبحت جاهزا لأى أسئلة، واتضح لي أن أمر الاعتقال الصادر كان بالأسماء الحركية، لم يستطيعوا أن يقبضوا على من المراقبات، ولم يكن أحد يهتم أن يحمل بطاقات شخصية، لكن عرفوا في النهاية الأسماء الحقيقية من كارنيه مدرسة أخي، فذهبوا لتفتيش المنزل ولم يجدوا شيئا. واكتشفت أن المسئول عن القبض علينا هو البكباشى حسن المصيلحي المسئول عن مكافحة الشيوعية في مصر. وكان يقال لنا فى التنظيم أنه عند القبض على أحد منا عليه أن ينفي علاقته بالتنظيم أو الشيوعية، وإذا أدى إلى الموقف إلى أن تقول أن الشيوعيين مجانين يمكن أن تقول. ولكن المكشوف للمباحث يكون له توجيهات أخرى تعطى له، وجلس حسن المصيلحى طوال الليل معى، وقال لى الكلمات المعتادة لماذا تقوم بذلك. أنت أهلك ناس طيبون، وكان رأيه في بشكل عام حتى آخر لحظة أنني دخلت الشيوعية من الزاوية الإنسانية، وأعطانى البوم كبير للقيادات اليهودية في الحركة الشيوعية، وبدأ يشوه في الرجال والنساء اليهود. إلا أنه تم الإفراج عني في اليوم الثاني وعن أخي وثلاثة أفراد آخرين منهم أول فرد تم تجنيدنا معا، ويبدو أن ذلك تم لسببين،

ضغوط عائلية، وسبب آخر اعتقد أن حسن المصيلحي قال اتركه وراقبه.

بعد ذلك بدأنا نعاود الاتصالات، وتم تحقيق تنظيمي حول ملابسات ما حدث، وقيل إنهم اكتشفوا وجود بوليس بيننا، وتم اتخاذ إجراء رد فعل تجاهه، وأصبحنا تحت مسئولية رءوف نظمي- كان قبله وجوه كثيرة منهم حسني حسين، سافر إلي ألمانيا. وكان نظمى محترفا إننى وهاربا، وقيل لى وقتها إننى يمكنني الاحتراف طالما انكشفت للبوليس، وبدأ يتم نوع من التثقيف الاحترافي لى ولصديق الطفولة، من هو المحترف وما هو دوره، فكان يقال لنا تعريف لينين "أنهم القلة من رفاقنا الذين يجعلون من خط الحزب خطًا لحياتهم اليومية" وكنت سعيدًا جدًا بأنني ساحترف واتقمص شخصية جديدة وفي رأيي أن العمل الثوري رومانتيك، فأنت تتخيل دورك، وهذا هو المشكل دائمًا لكل الثوريين، فعندما يتعارض الرومانتيك الذي بداخله مع الواقع المؤلم، إما يتكسر الفرد من الداخل وإما يتحول إلى شخص انتهازي يستفيد من الأوضاع الموجودة، حيث يحدث للإنسان خلخلة، وتتكسر الصورة الرومانتيكية التى تخيلها، لكن في تقديري أن معظم جيلي كان يضحى بشدة، وأتذكر آخر مرة قابلت فيها رءوف نظمي قبل القبض عليه في أواخر عام ١٩٥٤، ألححت عليه أن نتقابل في كازينو الجزيرة، شعرت بسعادة كبيرة لموافقته على مقابلتي على انفراد، وقلنا كلامًا ثوريا كبيرًا وفي نفس الوقت قلنا كلامًا رومانتكيا جدًا، وكان وقتها فيضان النيل في عنفوانه في الصيف، وجلسنا نفسر أغنية أم كلثوم عن النيل بطريقة ثورية طبعا، كل هذا كان يصنع بداخلى أشياء كثيرة واستعدادا كاملا للتضحية دون اهتزاز شعرة، لذا، قررت أن أترك الجامعة وأتفرغ للعمل السياسي، وبدأت أفرغ من دماغى فكرة الأسرة والعيشة البورجوازية التى يعيشونها، وأمهد لأكون خارج الأسرة على المستوى النفسي، فيجب أن أعيش على الكفاف، فكيف أكل ثلاث وجبات، والعديد من الناس لا تأكل إلا وجبة واحدة .. إلخ.

وبدأت على مراقبة مستمرة إلا أنهم لم يستطيعوا مراقبتى داخل الحلمية، لأن الحلمية حي الناس تعرف فيه بعضها جيدًا، بالإضافة إلى أننا محبوبين في الحي سواء على مستوى السياسة أو العائلة، وأتذكر أنه كان يوجد مخبر حاول أن يجلس بجوار المزين، أو المكوجي، على أساس أننى عندما أخرج يبدأ يمشي ورائي، ولكنهما رفضا أن يجلس بجوارهما، فبدأ ينتظرنى على محطة الأتوبيس خارج الحلمية، وبالطبع كنت أعرف مخارج كثيرة للحلمية تسمح بالهروب منها عندما يكون لدى موعد، أما فى

العادى اخرج واتركه يمشى ورائي، واعمل كل شئ بشكل طبيعي، واصبح هذا روتين.

ولم يسعفنى الوقت لأحترف ففي ديسمبر ١٩٥٤، عندما جاء موعدى مع رءوف نظمى ثم الموعد الاحتياطي ولم يأت، عرفت انه تم القبض عليه من احد الأصدقاء عندما قال لى إنه قابل الدكتور في باب الخلق يركب لوري البوليس: راسه محلوق تماما، ويهتف عاش الحزب الشيوعي المصري، بعد ذلك استمرينا اسبوع نذهب إلى باب الخلق لعلنا نراه، وفعلاً شاهدناه مرة وتاكدنا انه تم القبض عليه، بدانا نبحث عن اتصالات: لكن كل الناس مقبوض عليهم،ولا يوجد خيط واحد، ففكرنا ان نتصرف بمفردنا، ولكن عملنا اشياء ضعيفة. ثم حدث ما يمكن ان نطلق عليه إحباط لفقد الاتصال، قلَّ الحماس، لذا بدات ارجع للجامعة، واحاول ان اكون طالبا منتظما فيها لكي اكون نموذجا جيدا امام الطلبة، وفي هذا الوقت سُيطر على الجامعة تماما، وفصل ٥٤ استاذا جامعيا، ومنع تماما الكلام في السياسة، يملأ المخبرون الجامعة خاصة في البوفيه، وكثر حرس الجامعة واصبح له دور بعد ان كانت مهمته حراسة المباني، لكن كان ما زال يسمح للطلبة المعتقلين ان يحضروا الامتحانات، وحاولنا أن نعمل اتصالات معهم، ولكن كان جزء كبير مما نعرفهم محترفين، وبالتالي لم يعودوا مكترثين بالتعليم، وكان هذا جانبا سلبيا جدا في هذا الوقت، فكان يقال لا داعي للتعليم، إلا بعد قيام الثورة. واتذكر في وقت الامتحانات، كان ياتي عمرو محيي الدين اخو خالد في كلية الحقوق ليحضر الامتحان في عربة بوكس بمفرده، واتذكر لقطة إنسانية حاول الشاويش أن يبعد يده التي مع عمرو في الكلبشات، لكى يقف مع زميلته في هذا الوقت التي أصبحت زوجته الآن، وكان هناك تعاطف شديد جدا مع هؤلاء المعتقلين من الأساتذة والطلبة، وكلنا نلف حولهم بحذر، واتفقنا في آخر يوم ان نعمل مظاهرة، وكان شعارنا وقتها "عاش كفاح الطلبة المعتقلين"، وكنت انا ومصطفي الحسينى، وعبد المنعم الغزالى، وسعد الدين فؤاد. وترتب على ذلك توقف نزول المعتقلين للامتحانات فى الجامعة.

وهكذا أدى قطع الاتصال إلى إنهاء فكرة الاحتراف، وبدانا نعمل ثلاث مجموعات، لمحاولة المحافظة على الذات وعلى التنظيم كما تعلمنا في انتظار ان يحدث اتصال مرة اخرى، لذا كانت هناك مواعيد منتظمة، نجتمع ونعمل تحليلاً ذاتيا للوضع الموجود،

ونناقش تكليفات، ولكن لم يكن لدينا خبرة في عمل منشورات إلا «ريتنج Writing»، ولم يتم هذا إلا مرتين، مرة منهما عندما تمت المعاهدة، واستمر هذا حتى ١٩٥٥، عندما بدات صفقة الأسلحة التشيكية، والذهاب لمؤتمر باندونج، وبداية الكلام عن المعسكر الاشتراكى والعداء للاستعمار وحلف بغداد فى بداياته، وفي هذا الوقت كنا مازلنا ثابتين على خطنا بان ما هو موجود نظام فاشى، ومعاد للديمقراطية. وإن كانت الناس بدات تتراجع، ولكن لم يحدث نقد للفكرة الأولى، ورأيي ان الأدبيات الماركسية فى هذا الوقت لم تكن تسعف احد، فالذى يقدر ان يقول انه يوجد ثورة قام بها ضباط بدون اتفاق مع الأمريكان، ليس صحيحا، لأن المؤتمر التاسع عشر قال إن البورجوازية القت بعلم الثورة في الوحل، وكان لزاما على الطبقة العاملة ان تقود ثورتها، بحيث تكون قيادة بروليتاريا صرف وليس لها علاقة بالبورجوازية، اما فكرة الكلام عن البورجوازية الوطنية فهذا كلام بدا يقوله ماو بعد ذلك، وقيل في المؤتمر العشرين عام ١٩٥٧-١٩٥٨، وبالتالى لم يكن يوجد في النظرية الماركسية وقتها ما يسمح بان نضع تحليلاً يقول هذا، وحتى التحليل الذي قيل بانها ثورة وطنية مبني على انهم معارف، فخالد محيى الدين، ويوسف صديق تبعنا.

وانتهى العام الدراسى، وكنا طلبة متفوقين ولكن فى نفس الوقت محبطين، لإحساسنا باننا ليس لنا دور، وفى هذا الوقت تمت اتفاقية جلاء قوات الإنجليز، وبدا يخرج بعض المعتقلين، ووجدنا كل الناس الخارجة من المعتقل تقول ان السلطة الموجودة سلطة وطنية، ودارت مناقشات حادة باعتبارنا حاملين أفكارا صحيحة من وجهة نظرنا، إنما كان دائما يطرح تساؤل كيف تفسر صفقة الأسلحة، ومؤتمر باندونج، وان القوات البريطانية سترحل...... كل ذلك لم يكن لدينا عليه إجابات حقيقية، أو مقنعة، وجاءنا من الداخل ان هناك تفكير لأن يحدث تغيير نتيجة قوة الجماهير، وان السلطة بدات تغير بعض مفاهيمها. ومن وجهة نظري اننا كنا في عرض ان نعود للتنظيم مرة اخرى بصرف النظر عما يقول، فقضية الخلاف السياسي لم تكن بالنسبة لنا القضية رقم واحد، وإنما القضية الأساسية بالنسبة لنا هى ان نعاود نضالنا مرة اخرى في ظل التنظيم. ولم يكن بالنسبة لنا، من قبيل الأمانة، هل السلطة سلطة فاشية، اوديكتاتورية عسكرية ام وطنية، وإنما كل همنا ان تنقل السلطة إلى البروليتاريا وان تدير السلطة بطريقة مختلفة. وبالفعل بدات تحدث اتصالات في أوائل ١٩٥٦، وبدانا نجتمع ونناقش

المشاكل التى كنا نعانيها ونحن فاقدو الاتصال، وما عانوه فى المعتقلات القناطر، وأبو زعبل، ونحلل ما يجرى فى السياسة هل هو تغيير صحيح أم لا؟ هل يجب ان يتم نقد للفكرة السابقة أم لا ؟ وما هو الأساس الجديد من النظرية الماركسية الذى يرتكز عليه التفسير الجديد؟ كذلك ما هو الأساس القديم الذي نهدم عليه الفكرة القديمة . إلخ. ورايى أن هذه المناقشات لم تنضج كما يجب، ولم تكن جيدة، لأن القضايا الوطنية بدأت تعود مرة أخرى إلى الشارع، وبدأنا ندخل على العدوان الثلاثى، وأصبح هناك دور لليسار بشكل عام فى الشارع وتمت وحدة بين كافة التنظيمات الشيوعية الموجودة في الموحد، وبدأنا نشعر بهذه الحكاية فى الجامعة، فبعد أن كان هناك ناس في تنظيمات مختلفة أصبح الأن تجمعها وحدة للعمل، وبدأ العمل اليومي يدخل على كل الناس، وأصبح أمام الناس تجربة الموحد موجودة وموحدة لجزء مهم من الناس لأن الذى كان على الساحة تقريبا حدتو، ونحشم، والموحد، والراية، ودش كانت لا تذكر إلا حاجات تاريخية نراها فقط في الجامعة. فيكاد يكون عادل فهمي كزعيم وهو طالب بكلية الحقوق، وفي كلية الآداب . قسم فلسفة كان نبيل زكي، وأمير اسكندر وكانت ليلي الشال وليلي شعيب بكلية التجارة ومجدي نصيف بكلية العلوم. ولا اعتقد أن أحد باى أصول تاريخية كان ضد فكرة الوحدة بالذات في هذه المرحلة، وبالذات أكثر في أماكن الأعمال الجماهيرية، لأن الواقع الفعلي أننا كنا نعمل معا، ومتقاربين جدا ، سواء الطلبة أو الطالبات، فلم يكن هناك اى حساسية بيننا (مثلاً على من يهتف، ومن يرفع من ......) واعتقد أن محاولة التشكيك في الآخر، وإبراز السلبيات أكثر من الإيجابيات من الذين يقومون بالأعمال السرية. ومن خلال هذه الروح حاولنا أن نعيد مرة أخرى النشاط داخل الجامعة، وبدأنا سلسلة من النشاط أيضا في الأحياء.

وفى هذا الوقت حدث العدوان الثلاثى، والذهاب إلى طوبحر، ومحاولة التدريب على السلاح، ومن قبيل الموضوعية كان ناس الموحد هم أول من أسرعوا إلى القتال، والانضمام إلى المقاومة الشعبية من خلال المجاميع التى كانت تعملها الحكومة عن طريق المخابرات، وطلبة كلية الشرطة. وكان دور الراية بعد ذلك نتيجة لأن التنظيم كان لم يتم تجميعه بعد، لكن فى هذا الوقت بدأ يحدث تجميع لكل قوى اليسار؛ وتم إلغاء الحوائل التنظيمية، وبدأت الناس تقرأ مجلات بعض بدون عدوانية، وهذا مختلف عما قبل فعندما كنا نقرأ مجلة كنا نقرأها بعين النقد، وبروح عدوانية. كما بدأ يظهر بعض

الأساتذة داخل الجامعة مثل د. محمد أنيس، ساعدوا على تحمية المناقشات التي زادت مع انتشار نشاط البعثيين، والقوميين العرب في الجامعة. ووصلت المسالة للقمة عندما جاءت حكومة النابلسى فى الأردن، وقررنا في الجامعة أن نعمل تأييد لحكومة النابلسى، وكان هذا تقريبا في أوائل ١٩٥٧، وكان هذا أول مؤتمر يحدث في الجامعة بعد١٩٥٤، فكانت صدمة للأمن وقرر ان يضرب الجامعة مرة أخرى ضربة موجعة، فقد كان المؤتمر منظما جدا، خطب فيه فؤاد التهامي، وزينات الصباغ، ونورى عبد الرازق، والخطيب، وانتهى المؤتمر فى الساعة الواحدة، وفى الساعة الثالثة بدا مجلس التاديب، ومجالس التاديب كلها اعتمدت على تقارير الأمن، فلم يكن للجامعة دخل، وجميعهم تم فصلهم (كانوا حوالى عشرة او اثنا عشر طالبا)، وانا شخصيا لم يتم القبض على لأن رجل الأمن كان يكتب فى تقريره اسم آخر (عبد الحليم بكر). ثم بدانا نناضل مرة ثانية لعودة المفصولين من جانب، والجانب الآخر القضية الوطنية بدات تعلو والعداء للإنجليز وفى نفس الوقت الصراع مع البعثيين داخل الجامعة. والذين كانوا طلبة في هذا الوقت اصبحوا فلاسفة فى بلادهم ومنهم اكرم حورانى الذى كان من قيادات البعث الذكية جدا والجماهيرية، الذي يستطيع ان يكسبك على المستوى الشخصى، وكنا نتناقش فى اغلب الأحيان في افكار توباوية، مثل ما هى الرسالة الخالدة، ولكنها كانت افكارا تتمشى مع المرحلة فى رومانتيكيتها.

وفى انتخابات اتحادات الطلاب لغير المصريين كل هؤلاء يتكتلون فى انتخابات الطلبة الأردنيين أو الفلسطينين، ودور الأخوان كان منتهيا تماما فلم نكن نراهم إلا قليلا فى اتحاد الطلبة الفلسطينين، مثل مجموعة ابو جهاد. اما باقى القوى فتتحرك مع بعضها البعض، فالحوائل العروبية لم تعد موجودة بل أصبحت اتجاهات فكرية بشكل عام، وأذكر فى هذا الوقت واقعة مهمة جدا حدثت اثناء نضالنا من اجل المفصولين، فقيادات التنظيمات اعطت تعليمات بعدم الاصطدام مع الحكومة، ونحن نرى ان الحل ان نعمل مظاهرات وشغب في الجامعة، فكنا نجمع وفودا لمقابلة المسؤولين لشرح قضية طلبة الجامعة المفصولين، فنما إلى علمنا ان السيد ميشيل عفلق حضر إلى القاهرة، وهو فى هذا الوقت فيلسوف حزب البعث، فجمعنا وفدا من حوالى اربعين او خمسين طالبا وطالبة من جامعة القاهرة وقررنا الذهاب له توريطا للبعثيين، وكان يسكن شقة من شقق الحكومة في عمارة وهبة، ودخلنا وانتظرنا مدة حتى قابلنا، وعندما دخل ظل

يحملق إلى السقف، ونحن بدأنا في شرح الموضوع واهمية التضامن مع الطلبة ووحدة القوى الوطنية والنضال العربي.إلى آخر هذا الكلام الذى يقال فى هذه المناسبات، وتكلم طالبان وطالبتان، وطلبوا منه أن يتضامن معنا فى هذا الموقف، وظل صامتًا ثم قال لنا فجاة سوف أنظر في الموقف، وتركنا وخرج. واصبحنا فى حالة من الهياج، وكنا نتصوره باعتباره فيلسوفا كبيرا ومسئولا عن القومية العربية كما كنا نقرا انه سوف يعلن رايه ويتضامن معنا. بعد ذلك ذللنا البعثيين بهذا الموقف.

انتخابات ١٩٥٧

الانتخابات حدثت فى ظل المتحد او بداية الموحد ومع المتحد، وكانت التعليمات بالنسبة للحلمية تأييد التعليمات الخجلة (التى تقال على خجل)، تأييد ودعم اعضاء الاتحاد الاشتراكى، ولكن أصررنا الا نؤيد الرجل المرشح من الاتحاد الاشتراكى لأنه ليس من ابناء الحي وغير مرتبط بهم، واصررنا ان نؤيد دكتور كان مرشحا نفسه من ابناء الحى، وكل الناس تحبه، ومتبنى شعاراتنا. وقابلنا احد من اللجنة المركزية وحاول أن يهددنا بعواقب الخروج عن خط الحزب ولكننا اكدنا له انه لا يمكن أن نخسر الناس بتأييدنا لرجل كل الناس ليست معه، ورفضناه. وبعد الانتخابات، نزلت لجان التحقيق لتحقق معنا، ولم ينقذنا من هذه اللجان إلا الوحدة.

اما باقى الأحياء فكانت هناك معارك رهيبة، معركة فايق فريد فى جزيرة بدران، وكانوا ينتدبوننا لنعمل فيها، كما كنا نذهب اكثر إلى عبد العظيم انيس فى العباسية وكان مرشحا امامه عبد العزيز مصطفي، وعبد العظيم انيس كان مكتسحا، ولكن كالعادة زورت الانتخابات، وبشكل عام كانت معركة انتخابية سياسية على مستوى راق جدا من النضوج سواء فى العباسية اوجزيرة بدران.

وفى الحقيقة ان انتخابات ١٩٥٧ اظهرت مدى نفوذ الشيوعيين فى الشارع المصرى وتأثيرهم، فقد كانوا قوة منظمة، ومستعدة للعمل الجماهيرى، اما الأخوان فقد كانوا مضروبين فى هذا الوقت.

وبالنسبة لكل القرارات التى قامت بها الثورة من (تمصير وتاميم.. إلخ) كان لها أثر سياسى فى جعل السلطة الموجودة فى مصر سلطة وطنية، والناس استقرت على هذا، ولم تعد هناك قضايا يتم مناقشتها لأن هناك احداث يومية عالية وارتفعت العروبة، فالقضايا الوطنية لم تكن قضايا خلافية.

فالسلطة سلطة وطنية تناضل ضد الاستعمار، وعلينا أن نناضل معها. ولكن هذا لا ينفى وجود مشاكل كانت تقوم بها السلطة مثل القبض على المتظاهرين وكانت تفسر فى البداية بأن الأجزاء المتخلفة من السلطة الوطنية تحاول النيل من الحركة الوطنية العامة. وقد حاول الشيوعيون أن يحرصوا بسرعة على توحيدهم، لذلك كانت خطواتهم سريعة وفيها تنازلات عديدة نتيجة لضغوط الشديدة من الكوادرفي اتجاه الوحدة، وكان هذا هدف رئيسي لكل الناس.

بالنسبة للوحدة

كنا نسمع كلاما حولها من بعضنا، ونراه فى البيانات، حيث بدأت تنزل بيانات باسم الموحد، وفي النشرة الداخلية كان يكتب فيها اجتمعت لجنة الوحدة وناقشت كذا وكذا، ولم يعد هناك سرية بيننا والناس أصبحت سعيدة مع بعض، ولكن فى منتصف عام ١٩٥٧ بدأت مناقشات جادة جدا حول مسألة اليهود، باعتبارها أحد العقبات للوحدة، خاصة بالنسبة لـ د.ش، والحقيقة أن كوريل لم يكن يعنى لنطلبة فى الجامعة حتى في حدتو كثيرا، باستثناء الزعماء الكبار، فما يعنيهم فى هذه المرحلة هو التضامن مع بعض وأن يصبحوا فى تنظيم واحد، لأنهم أدركوا أن وجودهم مع بعض يقويهم ويدعمهم، وبالطبع انتقل ما يوجد فى الجامعة للأحياء والمصانع، والحقيقة لم يكن لدينا علاقات في المصانع تنظيميا، ولكن عندما كنا نقابل بعض الرفاق من المصانع كانوا يحكون لنا كيف أن هذه المسألة تقويهم وتدعمهم. وفعلاً كانت المناقشات جادة جدا ولم يكن يهمنا قضية وجود أربعة من اليهود داخل التنظيم، لكن عندما قيل أنهم سوف يسلمون، كانت مساله مثيرة للسخرية من وجهة نظري ونظر الآخرين، فما الفرق بين أن يسلموا أو لا، ولماذا يكون مسلما وليس مسيحيا وقيل في وقتها من خلال المناقشات أن الحزب الشيوعى المصرى كان مصرا على ألا يدخلوا هؤلاء التنظيم، و إذا كان اليهود مخلصين وحريصين على الطبقة العاملة، وشرفاء، لماذا لا يتركون التنظيم يعطون فرصة للوحدة. ثم حدثت تسوية عندما أسلم بعضهم على أن تتم الوحدة ولكن لا يدخلون اللجنة المركزية، وإنما يكونون فى لجان المناطق، وللأسف لم يكن هذا صحيحا.

فالقضية الأساسية هي أن تكون مخلصا للقضية. وبالنسبة لي لم أكن متخيلاً أن اليهود لهم هذا النفوذ، وإنما كنت أرى أنه ليس شرطًا أن أكون عضوا فى اللجنة المركزية، فمن الممكن أن أخدم التنظيم وأنا خارجه. فطالما أن أساس الفكرة هى

التضحية، والنضال سواء كنت فى اللجنة المركزية أو في القاع، وكنت ارى مشاكل داخلية في الحزب الشيوعى لمصرى من هذا النوع، فهناك اناس تم تنزيلهم من اللجنة المركزية إلى اعضاء قاعديين، وحضروا معنا ولم نشعر بأن هناك مشكلة، وعلى سبيل المثال عندما اتهم رءوف نظمي بالبوليسية وكان في السجن تم فصله من التنظيم ومع ذلك اصر على أن يتخذ موقف تنظيمه بالرغم من ان الآخرين عرضوا عليه العضوية في مركز قيادي. وقال سوف اظل مع التنظيم حتى يقتنع بالعكس، وبالفعل تم سحب ما قيل عنه لكن بدون نقد ذاتى، و علام بنبت فكرة الاتهام.

بالعودة إلى الوحدة، قيل لنا إن السيد عادل سلام (الاسم الحركى لطارق عزيز وعرفت هذه المعلومة من نبيل زكى) جاء من الحزب الشيوعي العراقي للوساطة بين المتحدوع.ف وكانت بالفعل وسيلة ضغط شديدة. وعندما اتفق في وحدة المتحد على تجميد مجموعة روما، لم يكن لـ ع.ف مبرر كبير أن يتمسكوا باليهود. وبدات الضغوط على ع.ف تعطى ثمرتها ونوجت بالوحدة وأعلن الحزب الشيوعي المصرى(٨ يناير). تم تنزيل القادة إلى مناطق واقسام. وبالمناسبة لم يتم التعرف على شخصية الرفيق خالد إلا بعد الوحدة، فقد كان لغزا يسمع عنه ولا يعرف.

وقد كان معظم الأحزاب الشيوعية العربية قوية جدا فى ذلك الوقت (العراقى، والسودانى، والسورى، واللبنانى، والأردنى) وكان الإشكال فى الحزب الشيوعى المصرى انه منقسم إلى تنظيمات صغيرة ومختلفة ومضروبة بانتظام، ولم يكن مسنودا على عزوة قبلية، فبكداش كان يستند على الأكراد وبالتالى يمكن أن يهرب، ويصدر مطبوعاته، ويستمر، اما مصر فلم يكن لديها هذا، وقد راينا حتى فى الجماعات الإسلامية عندما هربوا فى الجبل أصبحوا مطاريد فقط، لم يكن لهم حماية جماهيرية نتيجة الأوضاع القبلية الموجودة. لأن طبيعة الأوضاع القبلية فى مصر مختلفة كثيرا عن الأوضاع القبلية فى البلاد العربية، ففى الحزب الشيوعى السودانى سكرتير الحزب ظل هاربا وما زال حتى الآن، وبحكم الأشياء القبلية جزيرة آبا لا يمكن لأحد ان يخترقها إلا بحكم قبلى.

وفى هذا الوقت قيل لنا إننا سنجتمع بزملاء عديدين للتعارف على بعض وفوجئنا بأنه لم يحضر إلا سبعة او ثمانية افراد، وبعد ذلك اكتشفنا انه كان يوجد خرائط وهمية لأعداد حتى يصبح لها تمثيل فى اللجنة المركزية، وفي نفس الوقت مستويات

القسم والمنطقة حديثة جدا على العمل التنظيمي ومستواهم النظرى هابط جدا، ليست لديهم خبرات كفاحية، وعرفنا بعد ذلك انهم كانوا يجندون الناس بناء على استبيان كانت تعمله نوفوستى عبارة عن (١٠٠ سؤال وجواب عن الاشتراكية)، والذى كان يعرف سؤالين أو ثلاثة من هذه الأسئلة لا مانع من ان يدخل الحزب ويحضر اجتماع أو اثنين ويتوقف بعد ذلك لأنه أخذ على غرة، لا يفهم انه عضو في تنظيم سرى. لم يكن في ذهننا ان هناك لعبة كراسي من اعلى. فنحن في الراية لم يكن واردا ان تتم اتصالات جانبية بيننا، وكنا منضبطين جدا، ولم يكن احد يجرئ احدا على أن يعمل معك اتصالا جانبيا، وإذا حاول أحد ذلك، نجدنا تربينا على أن هذا لا يصح.

المهم الناس تعايشت مع بعضها البعض سواء الموحد والمتحد، وانت ناس قليلة جدا من ع.ف في الأحياء، وفي الجامعة كانوا معروفين لنا وعددهم ثابت إنما كانت الناس سعيدة جدا لأنهم أصبحوا قوة.

الوحدة كانت ٨ يناير، والوحدة المصرية السورية كانت في ٢٢فبراير تقريبا، والحزب اعلن وجهة نظره في وحدة مصر وسوريا وقال إنها وحدة يجب أن تكون ديمقراطية. وبدات المظاهرات في وسط البلد من الحزب الشيوعي بعلن وجهة نظره فى الوحدة ثم انتقلت فى الأحياء(شبرا، وعابدين..)، وكانت قيادة الحزب تغزى هذا الاتجاه باعتباره احد اشكال فرض علانية الحزب.

واستمرت حوالى عشرة ايام، فى الأيام الأولى كانت المباحث تحاصر المظاهرات وتتركها ثم بدات تدخل المظاهرات وتحاول القبض على المتظاهرين ولكن فى البداية كان يتم الإفراج عنهم في نفس اليوم، وبعد ذلك كانوا يستمرون فى الحبس يومين وكانت المعاملة رقيقة نتيجة الظرف السياسى.

تم القبض على مرتين فى المظاهرات، فى المرة الأولى كنت عند مكتب نبيل الهلالى، وعندما جريت قالوا امسك حرامى فوقفت وقلت انا شيوعى ومشترك فى المظاهرة، وذهبت للمباحث، وتم الإفراج عنى فى نفس اليوم بعد مقابلة حسن مصيلحى، وكان معى ثلاثة زملاء تقريبا. وفى المرة الثانية أفرجوا عنا فى صباح اليوم التالى.

فجأة بعد اربعة أشهر من الوحدة، صدر بيان من اللجنة المركزية يقول ان هناك تكتل يتم، وان هذا التكتل امتداد ليونس، وانه يوجد خلاف سياسى، وبدا يتم الاستيلاء على المطبعة الخاصة بالحزب، وبدات الاجتماعات تفشل، والحق يقال كان كل الناس في القاعدة والأقسام بكافة اتجاهاتها تدين فكرة أى خروج على التنظيم. فزملاء كثيرون

من حدتو كانوا يقفون بعنف في هذه المسألة لأنهم شعروا ان الوحدة كانت مفيدة لكل الناس ومفيدة للقضية، إنما الذي شعرت به انه بدات الاتصالات الجانبية على اساس حلقي في هذا الوقت بشكل رهيب وبدات كل الناس بكافة انجاهاتها تعمل اتصالاتها الجانبية وكأنه لا يوجد وحدة. ولكن في نفس الوقت كانت الناس حريصة ان تتناقش مع بعض، كل واحد يتكلم من منطقه ووجهة نظره وبدون محاولة الخروج على النظام، اما الزعماء من اعلى فكانوا بتقاتلون على الكراسى. وأؤكد انه برغم حرص الناس العادية على الوحدة إلا انها لم تتم على أساس سياسى، بل تمت من أعلى باتفاقات انتهازية لم يكن يعرفها القاعديون، ولم يكترثوا بها، لذا ظهر الشرخ من أعلى واستمر فترة حتى نزل للقاعدة، فاناس كثيرون من كل الانجاهات أصروا على ان تظل مع بعضها تتصارع وتتناقش، ولم تترك التنظيم.

وأؤكد مرة أخرى على انه لم يكن ملحوظا نهائيا اى فروق وسط العمل الجماهيرى، فى الجامعة والأحياء.

وفي يوليو من نفس العام ١٩٥٨ كانت ثورة العراق قد قامت وبدات مظاهرات الشيوعيين تخرج مؤيدة لها، ايضا بشكلها العلنى فى الشوارع، وفى بداية الصيف ايضا بدأ الاتحاد الاشتراكي يعلن عن القيام بسلسلة من المؤتمرات السياسية، وكان الهدف من وجهة نظرى أن عبد الناصر شعر بان هناك قوي أخرى موجودة في الشارع (الشيوعيين)، لذا يجب أن يكون التنظيم السياسى للحكومة محاولا ان يسيطر على الشارع. وبدات سلسلة المؤتمرات فى أوائل سبتمبر فى الوايلى والأزبكية، عابدين .. وانزلوا جدولا بمواعيدها، حيث كانوا يحضرون زعماءهم يخطبون داخل صوان كبير(عبد القادر حاتم، والسادات)، يشرحون فيه الموقف السياسى. وكانت هناك مجموعة منا تتحرك في هذه المؤتمرات، فعندما يخطبون بعض الوقت، تبدا هتافاتنا كلها عن الموقف من الديمقراطية، وثورة العراق، مطالبة الاعتراف بالحزب الشيوعى، كل الشعارات السياسية التى تبين ان هناك حزبا آخر، اما هم فاستقبلوا هذه الهتافات بذهول فى البداية ومحاولة الإسكات، ولكن كانت هناك حركة جماهيرية واضحة وواسعة، وكنا ننهى كل مؤتمر بإفشال كامل للمنصة، بالطبع كانت تتم بعدها محاولات للقبض على الناس من قبل المباحث، وفي هذه الفترة كان الصراع واضحا جدا بين الاتحاد الاشتراكى والشيوعيين، وبدات القيادة الحزبية تدرك اهمية ما يتم، فالقيادة الحزبية لم تكن قيادة شوارع، بل العمل الجماهيرى النظرى، وكانت قمة المؤتمرات

مؤتمر عابدين، لدرجة ان عبد القادر حاتم لم يستطع ان يخطب بالرغم من انه كان وسط حيه، ونائبه، ووزير الإعلام، وكان الأمن يعمل كل احتياطاته، ولم يستطع أحد ان يسيطر على المؤتمر إلا هتافات متخلمة من الشيوعيين، ولا توجد فرصة للمنصة ان تتكلم، ووصلت لدرجة اننا استدرجنا الناس خارج الصوان، والمؤتمر كان فى منطقة شعبية مليئة بالناس، وعلى ضوء هذا المؤتمر قررت الحكومة بعدها قطع مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى فى كل الأنحاء. وقابل انور السادات محمود العالم في مساء نفس اليوم بالهرم، واعطاه إنذارا. ووصلت نذالة السادات انه رفض توصيله: وقال له باعتبارك رجل بروليتاريا، امشي من الهرم إلى منزلك. وتبع ذلك اعتقال أول دفعة فى ٢٢سبتمبر ١٩٥٨، وهم غنيم مصطفى غنيم (عامل عنابر)، فتحى رفاعى (عامل نسيج)، سمير كامل (كان ما زال فى الجامعة، و بالمناسبة توفى فى باريس يوم ٥ يونيو١٩٦٧)، إبراهيم حسن (ابن خالتي. تلميذ فى الإبراهيمية)، إسماعيل عبد الحكم (تخرج فى الجامعة)، شفيق.. (صاحب مخبز بالظاهر)، وكانت اعمارنا تتراوح من ١٦ إلى ٢٦ سنة، اخدونا إلى المباحث، وتم تحقيق سياسى معنا، مثل ماهى وجهة نظرك فى الاتحاد الاشتراكى، وكانت التعليمات أن نقول أنه حزب الحكومة البورجوازية وانه يجب الاعتراف بالحزب الشيوعى، وما رايك فى ثورة العراق، والوحدة المصرية السوريةوكل الأحداث السياسية، ثم حولونا كل اثنين إلى قسم و نقلونا بعدها إلى معتقل العزب بقنا، عبارة عن معسكر فى صحراء قنا وبعيد عن المدينة بعدة كيلومترات وليس اي وسائل مواصلات معروفة، حتى ولا الدواب، وهو كان أغرب معتقل يمكن تخيله، وكانت تجربة السجن فيه تجربة حية جدا، فقد كان يجمع عتاة مجرمى الثار (بين الهوارة والأشراف) وعتاة مجرمي القتل(فكان معنا ولد عمره ١٩ سنة وقتل ١٣ شخصا، وبالمناسبة بالرغم من ذلك كان نموذج الصعيدي الخجول جدا لدرجة انه عندما يتكلم مع احد لا يرفع عينه) النشل والنصب والدعارة، كانت تركيبة عجيبة، وفجأة نجدنا وسطهم، وكان المعتقل عبارة عن اربعة عنابر محاطة باسلاك شائكة، و المكان من اردا اماكن الدنيا التي يمكن ان يعيش فبها إنسان، فلم يكن فبه دورة مياه، بل مجرد حفر فى الخلاء، وكانت وسيلة إشعال النار هى العيش، نحضر عشرين رغيفا ونضعهم فى الشمس لمدة ساعة فيصبحون حطبا، ثم نولع فيه.

اما قائد المعتقل صدقى بيه-من الإسكندرية، وكان يقسم العنابر بكيات. كل بكية

فيها جاسوس، يقدم له تقريرا تفصليا بما يجرى داخلها، وكان يقوم بحفلة استقبال لأى أحد جديد يدخل المعتقل، يقوم فيها بتمزيق ملابسه وضربه بالكرباج وحلق شعره ودهن وجهه بالميكروكروم إلى ان يقول انا امراة، ثم ياتى ناس من الداخل بالطار والرق ويزفوه حتى يدخل. ولكن عندما دخلنا على الضابط اصيب بحيرة، ماذا يعمل معنا، فلم يكن لديه خبرة التعامل مع السياسيين، ونحن منذ دخلنا نحتج على الوضع، فقرر ان يوزعنا على العنابر، ولكننا رفضنا ودخلنا الستة فى عنبر مع آخرين، ثم بدانا نحتج على ضرب الناس، واعتقد اننا قمنا بدور جنونى بينهم، لدرجة أنهم قاموا بالإضراب معنا عن الطعام وقد ظللنا اكثر من ثلاثة اشهر فى المعتقل ولم تحاول القيادة الحزبية عمل أي إتصال بنا من جانبها.

وأثناء الإعداد للإضراب، حاولنا إرسال بعض الرسائل بالخارج، ولكن لم نجد اية استجابة من احد، وعرفنا بعد ذلك ان الصراع قد اشتد مع الحزب، وطبعا كان ممنوعا عنا الجرائد، والراديو.. وكل وسائل الاتصال، وكان يتم الاتصال بشكل او باخر من خلال العسكر، فارسلنا تقريرا عن التحضير للإضراب لأحد الرفاق فى القاهرة لعمل دعاية له عن طريق عسكرى وضعه فى صندوق البريد، فضبط الجواب فى القاهرة، وفيه خطة الإضراب وموعده، وحضر رجال من المباحث بالقاهرة، وشتموا مباحث قنا، واتفق على عزلنا فى غرفة (كنا نسميها زنزانة الإمام احمد) مساحتها حوالى ٣×٤ متر، غير قابل التعامل إلا مع نصفها فقط، وكنا ننام خلف خلاف .. وتم اعتقال الرفيق الذى أرسلنا له الخطاب (سعيد عارف)، وقمنا بالإضراب لمدة ٢٤ ساعة احتجاجا على ضرب سعيد عند دخوله المعتقل، وتم عزلنا. وكسرنا بعد فترة هذا النظام وبدات علاقات ظريفة مع العساكر والضابط واصبح لطيفا معنا لدرجة انه فى كل ليلة لأم كلثوم يحضر الراديو قريبا منا لنسمعها.

وكانت كثرة العساكر حولنا تعطينا إمكانية افضل للاتصال بالخارج، واتذكر عسكريا منهم كانت له علاقة غريبة معنا حيث كان يغنى مواويل وكان يرد عليه بالموال المعلم غنيم، وهذا العسكرى كان مستعدا ان يعمل لنا اى شئ فى الدنيا، ويوميا يحضر لنا الجرائد بسعرها. ولكن فى الحقيقة انا لم ارسل اى خطابات لأهلى وأنا داخل المعتقل ولم اتسلم منهم ايضا اى خطابات. فقط هم يعرفون مكانى ولكن ممنوع الزيارة.

استمرينا على هذا الوضع حتى سمعنا انه تمت ضربة كبيرة فى ١٩٥٩/١/١، وان

هناك معتقلين كثيرين فى القلعة، ومنهم اعداد كبيرة من اعضاء اللجنة المركزية. ثم تبع ذلك ضربة أخرى فى ٢٣ مارس ١٩٥٩، وحضر لنا شابان من الإسكندرية، هما حلمى عبدالحميد، والمليجى، ولم تكن لديهم معلومات.

ونظرا لتحسن العلاقة مع الإدارة حضر لنا ضابط وقال لنا استعدوا سوف ترحلون الأسبوع القادم ولكن لم يذكر لنا المكان.

وبعد أن كنا اكثر استقرارا فى المكان من ناحية الأكل والشرب، وأصبح مسموحا لنا باستخدام الكانتين ومعنا ملابسنا. تم ترحيلنا ليلاً فى القطار لبلد بجوارنا تسمى المواصلة حتى نأخذ قطارا آخر للسفر إلى الواحات، وأثناء انتظار القطار جاء كل زملائنا، وتم إلحاقنا نحن التسعة بحجلة من الحجلات (وهى معروفة من الرومان- عبارة عن كل اثنين فى كلبش واحد ويضعونا فى جنزير حديد طويل) وقطار الواحات اشبه بقطار اللعبة للأطفال، فقد كان بعد ساعات يقف حتى يشيلون الرمل من على القضبان لكى يمشى ولا توجد فيه ماء أو دورة مياه، ووصلنا فى الغروب سجن المحاريق بالواحات، هو ليس سجنا تقليديا، وكان يعتبر اكثر من منفى، فمكانه بعيد جدا والوسيلة الوحيدة للانتقال إليه هو القطار ولا يأتى إلا مرتين فى الأسبوع. كان به عنبر للأخوان، وفيه بعض المجرمين العاديين لمرافق السجن، وخيام لعساكر الدرجة الثانية واربعة ضباط ومأمور.

وكان عددنا فى هذا الوقت حوالى ٥٠٠ فرد فلم تكن باقى القضايا قد وصلت، وقسمنا على حوالى عشرين زنزانة فى عنبر كامل، بالإضافة إلى غرفتين أو ثلاثة للشيوعيين الذين لديهم احكام فى عنبر آخر، وكان مسموحا لنا بالتعامل مع الكانتين، فقد كان هناك رواج اقتصادى؛ واكل شبه آدمى، اكل السجن علبة حلاوة أو كل خمسة يأخذون علبة سلامون صغيرة، وكنا نخرج مرة فى الصباح للذهاب لدورة المياه، ومرة فى المساء، وهناك ربع ساعة طابور شمس، ثم بدأنا ننشط الحياة داخل المعتقل، وتشكلت لجنة لتنظيم الحياة الجماعية، من اكل وشرب وسجائر، وتثقيف، خاصة وأن الناس دخلت السجن بمشاكلها التنظيمية.

وكانت الناس دائما فى اجتماعات حزبية وعامة، وبدأ النشاط الثقافى وكان يتم فى المساء، فالبعض يقول خبراته النضالية، والثقافية؛ وكان يتم شئ ظريف جدا وهو أن الناس تقول لبعضها البعض الأشياء التى قرأتها، فصبحى القبلى الشارونى مثلاً كان

نجيب محفوظ متنقل، يحفظ كل أعمال نجيب محفوظ، فيتنقل فى الغرف، يقول الثلاثية، الكرنك ..إلخ. ثم تدور حول كل الأعمال مناقشات، وتتواصل نظريًا، ويتم استشارة بعض المتخصصين فى شئون الأدب.

والحقيقة كان المسجونون لديهم مكتبة سرية محترمة، وبداوا يهربون بعض كتبها، وبعض الأوراق إلى المعتقلين، وبدات وكالة "واس" (وكالة أنباء داخل السجن ويقوم بها عبد الستار الطويلة، وكانت تعتمد على ما يجيئ إليها من أخبار خلال الزيارات أو عمل حوارات مع العساكرة إلخ) بحثًا عن أى نوع من الأخبار لتقولها للناس، واستمر هذا الكم الهائل من النشاط حتى بدأ ما يطلق عليه ترحيل القضية، فهم لم يبقوا طويلاً وطلعت قضية الحزب التى كان فيها فؤاد مرسى، وحلمى ياسين، ثم قضية و.ش، ط.ش، ثم قضية حدتو، وهؤلاء انتقلوا إلى الإسكندرية، وقد كان معتقل الفيوم فتح فى مارس ١٩٥٩ لذا انتقل إليه البعض، وفى نوفمبر جاء همت وتمت عملية التعذيب الرهيبة التى حدثت فى الواحات.

قلت فى البداية إن المعتقلين كانوا يلبسون ملابسهم، وكان هناك قدر من الحرية، فجاة وجدنا شيخا ضريرا كان يقال إنه كبير وعاظ مصلحة السجون اسمه الشيخ صاوى ارسله همت قبل حضوره بأسبوع، وكانت له مهمة رئيسية هى شحن عساكر الدرجة الثانية والسجانة وغيرهم، وتحريضهم على الشيوعيين الكفرة. وقد قام بواجبه على اكمل وجه، ثم فجاة سمعنا .. ان الباشا "همت" جاء وذهب إلى الاستراحة، ومعه فرقته وهى فرقة ذات زى خاص محترم وعساكر طويلة وعريضة.

المهم فى الصباح جاء الأمر بتجميعنا فى الخارج وان ياخذ كل واحد "بقجته" الخاصة به، وبدات عملية إعداد طوابير، وفجاة وجدنا كل العساكر .. كل واحد فيهم يحمل شومة ضخمة كفيلة بالقتل حتى بدون أن يهوى بها وكانت هذه الرؤية الأولى.

بعد ذلك تم تفريغ العنبر بالكامل ثم تم حشرنا فى عنبر آخر، بداوا فى النداء علينا مجموعات كل مجموعة مكونة من ستة اشخاص، وكل مجموعة تتحرك وسط طابور من العساكر كلهم يحملون سعف النخيل ثم يليهم عساكر من فرقة همت بالشوم يقومون بالضرب، والآخرين يمنعوننا من الفرار من الضرب، حتى تصل المجموعة إلى خارج سور السجن، وهناك يجلس الباشا "همت" فى زيه الرسمى، ويقوم بالنداء على كل واحد باسمه ويتم حلاقه شعره ثم يتجرد من ملابسه نهائيا ويصبح كما ولدته امه. وإذا

اعترض اخذ يؤخذ على العروسة ويضرب، كان عم زكى وهو ضرير، وكان يأخذ مسئوليته عبد الخالق الشهاوى وانا كانت مسئوليتى سعد التائه، ورأيت فخرى لبيب على العروسة، رجعنا كلنا عرايا فى نفس الطابور إلى العنبر، طبعا كنا نرى بعضنا فنضحك على المنظر. ضحك مأساوى وبدأت حياة مضنية من حيث الملابس والطعام، فالملابس ممزقة والطعام قليل جدا (رغيف واحد).

وفى صباح اليوم التالى خرج كل الناس فى حوالى الساعة ٧ صباحا، وفى درجة حرارة تصل فى الواحات إلى حوالى ٤٥ درجه فاكثر، ولأول مرة الناس تمشى حافية، وامر همت بأن نخرج للعمل وطلب من عبد العال سلومة ضابط السجون وصاحب الخبرة الطويلة فى التفاصيل مع الشيوعيين أن يوقع على امر كشف بأسمائنا لإخراجنا للعمل خارج السجن، ولكن عبد العال سلومة رفض خوفا من المسئولية، وبدات المفاوضات واصر على موقفه ولكن فى النهاية أجبر على التوقيع على الكشف وامرنا بالخروج، وهنا ادركنا اننا سنضرب فى الخارج. وحين بدانا فى الخروج وجدنا مدافع رشاشة منصوبة على مناطق عالية، ومن وجهه نظرى كلنا كنا على استعداد للموت، وقضية الموت بالنسبة لنا لم تكن تعنى شيئا، بحكم السن وبحكم الاستعداد للتضحية والاستعداد للفهم الكلاسيكى الرومانتيكى الذى يقول بأن من يموت مناضلا سيخرج مئات المناضلين، وفعلا خرجنا للعمل وهم من خلفنا يضربوننا، وكانت الرمال مليئة بالشوك، كل انواع الحشرات الصحراوية بالإضافة إلى الطوريشة. نوع من الثعابين، وكان لدغته بموت أكيد، وبصعوبة شديدة شربونا الماء، واقام همت معنا ثلاثة ايام ثم غادر بعدها المنطقة، واستمر هذا النظام الذى وضعه، وكان من أكثر الزملاء الذين عانوا من تعذيبه هو محمود المانسترلى، فقد كان المانسترلى ضابطا فى الحربية، وكان رئيس همت، لذا اهتم بتعذيبه وإهانته حتى أصابه بكسر فى الذراع وكذلك فخرى لبيب. وهذا ما فعله فى باقى السجون.

وكان العمل فى الواحات بأجر رمزى ثم بدأوا يؤجروننا بعد ذلك لهيئة تعمير الصحارى وكانت تدفع للفرد قرش صاغ. وكان يتم تفتيش بانتظام، ونحصل على ثلث سيجارة تهرب من المساجين العاديين، وناكل وجبة واحدة.

وكان هناك صراع سياسى داخل المعتقل، فقد كان هناك اتجاه داخل الحزب لعب على هذا التعذيب الذى يجرى، لتغييرالاتجاهات السياسية، فقد كان هناك تساؤل كيف

يكون عبد الناصر وطنيًا، وفى نفس الوقت يضرب الشيوعيين، بمعنى أن التحليل السياسى كان يبدأ من الضرب أو عدم الضرب. لكن من قبيل الأمانة كانت الناس تساعد بعضها البعض، بشكل إنسانى وراق جدًا. وحاولوا أن يقسمونا جزءًا يعمل وجزءًا لا يعمل، بهدف تفكيك فكرة العملة..

فكان هذا شكل من أشكال مقاومة الناس لعملية الشغل فى الجبل، كانت الناس فى المساء تحاول أن تعمل نوعا من أنواع الترفيه فى بعض الأحيان، والأعمال الثقافية فى أحيان أخرى. الاجتماعات الحزبية، وقد جاء فى نفس الوقت فى هذه الفترة ما يطلق عليه خط الحزب الجديد. وبدأت تتم مناقشات طويلة حول، هل السلطة الموجودة سلطة وطنية أم غير وطنية؟، هل السلطة الموجودة هى سلطة الاحتكار وشبه الاحتكار أم سلطة وطنية؟، أى النقاش حول الطبيعة الطبقية للحكومة أو السلطة الناصرية، وظهر اتجاهان واضحان، اتجاه يقول أن السلطة هى سلطة البرجوازية الوطنية المصرية، وطالما أنها سلطة برجوازية فهى معادية للديمقراطية، وبالتالى فهى قابضة على العناصر التى تشكل الجناح اليسارى الديمقراطى أى الشيوعيين، أما الاتجاه الثانى فكان يقول إنها سلطة الاحتكار وشبه الاحتكار، وهى سلطة ليست وطنية ولكن لا نرفع شعار إسقاطها. هكذا كان جوهر الصراع الدائر بين هذين الاتجاهين، وكانت توجد فى نفس الوقت مجموعة ضيقة جدًا تقول بأن السلطة سلطة وطنية، ولاسيما بعد الضرب والتعذيب، وفى الجهة الأخرى كانت هناك سخرية من هذا الاتجاه، والاتجاه إلى القول بالبرجوازية الوطنية جوهره "الراية"، وجزء من بقايا الموحد، لكن بقايا الموحد كانوا يقفون سياسيًا مع الراية، لكن تنظيميًا كانوا ضدها، واتجاه الاحتكار وشبه الاحتكار جوهره "حزب العمال والفلاحين"

ثم بدأ الإفراج عند المسجونين، بمعنى أن المسجون يخرج، ثم يرسلونه إلى القاهرة يرجعونه كمعتقل، وبدأت الحكاية بعد ذلك تختصر، فلا داعى لأن ينقلوه إلى القاهرة بل ينقلوه من عنبر المساجين إلى عنبر المعتقلين.

وبدء ترحيل المعتقلين من «أبو زعبل»، ووضعوهم فى عنبر المساجين، وأصبح هناك عنبرين لشيوعيين، أما العنبر الثالث ففيه بقايا الأخوان والشيوعيين المرحلين من «أبو زعبل» كانوا عديدين، ويرفعون شعار الديمقراطية والانتخاب.

والصراع الداخلى، داخل أى حزب هو انعكاس للصراع الطبقى الموجود فى المجتمع

ومن ثم فحدوث هذا الصراع مسأله طبيعية، وايضا حسمه مشكل لأنه لا توجد قيادة تتنازل برغبتها، فالناس الذين جاءوا من «ابو زعبل» مقررين انهم يجب ان يعملوا انتخاب، بكل اتجاهاتهم، وعندما جاءوا بدات الحلقيات تشتغل، ولكن كان قرار الانتخابات انتهى، وجاءت الانتخابات باتجاه عام فى المنطقة، اى يحكم هذا العنبر، اغلبية ليست مع القيادة، ولا مع الرفيق المركزى الذى يوجد فى المعتقل طبعا، إنما مع اللجنة المركزية، وبالتالى كنا نسميها (كيرالا) على اسم المقاطعة الهندية التى كان يحكمها الحزب الشيوعى الهندى، محررة من سلطة حزب المؤتمر.

ويحضرنى فى عام ١٩٦١ قبل الإجراءات الاقتصادية تقريبا ما قام به عبد الناصر ونحن داخل المعتقل فى الواحات، فقد كان حريصا من وجهة نظرى على ان يتابعنا ونحن داخل المعتقلات، لمعرفة كيف نفكر فهو يعرف قدرات هؤلاء الناس جيدا، وهو رجل مثقف وذكى ويحب ان يعرف كل شئ، وحسب ما سمعت بعد ذلك عندما قابل إسماعيل صبرى وفؤاد مرسى بعد الحل، قال لهما يبقى أن أرى ابوسيف يوسف.

المهم الناس فى الواحات كما ذكرت، كان الصراع مشتدا جدا بينهم، ولكن كانوا في حالة نشطة، وبدأ ما يطلق عليه المناقشات العامة وطرح وجهات النظر، وعقد ندوات، ومجلات صراع، وناس تكتب وجهات نظرها حول الطبيعة الطبقية للدولة، وما هى رؤيتها لمستقبل مصر، ويتم النقاش حولها، وتم كونفرس تنظيمى بالانتخاب لمناقشة العديد من المشاكل التنظيمية، حتى حدثت حادثة عندما كان احمد فرج ينقل مجلة الصراع(*) من حجرة لحجرة فامسك به الباشاويش متي وكانت مكتوبة على ورق بفرة وسلمها للمامور، وبالطبع انقلبت الدنيا، وذهب للتاديب، وحضرت المباحث وحرثت العنبر بالكامل، لأنها تعلم ان الناس تعمل مخابئ في الأرض، كانت الناس متوقعة احتمالات ما سيحدث، فقامت بعمل مخابئ في الحوائط والأسقف، لذا لم يجد الأمن شئ.

واتذكر ايضا في يوم من الأيام بعد التمام، قالوا تمام بصوت عال جدا وأحسن. وهذا معناه ان المامور سيدخل، ودخل المامور كل الغرف ثم دخل غرفتنا، وكان عندنا فى هذا الوقت مخبا في الزنزانة يقوم بعملية ترجمة مختارات لينين وماركس، وكانت قدرة

(*) كان الحزب قد فتح الصراع الأيديولوجي حول خط الحزب الجديد والذي كان يقول إن السلطة هى سلطة الاختيار وشبه الاحتكار.

على الشلقانى على الترجمة جنونية، فهو يترجم فوريًا من النص، وكان يوجد جزء من هذه المختارات في مخبأ تحت جردل البول، (نحن كنا نعمل المخبأ ثم نحضر الصلصال -كان متوفرًا فى الواحات . ونخلطه برمل خفيف ونقفل البلاطة فتظهر على أنها طبيعية)، ولكن طبعًا بمجرد رش مياه عليها تظهر، فعندما دخل قال ارفع جردل البول، وارمى مية على الأرض، فأنا حاولت ابعد وارش المياه على الحيطة. وستر ربنا انه تركنا وخرج، وجلسنا بعدها ونحن خائفون ان يعود مرة أخرى للتأكد من معلومته، واتفقنا بعد مناقشة على ان نحرق الموجود، ولكن انا رفضت وقلت لو اتمسك سوف أتحمل مسئوليته، المهم استقرينا بعد أخذ التصويتات على ان ننتظر حتى الصباح، ولوحدث شئ اتحمل المسئولية، وفي الصباح استطعنا نقلها إلى مخبأ آخر.

واستمر هذا الوضع حتي بدات سلسلة الأخبار تتوالى من وكالة انباء "واس" بخبر تاميم الشركة البلجيكية، وتاميم بنك مصر، وشركة مصر الجديدة والبنك البلجيكي، وكان هذا قبل الإضراب الذى قمنا به في يوليو ١٩٦١.

هذه من الأحداث القاسية جدًا.. فالمعيشة فى «ابوزعبل» كانت شديدة القسوة... وكانت السلطة قوية جدًا ، اما في الواحات فقد كنا بعيدين عن السلطة والاتصالات لم تكن جيدة. فحتى الضباط كانوا منفيين معنا بغض النظر عن أنهم مباحث، وقد حدثت طبعا مجموعة من الوقائع الطريفة، منها ان ابنى "شينيشن" مامور السجن في هذه الفترة وبالمناسبة أحدهما أصبح مدير أمن المنيا، كانا ولدين، واخذا حبوب الضغط الخاصة بوالدتهما، وفجاة حضر لنا المامور في الليل، وطلب د. حمزه البسيونى، و د. صلاح حافظ لكي ينقذا الأولاد، وتم إنقاذهم، وكان ممتنا لهما.. وكانت هذه الحاجات التي عملت تحويلة كبيرة في سلوكه تجاهنا، ونقل بعد منها، ثم جاء بعد منها بسنتين، بعد الاضراب، وكانت المسائل اتسعت كثيرًا، وسمحت بزيارة. هكذا حضر الناس من «ابو زعبل» وكانوا مصرين على الديمقراطية داخل الحزب ومصرة على الا تضرب مرة اخرى.

وكانت من اروع الأشياء التي تمت داخل المعتقل مسالة الإضراب، وتم التحضير لها بشكل اكثر من جيد.

ففي هذه الفترة قيل إن هناك ضابطًا جديدًا، حضر من سجن طره، بعد ان غضبوا عليه فارسلوه الواحات تكديرًا.. هذا الضابط كان "فتحى قته" الذراع الأيمن لـ "حسن

المصيلحى" في الحقيقة هو أتى للتدريب، ورؤية الناس على الواقع، كان بيشتغل سياسة، فكان يمر على السجن بالليل ليسمع الناس من الشبابيك، وكان حريصا على فكفكة السجن، فلم يكن حريصا على الانضباط، والضبط والربط، وبجانب عمله السابق، كان يتحسس مسألة الإضراب التى كانت نبرتها عالية، ولذلك تم عملية تمويه في موضوع الإضراب، فقد حددنا أكثر من موعداً للإضراب، (وطبعا الإضراب كان له طقوس قبل أن نبدأ، حيث يتم كشف طبى على جميع الزملاء، ويتحدد من سيشترك في الدفعة الأولى ثم الدفعة الثانية .. وكان شعار الإضراب هو "الإضراب حتى الإفراج أو الموت")، لدرجة أنهم قالوا إنه لن يتم، ونزل الضباط إجازات بما فيهم فتحي قتة، ولم يكن هناك إلا ضابط واحد، وكان أظرفهم. ثم فجأة تم الإضراب طبعا بالنسبة لهم أم نحن فقد اخترنا الوقت المناسب، ووفرنا له اتصالات جيدة بالخارج.. بمعنى أنه عندما دخلت أول دفعة الإضراب، وهى شخصيات عامة وشخصيات حزبية، منهم د. فايق فريد، ود. فوزي منصور، ود. رءوف نظمى، أعتقد كانوا ستة أفراد، أذاعت لندن، ومونت كارلو الخبر فى نفس اليوم، وطبعا موسكو، وغيرها، وكانت هذه ضربة فى الصميم، وتم عزل المضربين في العنبر الثانى، كان يتم الاتصال بين العنبرين من خلال النوبيين، طبقا لتعليمات الرفاق الواقفين أسفل، فهم يتحدثون بلغتهم التي لا يعرفها أحد من الضباط أو العساكرأو حتى المعتقلين، وبالفعل الإضراب عمل ربكة جنونية، وبعدها بثلاثة أيام دخلت دفعة مكونة من ١٢٠ معتقلا، واستدعوا الضباط بأقصى سرعة.. والحقيقة كانت الناس فى الإضراب روحها المعنوية في السماء، ونفضت عنهم كل الآلام التى كانوا يعانون منها، فقد كانوا يشعرون أنهم يقاتلون فى آخر معاركها، كان هناك نوع من الصدق، والحنان على بعضهم البعض. ثم دخلت الدفعة الثالثة بعد ثلاثة أيام أخرى وكانوا حوالي أربعين، وطبعا الناس المرضى لم يدخلوا. وبالتأكيد هذا الإضراب هز الدولة تماما. واستمر حوالي ثمانية عشر يوما. وأرسلت الرياسة برجل للمفاوضات وقد تحول هذا الشخص بعد ذلك لشخص متعاطف تماما مع الشيوعيين، وبدأت المساومات، والضغوط، والأخذ والعطا، وكانت هناك لجنة مسئولة عن الإضراب بقيادة فخري لبيب، بدأت الناس تنتقل من شدة التعب إلى المستشفى ومنهم على الشيخ، ورءوف نظمى وثروت إلياس ورؤوف نظمي وعبدالله كامل وآخرون، فلو أن الإضراب قد تأخر بعض الساعات، لكانت هناك ضحايا كثيرة، ومع ذلك كان الكل متمسكا لآخر لحظة،

ولم نكن نعرف ان الدولة تريد ان تفك هذا الإضراب قبل يوم واحد وعشرين لأنها كانت ستتخذ قراراتها الاقتصادية في هذا اليوم، بالفعل تم فك الإضراب قبل منها بساعات، ومن الامتيازات التي حصلنا عليها من هذا الإضراب، ان تحول المعتقل كله بعد ذلك بالتدريج إلى نوع من الإدارة الذاتية، بدات الناس تعمل مسرحا، وتوفر اوراق واقلام، وبدات حياة ثقافية كاملة، وفتح باب الزنزانات حتى المساء، ثم جاء حسن المصيلحي وقابل اناسا كثيرين من المعتقلين: وحصل ان الناس شنمته، وتم ترحيل ١٤٤ شخصا من الواحات إلى معتقل العزب بالفيوم، وكنت انا منهم، نبيل زكى، وامير إسكندر، وامين ابو السعود، والفريد فرج .. واخرين وكان ذلك في نوفمبر ١٩٦١ .

ورحلة الفيوم رحلة جديدة من نوعها، لأنهم كانوا عملوا الطريق البرى، وبالتالى قلل الاعتماد على السكة الحديد المتخلفة جدا، فجاءت عربيات السجون لترحيلنا فى المساء، وطبعا كنا قد مكثنا في الواحات أكثر من ثلاث سنين وفي جو صحراوى جدا، ولم يكن فيه رطوبة، وبالتالى كان الجو مختلفا تماما عندما دخلنا على أسيوط والزراعة، ومعتقل الفيوم كان معسكرا قديما للجيش الإنجليزى يتكون من ثمانية جالونات (عنابر) أربعة في صف وأربعة في الصف المقابل، محاطين بالأسلاك الشائكة، فيه دورة مياه واحدة، كان معتقلاً خاصا بكبار تجار المخدرات، ثم نقلوا فيه الشيوعيين فى مارس ١٩٥٩، وكانت كارثة على العساكر والشاويشية، فبعد ان كانوا يتعاملون مع تجار المخدرات وهناك سخاء شديد جدا، ويضربون تعظيم سلام لهم، لناس فقراء، ومطلوب منهم أن يضربوهم. ثم بدات قيادة المعتقل في تنفيذ خطة بأن يرسلوا اناسا من معتقل الفيوم إلى معتقل القلعة لياخذون فيها محاضرات وتثقيف لكي يتولوا كتابة الاستنكارات للشيوعيين، .. بمعنى انهم بداوا سياسة جنى التعذيب، وكانت هذه أخطر نوع من السياسة، لأن المعتقل اوالمسجون وهو تحت تاثير الضرب والتعذيب تكون لديه شحنة داخلية مقاومة، وتساعده وتصلب طوله وتمسكه، اما ما يمكن أن نطلق عليه الاسترخاء فيكون في احلام، وأمنيات وردية، والمنطقان مختلفان، لذلك بداوا بعد الإضراب في سياسة الاستنكار وسياسة اصطياد الذين يمكن قطفهم في هذا الوقت، وفي تقديرى ان السياسة التي كانت مرسومة في الفيوم، لو طبقت بحذافيرها لاستنكر الجميع، ففي المعتقل سمحوا لنا بلبس هدومنا الملكى، ولبس جزم في ارجلنا، وكان هذا عامل إغراء كبير جدا، وأصبح مسموحا باستلام طرود من مصر، وبالتالى كانت الحياة

اكثر رفاهية، واكثر سهولة.

وعندما انتقلنا من الواحات كان معنا كتب على ورق بفرة، واوراق اخرى، وكنا مستعدين لمعيشة نضالية كما كنا في الواحات من الناحية التنظيمية، وكانت تنزل معنا قيادة من الرفيق المركزى في الواحات، ولكن عندما وصلنا أصبحنا إزاء خطة ليست سهلة، وكان هذا واضحا من البداية، فقد كنا نسمع ما يتم تدبيره لنا من الإدارة، من خلال تليفوناتهم عندما كان يتم حجز البعض منا في حجرة التأديب، لأنها كانت بجانب الإدارة، فقررنا أن نعمل انتخابات، بحيث ينتخب كل عنبر قيادة له، وقيادة العنبر تختار مسئولا، وتتشكل لجنة قيادية للمعتقل بغض النظر عن اى تنظيم ينتمى إليه. وبالفعل نجحنا في عمل انتخابات، وهذه كانت تعتبر مكسبا غير عادى بموافقة الجميع وكافة الاتجاهات. (فقد كنا نتعامل على اننا كلنا في تنظيم واحد (٨ يناير)، ولكنها وحدة شكلية، فبجانبها هناك ما يطلق عليه بلغة التنظيم اتصالات جانبية من فوق لتحت بين كل الناس وبعضها، وتقول كل شئ يحدث في الاجتماعات، وتنسق مع بعضها البعض فى كل موضوع في الجانب التنظيمي، ولكن تتسع وتضيق في الجانب السياسي). والحق يقال أن كل الناس أدركت المسئولية التي تقع عليها. وأنه يجب إفشال هذا المخطط، ولكن للأسف لم يتركوا لنا فرصة لعمل ذلك كما كنا نتصور، فقد كانت الخطة بالضبط، أن العنبر فيه حوالى ٣٠ أو ٣٥ فردا، كل فرد له نمرته واعطوا كل فرد برشا وثلاث بطاطين، وغير مسموح لأحد ان يتكلم عن الآخر، بمعنى أن الذي له مشكلة يذهب يتكلم بنفسه مع الإدارة، بدون مندوبى إدارة، وغير مسموح بوجود حياة عامة، او ان تأكل الناس مع بعضها البعض، او تتسامر مع بعضها، يمرون علينا في الليل للتأكد من ذلك، بحيث يشعر كل فرد في النهاية انه لا يوجد وراءه تنظيم. وإذا قال لهم احد انا مندوب العنبر، يقولون له لا يوجد هذا النظام لدينا، هكذا كما يقال اخذونا فى حارة مظلمة.

استمرينا في شد وجذب مع الإدارة، وقد وصلت الأمور اننا شدينا مع ضابط وقرر جمع العساكر واصبحوا في وضع استعداد لضربنا، والمهم قررنا ان ناخذ موقفا وهو أن نمتنع عن استلام الوجبة، كنوع من تصعيد الموقف وتجميع الناس حول اهمية أن نناضل ضد هذه السياسة، وكل هذه الأساليب استطاعت أن تعمل ما يمكن ان نطلق عليه، تكتيل للمعتقل، والنضال ضد خطة التصفية التي تحددها المباحث، وبالتالى كان يعتبر

هذا نصرًا هامًا للمعتقلين. وباعتبارهم كانوا يعرفون كل شئ نعمله، فقد كان معروفًا لهم من هم القادة داخل المعتقل، فجمعونا نحن الستة القادة، وعزلونا في عنبر لوحدنا في الناحية الأخرى حتى يصعب الاتصال مع بقيه العنابر، منهم انا، ونبيل زكى، وامير إسكندر.. ومعين مينا وامين ابو السعود وتوفيق فانوس.

وكانت معلوماتهم صحيحة، هم اخطاوا فقط في واحد او اثنين، ولكن الباقى كله كان قيادة للمعتقل. ثم ادخلونا التاديب فترة، ثم ارجعونا وحدثت قصص كثيرة، كان ملخصها أنه كان يتم محاولة الدخول في معارك صغيرة تجعل الناس في حالة صراع دائم. وبدانا نعمل خطة ثانية، وهى ان يبقى أحد منا فى التاديب بشكل منتظم لكى نستطيع ان نعرف ما تدبره الإدارة لنا. وبالمناسبة كان يوجد في هذا المعتقل ضابط نشا معنا في الحلمية، المهم كان هو المامور وكان ينظر لى برثاء شديد، من نوع انه لا يستطيع ان يفعل اى شئ، وهذه حقيقة.

استمر هذا الحال فترة، وكان هناك صول يساعدنا في توصيل المهربات للخارج، ومن الواضح الجلى أن هناك أحدًا بلغ عنه، فضبطوه وفتشوه وحاكموه محاكمة عسكرية؛ وفى هذا الوقت بدأ صدرى يتعب جدًا فالفيوم منخفضة عن سطح البحر والرطوبة فيها عالية جدًا في الشتاء، واصبت بأزمات السعال، لدرجة انني نزفت دمًا. فطلبت من اهلى ان يرسلوا شكاوى.

ثم فوجئت بحضور دكتور للكشف علينا وقال إننى يجب ان اذهب إلى مستشفي في القاهرة، وفي نفس الوقت كان ايضًا الفريد فرج عنده حساسية شديدة، ونقل معي إلى المستشفى، وكانت هذه أول مرة طوال الحبسة(حوالي ثلاث سنوات ونصف) نخرج خارج سور السجن، ونرى بشرًا يلبسون غير لبس السجن، والأغرب اننا اكتشفنا ان الستات والبنات يلبسن مايكروجيب في هذا الوقت، والحق يقال اننا وجدنا الناس في المستشفي في قمة التادب والتهذب معنا وقال لي الطبيب انه يمكن ان يكتب لي تقريرًا بأن احوالي الصحية تعبانة، وانا قلت له إننى اريد أن أعرف فقط حقيقة مرضي، فقال لى إنها مجرد حساسية عندما تاخذ هذه الأدوية سوف تتحسن، وبعد الكشف رجعونا إلى المعتقل، وكانت هذه هى المرة الأخيرة التى رأينا فيها الشارع.

ثم بدأ يحدث ما يمكن ان نطلق عليه التريبح وهو أفضل من القول بالانهيارات. فقد

كان قاسيا جدا أن ينهار الفرد في وسط المجموعة التي كانت معه، فكان لابد أن يقطع علاقاته أولاً معهم، حتى لا يكون هناك أى اتصال، فتبدأ من خناقات، تقوم على أشياء هينة جدا، مثل الخناق على رغيف عيش، أو أنه لا يستطيع أن ينام بجوارهم بحيث في النهاية يقول أنتم ولاد كلب وسأفصل عن الحياة العامة: وبالرغم من أنه عندما كنا نرى أحد الزملاء يسرح هكذا نرسل له أحد المنظمين للتخفيف عنه حتى لا يقع، لكن كانت الأغلبية المختارة منتقاة بشكل جيد، مسكنين كويس، بمعنى أن معظم المنهارين، وأنصاف المنهارين متوزعين على العنابر، وشبه المتماسكين أيضا يتم توزيعهم على كل العنابر، فالخطة الموضوعة خطة واعية جدا، ومدركة تماما، ومن المؤكد أنها كانت مبنية على معلومات ومتابعة دقيقة.

وأتذكر من الزملاء الذين كانوا معنا في الفيوم، قدري حفني، ونبيل زكى، وأمير إسكندر، وأمين أبو السعود، وتوفيق فانوس، والفريد فرج (الذي كان له دور كبير في النشاط الثقافى، فى حكاية روايات شكسبير كل ليلة، وعمل دراسة نقدية عليها، وقد هربنا له أوراقا وقلما وكتب مسرحية "حلاق بغداد" في هذه الفترة)؛ وحلمى عبد الحميد(عامل نسيج) من إسكندرية، ومحمود معروفة...

واستمر الحال حتى حضر حسن المصيلحى ومعه فتحى قتة ومعه كل فرقة المباحث، وبدأوا ينادون بعض الأسماء، وعندما عرفنا بوصولهم بدأت سلسلة ضخمة من الهتافات "عاش الحزب الشيوعى، تسقط سياسة الاستنكار ..إلخ، وبعد أن كان مخططا لمقابلة مجموعة من الناس عندما وجد الهتاف قابل واحدا أو اثنين فقط، وفي الحقيقة كان هذا الاستقبال من أروع ما حدث في المعتقل، لأن حسن المصيلحى قابل الناس في الواحات من قبل وأنا منهم، وكانت الناس تخرج، وتأخذ موقفا أمامه، وأحيانا تقول له يا سفاح يا مجرم يا قاتل .. إلخ، وتعود إلى الزنزانات، أما في الفيوم فالوضع اختلف، هتافات جريئة وشجاعة، ولم يكن من المنتظر ما حدث.

ثم فوجئت بأن أربعة من العساكر فتحوا علينا الباب، وأخذوني لمقابلة حسن المصيلحي، وأحاطوني بالبنادق كأنى ذاهب للإعدام، حتي وصلت الإدارة.. وأمامه كنت لا أريد أن أعطيه فرصة للنقاش، وكنت أريد إفشال سياسته، فهلت بكلام حنجورى كبيرة باسفاح، يا قاتل، يدك ملوثة بالدماء، وأننا لن نستنكر، وعاش الحزب الشيوعى. إلخ. خاصة أنه كان وصلنا خبر حديث جدا، وهو استشهاد على فى شبرا الخيمة بعد

خروجه إفراج صحي.

فتركوني وخرجوا، ثم جرني العساكر بالبنادق حتى العنبر، وأثناء الطريق أطلقت هتافات والناس ترد على، وفي مساء هذه الليلة، جاءت العربة لترحيلى أنا وبعض الزملاء إلى الواحات، وعندما رجعنا للواحات وجدنا الصورة هناك اختلفت بشكل كبير، فرجعت اللجنة المركزية، أصبح كل الشيوعيين في الواحات، كان يتبقى أبوسيف ومجموعته كانوا منتظرين المحاكمة سيحضرون، والسجن كان أكثر راحة، وبدأت الناس تعمل حمام السباحة، وبدأ التخطيط للمسرح، كما بدأت المحاضرات العامة، فؤاد مرسى يلقي سلسلة محاضرات عن الاقتصاد المصرى، وإسماعيل صبرى يقول محاضرات عن كتاب "رأس المال"، وبدأت جامعة شعبان خليفة لتعليم اللغات، وتعليم الرياضة البحتة وتعليم الترجمة، وبدأت كل مجلات الحائط تشتغل، كانت سلسلة من الأنشطة والتثقيف غير العادية، وفي نفس الوقت بدا نشاط المزرعة، وبدأ مع كل هذا بعلو كم الصراع، أعلنت "الأفق"، وكان لى وضع له العجب فأنا متمرد على القيادة، ولكن لم أتمرد على التنظيم، ولم أعلن انضمامي للأفق، وفي نفس الوقت معي بقية الناس ولا نعتبر خارجين على التنظيم، لكن معروف أنا مع مين، وبدأت تحقيقات معى: قلت أنا تحت أمر اللجنة المركزية ولست خارجا عن التنظيم، فكان صعبا أن يتخذ قرار بفصلى وتنزيلى إلى مرشح. صعب التحقيق معي فليست على أى شبهة.

وفي الحقيقة أحضرت معي ملابس كثيرة من معتقل الفيوم، على أساس أن هذه الحبسة ستمتد، ولم يكن يراودني حلم الخروج، فقد كان رأيى أن الحكومة تصفية على سجن الناس، وأن هناك تجارب حدثت من قبل مثل هذه في أمريكا اللاتينية وفي اليونان، وبالتالي بدأت أمارس العمل في المزرعة بانتظام والعب رياضة، وفي نفس الوقت أحضر جميع المجلات(كانت صوتية بالطبع)، فمثلاً كان شعار "الأفق" "صاح ملاح من أعلى السارية، أرض في الأفق..." ثم يصفر إبراهيم عامر صفارة شهيرة، كأنها موسيقى تصويرية للمجلة. وأحضر لأى واحد يقول أى محاضرة، فلم يكن لدى أية حساسية في هذا الموضوع، لأنني كنت أمشي على مبدأ، هو أن أسمع الكلام بودنى وأحكم عليه بنفسي، ولا أعتمد على ما ينقل إلى، لأنني اكتشفت أن الناس تنقل عن بعض أشياء ليست صحيحة، وفى اتجاهات معينة. وفي الحقيقة كانت هذه من أخصب الفترات على طول الحبسة.

واثناء حضوري إحدى محاضرات فؤاد مرسى، شعرت بانني اريد ان انام بشكل كبير، لدرجة أنني لم استطع ان اكمل المحاضرة، فدخلت الغرفة ونمت. بالرغم من انني استيقظت بعد فترة ووجدت حسن المناويشي يغنى فى الغرفة، إلا اننى لم أستطع مقاومة النوم، وفي الفجر حاولت ان أصلب طولى واقف ولكن وقعت على جردل البول وكان بجواري رءوف نظمى، ثم فتحت عيني فوجدت كم من الدكاترة، شكرى عازر، وحمزة البسيونى، وشريف حتاتة، وثروت إلياس، كل دكاترة المعتقل تقريبا، واخذونى لمستشفى السجن وهي إحدى الزنزانات ولكن فيها ثلاثة او اربعة سراير، انامونى على السرير، وتصوروا بعد اكثر من ٥٤ شهرا نوما على البورش، ثم فجاة انام على سرير فهذه كانت قمة الرفاهية، وبعدها لم ادرى بشئ، ولا ادر كم من الوقت استمريت في هذه الغرفة، فتحت عيني بعد ذلك فوجدت حولي إسماعيل صبرى وسعد زهران، وفخرى لبيب وحلمى ياسين وكل الرفاق فى اللجنة المركزية، وقال لي إسماعيل صبرى باننى سوف اذهب إلى القصر العينى وساطلع إفراج، فانا ضحكت. وكانت قواى خائرة، واتكلم بصعوبة شديدة، ولكن كنت أعاند، وقلت له انت تسخر، ثم وجدت شريف حتاتة يؤكلنى مربى بالمعقة، امام سيد عبد الله الذي يمسك الحياة العامة، ولم يكن معترضا، ثم فجاة رجعت هذه المربى، فانزعجت من ذلك فكيف تدخل جوفي هذه المربى ثم تطرد مرة اخرى، فانا لم اكن اعرف نهائيا ماذا حدث لي، فقد كنت متخيلاً انني نمت بضع ساعات فقط، ثم اتذكر بعد ذلك وهم يحملونى على السرير يمشون بي في الطرقة، وكل الرفاق يقفون على الصفين، ويقولون اناشيد، واتذكر ممن كانوا ورائى محمد حمام ومختار جمعة، ثم دخل السرير على الإدارة.. فوجئت بوالدي والدتي واخي، تساءلت، فقالوا لا يوجد شئ، فنحن اتينا لزيارتك، انا ما زلت اتذكرهذه الأشياء بشكل متقطع، ثم جاءت عربة السجن واخذونا وكان معنا حمزة البسيونى وذهبنا للمطار، ركبت الطيارة. وكانت هذه اول مرة أركب طيارة في حياتى بعد ان فرشوا لى في ارض الطيارة وركب معي والدى ووالدتى فقط، ووصلنا المطار، وقابلنا احدا من المباحث في المطار، ثم ذهبنا بعد ذلك إلى القصر العينى، وفي المساء سمعت ضجيجا، كانوا ياخذون حمزه البسيونى ليرجعوه إلى الواحات.

وانا لا اعرف اى تفاصيل عما حدث من الأحداث(*)، او كم هي المدة التي نمتها، وظللت هكذا لا اعرف حتى افرج عن الناس بعدها بسنة. وكان وزنى وصل ٤٥ كيلو على جثة صفراء تماما، غير قادر على المشي حتى للذهاب إلى التواليت، وكان احد اقاربنا أستاذا بكلية الطب.. فاحضر العديد من الأطباء، وقالوا لي انه سيتم الإفراج عني، وقعدت في القصر العينى ثلاثة ايام، حتى مضى ورق الإفراج زكريا محيي الدين، و كان في الإسكندرية، فبعثوا له المذكرة، وجاءت الموافقه بالتليفون، واهلي كانوا متاكدين انني ساموت؛ فانا كنت مريض بالالتهاب الكبدى الوبائى نتيجة الأكل في المعتقل، ولكن حسب ما سمعت من اهلي بعد ذلك ان د. محمد. اعطاهم املاً في شفائي. ثم سمعت جرس تليفون النوبتجية في الخارج، يرن رنة غير عادية؛ وفجاة دخل الضابط واقترب منى، وسلم على بحرارة وقال لى مبروك على الإفراج، وكان معي باستمرار والدي ووالدتى، وقال انتم احرار، هل اتعالج في القصر العينى ام اتعالج فى المنزل، وبالتاكيد اخترت المنزل. وفعلاً بدا هذا الطبيب في علاجي، بالرغم من انه لم يكن هناك علاج لهذا المرض في هذا الوقت، واستمريت في السرير لمدة ثلاثة شهور بالكامل، وثلاثة اشهر اخرى اتحرك داخل المنزل... بدات اتحرك، وخرجت بداية ١٩٦٣ وكان عمري في هذا الوقت تقريبا خمسة وعشرين سنة.

وبعد رحلة مرضي، كنت اتقابل في هذه الفترة مع زميلي نبيل حلمي. (في إنجلترا الآن، وكان يعمل في الـB.B.C)، كان قد خرج من السجن عام١٩٦٣، ورجع للجامعة، فكنت اقابله على البوفيه في الجامعة، ونقول لبعضنا، «يلا بنا نقعد على البورش»، فقد كان كل حلمنا، وكل كلامنا، وكل ذكرياتنا داخل المعتقل، بمعنى انني خارج السجن فقط هيكل خارجى، إنما كل وجدانى وكل تفكيرى داخل السجن.

واثناء هذه الفترة اتى لي احد الأعضاء ليناقشنى في فكرة ان عبد الناصر سيعمل تنظيما وان هذا التنظيم يضم فيه طليعة الناس او التقدميين الاشتراكيين.

والذي عرض على الدخول في هذا التنظيم كنت احبه جدا، واحترمه ككاتب، وهوايضا كان يعتبرنى مثل ابنه، وبالتالى عندما طرح علي هذه الحكاية كان منصورا ان المسالة محسومة، وانه سياخذنني معه، وحاول إقناعي بان الاتحاد الاشتراكى هذا تنظيم سنناضل فيه ايضا، ولكن قلت له انا شايف ان هذا سابق لأوانه، وتحججت بانني صحيا مازلت لم أشف تماما.

(*) كل ما اتذكره اني سقطت من طولي، ولم اكن متماسكا، وكان بجواري د. رؤوف نظمى يقوم فقط بقلب جفن عيني وفي الصباح بعد فتح الزنازين فوجئت بجميع الأطباء الموجودين في المعتقل يحضرون إلي وامروا بنقلي إلى ما يطلق عليه المستشفي ولم ادر باى شيء بعد ذلك قيل انى اصبت بغيبوبة التهاب كبدى وبائى استمرت اكثر من ثمانية ايام، وكل ما عرفته بعد ذلك لم اشاهده ولكنى حكى إلى.

فما زلت غير متوائم مع الحياة في الخارج، فكل احلامي بالداخل كما قلت، فلم استطع ان اشعر بانى شفيت تماما إلا بعد خروج الناس من المعتقل عام١٩٦٤.

حل الحزب :

كان الناس وهم داخل المعتقلات فاقدين للثقة فيما يطلق عليه التنظيم، ولكن هناك ثقة شخصية في بعضهم كاشخاص، اما التنظيم كهيكل فلا، لأن الناس كانت مقطعة بعض لدرجة انها فاقدة الثقة تماما، ورغم ذلك كانت فكرة الحل كفكرة مرفوضة نهائيا من الزاوية التنظيمية..والنظرية، فليس من حق اعضاء الحزب او ممن ضد الحزب ان يحلوا تنظيم للطبقة.

وبدانا نسمع ان هناك اتصالات بالحكومة.. ومفاوضات تدور بين الحزب والحكومة، وفكرة الحل اصلاً فكرة بدا طرحها داخل المعتقل، وطرحت من قبل المنقسمين او حدتو، وكان متبنيها في هذا الوقت عادل حسين، فهو اول من طرح فكرة المجموعة الاشتراكية في حدود سماعي، وحتى هذه الفكرة لم تكن تجد صدى داخل حدتو في البداية، وكانت طبعا مفاجاة في المعتقل، وهذه كانت بالونة اختبار، حتى بدات تتاصل داخل الحزب، والحق يقال لم يكن يوجد اى احد من الحزب بشقيه إذا شئنا الدقة العلمية، تدور هذه الفكرة في ذهنه، فقد كانت مستبعدة بالكامل، ومستهجنة جدا، وصعب طرحها على الآخر، ولكن من الواضح الجلى انه كان يوجد اتصالات تدور بين السجن في الداخل والوسطاء في الخارج، وكانت تاخذ اشكال سياسية، واشكال قرابة، او اشكال سياسية مدعية القرابة، وعلى فكرة كانت كل مجموعة تعمل اتصالاتها بشكل معزول عن الآخر.

وفي هذا الوقت قيل إن عبد الناصر كان مستعدا للتحالف مع الشيوعيين العرب بشكل عام في مواجهة. لولا موقف خالد بكداش من قضية الوحدة، وإعلانه ان الاستعمار المصرى وهذا عمل حرجا شديد للشيوعيين المصريين.

وبعد الخروج من المعتقلات، بدات الناس كلها تتقابل وتجلس مع بعضها تتناقش، ولكن عدد قليل جدا الذى يمكن ان تتكلم معه عن اخبار التنظيم، وهل سيصدر بيانات قريبا، وماذا سيفعل؟.

وكان رقم واحد عند الناس هو البحث عن عمل-أكل العيش، وانشغلوا في مسألة التوظيف، وشعروا بأن الدنيا حدث فيها تغير كامل سواء في المجتمع أو نظرة الناس، وعبد الناصر يبلع الدنيا ولا مجال لأي كلام سوى أن الناس التي تعرفك تاريخيا هي التي تقف بجوارك، ولكن الجانب الأكثر فيها جانب شخصي احتراما للتضحيات.

وبدأ الكلام حول الطريق اللاراسمالي: ولم يكن أحد مدركًا أن هذا تمهيدا لشئ إنما وجهة نظر، واجتهاد، ووقتها كان الطريق اللاراسمالي لا يُرفض أو يناقش. أما الحل فلا. بدليل أنه عندما انعقد كونفرس قبل الحل لاتخاذ القرار، كانت الناس التي حضرت مختارة، ولم أُدع وقرأت البيان في الجرائد مثل اى مواطن عادى، ولم أسمعه فى الكواليس، لأن معظم الذين حضروا الكونفرس لم يقولوا لأحد من أجل الأمان، وعندما عادوا لم يكن يستطيعون أيضا أن يقولون لأحد حتى لا يحسب عليهم، بما فيهم أعضاء اللجنة المركزية، وسمعت من أحد الأصدقاء الحاضرين أن معظم الذين حضروا لم يكونوا موافقين.

الطابع الانقسامى للحركة

رأيى أن الطابع الانقسامى للحركة كان نتيجة نشأتها على يد الأجانب، وبالتالى ليست مبرأة من التدخلات الأجنبية، والاستعمار الإنجليزي بالذات كان يعتمد على أن يمتص الحاجات، ومصر دائما مغرية لتدخل الغير، فهي ليست صغيرة، وتجربة حزب ٢٤ كانت خطيرة، ففي فترة قليلة أمكن السيطرة على تحريك قوى كثيرة عملنا لو كانت استمرت لكانت الدنيا تغيرت، ولدى سؤال دائما أسأله لنفسى ولم أجد له إجابة هو لماذا كان السوفيت بعيدين عنها هل كانوا يؤكلونها لليهود؟؟

فكما نعرف البداية كلها أجنبية، وبالتالي كانوا أساتذة للمجموعة المصرية التي اشتركت معهم، ومن وجهة نظري من قبيل الأمانة، عندما وجد مصريون يفكرون بشكل مستقل، لم يكن لهم علاقة بالأجانب. وتقييما للأمور، وإحقاقًا للحق، يمكن أن تكون بداية مجموعة الفجر الجديد مختلفة، وإن كانت وسطهم يهود، ولم يكن هناك أي نوع من العمل الوطني بالرغم من أنهم كانوا داخل الطليعة الوفدية، ولم يكن يوجد أى نوع من الخلق النظري الماركسي، الخلق التحليلي للواقع المصري الجرئ المعتمد على نظرية جديدة للعالم التي عملته الراية. كلها أشياء في احتضان أجنبي، وما يقوله الأجنبي: التنظيرات الأجنبية، خلافات شخصية بينهم، يمكن أن تكون آمالهم حسنة، ونواياهم عظيمة ويريدون أن يعملوا أشياء كويسة، ولكن يدخلون يتبخرون.

انا لا ابرئ هذه الأشياء ولا افترض فيها حسن النية، كنت في البداية اندهش كيف لشخص ان يحبس في قضية ليس مقتنعا بها، ولكن اكتشفت ان بعضهم كان محبوسا لحساب البوليس، والأمن، لذا رايي ان النشأة الأجنبية هى السبب، فلو ان الوقت كان فيه متسعا، كان ممكن للناس المعادية او التي لا توافق على وجود اليهود ان تعمل شيئا، وليس الراية فقط، كان يمكن ان توجد وحدة بينهم.

وبالنسبة لي الوحيد في اليهود الذي حترمته جدا هو ريمون دويك والمحامى شحاتة هارون، فهو رجل لم يسلم وظل يهوديا كما هو، فالحقيقة لم يعجبني الذين اسلموا.

ازمة الحركة الشيوعية

عدم الارتباط الجيد او العضوي بالجماهير، حيث ظلت الحركة الشيوعية حركة وسط مجموعة المثقفين في الأساس ولم تنتقل بعد للارتباط بالحركة العمالية المفروض ان ترتبط بها ناهيك عن انها لم تقترب من الفلاحين السواد الأعظم من مصر. واعتقد هذا نتيجة الضربات الملاحقة للامن. إنما هذا لا ينفي ان الحركة الشيوعية المصرية هي التى بشرت بالاشتراكية والعدل الاجتماعي وبالمساواة وكل المكاسب التي يحصل عليها الشعب المصري منذ ٢٣ يوليو حتى الآن. وحتى الآن بعد الخصخصة... لم تستطع السلطة ان تتخلص من هذا!.

وبالنسبة للشهداء

انا متاكد انه لا يوجد حصر كامل بهم، لعدة أسباب منها ان البعض يسقط منه الأسماء، والبعض الآخر يتعمدون إسقاط الأسماء. واناس يعتبرون البعض شهداء، وآخرين يعتبرونهم ليسوا شهداء، وانا شخصيا عندما كتب طاهر عبد الحكيم كتاب "الأقدام العارية"، انا احتججت لدار النشر بالرغم من انه لم يتجاهلني بل كتب فصلا عني، إلا انه لم يكن معتبرا شهدي عطية الشافعي شهيدا!.

شهادة

بدر محمد رضوان

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : بدر محمد رضوان

محل وتاريخ الميلاد : ١٩/٧/سنه ١٩٣٢ بندر اسيوط

المـــؤهــــلات : ليسانس الحقوق عام ١٩٧٢.

المـــهـــنـــة : والعمل بشركة كهرباء الإسكندرية ثم العمل بحى شرق الإسكندرية ثم حى المنتزة، ومنذ إحالتى إلى المعاش عام ١٩٩٢ أقوم بمباشرة الأعمال القانونية.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : عشرون عاماً أننى إرتبطت بالحركة الشيوعية فى اليوم التالى لإعدام خميس والبقرى عام ١٩٥٢.

فترة السجن والاعتقال : الحبس فى المدة من ١١/٢ سنه ١٩٥٥ إلى ٢١/١١ سنة ١٩٥٦ تنفيذ لحكم صدر بالحبس سنة ونصف وغرامة خمسين جنيها. وإعتقال من المدة من ١/١ سنه ١٩٥٩ إلى إبريل سنه ١٩٦٤، وإعتقال فى المدة من ٢١/٤ سنه ١٩٦٧ إلى ١٩/١١ سنه ١٩٦٧ بالسجن الحربى عن طريق المخابرات.

بيانات عائلية :

كان الوضع الطبقى الذى نشأت فيه ومهنة والدى هما اللذان حددا توجهى السياسى. كان والدى يعمل كواء وكان محله بشارع الخزان سابقا والجمهورية حاليا بأسيوط، وكان بالشارع مساكن كبار عائلات واثرياء اسيوط، وكان جزء لا بأس به من تلك العائلات يتعامل مع ابى، الأمر الذى أتاح لى دخول قصور وفيلات الأثرياء فى صحبة صبية المحل عند إرسال الملابس بعد كيها مما أتاح لى فرصة الإطلال على حياة أخرى غير الحياة التى تعيشها أسرتى وجيراننا الفقراء فى منطقة من أفقر مناطق أسيوط، وكانت تسمى فى ذلك الحين جنينة ويصا، وهى جزء من حى كوم عباس التحتانى حيث كانت حالة أسرتى الفقيره أملاً لا ينال بالنسبة لكثير من جيراننا الفقراء الذين كانوا لا يأكلون اللحم إلا فى الأعياد بل ونادرا ما كانوا لايستطيعون ذلك، لقد

---

* أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب عضوا لجنة التوثيق.

كانت حياة الكدح التى يعيشها والدى لإعالة اسرة مكونة من ثمانية افراد، وإحساسى باحوال من حولى من ابناء الحاره، ورؤيتى لمظاهر الثراء، كل ذلك حفر فى وجدانى إحساسا عميقًا بالظلم، خاصة واننى كنت ارى والدى يشقى ويتعب من صباح اليوم إلى مسائة مقابل اجر ضئيل بالرغم من ان والدى كان يتميز باسعار اعلى من غيره نظرآ لإتقانه مهنته.

وبحكم موقع محل والدى فى ذلك الشارع كانت بعض الأسر تكلفه بشراء الجرائد والمجلات خاصة وقد كان بالشارع بعض الشخصيات السياسية كاعضاء بمجلس النواب او مجلس الشيوخ، وكان والدى مهتما بالسياسية ولذلك كان يطلب منى منذ تعلمت القراءة فى مراحل الروضة ان اقرا له الجرائد وهو يقوم بالعمل، وكنت خلال القراءة اساله عما لا افهم او يغمض على وكان يجيبنى حسب ما لديه من معلومات وقد كانت معلوماته كثيرة بالنسبة لشخص فى ظروفه وذلك لأن عددا من أصدقائه منهم من كان يعمل سائقا لدى عضو بمجلس الشيوخ ومنهم المدرس ومنهم مدير حسابات مجلس المديرية ومنهم وكلاء محامين كانوا يلتفون أمام محله بالتتابع يوميا فى شبه ندوة غير مرتبة او محدة ويتناقشون مع والدى فى أمور الحرب العالمية الثانية التى كانت مشتعلة فى ذلك الوقت، وكان يوجد اتجاهان داخل اولئك الأصدقاء، اتجاه يؤيد الألمان باعتبارهم محررين للشعوب المستعمرة، وكان هذا الاتجاه يرى ان الألمان يخوضون الحرب من اجل تحرير تلك الشعوب نكاية فى إنجلترا، وكان ابى على راس هذا الاتجاه، وقد كانت لديه مشاعر وطنية فياضة وإيمان بسعد زغلول وعرابى ومصطفى كامل، وكان الاتجاه الآخر يناصر الإنجليز على اساس ان الألمان يسعون إلى إخضاع الشعوب ولا يسعون إلى تحريرها.

وفى هذا المناخ بدا إهتمامى بالسياسية حيث كنت أستمع لكل الآراء، وبعد ان ينفض السامر اقوم بسؤال والدى ما يعن لى من اسئلة وعما يغمض على، واستمر الحال هكذا إلى ان بدات تظهر فى الأفق اخبار انتصار الجيش الأحمر وتقهقر الألمان امام الروس، كنت اقرا ان روسيا شيوعية، وسالت والدى فى ذلك الوقت ما هى الشيوعية؟ فأجابنى بأن الفقراء فى روسيا قاموا بذبح الأغنياء واقتسموا الثروات بالتساوى فيما بينهم واصبحت الحكومة من الفقراء، ولقيت هذه الإجابة برغم عدم دقتها وبرغم رفضى

لفكرة الذبح هوى شديداً فى نفسى، وتفجر لدى حب لا أستطيع تقديره لتلك الشيوعية لأنها حققت العدل بين الناس، والعدل الذى أراه ذبيحاً فيما حولى من ظروف، وأحسست فى ذلك الوقت، وكنت فى نحو الثانية عشرة أن فى الشيوعية خلاص شعبى.

وفى مايو ١٩٤٤ وضعت الحرب العالمية أوزارها، وانتهت بهزيمة ألمانيا وبزوغ نجم الاتحاد السوفييتى والرفيق ستالين الذى كان يمثل الأمل القادم من الشرق لفقراء أسيوط، وكثيراً ماكنت تسمع صيحة رجل من الرجال العاديين عندما يرى واقع الظلم أو واقع الثراء الفاحش "بكره ييجى ابوشنب وكل شىء يبقى تمام "أو" فينك يا أبو شنب، تعال خلصنا، وكان ابوشنب هذا هو الرفيق ستالين الذى ملك حبه فؤادى منذ ذلك التاريخ البعيد حتى اليوم، برغم كل ما أثير حوله من قذف وسب على نطاق الحركة الشيوعية المصرية، ولدى القدرة لمناقشة هذا الموضوع والدفاع عن شرف وثورية ستالين العظيم برغم كل شىء.

لقد بدأ هذا الوعى يدفعنى للانخراط فى الحركة الوطنية فى عامى ١٩٤٥، ١٩٤٦، وبدأت أشارك فى المظاهرات فى مدرستى بشكل فعال وأشارك فى تنظيمها، ولأننى لم أكن أعرف طريقا إلى الشيوعيين فى أسيوط فقد كنت وفديا بالسليقة إلى أن بدأت تظهر فى الخمسينيات جرائد الملايين والكاتب ومصر الفتاة وغيرها والتى كنت أقرأها واقتنيها وانشر مبادئها عل جدران الفصول بالمدرسة، وفى تلك المرحلة التقيت بعناصر من حزب مصر الفتاة الذى أصبح الحزب الاشتراكى فاشتركت فى لجنة القسم الخاصة بالحزب بمدينة أسيوط، ولكن سرعان ما تركت الحزب الاشتراكى لاكتشافى عدم مصداقية شعاراته وكان ذلك عام ١٩٥١.

وفى عام ١٩٥٢ حصلت على شهادة التوجيهية، وسافرت إلى الإسكندرية عند أخى الأكبر سيد الذى كان يعمل كواء بالإسكندرية، وكان سيد ومن حوله بعض أصدقائه عاطفين على منظمة "نواة الحزب الشيوعى المصرى" التى أدرك أحد أعضائها العاملين والذى كان مسئولا عن مجموعة العاطفين أننى أصلح لأن أكون عضواً فى المنظمة، وكان ذلك العضو هو محمود درباله عامل النسيج فى مدينة طنطا، وكان هاربا من حكم قضائى فى قضية شيوعية وتقوم المنظمة بحمايته وإعاشته فى الإسكندرية بمساعدة مجموعة العاطفين التى فيها أخى السيد، لقد عرف محمود درباله طبيعة شخصيتى

وادرك صلاحيتى للعمل التنظيمى من خلال قراءته للخطابات التى كنت ارسلها لأخى وأعبر فيها عن مشاعرى الوطنية ومشاعرى تجاه شعبى وما أطمح إلى تحقيقه فى المستقبل لفقراء هذا الشعب، وما كدت أصل إلى الإسكندرية يوم ١٦ يونيه ١٩٥٢ بعد فراغى من الامتحان إلا وكان الزميل محمد درباله فى انتظارى، وفى صحبتى منذ مساء ذلك اليوم، ولم افارق محمود درباله إلا عندما قبض عليه فى قضية اخرى، ولقد كان له الفضل فى تنقية الوعى الذى كان موجوداً عندى، وفى الكشف لى عن افكار النظرية الماركسية والفرق بينها وبين افكار اشتراكية الدولية الثانية الخاصة بحزب أحمد حسين، وكان يقوم بكل ذلك فى بطء وتروى حتى لا اكتشف انه عضو منظم، واستمر هذا حتى صدر الحكم على مصطفى خميس والبقرى بالإعدام ففجر هذا الحكم مكنونات نفسى، وولد فى داخلى رغبة عارمة فى الانتقام الطبقى لهذين المناضلين الذين لم اكن اعرف عنهما إلا انهما عاملان. يومها تمنيت بصوت عال ان اكون عضوا عاملاً فى التنظيم الثورى الذى يكافح ضد الحركة القائمة، ووقتها اخبرنى محمود درباله ان هذا التنظيم موجود وينتظرنى منذ ان كنت فى اسيوط ليستفيد من طاقتى الثورية وصدقى فى حب الفقراء، وعلى الفور انضممت إلى نواة الحزب الشيوعى المصرى وتم تسليمى لمسئول قام بتثقيفى وهو زميل مهندس يدعى ميشيل، وقد كان هذا الرفيق واسع المعرفة، وطريقته سلسه فى توصيلها، وانتظمت فى مقابلات معه مرتين او ثلاث فى الأسبوع، كان يشرح لى النظرية عن طريق محاضرات بسيطة ونحن سائرن على الكورنيش، فى البداية شرح لى المادية التاريخية ثم المادية الجدلية ثم شرح لى الاقتصاد السياسى، كل ذلك فى عملية ربط وثيقة بين التاريخ والجدل والاقتصاد، وكنت اناقش معه ما يصعب على فهمى من معلومات، وبعد ثلاثة اشهر تقريباً ابلغنى باننى أصبحت جاهزاً بالحد الأدنى من المعرفة بالماركسية واننى سانال العضويه بشرط الا افصح عن افكارى الجديدة لأى شخص، وانه لابد ان احتفظ بالسرية الكاملة لأن التنظيم قرر ان اعمل بالجهاز الفنى، وقد كلفنى ذلك الزميل بتعلم الكتابة على الآلة الكاتبة فالتحقت بمدرسة للآلة الكاتبة بالإسكندرية ثم خصص لى سكن إستأجرته بمعرفتى وبمواصفات معينة، واحضرت لى آلة كاتبه لأقوم بكتابة مطبوعات المنظمة حيث كان قد تقرر نقل الجهاز الفنى للمنظمة من القاهرة إلى الإسكندرية لدواعى الأمان، كما أسند إلى تدبير أماكن السكن للزملاء الهاربين إلى مدينة الإسكندرية.

كان هذا الإطار الذى وضعت فيه ضيقا بالنسبة لطبيعة شخصيتى التى تميل إلى الأعمال الجماهيرية منذ أن شاركت فى مظاهرات أسيوط، وكنت أميل إلى العمل العلنى، ولكن صدرت لى التوجيهات الحازمة بأن أحافظ على الأمن وبعد الدور الذى قام به معى الزميل ميشيل أصبح مسئولى الرفيق شعبان حافظ الذى كان مسئول الأجهزة الفنية فى التنظيم، وقد علمنى كثيرا جدا، كنت ألتقى به بشكل يكاد أن يكون يوميا.

وتعلمت منه فكريا وتنظيميا وإنسانيا- لقد كان لذلك الرفيق دور كبير بالنسبة لى المطبوعات التى كان يصدرها التنظيم ، ومن خلال عملى فى طباعة مطبوعات التنظيم أعرف أن تنظيم نواة الحزب الشيوعى المصرى كان له لائحة داخلية وبرنامج واستراتيجية.

وكان التنظيم يصدر مجلة "النصر" وهى المجلة الجماهيرية التى توزع على الأعضاء وغير الأعضاء، وكان له نشره داخلية هى "إلى الإمام" وكانت مخصصة للصراع الفكرى داخل التنظيم وعلى نطاق المنظمات الشيوعية فى مصر، وقد تم طبع كتاب حول الديكتاتوريه العسكرية وكان ذلك على الآلة الكاتبة وبعنوان "لجان المقاومة".

موقف نواة الحزب الشيوعى المصرى من المنظمات الأخرى

كانت "إلى الأمام" تناقش باستمرار مواقف المنظمات الشيوعية الأخرى الموجودة بمصر، وتناقش أطروحاتها الفكرية والسياسية، وكانت تعارض مفهوم منظمة الحزب الشيوعى المصرى "الراية" الذى يقول بأن الحكومة القائمة - حكومة حركة يوليو- فاشية، وقد قامت "إلى الأمام" بعملية عرض تاريخى للفاشية سواء فى ألمانيا أو إيطاليا والظروف الإقتصادى التى أدت إلى قيامها كممثل للاحتكارات الأشد ضراوة فى مجال الاقتصادة الألمانى والإيطالى، وكانت "إلى الأمام" تفعل ذلك من منطلق الحرص على التحديد الدقيق للعدو الطبقى حيث كانت "إلى الأمام" ترفع على صفحتها الأولى "إنه لكى لا يخطىء المرء فى سياستة يجب أن يضع نصب عينيه صراعه الطبقى وهى إحدى مقولات ستالين العظيم التى كانت ميزانا لكل تحليلات النواة الفكرية، والتى غرست فى أيديولوجيات أعضائها، وكان هناك تقارب سياسى فى الموقف من الحكومة

العسكرية بين النواة ومنظمة النجم الأحمر، ومنظمة نحو حزب شيوعى مصرى حتى إنه تم عمل لجنة تنسيق بين المنظمات الثلاث فى العمل الكفاحى اليومى سواء كان سياسيا أو ثقافيا، أما عن منظمة طليعة العمال فكانت التوجيهات تصدر لأعضاء النواه، بالعمل المشترك مع اعضاء منظمة طليعة العمال وذلك فى العمل النقابى، وبالنسبة لحركة الديموقراطية للتحرير الوطنى "حدتو" فقد كانت الهدف الأول للحرب الفكريه، التى تشنها النواة، باعتبار تلك المنظمة واقصد "حدتو" حليفة للنظام الحاكم العسكرى، ومنبراً إنتهازيًا منحرفًا داخل الحركة الشيوعية.

موقف نواة الحزب الشيوعى المصرى من حركة الجيش عام ١٩٥٢

لم تهاجم النواة حركة الجيش عندما قامت، ولكنها وضعت برنامجا طالبت الحركة بتنفيذه، ولم يكن به كلمة هجوم واحدة، وكان البرنامج يتمثل فى طلب إطلاق الحريات الديموقراطية بما فيها حرية تكوين الأحزاب وحرية الصحافة والاجتماع والتظاهر، وإصدار قانون للإصلاح الزراعى وتوزيع الأرض على الفلاحين دون مقابل طبقًا لمبدا الأرض لمن يفلحها وإجراء انتخابات لاختيار جمعية تاسيسية لوضع دستور ديموقراطى يطرح للاستفتاء الشعبى مادة مادة، والإفراج عن جميع المسجونين السياسيين بمن فيهم الشيوعيين وإغلاق المعتقلات وحرية تكون النقابات واستقلاليتها.

وعندما قامت حركة الجيش بإعدام خميس والبقرى صدر اول بيان يهاجم حكومة الضباط ويتهمها بالعمالة لكبار الراسماليين والاستعمار، وبدا التكتيك السياسى للمنظمة يتغير طبقا لهذا الوضع معبرا ان حكومة الجيش ديكتاتورية عسكرية قامت فى احضان الاستعمار لقمع حركة الشعب، وطالبت المنظمة الجماهير بمقاومة هذه الحكومة وإسقاطها، وإقامة حكومة وطنية ديموقراطية (حكومة جبهة) هذا على المدى القصير، وعلى المدى البعيد كانت المنظمة ترى ان قيام حكومة وطنية، وتمتع الجماهير بالحريات كاملة سيساعد الطبقة العاملة على قيادة بقية الطبقات المتمثلة فى الفلاحين والبرجوازية الصغيرة من طلبة وموظفين وذلك للمضى إلى تحقيق الاشتركية، اى ان المنظمة كانت ترى أن الهدف الإستراتيجى هو الثورة الاشتراكية، ثورة واحدة لاثورتين.

الموقف من أزمة مارس ١٩٥٤

فى ٥ مارس ١٩٥٤ فاجأنا مجلس قيادة الثورة ببيان عودة الجيش لثكناته وإطلاق الحريات الديموقراطية وإصدار دستور، وغير ذلك من قرارات، الأمر الذى فجر الحركة الشعبية الديموقراطية فى الجامعات والمصانع، وبدأت الجماهير سواء فى مؤتمرات الجامعات او مؤتمرات العمال وفى التجمعات الأخرى بالالتفاف حول شعارات ٥ مارس الديموقراطية، واستمر ذلك اكثر من عشرة أيام والجماهير فى أوج حماسها لتلك القرارات، وفى نهاية هذه الفترة ظهرت مقولة خبيثة تسربت إلى المؤتمرات والمناقشات الدائرة، فى وسائل النقل بين الناس العاديين أو فى المقاهى، وفحوى هذه المقولة الخبيثة أنه من الخطر رجوع الجيش إلى ثكناته فى ذلك الوقت والإنجليز فى القنال، وانه لابد وأن يبقى الجيش فى الحكم حتى يطرد الإنجليز، وراحت هذه المقولة تنمو شيئا فشيئا إلى ان رفعتها مظاهرات عمال النقل وبعض مظاهرات عمال النسيج الصغار وذلك فى مظاهرات ٢٥ مارس وفى الإضراب الشهير الذى قاده النقابيون الصغيرة امثال انور سلامه فى مجال النسيج والصاوى وشركاؤه فى مجال النقل، وبذلك تحولت المقولة إلى شعار للتنفيذ قام بتنفيذة جمال عبد الناصر بعد أن التف حول محمد نجيب وحدد إقامته، وقيد حركة خالد محى الدين وسلاح الفرسان كما هو معروف إلى أن قام بإبعاده إلى سويسرا.

وكان موقف منظمة "نواة الحزب الشيوعى المصرى" فى خلال معركة مارس هو تكليف أعضائها فى كل مجال بالتوجه إلى الجماهير بشعارات ٥ مارس والديموقراطية، والتأكيد عليها والمطالبة بانتخابات الجمعية التأسيسة والدستور الذى يستفتى عليه الشعب مادة مادة، ومقاومة شعار بقاء الجيش فى الحكم حتى يكمل طرد الإنجليز وذلك بالقول بأن الجيش كان موجودا بالسلطة منذ ١٩٥٢ فلماذا لم يقم بطرد الإنجليز؟

الموقف من تأميم القناة والعدوان الثلاثى:

عندما انعقد مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ كنت فى سجن الحدراء بالإسكندرية، وبعد أن تناقشنا أنا وزملائى قمنا بإرسال برقيات إلى جمال عبدالناصر نؤيد فيها بيان المؤتمر، وحدث نفس الشىء عندما عقدت صفقه الأسلحة التشيكية، وبعد ذلك وقع الحدث الأعظم وهو تأميم قناة السويس فقمنا بتأييد قرار التأميم، وحين وقع العدوان الثلاثى، وكنا بالسجن أنا وعدد من الزملاء كان لنا موقف مشرف إذ ارسلنا برقية لعبد

الناصر نطلب فيها السماح لنا بالتطوع فى المقاومة ونتعهد فيها بتسليم أنفسنا إلى سلطات السجن بعد النصر إذا ما فاتنا شرف الاستشهاد، وهذا مسجل فى محضر جلسة القضية التى كنت متهما فيها انا واخى السيد، وكذلك فى قضية الزميل محمد احمد عويضة إذ نظرت القضيتان فى جلسة واحدة.

وحدة النواة مع منظمات أخرى

فى عام ١٩٥٥ تمت الوحدة بين منظمة النواة والحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى، والنجم الأحمر، ونحو حزب شيوعى مصرى، وعمالية ثورية، وطليعة الشيوعيين، وكانت هناك مفاوضات جارية بشأن الوحدة منذ بداية العام، ودخلت انا السجن لأول مرة فى فبراير سنه ١٩٥٥، ولم اكن قريبا مما حدث إلا انه تسربت لنا اخبار ونحن فى سجن الإسكندرية بأن الوحدة قد تمت وأعلن قيام الحزب الشيوعى الموحد من تلك المنظمات، وصدر لنا تكليف نحن مجموعة الإسكندرية الموجودة بالسجن بالانخراط فى تنظيم واحد، وكنا عددا من أعضاء النواة وعددا من أعضاء الحركة الديموقراطية، جاءتنا هذه التكليفات عن طريق الرفيق لويس بقطر الذى جاء إلى السجن فى ترحيلة من سجن مصر إلى محكمة الإسكندرية فى قضية النواة التى قبض عليه فيها عام ١٩٥٤، وأصدر لى الرفيق لويس تكليفا شخصيا بأن اكون مسئولاً عن التشكيل الموجود بسجن الإسكندرية، وظللنا بالسجن لا نعرف اى اخبار عما تم بشأن هذه الوحدة أو عن المواقف السياسية الجديدة بالنسبة للحكومة إلى ان عقد مؤتمر باندونج واتخذنا بشكل ذاتى الموقف الذى أشرت إليه.

وبعد الإفراج عنى فى ٢١ نوفمبر ١٩٥٦ التقيت بزملائي فى الخارج؛ وعرفت تفاصيل ما تم بالنسبة للوحدة وما قام به أعضاء اللجنة المركزية الذين كانوا موجودين بالخارج وعلى رأسهم محمودأمين العالم وبهيج نصار من المسارعة بالوحدة بعيدا عن الأسس التى كان تنظيم النواة يحددها للوحدة، وقتها كان موقف التنظيم فى ذلك المجال محكوما بشعار الرفيق لينين "لكى نتحد ومن اجل ان نتحد يجب ان تكون هناك حدود فاصلة" كان هذا الشعار هو المرشد والموجه لحركة التنظيم فيما يتصل بعلاقته بالتنظيمات الأخرى.

لقد تمت الوحدة وقسم آخر من اللجنة المركزية فى معتقل ابو زعبل وعلى راسه فوزى جرجس قلب تنظيم النواة النابض وعقلها المفكر، وقد فرضت على هذا القسم توجيهات أعضاء اللجنة المركزية الموجودين خارج السجن بالتوحد مع باقى التنظيمات وذلك طبقاً للعرف الثورى بأن قيادة الخارج لاقيادة السجن هى التى تطاع وعلمت بعد ذلك بما حدث فى معتقل ابو زعبل من صراعات فكرية بين تيار فوزى جرجس وتيار الحركة الديموقراطية فى داخل الحزب الموحد، وانتهى الأمر إلى وجود تكتل تنظيمى كان فيما بعد الإفراج وفى بداية عام ١٩٥٧ أساس قيام منظمة طليعة الشعب الديموقراطية كامتداد للفكر الثورى الذى حملة منظمة نواة الحزب الشيوعى المصرى.

وبقيت أنا فى الحزب الشيوعى المصرى الموحد، وفى أحد الاجتماعات سألنى المسئول السيد حسن عبده عما تم بالنسبة لشخص كنت أفكر فى اقتراح ترشيحه وأقوم بمناقشته فقلت إننى أفضل الترَوى بالنسبة له حتى أثق تماما فسئلت عما إذا كنت أشك فى أنه يمكن أن يكون عنصراً بوليسيا فقلت وما المانع فى أن يكون كذلك، على أن استمر معه ولا يدخل الحزب حتى يكون موثوقاً فيه فقال الزميل المسئول إنه يمكن لهذا الشخص أن يدخل الحزب حتى ولو كان عنصراً بوليسيا لأننا فى جبهة مع الحكومة، وصعقت لهذا القول، وأثير الموضوع مع الزميل ميشيل الذى علمنى الماركسية وأدين له بالكثير، وأذهلنى أن يؤيد الزميل ميشيل قول المسئول فأعلنت استقالتى من الحزب. وفى عام ١٩٥٨ انضممت إلى منظمة "طليعة الشعب الديموقراطية التى أعتبرها امتداداً ثورياً لمنظمة "نواة الحزب الشيوعى المصرى".

وفى عام ١٩٥٨ دخلت منظمة طليعة الشعب الديموقراطية فى وحدة مع منظمة "وحدة الشيوعين" وتكونت منظمة "الطليعة الشيوعية" وإن كانت منظمة وحدة الشيوعين لم تدخل الوحدة فعليا. وفى ١/١/سنه ١٩٥٩ تم اعتقالى فى عملية الاعتقالات الأولى.

موقف طليعة الشعب الديموقراطية من سياسات الاتحاد السوفيتى

كان التنظيم يؤيد سياسات الاتحاد السوفيتى، وبعد صدور قرارات المؤتمر العشرين التى كانت تتضمن إدانة للستالينية أيدها التنظيم على مضض، ولكن بعد إصدار الصين لكتيب "مزيد من خبرة ديكتاتورية البروليتاريا" والذى كان ينظر إلى مواقف ستالين

نظرة موضوعية أيد التنظيم وجهة النظر الصينية.

مصير منظمة الطليعة الشيوعية

فى الواحات وفى يناير ١٩٥٩ بدات تثار من جانب الزملاء محمود المنسترلى وحسنى تمام وعادل كامل أقوال حول تسلط شخصية فوزى جرجس على التنظيم وتشبثه بآرائه فيما يتصل بالوحدة مع حزب ٨ يناير وقد كان محمود المنسترلى وحسنى تمام يجريان مناقشات مع مسئولين فى ذلك الحزب ثم طرحت فى الاجتماعات فكرة الوحدة مع حزب ٨ يناير بدعوى إنه أجرى تعديلات فى تحليله للطبيعة الطبقية للحكومة العسكرية، فتم التخلى عن فكرة منظمة الراية الخاصة بالفاشية وكذلك فكرة الحليف الصديق الذى كانت تحمله بقايا الحركة الديموقراطية داخل الحزب وتم اعتناق فكرة أن حكومة عبدالناصر تمثل الشواشى العليا من البراجوازية الكبيرة وبذلك اقترب مفهوم الحزب من مفهوم الطليعة الشيوعية التى تذهب إلى أن سلطة عبدالناصر تمثل البراجوازية الكبيرة، واشتد الخلاف بين فوزى جرجس ومن معة مثل نجاتى عبد المجيد ومحمود عزمى وبين ثلاثى حسنى تمام ومحمود المانسترلى وعادل كامل الذين كان قلبهم مع حزب ٨ يناير، وتفاقمت الخلافات وطفى على سطحها موضوع حمدى حمدان الذى كان عضوًا باللجنة المركزية سابقًا وأثيرت حوله شكوك الريبة والضعف، واتهم فوزى جرجس من الثلاثى المذكور بالدفاع عند حمدى حمدان وقد انتهت الشكوك باتهام حمدى حمدان بالبوليسية دون دليل واقصى، وابعد من التنظيم وافرج عنه نظرًا لقرابته لكمال رفعت أو لبوليسيته والله أعلم".

واستطاع ذلك الثلاثى أن يكسب إلى جانبه الرفيق شعبان حافظ الذى كان مناضلاً مخلصنا للثورة والشيوعية ولكنه كان عاطفيا، كما انضم إلى ذلك الثلاثى الزميل عادل حسونة، وأعلنت هذه المجموعة أنها الطليعة الشيوعية وأن فوزى جرجس ومن معه. -وكنت أحد أعضاء مجموعة فوزى جرجس - لا يمثلون الطليعة اعتقد أن سبب اتجاه وموقف مجموعة محمود المانسترلى وحسنى تمام يرجع إلى الإحساس بالدونية، بضآلة التنظيم الصغير فى مواجهة تنظيم كبير به حشد من المثقفين والشك فى أن نكون نحن على صواب والتنظيم الكبير على خطأ، وللتاريخ وللحقيقة قد غاب عنا فوزى جرجس فاننى أشهد أن فوزى جرجس كان الكادر الشيوعى الوحيد فى الحركة الشوعية من

قمتها إلى قاعدتها، وقد كانت أفكاره فى مجموعه صحيحة، وكانت تحليلاته صادقة ومخلصة، وقد اثبتت التطورات بعد ذلك صدق تحليلات فوزى جرجس وصدق آرائه الشخصية التى كان يخشى الإعلان عنها فى بعض الأحيان، وقد كان يسرلى بأفكاره حيث كنت قريبآ منه ويجاور فراشه فراشي واتكلم معه كثيرًا، واناقشه كثيرًا خاصة فى الأفكار التى يهاجم بسببها سواء داخل التنظيم او خارجه.

وتم الإفراج عنا، وكان الوضع التنظيمى بالنسبة لكل التنظيمات آخذًا فى التميع إلى أن حل حزب ٨ يناير نفسه ثم تلاه حزب الحركة الديموقراطية الذى فوض كمال عبد الحليم فى اخذ قرار الحل إذا شاء فقام بإعلان الحل، وتبعثرت بقايا الطليعة الشيوعية الملتفة حول فوزى جرجس كاحد توابع الزلزال العظيم الذى انهى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية فى مرحلتها الثانية هذه النهاية الدرامية.

أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥

إن فشل الحركة الشيوعية المصرية فى تحقيق هدفها وهو تكوين حزب شيوعى مصرى واحد مرتبط بالجماهير وقادر على إنجاز المهام الثورية الملقاة على عاتقه خاصة وان مصر كانت حبلى بالثورة الحمراء فى الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن العشرين يرجع فى تقديرى إلى سبب اساسى وهو نشاة الحركة الشيوعية منذ بدايتها منقسمة، وهذا أمر يحيطه الغموض لأن الذين قاموا بإنشاء المنظمات الشيوعية الثلاث التى انبثقت منها بعد ذلك الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى وطليعة العمال كانوا من الأجانب ومن اليهود فلماذا لم يتفقوا وهم قريبون من بعضهم ثقافة وهوية وجنسية على إنشاء منظمة واحدة على أن يكون الصراع الفكرى سبيل توحد أفكارهم فى داخل المنظمة الواحدة خاصة وان تراث الحركة الشيوعية عالميًا يشير إلى هذا الطريق؟

وبالنسبة لفشل التنظيمات التى انشقت على الحركة الديموقراطية مثل العصبة الماركسية ومجموعة "الراية" وغيرهما فى شق الطريق الصحيح للحركة الشيوعية المصرية وتكوين الحزب الشيوعى المصرى الحقيقى والثورى هوان أبطال تلك الانشقاقات كانوا يعبرون عن أفكار ذاتية ترجع إلى معايير ذاتية أيضًا دون أن يصاحب

ذلك عمل نشط للارتباط بالجماهير، وقد يكون ذلك بسبب عجز مادى أو انهم عندما كانوا فى داخل الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى كانوا بعيدين عن التنظيمات والتجمعات العمالية، ومن ثم تحولت تلك المنظمات المنشقة إلى منابر للمقولات النظرية اكثر منها منابر لقيادة الحركة الواقعية للجماهير ولذلك ظلت منعزلة عن الجماهير.

واعتقد أن العامل الأساسى الذى أدى إلى الحل هو أننا ظللنا فى المعتقلات سنوات طويلة منعزلين عن حياة شعبنا بلا أمل فى الخروج منهكين بسبب الاعتقال والتعذيب وسوء المعاملة، ولذلك عندما بدأت سلطة عبدالناصر فى التفاوض مع بعض القيادات للخروج ودخول التنظيم الطليعى مع تمسك الشيوعيين بأفكارهم باستثناء موقفهم من الدين شكل هذا أملاً وطريقاً للعمل دون التخلى عن الفكر الخاص.

شهادة

روحية الساعي[1]

البيانات الشخصية

الاســــــم : روحية عبد اللطيف الساعى

السن ومحـل الميلاد : ٧٠ سنة - المنصورة - قرية بطرة - مركز طلخا.

المـــؤهـــلات : تركت المدرسة وأنا فى الصف السادس الابتدائى، ولم أكمل تعليمى

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ١٦ سنة.

بيانات عائلية :

أنا أخت سعد الساعى أحد أعضاء الحركة الشيوعية، وزوجة المغفور له : إبراهيم عبد الجابر، وهو أيضاً من أعضاء الحركة الشيوعية.

بدايات القراءة :

كنت أحب القراءة كثيراً، وكانت أسرتى تأتى بمجلة الرسالة لأقرأها داخل الحجرة حيث كنا نسكن فى حجرة فوق السطوح، وذات مرة دخل على أخى محمد ووجدنى أقرأ كتاب الرباط المقدس، فأخذه منى يحرقه ومنعنى من قراءته وقال لى : إنه لا يصح أن أقرأ مثل هذه الأشياء، ومنذ ذلك الوقت صممت أن أقرأ كل شئ دون علمهم فكنت آخذ كتب سعد، والنشرات، وأقرأها وهم غير موجودين.

ومشيت طريقاً طويلاً فى القراءة وحدى، حتى أننى كنت أنتهى من قراءة الكتاب فى يومين.

كيفية الانضمام للحركة الشيوعية :

ولدت فى المنصورة، وعشت بها ١٢ عامًا، ثم ذهبت إلى الإسكندرية مع إخوتى سعد، ومحمد، حيث كانا يدرسان بالجامعة. سعد فى كلية الآداب، ومحمد فى كلية العلوم. وظللت بالإسكندرية خمس سنوات، فى ذلك الوقت لم تكن البنات تأخذ حقها فى التعليم، فلم أكمل تعليمى مثل أخوتى، لكنى كنت أقرأ كثيراً، خاصة مجلة الرسالة، فقد كنا عائلة تحب القراءة.

وكان أبى معلماً، يأتى إليه التلاميذ ليتلقون الدرس، فأجلس معهم وأتعلم.

كنت منذ البداية متمردة، غير مقتنعة بأفكار أن البنت مكسورة الجناح ولابد أن تنتظر

---

* أجرت الحوار حنان رمضان - مركز البحوث العربية.

بالبيت حتى يأتى إليها ابن الحلال ليتزوجها.

كرهت هذه الأفكار لدرجة أننى كنت أضرب وأسب كل من يقول لى «إنت بنت» خاصة وأننى نشأت بنتًا وحيدة مدللة. فقد كان أبى يدللنى كثيراً وعندما كنت أغضب ممن يقول لى: «يابت»، كان أبى يهدئ من نفسى ويقول لى: «اللى يقولك يابت، ماترديش عليه، إنت ستهم. ده أنت لوكنت أخدت فرصتك كنت بقيت أحسن منهم».

كانت أمى ترفض تعليمى، حتى لا أخرج من البيت كثيراً، لدرجة أنهم كانوا يخبوننى فى الإسكندرية، ولا أنزل من البيت حتى لا يرانى أحد، لذلك كنت أقرأ وأكتب من نفسى.

لم يكن لأخى وزوجى تأثير على تكوين شخصيتى بقدر ما كان لأبى، فقد علمنى أبى كيف أكون شجاعة لا أخاف، وكيف أحافظ على كرامتى، وأتحمل المسئولية فكان يحملنى مصروف البيت منذ الصغر، فكنت أنا المتحملة مصروف البيت فى الإسكندرية وأنا طفلة.

بدايات الانضمام للحركة الشيوعية:

فى عام ١٩٤٦ لاحظت أن سعد أخى يأتى إليه أناس كثيرون، وكنت أتعجب كثيراً وأسأله: لماذا يأتى كل هذا العدد؟ وماذا تفعلون فى تلك الساعات الطويلة التى تجلسونها معاً؟

وهنا بدأت أعرف أن أخى قد دخل الحركة الشيوعية، وبدأت أتعرف على زملائه وأجلس معهم، وكان سعد يسمح بهذا ولكن فى حدود.

كان من بين هؤلاء الزملاء، عثمان طلبة- طالبًا فى كلية الطب - وهو الذى اهتم بى، وأعطانى كتبًا لقراءتها لأتثقف؟ وهو الذى أدخلنى الحركة الشيوعية بالرغم من عدم موافقه سعد، وكذلك بقية العائلة؟ ولكنى دخلت دون علمهم، فقد كنت شخصية جريئة.

بدأت أقرأ بعض الكتب حيث كانت لها أكبر الأثر على تكوينى الفكرى، فقد قرأت قصة «الأم»، وأعجبت بها كثيراً، وزودت حماسى، فبدأت أحضر الاجتماعات وقد أعطانى عثمان طلبة كتاب "البيان"، وكان يدرس لى بحماس شديد، وكنت أثق فيه جداً.

أسباب الانضمام للحركة الشيوعية:

أحببت الشيوعيين، واقتنعت بأفكارهم، ولو كانوا طلبوا منى إلقاء نفسى فى البحر لما ترددت لحظة.

كانت أفكارهم تناسبنى، وتناسب فكرى، وكنت أرى فيها عدالة اجتماعية، وإتاحة فرص للناس، وهذا ما كنت أريده. فقد كرهت «مجتمع الظلم والعذاب والكذب» الذى كنت أعيش فيه،

وأردت الهروب منه، فلما وجدت الشيوعيين ارتميت في أحضانهم بصورة لا يتصورها أحد، وعندما كان عثمان يطلب مني أي شئ أنفذه وأنا مغمضة العينين.

وبدأت أحضر الاجتماعات غير مهتمة بكوني عضوة أو غير عضوة، فقد كنت أنفذ ما يقولونه دون مناقشة.

نشاطي في الحركة الشيوعية :

تم اعتقال أخي وزملائه في معتقل النزهة عام ١٩٥٨م، فبدأت أجمع الناس والأهالي، وشعرت بأنني لابد أن أقوم بدور.

في أيام احتلال الإدارة - إدارة السجن - ذهبت لزيارتهم، فوجه إلى أحد العساكر بندقية، ووضعها صوب صدري، وقتها كان هناك شخص اسمه فؤاد منير عندما رأى هذا الموقف جذبني من يدي وأدخلني إليهم، ثم جلس وسمع مطالبهم واستجاب لهم، فلم تكن هناك الخبرة الأمريكية بالتعذيب أو الاعتقالات.

وكنا منطلقين أيام احتلال إدارة السجن، فعندما يطلبون مني أن أذهب لوزير الداخلية أجمع الناس وأذهب دون مشكلة، فقد أحدثنا هزة في الإسكندرية أيام الاعتقالات.

أما عن الدور الذي قمت به : فقد كنت ضمن جماعة تقوم بخدمة البيئة بعمل فصول لمحو الأمية، وتعليم الخياطة، وقمنا بعمل مشروع «اتحاد الأمهات» وقد أعلن عنه في الجرائد الرسمية، وكان هذا عام ١٩٥٤م.

كانوا يطلبون مني أن أقابل الناس وأجتمع معهم، وأقدم تقارير بالعمل الذي قمنا به، والفائدة التي قدمناها للناس، وعندما يتم عمل مؤتمرات كنت أذهب لحضورها، وآخذ معي بعض الزميلات من قسم النساء، وكانت معنا أجنبيات لكني لا أتذكر أسماءهن وكنت أقوم بعمل صف ثان، لا أظهر بنفسي، وكنت أقدم التقارير للصف الأول، ليقدموها بأنفسهم، أما أنا فأتكلم كلمة عادية باللهجة العامية.

وعندما تم اعتقال أخي وزملائه أكثر من مرة عام ١٩٥٤، وقتها كلفوني بعمل مظاهرة وأن أمسك لافتة مرسوم بها يدان مكبلتان بالحديد، والحديد مدلدل منهما وأن أقف بها أمام جمال عبد الناصر، ولم تكن المظاهرات وقتها بالشكل الموجود حاليًا، فقد كان زعماء المظاهرة يجلسون على كراسي ويتجمع الناس حولهم.

فقمنا بعمل المظاهرة أنا وزميلاتي، وفي هذا اليوم ضربنا رجال السلطة كثيراً لأننا كنا

ثم عرضونى على زميلتى الأجنبية فأنكرت أنها تعرفنى، وهنا تم الإفراج عنى، وتم القبض علىّ صباحًا، وتم الإفراج عنى فى نفس اليوم الساعة الثانية بعد منتصف الليل، بشرط ألا أغادر الإسكندرية.

تم الإفراج عنى عندما أنكرت زميلتى الأجنبية أنها تعرفنى، وأدلت بأوصاف أخرى لليلى التى تعرفها وكانت تقابلها، وذلك رغم أننى صرخت فى وجهها عندما رأيتها وقلت لها «كده يا أولاد الكلب تعترفوا كلكم»

فى ذلك الوقت أرسل إلى فؤاد منير قائلاً «إنت فاكرة نفسك مين إنت ماتساويش حاجة» فقلت له «اتنيل، جاتك نيلة، اللى عملك لجنة مركزية حمار" وتركته وذهبت.

وهذا قبل أن يعترف فؤاد منير؟ أما عن سبب رفضى الزواج منه فلأنه كان طبيبًا وغنيًا، وكنت فقيرة، ولم يكن هو الشخص الذى أفكر فيه، فلم يعجبنى، وكان مغرورًا وتخيل أنه لو تقدم لخطبتى سأجرى عليه، ولكنى رفضت حتى أذله. أما عبدالجابر، فكان صعيدى وبه مميزات كثيرة.

وقتها كان أخى محمد خارج حجرة التحقيق، كاد يجن من القلق، فدخل لوكيل النيابة وسأله ماذا فعلت أختى كى يتم القبض عليها فأجابه «أختك حزب سرى"، وسخر منه قائلاً: ألا تدرى ماذا تفعل أختك"؟

فعندما خرجت من النيابة عنفنى أخى كثيرًا، ووقتها كنت منهارة من اعترافات الزملاء وخاصة: اعتراف عثمان طلبة.

وعندما سألت عثمان طلبة، كيف تعترف يا عثمان؟ قال إن فؤاد منير «ابن الكلب» اعترف علينا جميعًا وكانوا يأتون بالزملاء ويحذبونهم أمامه؟ ويقول لهم: اعترفوا كما اعترفت أنا ولذلك لم يأخذ فؤاد منير حكم، وخرج دون أى ضمان.

الاجتماعات:

كانت اجتماعاتنا كثيرة، وأعداد الأفراد فيها كثيرة، فقد كنا نحدث ضجيجًا فى الإسكندرية، ولكن كان من بيننا سيدات غير مخلصات: أى من المباحث حتى أننا وجدنا أن أسماءنا الحركية أصبحت تردد فى الشارع، وفى أحد الاجتماعات سألتنى سيدة: «إنت اسمك ليلى؟» فقلت لها لا، ولا أعرف شيئًا عن هذا الاسم، فقالت لى «أنا متأكدة». فقلت لها: تأكدى جيداً من معلوماتك، فأنا اسمى روحية.

عندما عدت إلى المنصورة جاءنى زميل اسمه صابر زايد – من الإسكندرية– وقال لى «لابد وأن تتركى البيت حالاً حيث يوجد حملة للقبض عليك» ولم أكن أعرف وقتها إلى أين أذهب، فأخذنى إبراهيم إلى القاهرة لأقيم مع أخته، وحتى لا يعترض أحد تزعم أنك ذهبت إلى مصر لتتزوجى، ووقتها اعترضت أمى بشدة لأنها لم تكن راضية عن زواجى من إبراهيم، وكان إبراهيم يعمل محامياً.

وبذلت مجهوداً كبيراً كى أقنع والدى ووالدتى، حتى أن والدتى أصرت أن أنزل دون أن أبدل ملابسى ولا حتى أمشط شعر رأسى وظلت تصرخ أثناء نزولى (يابنتى ياللى ماعنديش غيرها) ثم أتيت إلى مصر، ووصلت إلى شارع الدُّرى عند ابن عمة إبراهيم، وقد اندهش ابن عمة إبراهيم وأخذ يسأله : (هى دى روحية، هى دى مراتك، وقعتك سودا) حيث كان شعرى غير ممشط، وملابسى غير مرتبة، فكيف آتى بهذا الشكل لأتزوج؟

وفي ذلك الوقت لم تكن هناك شقة للزواج، وقد أصر أبى على عمل «عفش» لى فأحضره بعد زواجنا بحوالى خمسة عشر يوماً.

وقد أخذت معى إلى مصر حقيبة مليئة بكتب الشيوعية، وهنا سألتنى زوجة عبد المنعم غلاب أخو عبد الغفار : أين ملابسك ؟ فقلت لها إننى لم أحضر سوى تلك الحقيبة – حقيبة الكتب – وقد استغرب الجميع من أحوالى وأنا عروسة لها هذا الشكل غير المرتب ولم تحضر معها سوى حقيبة كتب وكان كل من يسأل عن العروسة؟ أقول لهم : ها أنا ذا وتلك مبائى.

ووقتها لم أكن أريد سوى أن يخرجنى أحد مما أنا فيه، وقلت لزوجة عبد المنعم غلاب «إننى متعبة جداً وأريد أن أنام» وقد كانت لطيفة معى فى حين كانت أمى فى شدة القسوة على وكانت دائمًا تقول لى : «وقعتك سودا، جبتلنا العريس ده منين» رغم أننى تزوجت بالطريقة الريفية القديمة، حيث رآنى فى اجتماع فتقدم لأخى محمد ووافق عليه محمد بسرعة رغم أن محمد كان يرفض دخولى فى هذا الطريق، ثم انتقلت إلى السكن الجديد بالعجوزة، ولم يقم معى إبراهيم، بل يأتى خفية لأنه كان هارباً.

كنا نعمل جادين فى الإسكندرية، وكنت أعرفهم فرداً فرداً، ولم يكن يهمنى ماهى مكانتى بينهم، فكنت أعتبرهم أنبياء، لو رآنى أحدهم عارية لا ينظر إلى، ولكن عندما تمت هذه الاعترافات، مررت بأزمة نفسية بعد الاعترافات والاعتقالات، وبعد تلك الاعتقالات قلت لهم جميعًا إننى لا يمكن أن أتزوج من أى شخص منهم، أنا أحبكم لأنكم مضحين وملتزمين، وتحققون لى صورة المجتمع الذى أريده، كل هذا كان عام ١٩٥٤.

تم القبض على محمود توفيق، وصلاح حافظ، وأخر من المنصورة، وإبراهيم زوجى تم القبض على الأربعة فى مصر، ولم أكن أخاف من القبض على إبراهيم، رغم أنه كثيراً ما كان يحذرنى ويقول لى «لو اتمسكت هاخذ عشر سنين» ولم أكن أبالى رغم أننا لا نملك ما يعيننا على العيش.

كنت أعرف محمود توفيق وصلاح عن قرب، حيث كانا يأتيان إلى البيت كثيراً، تم القبض عليهم وكنا فى بيتنا الجديد، ولم يمر علينا سوى أيام قليلة.

وعندما جاء وكيل النيابة للقبض عليهم وجد بالبيت صوراً لنا فى مظاهرات، وخطابات وأشياء أخرى فأخذوا كل شئ، وقبضوا على بائع اللبن، وبائع الخبز، ومجموعة من الناس فى الشارع، ولم أكن أعرف أى شئ فى القاهرة، لذلك لم يكن لدى أى رد فعل سريع أما في الإسكندرية، فقد كانت تملأنى طاقة وحيوية ومعرفة بالأشياء تجعلنى أفعل ما أشاء وبالنسبة لى، لم يتم القبض علىَّ أبداً، بل كانوا يأخذوننى يوماً واحداً ويخرجوننى فى نفس اليوم، ولم يقبض علىَّ حتى فى عام ١٩٥٩.

وبعد القبض على إبراهيم والثلاثة الآخرين، طلب إبراهيم من عبد المنعم غلاب ألا يتركنى فى الشقة وحدى وعندما عدت إلى الشقة فى نفس يوم القبض عليهم وجدت كل شئ فى لشقة، قد أُخذ وأصبحت خالية من كل شئ.

ذهبوا إلى أخى محمد وسألوه عن مكان زوجى فقال إنه لا يعرف شيئاً عنه، فأخذوه وقد تم القبض على سعد، حاولوا أن يأخذونى رهينة حتى يظهر إبراهيم ويتم القبض عليه فصرخ محمد فى وجههم كيف تأخذونها وهى فى هذه الحالة (حيث كنت حامل فى الشهور الأخيرة).

وعندما رجعت إلى مصر وذهبت إلى الشقة وجدت أصحاب البيت قد أخذوا الشقة ومابها وأجروها لشخص آخر وكان ذلك أيام إعدام الإخوان؛ حيث كان يطلب من الساكن أن يقدم بطاقته الشخصية، فلما طلب صاحب البيت البطاقة الشخصية، لم أعطها له ولهذا أخذ العفش، وقام بتأجير الشقة لساكن آخر، وعندما سألت عن الأشياء التى كانت فى الدواليب، قال صاحب البيت إنه ترك الدواليب عند البواب لأنه فشل فى فتحها، وقد كان فيها كل شئ.

ثم نقلت العفش، وكان المطلوب وقتها أن أبلغ القسم بما حدث، لكنى فى ذلك الوقت.. لم تكن لدى كل الخبرة الكافية.

وقتها سألت على كمال وطلبت من زوجة صلاح حافظ (هدى زكى) أن تدلنى على مكانه. فجاء كمال، وطلب منى العفش، لأن هناك شخص يريد أن يتزوج عليه، فصرخت فى وجهه.

كيف تدوسون على عواطفنا بهذا الشكل؟!ولم أعط له العفش أبداً، وقالت له زوجته هدى إننى أقول عليه إنه بوليس.

عُدت إلى الإسكندرية، وكان أخى محمد قد خرج من السجن وعدنا إلي شقتنا فى الإسكندرية، بعد أن قضى فى السجن تسعة أشهر.

لم أكن أستطيع الوصول إلى إبراهيم، ألطاف زوجة الخميسى وفتحية العسال، دلونى على مكانه، فذهبت إليه وسألته : ماذا أفعل؟ فقال لي : لا تفعلى شيئاً، فلم يكن الشيوعيون يتفقون مع زوجاتهم على خطة بعدية، فتركوهم حائرين، وهذا ما كان يضايقنى حيث أرى أنه من المفروض أن يتفق الشخص مع زوجته على ما تفعله حين القبض عليه حتى لا تحتار.

وقد عزمت على انتظار زوجى عشر سنوات (حيث حكم عليه بعشر سنوات) وهذا رغم لوم كل الناس لى على ذلك وعلى رأسهم والدى والدتى، وحتى أقارب إبراهيم فقد كان له عم يعمل وزيراً، وأخبرنى بأنه سيأتى لي بعريس، فصرخت في وجهه ورفضت ذلك بشدة .

حضرت المحاكمة بعد ولادتى (ولم تستغرق المحاكمة خمس دقائق وصدر الحكم بحبسه عشر سنوات وتم ترحيله إلى الواحات وقد كانت أول دفعة تذهب إلى سجن الواحات وكانت تهمته أنه محترف سياسة.

الولادة : ولحظات الألم

لم تكن بينى وبين إبراهيم قرارات مدروسة، فقد امرنى إبراهيم ان اتم ولادتى فى بيت أهله بينما حذرنى الطبيب من عدم الولادة فى مستشفى، فذهبت إلى الصعيد عند اهل إبراهيم حيث رفض خال إبراهيم ان اذهب مع ابى حينما جاء ياخذنى لألد عند امى وقال هذه زوجة ابننا ولن نتركها تلد بعيداً عنا.

كنت انفذ اوامر إبراهيم دون مناقشة سواء كنت مقتنعة بها او غير مقتنعة فذهبت إلى الصعيد، ووضعت ابنتى فى البيت - بيت اهل إبراهيم - علي يد الداية، رغم تحذير الطبيب لى من الولادة فى المنزل، لأن تقاليد الصعيد تمنع الولادة على يد الطبيب ولقد تعبت كثيراً فى الولادة حيث كان لدى ورم ليفى.

وضعت طفلة جميلة، ولكن بعد أيام من الولادة صحوت من نومى فلم اجدها بجانبى، ولما سالتهم، أين ابنتى؟ أجابوا «ماتت -غارت فى ستين داهية، فهم لا يحبون البنات.

بعد سماعى هذا الخبر انهرت وظللت فى غيبوبة لمدة ستة اشهر، وعندما عرضونى

على الطبيب قال لى ، ألم احذرك من الولادة فى المنزل.

لم يكن مهمنا بالنسبة لى تلك السنوات العشر التى يقضيها إبراهيم فى السجن، ولا سرقة ملابسى وعفشى، بقدر ما همنى موت تلك الطفلة الجميلة التى هى جزء منى ومن كيانى فقد رايتها وهى تصرخ، وقد احضروا سيدة تدوس على راسها حتى تسكت فقد اتعبنى عذابها.

عندما عدت من الصعيد وجدت إبراهيم بحاكم، ثم أخذوه منى إلى سجن الواحات، وكانت تلك هى الدفعة الأولى التى ذهبت إلى سجن الواحات.

وجدت نفسى وحيدة، الكل بعيد عنى، وسالت عن كمال عبد الحليم ولم أجده، فلم يكن إبراهيم مهتما بالناس.

ولهذا ذهبت إلى الإسكندرية واقمت مع اخى محمد، وكنت أسافر إلى الواحات لأزور إبراهيم.

موقف الحزب من زوجات الشيوعيين

لم يكن الحزب يهتم بزوجات الشيوعيين أثناء قضاء الأزواج فترات السجن، فقد ظللت طوال العشر سنوات لم يطرق بابى أحد من أفراد الحزب ليسألنى هل أحتاج شيئا أم لا، ولم أمد يدى لأى شخص أبدا.

وهذا رغم اننى كنت مسئولة عن عمل العائلات فى الحزب وكنت اذهب للعمل سيرا على الأقدام، من تريد ان تذهب للطبيب اذهب معها، ومن تريد مالاً أعطها ما استطيع؛ وادعم هذا بالتشجيع على المستوى النفسى، واجمع التبرعات العينية والنقدية، وقد كان لى زميلة تمتلك مصنعا للملابس فكانت تعطينى اربعين غيارا للتبرع بها، ولم تكن عملية التبرعات اوعمل العائلات عملية منظمة، كنت اقوم بهذا العمل واقدم التقارير للمسئول.

واثناء قضاء إبراهيم لفترة السجن ووجدت فؤاد منير يزورنى ويعترف انه اخطأ قديما، فاوقفت هذا النقاش.

هرب كمال عبد الحليم عند فؤاد منير، وقد اعترضت على هذا وانكرته بشدة ولم اكن ادرى بهذا الموقف من البداية وإنما علمته عندما سمعت كمال عبد الحليم يدافع عن فؤاد منير، وقد طلب فؤاد منير ان اذهب إليه حيث كان يدفع ثلاثة جنيهات لزوجة

احد الشيوعيين، وكان يتعبنى كثيرا حتى يدفعهم.

ثم جاءنى تكليف من الواحات بان اذهب إلى فؤاد منير رغم اننى كنت ارفض هذا بشدة وعندما سمعت هذا قلت «يا اولاد الكلب ، كيف اذهب إليه» ولكن كان هذا تكليف ولابد ان اقوم به، فبدات اذهب إليه، وكان يتلذذ بذهابى إليه وذات يوم منعنى التمرجى من الدخول فصرخت فى وجهه، قائلة «يلعن ابوك لأبو فؤاد منير بتاعك.. إوعى كده» ودخلت لفؤاد منير وقلت له «انا مش جاية اشحت منك إنت بعت للواحات وقلت إنك هاتدفع فلوس»

فنظر إلى فؤاد منير وقال ، ستظلين طويلة اللسان إلى متى؟ فاخذت منه فلوس التبرعات وخرجت بسرعة.

وكان فؤاد منير يعد بان يتبرع بالنقود ولا يفى بوعده احيانا، وذهبت إلى زوجى إبراهيم فى السجن وطلبت منه الا يطلبون منى الذهاب إلى فؤاد منير مرة اخرى، لأنه «يتلذذ» بوجودى معه وانتظارى له حتى يعطينى التبرعات، قلت لإبراهيم، لن اذهب إلى فؤاد منير مرة أخرى حتى لو كان هذا تكليفا؟ وافعلوا ما تريدون.

اما عنى انا فلم امد يدى إلى احد، ورضيت بان اعيش طوال هذه السنين بلا اى معونة خارجية.

كان الناس فى الإسكندرية اكثر من اهلى ولكنهم كانوا يعتقدون أن هناك نقودا تاتى إلىّ من روسيا.

اما عن السبب الذى جعلنى لا امد يدى للحزب ابدا فهو اننى سمعت ذات يوم احد اعضاء الحزب وكان اسمه عبد المنعم إبراهيم، وزوجته اسمها عواطف، سمعته يقول فى اجتماع إن الحزب ليس جمعية خيرية، تاتى إليه اى زوجة من زوجات الشيوعيين لتاخذ نقودا، ومنذ سماعى لهذه الكلمة وانا آخذة على نفسى عهدا بالا امد يدى لأحد ابدا وظلت هذه الكلمة فى ذهنى طوال الوقت.

كنت اجمع ما اقدر عليه من التبرعات من اناس عاديين ليسوا فى تنظيمات

لم استطع انا وسعد ان ندفع إيجار الشقة، فخيرنى محمد إما ان اذهب إلى المنصورة او اسكن فى شقة فوق شقته حجرتين وصالة، ولم اكن اريد ان اذهب إلى المنصورة، فذهبت انا وسعد إلى تلك الشقة، ولم يكن معى اية نقود فلم اكن اعمل، وكلما عملت فى مكان يتم فصلى فى اليوم التالى واسمع نفس الجملة «جاءتنا اوامر من

جهات عليا بفصلك.

تعلمت الآلة الكاتبة واردت ان اقوم باعمال السكرتارية، ولكن لم يقبلنى اى مكان، فكنت آكل واشرب فى بيت محمد.

وكانت كل التليفونات فى البيت تاتى لى شخصيا، ويظل البيت دائما مزدحما بضيوفى سيدات ورجال؟ وكل من يريد نقودا من عائلات أفراد الحزب ياتى إلى ولم يكونوا يصدقون اننى لا أملك نقودا حتى إن بعض السيدات كانت تاتى وتقف تحت المنزل وتقول بصوت عال «يابنت الكلب ياروحية عايزين فلوس».

كنت أعانى كثيرا من قلة النقود والمال، حتى إننى ذات يوم بعت شبكتى لأذهب إلى الواحات لزيارة إبراهيم، وكانت تاتى معى ام زهدى الرسام، فقد كانت سيدة نشيطة، تاتى معى هذا المشوار الصعب - مشوار الواحات - وكنا ناخذ تصريح الزيارة من نيابة أمن الدولة، ونـاخذ معنا كل ما يطلبونه اثناء الزيارة حتى إننى ذات مرة اخذت معى مرتبة للنوم، وكانت هناك طرق معينة ناخذ بها الورق إليهم، وكان فؤاد حبشى مازال على قيد الحياة، فكنت اذهب إليه وآخذ منه ما يريد أن يرسله إليهم فى السجن واوصله لهم، وكانت زيارتى للسجن لطيفة.

وكان الناس يظلون حولى حينما أشعر بالتعب من عدم زيارة إبراهيم بسبب قلة المال، فكانت صديقتى تعطينى مالاً اذهب به، وكانت نقابة المحامين تصرف لى ثلاثة جنيهات شهريا، كنت أدفعها فى الجمعية.

القبض على سعد الساعي واعتقاله

تم القبض على اخى سعد عام ١٩٥٩، وكان سعد اخى رياضيا، فضرب فيهم جميعا، فضربوه وقبضوا على محمد معه.

وتمت محاكمة سعد، وكنت أذهب إليهما فى المحكمة، ووقتها طلبوا من سعد دفاعا سياسيا، وهذا معناه أنه سيحكم عليه بعشر سنوات.

ولم اكن أعلم تهمة سعد، هل هو مسئول تنظيم أو غير هذا فم تكن تهمنى هذه المسالة.

حكم على سعد بسبع سنوات، ولكنه قضى ثمانية عشر عاما فى السجن وكانوا يضربونه بشده، وعندما ذهبت إلى زيارته وجدت كل جزء فى جسده ينزف دما وقال لى

سعد، اترين ياروحية ما يفعلونه بنا هنا؟

فذهبت إلى المامور وصرخت فى وجهه «يا ولاد الكلب» فضربونى بشدة حتى تعرضت للإغماء، وقد كان هذا فى العاشرة صباحًا، وافقت فى الرابعة عصرًا، وضربوا سعد أيضًا فى نفس اليوم، ولن انسى هذا اليوم ابدًا حتى اننى احلم به فى كل يوم، واحاول الهروب من النوم حتى لا ارى فى منامى منظر سعد فى هذا اليوم.

الخروج من سجن المعتقل إلي سجن الحياة

خرج سعد عام ١٩٦٤م، وخرج إبراهيم فى نفس العام. سافرت مع إبراهيم إلى الصعيد فور خروجه من السجن، وهناك قالت امه، إما انا أو روحية فى هذا البيت، واختار إبراهيم إلى أين يذهب بى، فاخذنى إلى الإسكندرية، فرفض محمد وقال لإبراهيم، كيف تكون انت زوجها ونحن الذين نحميها وانت داخل السجن وخارجه أيضًا؟

ووقتها راجت إشاعة تزعمها فؤاد منير اننى ساطلق من إبراهيم، فاتصلت بإبراهيم وطلبت منه ان ياتى فورًا لياخذنى، انا ارفض الطلاق، إن اردت ان تطلقنى انت فلتفعل، اما انا فلا أريد الطلاق.

فاخذنى إبراهيم من الإسكندرية إلى أخيه فى مصر، ولم يكن إبراهيم قد استلم عملاً بعد، حتى اوجد له عمه فرصة عمل فى الأهرام.

كنا في هذا الوقت فى حاجة شديدة إلى نقود لنؤجر شقة نسكن بها، ولكن لم يمد إلينا احد يد العون بالرغم من اننى لم اتاخر عن خدمة اى فرد، وكنت اعتقد انهم سيقدرون خدمتى لهم، خاصة عند خروج إبراهيم لكننى وجدتهم يقولون إن إبراهيم لم يرغمه احد، وانت ظللت هكذا برضاك. وجئت إلى البلد فوجدت موقف الناس مختلفًا، وذهبت إلي احد الأصدقاء، وليس هناك داعيًا لذكر اسمه، فقال لى إن كل مايستطيع ان يفعله من اجلنا هو ان يعطينا حجرة فى شقته، ورفض ان يقابلنا. ثم جاء شخص تربى معنا منذ الصغر من البلد؟ وسالنى ماذا تريدين ياروحية، فقلت له نريد نقودًا ندفعها مقدم شقة، فاعطانى نقودًا لأعمل جمعية واقبض المقدم، فدفعت مقدم الشقة من الجمعية.

الحزب الطليعى

حدثنى إبراهيم عن الحزب الطليعى اثناء زياراتى لهم فى الواحات، وفى احد الزيارات ذهب معى سعد زهران، ومنذ ركوبنا القطار وهو يستفزنى بكلام كثير كالسخرية منى او من سعد او من إبراهيم، ويقول اناس منقسمون فقلت له «لا اريد ان اسمع هذا الكلام، فنحن فى رحلة، اقول لك إنك لا تستطيع كرجل ان تحمينى؟ انا استطيع حماية نفسى، ولكن امام المجتمع انت تحمينى» فوافقنى.

ذهبنا إلى الواحات، وكان الضباط يناقشوننا اثناء الزيارات، وكانت معنا زميلة اسمها عايدة، خطيبة وليام (الرسام)، فاخذ سعد عايدة وذهب بها فى حجرة اخرى، وصحوت من النوم فوجدت المامور والضابط يقفون امامى، وعندما اعترضت وصحت فى وجه سعد زهران اله اقل لك الا تدخل على احد اثناء نومى، حيث كانوا يتركونا نبيت فى استراحات. كان هذا فى المرات الأولى حيث كنا ناخذ قطار أطفيح، ونظل هناك اسبوعا، اما فى المرات الأخيرة فكنا ناخذ سيارة نذهب بها وننتظر السيارة لنعود بها إلى اسيوط فى نفس اليوم، وكان هذا يكلفنا الكثير وكان هذا موقف لن انساه لسعد زهران، ويومها قال لى ، إذا كان هذا لا يعجبك فاتركينا وارحلى.

كنت اقول لسعد «افترض انهم منقسمون، فما دخلى انا»

زرت الواحات مرتان مع الأستاذ فوزى حبشى حيث خرج من السجن قبلهم، وكان فوزى يدعي انه اخى، حتى قال له الضابط «اسمك فوزى حبشى وقبطى واسمها روحية الساعى ومسلمة، فكيف تكونان اخوين، وكانوا يتركونا نبيت فى غرفة واحدة، ويصنتون على الأبواب، ولكن فوزى حبشى كان إنسانا لأقصى درجة بعكس سعد زهران فقد كان لسعد زهران مواقف لن انساها.

كانوا يناقشوننا اثناء الزيارات فى اننى ساخسر إن ذهبت معهم، فهم منقسمون وطلبوا منى ان انضم لأحد الانقسمات، فقد كان هناك تكتل داخل التنظيم ولكنى رفضت، وقلت إنه لا دخل لى بهذه الانقسامات، فانا اعرف ناسى، وعندما حدث الانقسام قدمت للحزب وثيقة باننى لا اوافق على هذا الانقسام وقسم النساء.

عدت من زيارة سعد زهران وانا منهارة ، فقد احسست بعد هذه الزيارة بان الحزب سيحل، وان هناك مساومات تحدث من وراء ظهورنا.

وكانت هذه المناقشات تتم امام عينى حيث كان سعد وإبراهيم في مكان واحد، فقد ضاعت كل هذه التضحيات وكل ما عملناه هدرا!.

ناقشني أحدهم، وعندما أحسست بانحدار حال الحزب قلت له ، إذا كان هذا هو ثمن كل التضحيات فلا أريد شيئًا منك، ولا أريدهم أن يخرجوا من السجن، ولن أدخل الحزب مرة أخرى، فلن يسمح لكم عبد الناصر أن تفعلوا شيئًا تحت لوائه، أما الذين يقولون إنهم يقابلوكه ويقابلوه فأنا لا أصدقهم ولا أصدق هذا الكلام، فقال لى طوال عمرك كنت يسارية والآن أصبحت يسارية بقدر زائد، فقلت له. أنتم الذين أضعتم كل تضحياتنا، وأنتم الذين أغلقتم بيوتنا عشرات السنين والآن تقولون انقساما، لا أريد هذا الثمن.

فقال لى إنه قد وقع على الاختيار أنا وزميلة أخرى ، وكان هذا عام ١٩٦٢ ، وكان سعد وإبراهيم والزملاء لم يخرجوا من السجن بعد.

وعندما خرج إبراهيم، وانحدر حال الحزب، فقلت له لا تدخل البيت أنت لست زوجي وأنا لا أعرفك طالما انحدر حال الحزب بهذ الشكل.

ولم يحضر كل الأشخاص حل الحزب؛ وكنت وقتها في أسيوط، ولا أتذكر هل جاء سعد أم لا، وقد جاء شحاتة عبد الحليم وزملاء الإسكندرية وقد قال لى شحاتة عبد الحليم من لا يعجبه حل الحزب سنسقيه إياه بالملعقة.

وقد جاءني مرة وقلت له ، ماذا تريد مني، لن أعمل بالسياسة مرة أخرى وسأمسح بلاط بيتي.

عندما خرج إبراهيم من السجن وذهبنا إلى أسيوط رأينا أيام عصيبة، ولم يكن إبراهيم يريد أن نستأجر شقة، حيث كان ينوى الاستمرار في السياسة ويحترفها فأقول له ، وما الفائدة إذن بعد أن حل الحزب؛ فكنا دائمى الشجار بسبب هذ الموضوع.

في ذلك الوقت كان كل من محمود أمين العالم وأنيس منصور ، وإسماعيل صبرى قد انضموا إلى الحزب الطليعى، لكنهم كانوا كالتماثيل الشمع لم يقوموا بأى إنجاز، وكنت أقول لهم ، رغم أننى لم أصل إلى درجة وعيكم لكننى، بعيدة النظر عنكم، فمنذ الصغر، وأنا أناقش، ولى رأي شخصي فقد كشفهم الحزب الطليعى أمام بعض، وبدأت الناس تسب بعضها، فهناك من وجد عملاً، وهناك من لم يجد ولديه زوجة وأطفال، فقد مرت أيام عصيبة حيث أرادوا أن يطلقوا زوجات من أزواجهم فى الراحات، وقد قمت وقتها بدور كبير، وكان هذا عام ١٩٦٣ ، فقد كان هناك من يتصل بالزوجات ويقول لهم، إن المسجونين لن يخرجوا من السجن فاطلبوا الطلاق، وكان من ضمنهم درية الأهوانى

زوجة احمد الرفاعى كانت تقول لى : المباحث قالت لى «ما تكلميش روحية، وقالتلى حايموتوا المسجونين» فكنت أقول لها «لا تصدقى هذا الكلام، وعندما أرادت صفية طلبة الطلاق من سعد حاولت منع إتمام الطلاق.

بعد وحدة ١٩٥٨ بداوا يأخذون منى الناس ويعدونهم، وكنت فى الإسكندرية أثناء وجود سعد رحمى، وبدات تنتشر تشنيعات على عجيبة أثناء الاجتماعات مثل «روحية الساعى بوليس وزوجها ضابط بوليس وقد اخذ عشر سنوات لأنه بوليس» وهذا أثناء الوحدة، وبدات أسماؤنا الحركية تنتشر ونعرف، وكانت اجتماعاتنا تناقش فى جلسات.

وهذا رغم اننى لم اجتمع من قبل مع اناس مختلفين او مشتبه فيهم، فقد ابعدونى واخذوا منى الناس، وقد دخلوا ليس على أساس التوحد، وإنما للتفريق، فقد كانت أعدادنا كبيرة حوالى ٣٠ أو ٤٠ شخصا فى الاجتماع الواحد وكان هناك مسئول يأتى إلينا، ولم تكن هناك سوى مجموعة واحدة فى الإسكندرية، ثم اخذوا منى المجموعات واتوا لهم بسيدات أخريات لكنهم اعترضوا وقالوا إنهم مستريحون مع روحية الساعى، فقد كنت مسئولة لفترة عن اجتماع أساسى.

وعندما جاء شحاته ليقول إن الحزب سيحل، اعترضت بشدة وقلت : لماذا يحل الحزب؟ فلم يحدث هذا من قبل. فرد شحاته وقال لا لقد حدث فى المانيا؟ فقلت له نحن فى مصر ولا شان لنا بالمانيا.

عندما كنا نريد عمل توقعيات للإفراج عن المسجونين والمعتقلين، كنا نجد كل الناس توقع، حتى إن بائع السمك كان يرفض ان يبيع السمك حينما يعلم انه سيذهب لمن يحاكمون المعتقلين؟ فقد كانت الناس متعاطفة معنا جدا.

وكان سعد رحمى يقول إن الناس تتعاطف معنا لأننا حريم ونحتاج الحماية فكنت أنهره بشدة واقول له : انت كزعيم لابد ان تنزل لمستوى هؤلاء الناس وترفعهم، لا ان تقول هولاء حثالة.

فاقول له : هؤلاء الحثالة يساهمون وانتم الزعماء لا تساهمون، اليس هؤلاء هم البروليتاريا الذين تدافعون عنهم؟

فلم يكن يحمينا عند عمل مؤتمر او عمل مظاهرة إلا هؤلاء الناس.

انتخابات ١٩٥٧

كانت امينة شكر مرشحة لنفسها عن الإسكندرية، ووقفنا معها فى الانتخابات وقمنا بدور كبير، وقمت معها انا شخصيا بدور كبير فى الانتخابات، لكنها حينما علمت حقيقة شخصيتى ونشاطى وعلمت من هو زوجى اتصلت بى وشتمتنى. فقد كانت امينة شكر شخصية عادية لا تفهم شيئا.

ولم يكن احد من افراد الحزب مرشحا نفسه، وإن كان هناك بعض الناس المتعاطفين معنا مثل عبده سلام، رغم ان هناك اناس لهم شعبية كبيرة ولم يرشحوا انفسهم مثل حمزة البسبوقى وفؤاد منير.

اختلف الحزب مع عبد الناصر فاراد افراده تكوين حزب جديد، فاعترضت وقلت لهم اتركوا الفرص لأفراد جديدة، فالسياسة ليست ميراث، فلم تعودوا الآن نافعين مثل الماضى، ومن سيخلق منكم بيتا سأقطع له يده وعندما قال لى احدهم إن هذا الكلام لا يصح ؛ قلت له، لا بل يصح، فلم يمد أحدكم يده لى، قال اوجدنا لك فرصة عمل فى دار الثقافة. وقد رايت متاعب كثيرة فى هذا العمل حيث كانت المعاملة هناك سيئة، وكان المسئول فى هذا الوقت هو حليم طوسون، وكان اجرى عشرة جنيهات فقط، واعتبرت من هناك أولادى وعملت هناك عامين، وعندما رآنى فاروق ثابت رحمه الله انزعج وقال لحليم طوسون ، الم تجد إلا روحية الساعى، إنها كثيرة الأسئلة والنقاش فقلت له ، انا لست فى بيتك انا هنا فى دارنا، وانا لا اريد منكم شيئا بل جئت هنا لأعمل بمجهودى.

موقف الحزب من سياسة عبد الناصر

كانت تتم بيننا مناقشات كثيرة حول حكم عبد الناصر، وسياسته فى التمصير وقد ايدنا الثورة بشدة، وكنا سعداء بها جدا، ومازلت اقول إن عبد الناصر له مواقف جيدة بقدر ما كان له ايضا مواقف سيئة فهو السبب فى تعليم الفقراء، والإصلاح الزراعى، وبناء السد العالى والوقوف ضد الاستعمار.

كنا ايام الحرب لا ننام ليلاً او نهارا، وكونا فريقا مدربا، وكان لنا عام ١٩٥٦ دور كبير، وقد كونا لجان توعية للناس، ولجانا طبية تنزل فى غمار الحرب.

لم يسافر منا أحد، إنما كانت كل الفكرة ، تدريب لجان او فرق وقد كان معى فى

هذه المجموعة ، حميدة راقم، وهى سيدة مجتمع ومعروفة فى الإسكندرية وكثير من السيدات الأخريات.

الموقف من أحداث كفر الدوار

كنت ضد هذه الأحداث، وضد المحاكمة السريعة، وكنت دائما أنقد تحليلهم، وبعيدة النظر عنهم وكثيرة النقاش عندما اذهب إلى الواحات فعندما ذهبت مرة إلى الواحات وجدتهم قد جهزوا خيما ليتقابل فيها الأزواج، فقلت لهم ، ما هذه الخيم، انعيش فى مجتمع متخلف؟

وقد سمحت السلطات بإقامة هذه الخيم للمسجونين الذين عليهم احكاما كبيرة وقد فعلوا هذا مع الإخوان ولم يعترضوا، بينما رفضت انا وكثير من السيدات إقامة هذه الخيم ، فالتى تنتظر زوجها عشر سنوات لا يوجد فى ذهنها هذا الموضوع، والمفيد ان توجدوا لهم فرص عمل أو مصدر دخل يعينهم على الحياة. وقد أخبرهم إبراهيم انى ساعترض، وقد رفضت ذلك لأننا نعيش فى مجتمع وغير منعزلين، إلى جانب ان هذه الممارسات يجب ان يصحبها قدر من السرية والخصوصية.

الموقف من ضرب جمال عبد الناصر للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤

هم يستحقون ما يسرى عليهم، لكننى كنت ارفض هذه البشاعة معهم، وقد كان منهم احد أقاربنا واسمه ، محمد حامد أبو النصر، وقد كان ياتى ليسلم علينا وكنت اراهم عام ١٩٥٤ أشبه بالكلاب الذين يجدون قطعة لحم، فلا أنسى منظرهم، وهم يضربون سعد ومحمد بشدة، وقد أعطى عبد الناصر فرصة لأعداء الثورة ان يضربوا فى الناس، فضربوا فيهم بفظاعة.

وقد حدثت معركة بين سعد وبين بعض الإخوان فقد تبادلوا الضرب وقال الإخوان شتائم من اقذر الشتائم.

والإخوان يستحقون ما يسرى عليهم، فالمبادئ لا تباع بالمال، كيف يأخذون مالا كى يقتلون البشر؟

فهم لا يعتبروا وطنيين، ونحن نرى الآن ما يحدث من الجماعات الإسلامية.

الوحدة بين مصر وسوريا

كنت أؤيد هذه الوحدة، ولكن ليست بالصورة التى حدثت بها، وكانت تتم فى الاجتماعات مناقشات كثيرة حول الوحدة بين مصر وسوريا.

وعندما تم الانفصال عشنا اوضاعا صعبة، وكان هناك اوضاعا خاطئة نقلناها إلى سوريا حيث نعلم انهم سيرفضون تلك الأوضاع، فقد سمعنا عن أشياء فظيعة تتم، كان يأتون بالزوجات يعتدون عليهم أمام ازواجهم فى سوريا يوم الانفصال، وذلك لأننا قمنا بهذا فى سوريا. فأنا ضد أن يعتدى على السيدات فى اى مكان، فقد كان السوريون يأخذون المصريات ويعتدون عليهم أمام أزواجهم، وقد فشلت الوحدة على يد عبد الحكيم عامر الذى امسكناه مقاليد الأمور وتم على يده الانفصال وعلي يد المجموعة التى ذهبت معه.

الموقف من الاتحاد السوفيتي

ذهبت إلى الاتحاد السوفيتى (روسيا) أثناء مرض سعد اخى فى الثمانينات. ذهبت وأنا فى ذهنى الانفصال والمناقشات، وما يقوم به الزملاء، بداخلى كمية مشاكل تضايقنى، لكن وجدت عكس ما قرأت عن الاتحاد السوفيتى فقد وجدت هناك تجار عملات، وتسلط لينين، وكثيرا من الأوضاع الخاطئة وكنت أناقش إبراهيم وأقول له ليس هذا هو الاتحاد السوفيتى الذى قرأت عنه، إن هذا الاتحاد سينهار.

اعطتنى السياسة قوة وشجاعة تفوق ما كان لدى منهما. فلم اكن اهتم كثيرا بمظهرى بقدر ما كنت اهتم بفكرى، لكن عندما ذهبت إلى الاتحاد السوفيتى وجدت فوارق طبقية هائلة.

وقد كان هناك تجار عملة من الأطفال حيث كانوا يبيعون المئة دولار بأربع مئة روبل، وقد مكثنا هناك ثلاثة ايام لا نمتلك مليما واحدا لأننا اردنا ان نأخذ الطريق الرسمى.

شخصيات كان لها دور ولم يتم توثيق تاريخها

هناك شخصيات لم يتم توثيقها تاريخيا فى العمل السياسى كزوجة فؤاد حداد، وكان اسمها زكية، لم يكن لديها فكرة عن السياسة لكنها تحملت بشجاعة، فقد تركها زوجها ولديها طفلان، وهناك ايضا ام محمد عباس وإن كان قد ذكر اسمها، وهناك ام العطار

وسهير يوسف، زوجة محمود توفيق وقد كان لها دور مشرف تعرفه الناس، وهناك أيضا أم شحاته.

وكذلك أم محمد يونس، وكانت سيدة شجاعة جدا، أذكر لها موقفا كانت تريد أن تذهب للطبيب ولم تكن لدى نقود، وكان حمزة له عيادة طبية يحضر فيها طبيب مشهور، فذهبت إليه وطلبت منه أن يأتى للكشف عليها وأيضا على زوجة شحاته، فوافق مباشرة، ولم يكن الطبيب له أى علاقة بالسياسة، وكان حمزة معتقلا فى تلك الأوقات، فسألنى الطبيب، من أنت ومن أين تكونين؟ فقلت له : لن أقول لك من أنا، ولو رفضت سأحترمك، قال لي : سأذهب معك إليهما؟ فطلبت منه أن نركب أوتوبيس لأنى لا أمتلك أجرة التاكسى فذهب معى وكشف عليهما وأعطاهما الدواء، وكان بيت شحاته فى فيكتوريا، وبيت محمد يونس فى ورديان فى آخر الإسكندرية، فأخذوه المباحث لمجرد أنه أتى معى، وهناك قابل إبراهيم وعلم أنى زوجته حيث كانت بينهما معرفة قديمة وكان طبيبا شجاعا جدا!.

وكان معهم طبيب اسمه لطفى الصاوى لكنه كان ماديا لا يأتى للكشف إلا إذا أخذ ثمن الكشف متحججا أنه لابد أن يذهب لزوجته بنقود.

لم يكن إبراهيم قد عرفنى ماذا أفعل حين يقبض علىَّ، وكنت أعترض على هذا وأقول للأعضاء .. إن هذا لا يصح، فلو قبض على عضوة جديدة لن تستطيع التصرف، وكان يقبض على لمدة أيام، فلم يقبض على فى عام ١٩٥٩ حين قبضوا على ثريا أدهم وثريا إبراهيم، فأنا أعرف الكبار فى السن وأعرف زوجة فوزى حبشى (ثريا شاكر) وعندما أراها أعاتبها قائلة : «كدة يا ثريا الناس ماعادتش بتعرف بعضها» فهى سيدة ظريفة وزوجها رجل محترم، ولنا ذكريات سويا وصور التقطناها معا. وثريا إبراهيم أيضا صديقتى.

كان كل من يرانى يقول لى : أنت خسارة فى هذا العمل فأنهره بشدة. وكذلك كان يقول لى أهالي المعتقلين. وكنت لا أهتم بالتزين أبدا حتى الساعة لم أكن أرتديها، فكان كل ما فى ذهنى هو النضال، وكنت طوال النهار أدور فى الشارع على أهالى المعتقلين. وكان محمد أخى يعترض على هذا بشدة ويهددنى دائما أن يرحلنى إلى المنصورة حتى أنه فى أحد الأيام أغلق على باب البيت بالمفتاح فقفزت من الشباك وذهبت إلى سجن الأجانب لأشتم الضابط والعساكر فأمسكونى وأخذوني إلى قسم محرم بك وجاء محمد أخى ليستلمنى، وكنت فى ذلك اليوم أرتدى ملاءة وقد نفعتنى هذه الملاءة حيث كنت

احمل منشورات، ولم يفتشونى،

فلم تكن هناك الخبرة الموجودة الآن، وكنا جيدى التصرف.

كان لدينا الإدانة والانفصال عن الوحدة، ولو كانوا وجدوها لأخذونا كلنا. وقد امسكوا بورقة بها عنوان سعد فاخذوه وحكموا عليه بسبع سنوات ولم يأخذوا أى زميلة من الإسكندرية، فقد كانت الحملة مكثفة فى القاهرة.

وقد طلقت فوزية من زوجها لأن زوجها كان متزوجا من اخت ثريا ادهم (حنان ادهم) وقد حاولت أن اجعلها تنتظره لكننى لم أستطع. ولكنها تندم الآن كثيرا على تلك الفعلة، فقد تأثرت بضغط البوليس عليها، فكنت آخذ له الأشياء واقول له إنها من زوجته فوزية، فقد كان سعد رحمى له مواقف نبيلة. وقد كان لديها وظيفة وعمل ورغم ذلك تقول لى إننى مختلفة عنها. وقد حذرتها منذ البداية من الزواج من سعد رحمى لأنه محترف، والمحترفون يأخذون عشر سنوات فى السجن.

رايى فى المحترفين

إنهم مساكين (غلابة) وليس لديهم اية نقود، ولم ير سعد الساعى يوما حلوا فى حياته، فحينما قبضوا على سعد لم يكن قد ذاق طعاما منذ ثلاثة ايام.

وكان لى اخ أصغر منى تخرج فى كلية الآداب فظل سبع سنوات دون عمل حيث تقف له مباحث المنصورة فقط لأنه اخونا، وكذلك تعب محمد فى عمله، وقد كانا يطلبان منا ان نترك السياسة.

وقد صبر اخى محمد على كثيرا، فقد كان هناك أناس كثيرون يأتون إلى البيت من اجلى مثل محمود العالم، وعبدالله الزغبى، ولكنه لم يكن يعترض لا هو ولا زوجته، وزوجته اخت فوزى حمزة.

أقتنع دائما بأن السيدة فى هذا المجتمع اقوى بكثير من الرجل، فهى تتحمل مسئولية كبيرة، فقد تحملت مسئولية البيت، وتحملت مسئولية سجن زوجى فقد ساعدته على تحمل أيام السجن، وقد كان السجن بشعا حيث السلك الشائك والثعابين الموجودة فى الرمال، وفى يوم دخلنا دورة المياه انا وسهير ورأينا الثعبان ملتف حول الماسورة فصرخت سهير، فقلت لها: لا تصرخى وتشجعى وادخلى لن يحدث شيئا. وكان أولادنا صغارا، فقد كان مع سهير ولد وبنت صغيران. فتعذبنا كثيرا وكان موقف الناس مختلفا عن هذه الأيام.

شهادة

سمير أمين

مقدمة :

تتعرض الكتابة عن الماضى للعديد من الصعوبات الحقيقية التى لابد من ذكرها منذ البداية.

ولا يمثل النقص فى المعلومات فى حد ذاته الصعوبة الأساسية، طالما ان هناك وثائق مكتوبة يمكن الرجوع إليها، وإن كانت العملية غير ميسرة بالنسبة إلى انشطة اتسمت بطابع السرية. بيد ان الوثائق لا تتكلم بنفسها، بل تحتاج دائما إلى قراءة تضعها فى إطار الظروف التى أحاطت بتحريرها، ومن هنا الخطر الحقيقى وهو إسقاط مفاهيم واحكام الحاضر على ماض سادت فيه مفاهيم واحكام أخرى. فالأهم - قبل إصدار احكام من نوع "هل كان هذا التحليل صحيحا أو هذا الموقف سليما أم خاطئا؟- إنما هو كشف الظروف المحيطة وتوضيح انعكاسها فى التحاليل والطروحات الخاصة بالواقع المعنى. وسوف احاول بقدر إمكانياتى فى هذه المذكرات - ان اطبق هذا المنهج.

ثم اود ايضا ان اضيف هنا فكرا آخر الا وهو ان التاريخ - المعاصر على الأقل - يتكون من مراحل متتالية تختلف من حيث الكيف، فهناك مراحل تتسم بتوازنات اجتماعية وسياسية محلية ودولية مثبتة نسبيا بحيث إن ما يمكن ان يحدث لا يتجاوز حدود التغيير الكمى الهامشى دون أن تنقلب الأوضاع نتيجة له، ففى مثل هذه المراحل تبدو ايضا الأشكال التنظيمية للحركات الاجتماعية والسياسية وكذلك اشكال العمل والصراع مثبتة نسبيا على أساس التجربة التى أثبتت فعالينها وبالتالى مصداقيتها ومشروعيتها فى الظروف السائدة. من هنا تكسب هذه المعاملات طابعا شبه مطلق كأنها معاملات صالحة "للأبد" اى بصفة مستقلة عن الإطار التاريخى الخاص بها. من هنا إذن ميل إلى الدغمائية الحاكم فى مثل هذه المراحل.

على ان التغيرات الكمية تتراكم حتى تحدث تغيرا كيفيا، بمعنى انقلاب فى التوازنات السائدة التى حكمت مرحلة بلغت حدودها التاريخية فانهت ظروفها. وفى معظم الأحيان تنفجر هذه "الثورات" دون إعلان سابق بحيث إن اطراف العمل السياسى والاجتماعى لم يكونوا قد تنبأوا بحدوثها ولم يحضروا انفسهم لها، فالتحليلات السابقة

تفقد صلاحيتها، إذ إن الواقع الجديد يتطلب تحليلاً جديداً هو الآخر. وكذلك فإن أشكال العمل والتنظيم تحتاج إلى مراجعة جوهرية. وبما ان اكتشاف الأنماط الجديدة المطلوبة لا يتم فى لحظة فإن هذه المراحل تتسم بطابع فوضوى واضح. علما أيضا بأن اختراع الأنماط الجديدة المطلوبة يفترض التخلى عن "الدغمائيات" الحاكمة تخليا اى يفترض مزيداً من الحرية فى الفكر والطرح، يفترض الإبداع. هنا تبدو الديمقراطية فى النقاش وقبول التعددية فى الطرح امراً ضروريا، شرطًا لا مفر منه.

أعتقد أن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى الثمانينات من القرن السابق كانت مرحلة من النوع الأول كما اعتقد ان العالم قد دخل فى مرحلة من النوع الثانى خلال العقدين الأخيرين للقرن.

يقع تاريخ الحركة الشيوعية المعنية فى إطار المرحلة السابقة اى فى ظروف لم تعد تحكم العالم المعاصر. وبالتالى فإن الأحكام التى أصدرها الأفراد والمنظمات المنتمية للماضى المدروس خضعت لمنطق نظريات ومفاهيم أصبحت الآن موضع تساؤل.

فلنا اليوم الحق فى إعادة قراءتها على ضوء الظروف الجديدة، بل اعتقد ان هناك ميزة فى ذلك ينبغى توظيفها من اجل مزيد من فهم هذا الفصل المجيد من تاريخنا والاستفادة من دروسه استفادة كاملة.

كما أن تعدد المنظمات الشيوعية المصرية- على خلاف ما كان الأمر عليه فى معظم الحالات الأخرى - يمثل عقبة إضافية خاصة لابد اليوم من تجاوزها، الأمر الذى يتطلب بدوره التخلى عن الآفاق المحدودة الخاصة بكل من هذه المنظمات كما يتطلب ان نتفادى أسلوب الجدال الحار الذى ساد خلال مرحلة التاريخ المعنى. وكذلك لابد من ذكر ذلك الانقسام الرئيسى الذى حكم تاريخ الشيوعية على صعيد عالمى انطلاقا من أواخر الخمسينيات، واقصد بالطبع التضاد بين وجهة النظر السوفيتية من جانب وما تقدمت به اطروحات الماوية الصينية. فلا يصح على الإطلاق ان نتجاهل هذا الأمر، وخاصة بعد أن أدت تجارب "الاشتراكية القائمة بالفعل "السوفيتية" والصينية إلى ما ادت إليه.

معنى الشيوعية

اعتقد انه من المفيد - بل ربما من الضرورى - بيان فهمى لمعنى الشيوعية بالنسبة لى، قبل الدخول فى صميم الموضوع الا وهو ذكرياتى عن الشيوعية المصرية ومساهماتى فى حركتها، ذلك لأن ثمة معان متباينة لماهية الشيوعية بصفتها هدف النضال السياسى والاجتماعى.

لئن اتفق الشيوعيون بشكل عام على مبدأ تحرير الإنسان - افراداً وجماعات - من جميع أنواع الاستغلال والاضطهاد التى عانى منها المجتمع عبر التاريخ، ولا يزال. إنما قد يختلفون فى فهم ماهية الشيوعية طبقا للمضمون المحدد الذى يضيفونه على ظواهر الاستغلال والاضطهاد المعنية بالنسبة إليهم وبالتالى وسائل، بل ومغزى، التحرير. كما انهم قد يختلفون فى تحليلهم للآليات التى تربط مختلف أوجه هذه الظواهر بعضها ببعض، وبالتالى ايضا فى الاستراتيجيات المطلوبة من أجل التقدم نحو الهدف، ذلك لأن الشيوعية ليست مدرسة فكرية تكتفى "بفهم العالم"، ولا هى طائفة تدعو إلى الانعزال عنه والتقوقع على النفس.

فهى حركة سياسية تتجسم فى حياة منظمات واحزاب تسعى إلى "تغيير العالم".

وهذه المنظمات والأحزاب لها تاريخ، نشأت فى مجتمع معين وفى لحظة معينة، انطلقت من فئات معينة داخل المجتمع المعنى، داخل مجتمع يتصدى لتحديات عينية ملموسة تختلف بحسب اختلاف الظروف الموضوعية الخاصة بهذا المجتمع، ولا ينطبق هذا الحكم على الأحزاب الشيوعية بصفتها منظمات اجتماعية لها رؤية يشارك فيها اعضاؤها بشكل عام. بل ينطبق ايضا على الأفراد - فرداً فرداً - الذين ينتمون إلى هذه المنظمات. فلكل فرد تاريخه الخاص يتلون عليه فهمه للشيوعية.

إذن فسوف أطرح انا هنا رأيا هو رأيى الخاص، ولو انه ليس رأيا "شاذا" لا يشاركه احد أو يكاد. وهو رأى مثقف مصرى تم تكوينه فى ظروف سبق أن وصفتها فى كتابى المعنون بـ"سيرة ذاتية فكرية". فاعلم تماما واعترف أن هذه الظروف قد لعبت دورها فى فهمى للشيوعية.

انطلق هنا من مفهوم للحداثة طرحته فى مكان آخر لأن الحداثة هى التى وضعت

المسرح الذى تعمل المجتمعات المعاصرة فى إطاره، فالحداثة نشأت بإعلان أن الإنسان - فرديا وجماعيا - هو المسئول عن حاضره ومستقبله، فهو فاعل وصانع تاريخه، ومعنى ذلك أن الحداثة هى دعوة للتحرر من جميع أنواع الاستلاب الذى يجعله مفعولاً به وليس فاعلاً.

وهناك استلاب آخر، عندما تنسب مسيرة التاريخ إلى قوى فاعلة خارجة عن البشر والمجتمع، سواء أكانت قوى فوق الطبيعة أم "قوانين السوق" على سبيل المثال، أى قوى تفرض نفسها على المجتمع فرضا بصفتها قوانين طبيعية تعمل دون تدخل من البشر. هناك إذن أشكال متباينة من الاستلاب ذات الجذور المختلفة - فهناك استلاب ذو طابع اقتصادى يتجلى فى الدعوة إلى الخضوع لقوانين السوق على سبيل المثال. وهناك استلاب ذو طابع ثقافى كما هو الأمر عليه فى بعض التفسيرات الدينية.

على أن الحداثة هى عملية متواصلة لم تصل بعد إلى نهايتها، ولن تصل إليها، فهى عملية دائمة غير مكتملة. والتحرر الذى تدعو إليه هو التحرر من جميع أنواع الاستلاب التى تعمل فى الحاضر أو التى قد تظهر فى المستقبل.

فالتحرر إذن ليس وضعا يمكن التوصل إليه بل عملية مستمرة متواصلة.

يبدو واضحا أن هذا الفهم للشيوعية يتجاوز فهما آخر دارجا فيجعل الشيوعية من جانب والعدالة الاجتماعية من الجانب الآخر مترادفين - علما بأن أقصى ما يمكن أن تتصوره العدالة الاجتماعية إنما هو مجموعة من المبادئ مثل "المساواة فى الفرص"، من خلال تعميم ومجانية التعليم مثلا، وضمان العمل والخدمات الاجتماعية للجميع .. إلخ.

وقد يصل مفهوم العدالة الاجتماعية فى شكله الأكثر جذرية إلى ضرورة إلغاء الملكية الفردية والوراثة بصفتهما المصدرين الأساسيين فى إعادة إنتاج عدم التكافؤ فى توزيع الفرص على الجميع.

فالتحرر الذى أدعو إليه هنا يقتضى بدوره المساواة الحقيقية بين الجميع فى المشاركة فى صنع القرار على جميع مستويات الحياة الاجتماعية، وذلك على جميع الأصعدة من المحلى إلى العالمى. فالمشاركة هنا ترادف ممارسة الديمقراطية بمعناها الكامل وليس تلك الديمقراطية المقصورة عليمجال معين من الحياة الاجتماعية مثل

إدارة نظام الحكم من خلال التعددية السياسية والعمل بمبدأ انتخاب الحكام .. إلخ، او الديمقراطية السياسية زائد العدالة الاجتماعية فى توزيع الدخل .. إلخ. فالديمقراطية بمعناها الكامل هى ناتج الحداثة التى أعلنت أن الإنسان هو صانع تاريخه. فهى تطوير للحداثة التى لم تصل بعد إلى نهاية مطافها بل خطت فقط خطواتها الأولى فى ظل مفهومها البورجوازى.

لن أخوض هنا فى هذا الموضوع الفلسفى، بل سوف اكتفى بالقول بان هذا الهدف - اى الشيوعية بهذا المعنى - يبدو لى المحرك الوحيد الجديد بالعمل السياسى والاجتماعى من أجل تحقيقه - ولو فى الأجل الطويل وإن كان الأفق بعيدا - فالتنازل عن هذا الهدف او تجاهله وتناسيه لابد ان يؤدى بدوره إلي قبول مبدأ عدم المساواة بين الأفراد والشعوب، واعتباره "أمرا طبيعيا " للأبد. وهذا هو بالتحديد ما ارفضه، وما اعتقد أن ماركس قد رفضه - فى قراءتى له على الأقل، وطالما ان الممارسات السياسية لا تتطلع إلى هذه الآفاق فمن المستحيل أن تتحرر من التقاليد الانتهازية فى السلوك وبالتالى ان تنتج ردود فعل من طرف ضحايا النظام، بعضها ردود فعل إيجابية تتجلى فى التمرد الثورى - وبعضها ردود فعل سلبية تتجسم فى الانزلاق فى طرق جانبية والانغلاق فى مازق الأحلام الماضوية (مثل الدعوة إلى العودة إلى "الأصول"، او التعبيرات الشوفينية ... إلخ).

سؤال : فى رأيك ما مفهوم الشيوعية الذى كان سائدا فى مصر وما هى الاختلافات - إن وجدت - بينه وبين ما سبق أن طرحته.

الإجابة

سؤال هام فى محله.

اولاً اود ان اقول إننى لا اعتبر نفسى الوحيد - او يكاد - الذى يضفى للشيوعية المعنى الموصوف اعلاه.

بيد اننى اعتقد ان الشيوعية المصرية بشكل عام لم تتجاوز حدود مفاهيم العدالة الاجتماعية. وهناك أسباب عديدة لهذا النقص - فى رايى - ربما أهمها هو تغليب البعد الوطنى على البعد التطبيقى فى صفوف الحركة الشيوعية المصرية - الأمر الذي انتج بدوره مفارقة غريبة. فالحركة الشيوعية المصرية عبأت فى صفوفها عناصر من

الفئات الوسطى والعليا أكثر من أنها نجحت فى تعبئة العمال وفقراء الفلاحين. علما بأن المثقف يميل بطبيعة الحال إلى الاهتمام بالأبعاد الحضارية والفلسفية للمشروع الشيوعى.

وبالرغم من ذلك فإن القليل من كوادر الحركة قد اهتموا بالقدر المنتظر منهم بهذه الأبعاد التى تدعو إلى تجاوز الأهداف المباشرة للعمل السياسى.

ليس معنى ما سبق أن قلته بصدد العدالة الاجتماعية أن البرنامج الذى تطرحه منظمة شيوعية ما لابد أن يكون برنامجا يدعو إلى مجرد التحرير بالمعنى المقصود والموصوف أعلاه - حتى يتجاهل العدالة الاجتماعية، كلا. فالعدالة - أو مزيد منها - هى طلب حقيقى، بل ضرورى للتعبئة وبالتالى للفعالية فى النضال من أجل التحرير. فليس نقدى هنا "نقدا" لمختلف البرامج التى طرحتها المنظمات الشيوعية المصرية عبر تاريخها، ما أقصده هو أن الشيوعيين المصريين بشكل عام - ومنهم القيادات - لم يتجاوزوا حدود الفهم الجذرى للعدالة الاجتماعية.

ثانيا : إن هذا النقص - وأعلق أهمية كبرى عليه - قد ساعد على التئام الحركة الشيوعية المصرية بالمشروع الناصرى الوطنى، على الأقل انطلاقا من عام ١٩٥٦- ولم يكن الرفاق مهيئين لإدراك حدود هذا المشروع الوطنى غير الاشتراكى فى صميم مضمونه - يضاف إلى ذلك أن الخطاب السوفيتى الذى أضفى صفة الاشتراكية للمشروع الوطنى على أساس أنه قد فتح "طريقا غير رأسمالى" قد لعب دوره أيضا فى تكريس هذا النقص وبالتالى الاكتفاء بالترادف بين مفهومى الاشتراكية والعدالة الاجتماعية.

ثالثا : ليس معنى ما سبق أن قلته عن مفهوم الشيوعية أن حق التصور فى صنع المستقبل طبقا للمبادئ العامة التى تضمنها هذا المفهوم يجب أن يكون "احتكارا" لفئة عقائدية معينة، تمنع على غيرها حق الاشتراك فى الإبداع من أجل تحقيق التحرير المطلوب. فالأنهار التى تصب فى نهاية المطاف فى المشروع ذاته يمكن أن تنبع من أقاليم فكرية متباينة. منها بالقطع التيار الماركسى الذى تبلور انطلاقا من تجاوز حدود فلسفة التنوير البورجوازى (وأنا أنتمي إلى هذا التيار) ومنها أيضا تيارات أخرى انطلقت من رفع بعض القيم الأخلاقية - الدينية المصدر فى كثير من الأحيان - حتى رفضت

المفاهيم والممارسات التى ترافق سيادة السلوك الطقوسى الشكلى التقليدى السلفى فاحلت محلها مفاهيم ثورية للعقيدة.

هذا هو بالتحديد ما يحدث حاليًا فى إطار ما يسمى بلاهوت التحرير المسيحى فى امريكا اللاتينية والذى لم يحدث - للأسف - فى العالم الإسلامى حيث تغلبت إلى الآن المفاهيم الرجعية والانتهازية السياسية التى ترافقها.

أدعو هنا إلى التمييز القاطع بين ما أسميه "الخصوصيات الموروثة" من جانب وتنوع طرق الإبداع فى صنع المستقبل من الجانب الآخر، فالأولى - اى الخصوصيات الموروثة - هى ماهى، اى امر واقع، ولا غير، وبالتالى لا يمكن تجاهلها - شئنا ام ابينا، ولكن صنع المستقبل لا يمكن أن يقوم على أساس الحنين للماضى والتمسك به، فيقتضى اكثر من ذلك، اقصد الابداع - إبداع الجديد، الأمر الذى ينتج بدوره تباينات جديدة ناتجة عن تعدد منابع الإلهام - واعتبر ان هذا النوع من التنوع في تصور مقتضيات صنع المستقبل (لا العودة إلى الماضى) يمثل ثروة فى حد ذاته.

لم تكن الأحزاب الشيوعية التى تكونت في إطار إيديولوجيا الأممية الثالثة - انطلاقًا من الثورة الروسية - مهيئة لإدراك معنى ما سبق ان قلته عن ضرورة رفض مبدأ الاحتكار العقائدى.

فقد انتج هذا النقص عجز الأحزاب المعنية فى مجال الممارسة الديمقراطية. لقد استطاعت هذه الأحزاب فى بعض الظروف ان تمارس شيئًا من السلوك الديمقراطى، سواء كان ذلك فى علاقاتها الداخلية بين الكوادر والقواعد ام فى علاقاتها الخارجية مع الحلفاء السياسيين. ولكن لم تتجاوز - فى افضل الظروف - تلك الحدود البرجماتية. إذ لم تتنازل لحظة عن مبدأ الاحتكار العقائدى. فالمطلوب إذن هو ممارسة ديمقراطية رفيعة على مستوى اعلى وبشكل اعمق.

رابعا ، وبالنزول إلى مستوى أسفل من التحليل نتصدى إلى مجموعة اخرى من الاختلافات فى الراى داخل الحركة الشيوعية. اقصد تلك الاختلافات التى تبدو بالضرورة فى مجال رسم الخطوط الاستراتيجية والتكتيكية السياسية. وهى اختلافات لا مفر منها، شأن الأحزاب الشيوعية فى هذا المضمار هو شأن جميع الحركات السياسية. على أن الفهم العقائدى السائد فى الشيوعية المصرية لم يتح مساحة لقبول

التنوع فى هذه المجالات. فالاختلاف فى الراى كان ينسب دائما إلى "انحراف يمينى او يسارى". وفى ظل تعدد المنظمات الشيوعية المصرية وزعم كل منها انها تمثل "الحزب الحقيقى" القائم على أساس العقيدة "الصحيحة"، أصبحت هذه الممارسات مصدر اتهامات متبادلة، الأمر الذى حال دون العمل طبقا لمبادئ الديمقراطية المطلوبة فى تبادل الراى.

كيف أصبحت شيوعيا

اعتقد ان طموحاتى الاشتراكية ظهرت عندى مبكرا، وقد لعبت التربية التى استفدت منها فى كل من العائلة والمدرسة دورا اساسيا فى ظهور هذه الميول ثم تبلورها فى قناعة شيوعية.

١ . ولدت فى عائلة تنتمى إلى الفئات الوسطى، من أب مصرى طبيب وام فرنسية طبيبة هى الأخرى.

وفى اغلبية العائلات الميسورة التى اعرفها كانت ظواهر الفقر المنتشرة فى الطبقات الشعبية تعتبر شيئا يكاد يكون "طبيعيا" وبالتالى مقبولاً. لم يكن هذا الراى هو السائد فى عائلتنا، بل على العكس من ذلك كان الأب والأم والأجداد يرفضون تماما الوضع الاجتماعى القائم. ولى ذكريات دقيقة عن اقوالهم المتكررة بهذا المعنى. فكان أفراد العائلة يقولون لنا - الأطفال - إن ظواهر الفقر ليست إلا أدلة على أن المجتمع قائم على مبادئ خاطئة فلابد من العمل من اجل تغيير هذا الوضع.

أستطيع ان استنتج من هذه الظروف أن السبب الأول الذى دفعنى فى اتجاه الفكر الشيوعى هو رفض الأوضاع الاجتماعية السائدة فى مصر.

علما بان الوعى بالأبعاد الأخرى "للمشكلة المصرية" - اقصد الوعى الوطنى وإدراك مقتضيات النضال ضد الاستعمار - قد تبلور فى مرحلة تالية من خلال التعلم فى المدرسة.

واعتقد ان عددا كبيرا من الزملاء الشيوعيين الذين تعرفت بهم فيما بعد قد خطوا سبيلا معاكسا، فانطلقوا من وعى وطنى ثم أدركوا الأبعاد الاجتماعية والطبقية للدعوة الشيوعية.

٢ - تمت تعليمى الابتدائى والثانوى فى مدرسة الليسيه الفرنسية ببورسعيد.

يعلم الجميع ان الشباب المصرى- وخاصة الطلبة - قد اتخذوا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مواقف وطنية واشتراكية جريئة فقاموا فى طليعة النضال من اجل التحرير الوطنى والاشتراكية. هؤلاء هم "فرسان الأمل" الذين كونوا عام ١٩٤٦ لجنة الطلبة والعمال المجيدة والمشهورة فى تاريخنا، وبالرغم من ان عمرى لم يزد عندئذ عن ١٥ عام فقد كنت على علم بهذه المبادرات. فكنت قد بدات مبكرًا فى قراءة الماركسية، فكنت اذهب إلى القاهرة واشترى من مكتبة كورييل القائمة فى ميدان مصطفى كامل ما استطيع ان احصل عليه من كتب ماركس وإنجلز ولينين وستالين. وكنت أعلن نفسى "شيوعيا".

لم يكن هذا الموقف شاذا، إذ كانت مدارس الليسيه بؤر تسييس تقدمى فى مصر. واتذكر تماما ان المصريين من طلبة الثانوى فى ليسيه بورسعيد كانوا ينقسمون إلى ثلاث فئات. وكنا ننظر إلى الأقلية (ربما ٢٠٪ لا اكثر) "غير المسيسين" على انهم متخلفون ذهنيا حتى كان احتقارنا لهم شاملا. اما الأغلبية فانقسمت بدورها إلى فئتين - ربما بالتساوى أو يكاد -، هؤلاء الذين يعلنون انفسهم "شيوعيين" (وكنت انا منهم) وهؤلاء الذين يعلنون انتماءهم إلى الفكر الوطنى لمصر الفتاة وللحزب الوطنى.

وكانت تجليات العداوة بين الفئتين سافرة. فكنا نشتم بعض بوميا وكانت الخناقات تصل إلى الضرب فى ظروف عديدة.

هنا لابد ان اذكر ان التعليم الذى تلقاه فى مدرسة الليسيه كان افضل ما يمكن ان يكون علميا وسياسيا، فالكلام الذى نسمعه الآن عن "الغزو الثقافى" و"ثقافة الاستعمار" لا يمت بحقيقة الأمر بصلة. اذكر ان التركيز فى تعليم التاريخ كان يقع على فلسفة التنوير والثورات البورجوازية خاصة الفرنسية، كما ان التعليق على الحركة العمالية والاشتراكية، بل والثورة الروسية، لم يكن سلبيا على الإطلاق، بل إلى حد كبير إيجابيا. علما ايضا بان البرنامج شمل تاريخ مصر وركز على تجليات المجد فيه من عصور الفراعنة إلى محمد على مرورا بالعصور الإسلامية المتتالية. كانت معرفتنا عن تاريخ مصر لا تقل عن معرفة طلبة المدارس الحكومية، علما بان فهمنا له كان اكثر تقدمية.

انسب هذا التفوق فى تعليم مدارس الليسيه إلى أسباب عديدة منها بالطبع ارتباطه

بالمناهج المستعملة فى التعليم الفرنسى بشكل عام، أضيف إلى ذلك واقع المنافسة بين فرنسا وبريطانيا، تلك المنافسة التى تجلت فى أن الفرنسيين فى مصر - كانوا يشجعون حركة التحرر الوطنى. فأتذكر أن العديد من الأساتذة كانوا يكررون لنا : مجتمع مثل المجتمع المصرى لا يستحق أن يكون خاضعا لسلطة كولونيالية أجنبية.هذا ولاشك أن الأوضاع فى المدارس الإنجليزية قد اختلفت تماما. وقد اقتنعت بذلك خاصة بعد قراءتى لمذكرات إدوارد سعيد وذكرياته الشنيعة عن مدرسة فكتوريا كولج وتعليمها الرجعى على طول الخط وروح الاستعمار السائدة فيها.

على أن تعليم اللغة العربية كان يمثل نقطة ضعف بالتأكيد فى تعليم مدارس الليسيه. بيد أن هذا الضعف لم يرجع إلى خطة مرسومة من قبل إدارة الليسيه، فوزارة التعليم المصرية هى التى كانت تختار مدرس اللغة العربية. ولم تكن نحن الطلبة مهيئين أن نقبل أسلوب التعليم "الأزهرى" بعد أن كنا قد تذوقنا بالأسلوب الحر المستخدم فى تعليم المواد الأخرى، حتى أصبح فصل اللغة العربية يُعتبر فصل تعذيب بالنسبة إلينا.

سنوات التكوين الأولى

سافرت إلى باريس عام ١٩٤٧ (وكان عمرى حينئذ ١٦ عاما) بعد أن حصلت على شهادة البكالوريا.

كانت الخطة أن أدخل فى سلك دراسة الرياضيات والفيزياء، نظرا لأننى كنت قد حصلت على أعلى النتائج فى هذه المواد فى مصر ثم فى باريس.

وكنت حقيقة مولعا بالعلوم المجردة، ولكن فى الوقت نفسه كنت قد قررت أن أعطى الأولوية الأولى فى حياتى (أو مشروع حياتى) إلى النشاط السياسى . وعلى هذا الأساس، وبعد تفكير صعب، غيرت فجاة الخطة وانتقلت إلى دراسة الحقوق (ثم الاقتصاد) والعلوم السياسية.

التحقت فورا بالحزب الشيوعى الفرنسى وانضممت إليه، فاصبح هذا الحزب مدرستى الأولى فى التكوين السياسى، مدرسة لا أزال أعتبرها ممتازة بالرغم من كل عيوب وحدود شيوعية الأممية الثالثة، وكنا، نحن الطلبة، فرنسيين وأجانب معا فى نفس الخلايا فى تلك الأيام.

كما كنا نناضل أيضا فى الاتحاد العام لطلبة فرنسا التقدمية نسبيا فى أعقاب الحرب. فكنا نشارك فى النقاشات التى أدارتها مجلات سياسية وثقافية شيوعية هامة وذات نفوذ فعلى فى المجتمع حيث إن نسبة مرتفعة من كبار المثقفين الفرنسيين والعلماء وأساتذة الجامعة كانوا أعضاء فى الحزب الشيوعى أو قريبين منه، واتذكر اننا - نحن الشباب إلى جانب عمال عاديين - كنا نقابل هذه الشخصيات الكبرى فى اجتماعات نقاش حول مواضيع مختلفة تكاد تغطى كل ما يمكن تصوره فى جميع المجالات من السياسية إلى الأدبية والفنية والعلمية والتاريخية والثقافية والأيديولوجية. ولابد أن اذكر هنا بهذا الصدد ان الجو السائد عندئذ قد اتسم بالفعل بقدر عال من البساطة والصراحة والاحترام المتبادل، بين "كبار العلماء والمفكرين" وبين أفراد الشباب والشعب.

هذا وقد كنت أخصص معظم وقتى للنشاط فى منظمات طلبة العالم الثالث من العرب والأفارقة والآسيويين. ولهذا الغرض كنا (أقصد مجموعة صغيرة من الشيوعيين وانا منهم) قد أسسنا منظمة نضالية أسميناها "الطلبة ضد الاستعمار" وكنا نصدر جريدة (كل شهرين او ثلاثة) بنفس العنوان. كنا حريصين على ان يشمل هذا التجمع طلائع شيوعية ووطنية جذرية، تعمل ايضا فى إطار المنظمات العامة التى جمعت الطلبة بحسب جنسيتهم، ومن بين هذه المنظمات الأكثر نشاطا فى الكفاح ضد الاستعمار والكولونيالية اذكر منظمة الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا (المغرب والجزائر وتونس) ومنظمة الفيتناميين ومنظمة طلبة افريقيا. وقد اصبحت هذه المنظمات ميادين صراعات عنيفة بين القيادات التقدمية والقيادات التابعة للأحزاب التى كانت تقود المعركة مثل حزب الدستور (البورقيبى) فى تونس وحزب الاستقلال (الملكى) فى المغرب وحزب الحركة الوطنية الجزائرية (الذى خرجت منه فيما بعد اقلية قامت بتكوين حزب جبهة التحرير فإعلان حرب التحرير) والتجمع الديمقراطى الأفريقى.

كنت أسكن فى "فندق طلبة" استولينا عليه واصبحنا نديره بانفسنا إدارة مستقلة. وصار هذا المكان - ٢٢ شارع سانت سلبيس - المركز الرئيسى للنشاط اليسارى فى منظمات الطلبة. وظلت الأمور على هذا الوضع لمدة ست سنوات قبل أن تستطيع الإدارة ممارسة حقوقها فطردنا من الفندق!

كنا نتابع اهم الحوادث والتطورات وبصفة خاصة النضال من اجل التحرير الوطنى.

اذكر هنا على سبيل المثال بالنسبة إلى الوطن العربى والشرق الأوسط حرب فلسطين وما تلاها من تطورات، والانقلاب ضد مصدق فى ايران عام ٥٣، وإلغاء معاهدة ٣٦ عام ٥١، ثم حريق القاهرة، فالانقلاب فى يوليو ٥٢ وما تلاه حتى تاميم قناة السويس وحرب ٥٦، وكذلك الانقلابات فى سوريا وصعود حزب البعث وانتفاضة الدار البيضاء عام ٥٢ وإبعاد السلطان بن يوسف وعودة بورقيبة عام ٥٥ فاستقلال المغرب وتونس عام ٥٥ وطبعا التطورات المتعلقة بحرب الجزائر انطلاقا من عام ٥٤. كما كنا نتابع ما يحدث فى الأقاليم الأخرى للعالم الثالث وخاصة حرب فيتنام. وحروب جنوب شرق آسيا وانتفاضة مدغشقر عام ٤٧ ثم قضية نوابها المتهمين "بالإرهاب"، وظواهر النضال المدنى والعسكرى فى جنوب افريقيا وكينيا وساحل العاج والكاميرون وغيرها من البلاد الأفريقية.

كنا نتابع ايضا اهم التطورات التى حدثت على صعيد عالمى ومنها مراحل الحرب الباردة وتكوين الحلف الأطلسى ومشروعات الهيمنة الأمريكية السياسية والعسكرية (مشروعات حلف بغداد وسنتو .. إلخ). فكان انعقاد مؤتمر باندونج عام ٥٥ يمثل لنا نقله تاريخية نحو إنجاز مشروع التحرر الوطنى على صعيد القارتين الآسيوية والأفريقية.

كما اننا بصفتنا شيوعيين كنا نهتم بصفة خاصة بما يحدث داخل "المعسكر الاشتراكى" ولاسيما النزاع السوفيتى اليوغسلافى فى عام ٤٨ والمؤتمر العشرين للحزب السوفيتى وانتفاضة المجر عام ٥٦ وتبلور ظواهر النزاع السوفيتى الصينى انطلاقا من عام ٥٧.

لم نكن نكتفى "بالتعليق" حول هذه الأحداث فى صحفنا الطلابية ومنشورات عديدة، كنا نحدد مواقفنا المبدئية والاستراتيجية ثم على اساسها نعبئ "جماهيرنا" ونقيم مظاهرات ونحاور مختلف زعماء الحركة من الثوريين و"المعتدلين" ، من اليساريين والمحافظين.

لابد ان اقول هنا اننا تمتعنا بقدر عال من الحرية فى رسم استراتيجياتنا وتحديد مواقفنا من الحوادث ومن القيادات الوطنية وجماهيرها، على اننا كنا ايضا نعتبر انفسنا أعضاء فى الحزب الشيوعى - الفرنسى - وبالتالى خاضعين لمبادئ النظام

السائد عندئذ فى أحزاب الأممية الثالثة.

من هنا حدثت بعض الاحتكاكات بل الخلافات فى بعض الظروف بيننا وبين القيادات الحزبية الطلابية الفرنسية- فاتهمنا فى بعض الحالات بانحراف "وطنى" (بمعنى مخالف للاممية) فى تعاملنا مع التيارات الوطنية غير التقدمية.

واتذكر ان الخلاف قد بلغ درجة من الخطورة حتى أصبح رفع القضية امام مستوى اعلى من المسئولية القيادية امرا لا مفر منه. فالرفيق توريز - السكرتير العام للحزب- قد دعانا لاجتماع وسمع مذكرة "الاتهام" بهدوء، ثم تعليقاتنا عليها، وحكم توريز فى صالحنا، اعتقد ان هذا الرجل السياسى الكبير - مهما كانت حدوده فى الجو السائد عندئذ - كان رجلا طويل النظر. ثم الاحظ ان عددا من هؤلاء الذين اتهمونا تركوا الحزب فيما بعد وأصبحوا رجعيين تماما!! هذا شئ رأيته يتكرر خلال حياتى، أن اكثر الناس المطيعين لما يبدو لهم "راى القيادة" فى لحظة ما ليسوا هم عادة الأكثر تمسكًا بالمبادئ والقناعة الشيوعية.

عندما سافرت من مصر عام ٤٧ كنت أعتبر نفسى "شيوعيا" بالرغم من اننى لم اكن على اتصال باية منظمة، وفى باريس تعرفت ببعض الزملاء المصريين، معظمهم يهود طردوا من مصر فى أعقاب حرب فلسطين او هجروها فاستوطنوا فرنسا أو إيطاليا بصفة لاجئين سياسيين، وبعضهم طلبة مصريون اكبر منى سنا فكان لهم تجربة سابقة فى المنظمات المصرية- مثل فؤاد مرسى وإسماعيل صبرى عبد الله ومصطفى صفوان وعبد المعبود الجبيلى، وبعضهم كوادر حزبية فى مامورية فى الخارج، وكانوا ينتمون إلى حدتو أو ما تفرع منها من منظمات عديدة.

كان انطباعى ان هؤلاء من زملاء حدتو يعيشون فى حلم الاستمرار فى قيادة الكفاح فى مصر وهم فى الخارج. وبمرور الزمن اصبحوا منعزلين اكثر فاكثر عن واقع تطور الأمور فى المجتمع المصرى دون ان يدركوا ذلك او يقبلونه، فخاضوا فى نزاعات داخلية اصطناعية إلى حد كبير حتى أثرت فيها العوامل الفردية بقدر متزايد، فلم ينجحوا فى جذب اهتمامى بالخلافات التى ملأت كتاباتهم فى منشورات عديدة.

لذلك تقربت فورا من هؤلاء الذين كنت أحس بأنهم يشاركون تحفظاتى بالنسبة للحركة الشيوعية المصرية بشكل عام- ومنهم بالدرجة الأولى إسماعيل صبرى عبد الله

الذى لعب دورا فى مبادرة جديدة تبلورت فى تكوين نواة لما أصبح الحزب الشيوعى المصرى (راية الشعب) من جانب وتاسيس مجلة "الشرق الأوسط" من الجانب الآخر (عام ١٩٥٠)، اصبحت المجلة مركز التقاء مثقفين شيوعيين عرب وإيرانيين واتراك يركزون على تحاليل جديدة سواء كان بالنسبة للسياسة الدولية فى المنطقة ام بالنسبة لمواقف مختلف تيارات المعارضة الوطنية للاستعمار. كان الزميل مكسيم رودنسون يعمل مديرا للمجلة والزميل ريمون اغيون يساعدها ليس ماليا فقط بل فكريا ايضا، اعتقد ان المجلة كانت بالفعل تقدم افكارا سبقت أوانها، على سبيل المثال، لقد لفت إسماعيل عبد الله النظر إلي بوادر مبكرة لما تبلور فيما بعد فى ظاهرة "الحياد الإيجابى" او "عدم الانحياز"، وهو المبدأ الذى قام على أساسه تجمع دول باندونج انطلاقا من عام ٥٥. بيد ان "تأييد" هذا الاتجاه فى ساحة السياسة الدولية عام ١٩٥٠ كان يعتبر مخالفا للخط العام الذى لم يتحرر بعد من نظرية جدانوف التى سوف يكون لنا عودة إليها فيما يلى.

اود ايضا ان اشير هنا إلى نشاط مجموعة "الطلبة ضد الاستعمار" التى كنت انتمي إليها فى صفوف السوريين والعراقيين.

فكان الحزبان الشيوعيان السورى والعراقى اكثر نشاطا من اى حزب شيوعى عربى آخر. فكنا نصطف معهما فى نضالهما العنيف فى تلك الأيام ضد ايديولوجيا ونفوذ البعث الصاعد.

لن اعود هنا إلى ما سبق ان كتبته بشئ من التفصيل فى "السيرة الذاتية الفكرية" وموقفى الشخصى من الرؤى التى سادت فى تلك الأيام.

فسوف أكتفى بتلخيصها من خلال تعليق بسيط. فكان للنضال من اجل الشيوعية ثلاثة ابعاد رئيسية ، الصراع الطبقى الأصلي الذى يتعارض من خلاله المستغلون والمستغلون، والصراع بين الاستعمار المهيمن والشعوب المضطهدة، والصراع بين دول المراكز الراسمالية الرئيسية ودول الكتلة الاشتراكية، وبالرغم من صحة الافتراض العام القائل بان هذه الصراعات الثلاثة من شانها ان تلتقى فى مواجهة العدو المشترك، إلا ان منطق الاستقلال الذاتى الذى يحكم كل صراع على حد ذاته لابد ان يؤدى إلى تناقضات حقيقية فى مجالات العمل بين القوى الاجتماعية والسياسية المختلفة التى

حركت الصراعات المعنية. فالخيار الاستراتيجى يقتضى - لكى يكون فعالاً - ترتيب الأولويات بين الأهداف الخاصة بكل صراع.

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية فرضت القيادة السوفيتية مفهوما للصراع من أجل الاشتراكية يضفى الأولوية الأولى لدفاع الاتحاد السوفيتى والكتلة الاشتراكية فى المجال الدولى، بصفتها القوة الرئيسية المناضلة من أجل الاشتراكية. فذهب جدانوف عام ١٩٤٨ ينطق بهذا المعنى بشكل واضح تماما فى مناسبة بالغة الأهمية الا وهى تاسيس الكومنفورم. فقال إن العالم قد انقسم إلى كتلتين، إحداهما - اشتراكية تضم الدول الاشتراكية والأحزاب الشيوعية بهذا الترتيب ى بمعنى آخر اعتبرت القوى الأخرى، ولاسيما الأحزاب الشيوعية، على أنها ذيل للدولة السوفيتية) والأخرى هى كتلة راسمالية تقودها الولايات المتحدة وحلفاؤها أوروبيا وعالميا (فلم يشر جدانوف إلى حركات التحرر الوطنى التى لم تقم أحزاب شيوعية بقيادتها). وكان التفسير السائد لهذه الأقوال أن الصراعات الطبقية والنضال من أجل التحرر الوطنى تمثل قوى تقدمية بقدر ما تتفق مع مقتضيات الدفاع عن الدول الاشتراكية التى تمثل بدورها النوة الصلبة الوحيدة للقوى التقدمية عالميا.

من هنا كثرة الاحتكاكات بين القيادة السوفيتية ومن كان يتبعها دون تردد وتحفظ من جانب وبين القوى التى دخلت إما فى صراعات طبقية حادة هنا أو هناك أو فى نضال من أجل التحرر الوطنى فى آسيا وأفريقيا.

وكنا نحن جميعا نتصدى لهذا التناقض بشكل أو بآخر بدرجة من الوعى أو دون وعى بما يمثله. ولست متكبرا فى قولى إننا أخذنا حريتنا إلى حد كبير فى تحديد استراتيجيتنا فى تكوين الجبهة التى كنا نسعى إليها ضد الاستعمار، بيد أننا كنا دائما نسعى إلى تبرير المواقف التى اتخذناها من خلال "قراءة" نص من النصوص "المقدسة" سواء كان نصا "كلاسيكيا" (ماركس أو لينين أو ستالين) أم نصا سوفيتيا صدر فى البرافدا أو في وسيلة من وسائل الإعلام السوفيتى، وأدرك اليوم أن معظم هذه النصوص الأخيرة قد اتسمت بدرجة من المرونة - بل الإبهام - بحيث إنها فعلت فعلها الوظيفى المطلوب أى إخفاء التناقض وعدم نقاشه علناً.

سوف أعود فيما بعد إلى هذه الإشكالية المحورية فى تقدير التحدى الذى واجهته

الحركة الشيوعية المصرية.

ملاحظة أخيرة - تحدثت هنا عن سنوات التكوين الأولى، ذلك لأننى من هؤلاء الذين يعتبرون أن التكوين لابد أن يستمر طوال الحياة، وقد حاولت فى السيرة الذاتية الفكرية أن أرسم الخطوط العامة لتطورى فى السنوات التى تلت فى مصر وفى الخارج.

الشيوعية المصرية وتحدى الحداثة

١ - لايزال ينقصنا تاريخ للحركة الشيوعية المصرية يتجاوز مجرد عرض للحوادث والمواقف وما كتب بمناسبتها لتبريرها- فنحن في حاجة إلى إعادة فتح باب النقاش فيما هى التحديات التى واجهت المجتمع المصرى خلال تاريخه المعاصر وفيما هى الأدوات الفكرية التى وظفتها الحركة الشيوعية لفهمها وتحديد خطوط استراتيجيتها - ولنا اليوم ذلك البعد التاريخى الذى يتيح - بل يفرض العودة فى هذا الموضوع والاستفادة من معرفة النتائج التى أثبتتها المراحل اللاحقة التى تلت الحوادث المعنية.

أقول ذلك وليس فى ذهنى نقد "سلبى" لهذا التاريخ. كلا فبيان حدود ونواقص الرؤى التى تصورت الحركة الشيوعية تحديد استراتيجياتها من خلالها لا يعنى اغتياب هذه الحركة التى كتبت أمجد صفحات تاريخنا المعاصر.

بمعنى أن الشيوعيين قد وقفوا بالفعل فى طليعة الأمة، فأثبتوا شجاعة وحساسية لماهية قضايا الطبقات الشعبية قليلة المثل - بل أقول أكثر من ذلك - أقول إن رؤى الحركة الشيوعية - بالرغم من نواقصها التى قد تظهر اليوم واضحة - قد تجاوزت بمسافات نظرات جميع التيارات الوطنية والإسلامية.

وسوف أحاول فى الصفحات التالية أن ألفت النظر إلى ما يبدو لى اليوم المصدر الرئيسى لهذه النواقص، آملا من وراء ذلك المساهمة فى فتح باب النقاش دون اعتبار الطرح المعروض طرحا "نهائيا" وكاملا بالمرة.

أعتقد أن الحركة الشيوعية المصرية قد تصدت بمركب من الظواهر الرئيسية هى بدورها ناتج توسع الرأسمالية العالمية توسعا غير متكافئ، شأنها فى ذلك شأن جميع الحركات والأحزاب الشيوعية والتقدمية والوطنية عربيا وعالميا، ولن أعود هنا إلى عرض ما قد يكون معروفا لدى العديد من القراء حول النظريات التى قدمتها بهذا

الصدد. علما بأن الاستقطاب على الصعيد العالمي المحايث لهذا التوسع الرأسمالي القائم بالفعل قد انتج نتائج متكاملة "هي": اولاً في المراكز ميل قوي يدفع الحركة العمالية والاجتماعية التقدمية نحو ممارسات إصلاحية تدريجية، وثانيا في الأطراف ميل لا يقل قوة يدفع التيارات التقدمية نحو تغليب بعد التحرر الوطني على الأبعاد الأخرى للقضايا الاجتماعية.

أقول ذلك ولا أعتبر ان هذين الاتجاهين قد مثلا "انحرافين" عما كان "يجب ان يكون". بل انطلق من الاعتراف بأن هاتين الإستراتيجيتين قد انتجتا بالفعل نتائج عظيمة غيرت وجه المجتمعات المعنية عالميا، وذلك بشكل إيجابي وعميق - حتى اصبح من العبث فكرة "إلغاء" هذا التاريخ كما تتصوره بشئ من السذاجة التيارات الماضوية التي تحتل الساحة حاليا

هذا وبظل الباب الاستقطاب تفعل فعلها المتحكم في المرحلة الراهنة وما يترتب على ذلك إنما هو ان تراكم كوكب التناقضات الصاعدة في بعض مناطق الأطراف من شأنها ان تنتج هنا وهناك "ظروفا ثورية" هذه هي نواة نظرية "الحلقات الضعيفة" التي طرحها لينين بالنسبة لوضع روسيا في ايامه والتي لا تزال صحيحة من حيث المبدأ في رايي. اقول إذن إننا سوف نشهد في المستقبل تبلور "حلقات ضعيفة" اخرى ربما هي البرازيل او الهند او إيران او جنوب افريقيا او غيرها من مناطق الأطراف

فالحركة الشيوعية إذا استطاعت في مثل هذه الظروف ان تثور وتتغلب على اعدائها - هي بالضرورة ناتج مركب ميول يجمع بين المطالب الوطنية (التحرر ثم السعي "للحاق") وبين المطالب الاجتماعية الخاصة بكل الطبقات ضحايا التوسع الرأسمالي. وقد يكون البعد الاجتماعي اكثر بيانا في الثورات ذات الطابع الجذري (الثورات باسم الاشتراكية).

بينما يحتل البعد الوطني الساحة في حركات التحرر في آسيا وإفريقيا. على ان الجميع ينصدون للتناقض عينه الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى إضفاء الأولوية الفعلية (مهما كان الخطاب الذي يرافق القرار) لمقتضيات إنماء قوى الإنتاج من اجل "اللحاق"، ولو في إطار يتمتع بأقصى درجة ممكنة من الاستقلال إزاء ضغوط النظام العالمي، وذلك على حساب مقتضيات "بناء الاشتراكية" (اى إلغاء الطبقات) - حتى تحدد

معادلة التركيب بين هاتين المجموعتين من الأهداف الطابع الحقيقى للمشروع المجتمعى عند لحظة معينة من تطوره وبالتالى تحدد نقاط قوة وضعف المشروع ذاته وحدوده التاريخية. تنتمى الناصرية لهذه المجموعة من التجارب التاريخية، وهى مرت بمراحل متتالية سوف أعود إليها فيما بعد.

ولذلك، فإن الحركة الشيوعية، إذا لم تحتل مكانة الصدارة فى "قيادة الثورة"، تتصدى لمجموعة من الأسئلة لا مفر منها : هل يجب أن تساند التحول، بدون تحفظ أو بتحفظات؟ هل يجب أن يقوم النضال من أجل تجذير الحركة من داخل أو من خارج النظام؟ وكيف؟ بل وإن المنظمة الشيوعية التى قادت الثورة هى نفسها معرضة لخيارات ذات الطابع نفسه والتى تنعكس فى اختلاف الرؤى داخل الحزب، بشكل أو بآخر.

ليس فى ذهني هنا أن أقوم "بإدانة" خيارات الشيوعيين هنا وهناك، فى مصر، فى الوطن العربى، فى الاتحاد السوفيتى، فى الصين .. إلخ. بل أود فقط أن أساهم فى محاولة فهم الأسباب الموضوعية وانعكاساتها فى النظريات الموظفة التى دفعت الحركة فى اتجاه أو آخر. فالشيوعية المصرية تدخل فى هذا الإطار العام. وسوف ألخص فهمها للتحدى من خلال انحيازها السوفيتى وانخراطها فى حركة "النهضة" التى سعت إلى تجذيرها.

٢ - ليس خيار الانحياز السوفيتى من باب الصدفة أو ناتج أسباب شاذة يصعب فهمها، كلا، فالاستعمار اعتبر الاتحاد السوفيتى، مهما كان طابع نظامه الحقيقى، يمثل العدو الرئيسى له، فالسوفيت قد اختاروا منذ باكر (أقصد مؤتمر باكو عام ١٩٢٠) مساندة حركات التحرر الوطنى فى آسيا وأفريقيا على أساس أن المنطقة المعنية - أى القارتين - تمثل الحلقات الضعيفة المحتملة - ثم انطلاقا من عام ١٩٥٥ (مؤتمر باندونج) قرروا مساندة مطالب"عدم الانحياز" للدول المستقلة فى القارتين.

وبناء على ذلك لقد وقف الاتحاد السوفيتى إلى جانب الشعوب العربية عامة والشعب المصرى خاصة فى المراحل الأكثر دراماتيكية من التاريخ المعاصر. ولذلك أصبح نفوذ السوفيت وشعبيتهم واسع الانتشار فخرج عن دوائر الشيوعيين ليشمل جميع التيارات الوطنية المخلصة.

ولكن ما ترتب على ذلك إنما هو أن الشيوعيين المصريين تفادوا التساؤل حول ماهو المجتمع السوفيتي حقيقة حتى أصبحوا عاجزين عن إدراك أسباب انهياره اللاحق الذى بدا لهم حادثا مفاجئا غير متوقع بالمرة.

وينعكس هذا النقص ليس فقط فى الكتابات الشيوعية القديمة بل أيضا فى الذكريات الحديثة. فهذه الكتابات فى غالبيتها تظل خالية من أية إشارة إلى ما كان المجتمع السوفيتي وقضاياه.

هناك ما هو أسوأ وأخطر وهو تجاهل المناقشات التى تمت بهذا الصدد داخل الحركة الشيوعية العالمية وبالأخص عندما انفجر النزاع السوفيتى - الصينى

فالمواقف التى اتخذتها الشيوعية الماوية مجهولة تماما والإشارات النادرة إليها لا تعدو كونها تكرارا لكتابات البروباجندا السوفيتية - على سبيل المثال لم أجد إشارة تذكر "للخطاب فى ٢٥ نقطة" الذى أرسله الحزب الصينى للسوفيتى عام ١٩٦٣ والذى تم نقاشه عالميا وكذلك لم أجد إشارة واحدة للتمييز الذى طرحته الماوية بين "المستويات الثلاث" أى مستوى مطالب "الدول" (أى الطبقات الحاكمة) ألا وهى السعى إلى الاستقلال من الضغوط الاستعمارية، ومستوى الأمم التى تسعى إلى التحرر الوطنى ومستوى مطالب الشعوب (بمعنى كتل الطبقات الشعبية) من أجل الثورة الاجتماعيه كما لم أجد إشارة إلى أطروحة ما وحول البورجوازية التى "لا تنشأ من خارج الحزب بل من داخله، من خلال احتكار الحزب للسلطة الأمر الذى يغذى فى قياداته طموحات بورجوازية"

أذكر هنا بالمناسبة تلك المقالة التى نشرت فى مجلة الطليعة والتى اكتفت فى نقاش الرؤى التى قدمتها أنا بنقل ما كتبه فى مجلة سوفيتية أولج بوجومولوف المشهور، والذى أدان "الانحراف البورجوازى الصغير" لسمير أمين! وقد شاءت الظروف أن أقابل أولج بوجومولوف - الذى كان عضوا فى اللجنة المركزية للحزب ومسئولا عن العلوم الاجتماعية فى الأكاديمية - بعد شهر فقط بعد سقوط الاتحاد السوفيتى. وسمعته يعلن "أنه معاد للشيوعية." فضحكت وعلقت علي هذا التصريح على النحو التالى : "غريب .. إنت كنت فى مركز قيادى فى حزب اسمه "الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى" وذلك منذ شهر فقط .. فيبدو أن تحولك إلى موقف معاد للشيوعية هو

تحول حديث .. كلا .. أنا أقرأك منذ ٢٠ عاما، وكنت دائما أراك معاديا للشيوعية".

٢ - لن نتقدم في تقويم إنجازات النظم المصرية المتتالية فى تاريخنا المعاصر وكذلك فى تقويم العقبات التى وقفت فى سبيل الحركة الشيوعية دون العودة إلى مرحلة النهضة التى تمثل نقطة الانطلاق فى حركة تحديث المجتمعات الشرقية الاسلامية العربية.

تقوم الحداثة على مبدأ جوهرى الا وهو ان الإنسان - أفرادًا وجماعات - هو المسئول عن صنع تاريخه، وان هذا الحق - بل الواجب - يفترض حق الإبداع بمعنى حق التخلى عن التقاليد والسلفية. فقد أنتج إعلان هذا المبدأ قطيعة فى التاريخ حيث إن جميع المجتمعات السابقة عليه - بما فيها المجتمع الأوروبى المسيحى الإقطاعى نفسه قد قامت على مبدأ احترام التقليد- وقد أطلق الأوربيون على المرحلة فى تاريخهم التى شهدت تبلور المبدأ الجديد اسما معروفا هو "النهضة" علما بأن المصطلح اللاتينى يحمل معنى "إعادة الولادة" - بيد أن "النهضة" لم تكن إعادة ولادة حيث إن مبدأ الحداثة لم يكن له مثيل سابق بل كانت ولادة - ولادة جديد فالأوروبيون - من وراء اختيارهم لهذه التسمية - قد صنعوا بالمناسبة خرافة إيديولوجية الا وهى ان العصور القديمة الإغريقية والرومانية قد عرفت مبدأ الحداثة ثم إن هذا المبدأ قد أهمل فاختفى فى ظل الحكم المسيحى الظلامى. بيد ان هذا التصور لما كانت العصور القديمة لا تمت لحقيقة الأمور بصلة. حتى أصبحت الخرافة الإيديولوجية المذكورة مصدرًا رئيسيا لما أسميته "التمركز الأوروبى". اى تصور تسلسل خاص لتاريخ "الغرب". مخالف تماما لتسلسل المجتمعات الأخرى. فيربط العصور القديمة المعنية بالحداثة والمعاصرة. كأن الأوروبيين قد اكتشفوا عند أسلافهم - قدماء الإغريق والرومان - مبدأ الحداثة.

فكان إذن هذا الاكتشاف بمثابة "إعادة ولادة"، وليس له طابع الإبداع الجديد، وفي واقع الأمر كان هذا الإبداع ناتج ديناميكية داخلية بمعنى تبلور حل جديد للتناقضات الخاصة بالمجتمع الأوربى فى تلك المرحلة الحاسمة من التاريخ. حل جديد تجسم فى إبداع الراسمالية.

اما الظاهرة التى اطلق عليها اسم النهضة فى الشرق الإسلامى العربى فهى ظاهرة

مختلفة تماما من حيث جوهر طابعها ، فلم تكن تلك النهضة ناتج حركية داخلية للمجتمع المعنى، بل رد فعل على صدمة قادمة من الخارج. فالحداثة قد أضفت على أوروبا قدرة توسعية وفعالية لا مثيل لها عالميا وتاريخيا، الأمر الذى أثر فى المجتمعات الشرقية تأثيرا عميقا وملتبسا ، تأثيرا يجمع بين الجذب والإعجاب وبين الرفض والكراهية معا.

فلم يدرك العرب حقيقة ما حدث فى أوروبا فى لحظة إبداع الحداثة- فأخذوا بالخرافة الأيديولوجية على وجهها - وعلي هذا الأساس لقد تصور العرب انهم أيضا إذا "رجعوا" إلى حضارة أسلافهم فسوف يحدثون "نهضة" على مثال النهضة الأوروبية.

إن النهضة العربية لم تنتج إذن تلك القطيعة التى هى شرط تبلور الحداثة. بدليل على سبيل المثال - عجز النهضة العربية فى مجال إشكالية العلمانية واستحالة فهمها مغزي هذا المبدأ بصفته شرطا ضروريا لتبلور مفهوم جديد للسياسة المستقلة عن الدين يتيح الإبداع الحر، وهو بدوره شرط الديمقراطية بالمعنى الحديث. فاكتفت النهضة فى هذا المجال باقتراح إعادة قراءة للدين بعد تطهيره من الانحرافات الظلامية التى تراكمت عبر التاريخ. وإلى يومنا هذا ليست المجتمعات العربية مهيئة لندرك أن العلمانية ليست "خصوصية غربية" بل شرط الحداثة ينطبق على الجميع.

وبالتالى لم تدرك النهضة معنى الديمقراطية الحديثة بصفتها حق الإبداع الحر

فليس من الصدفة أن النهضة لم تخرج عن إطار منطق السلطة الاستبدادية التقليدية فدعا النهضويون إلى "المستبد العادل" واعتبروه مرادفا "للمستبد المنور". واعتقد ان هناك فرقا بين المصطلحين، وهو فرق دال فى حد ذاته.

هكذا لم يتجاوز فهم الحداثة عند النهضويين ظاهرها فقط الا وهو التقدم الفنى.

أعلم تماما ان هذا التلخيص المطروح هنا للنهضة هو تبسيط يتجاهل الخلافات فى داخل معسكر النهضة ووجود طلائع تقربت من تجاوز الحدود المذكورة. ومن بين هؤلاء، قاسم أمين الذى دعا لتحرير المرأة والكواكبى الذي أدرك المغزى الجذرى لمطلب الديمقراطية وعلى عبد الرازق الذى انحاز لصف العلمانية. على أن أطروحات هؤلاء المفكرين الذين وقفوا فى طليعة الحركة لم تحسم حسما قاطعا فى تطور الحركة.

فكان رد فعل المجتمع العربى الإسلامى لتحدي الطليعة ردا سلبيا.

واليوم، العودة إلى مدح الماضي وتكريس "الأصالة" و"التراث" - وهى ظواهر تحتل المسرح الأيديولوجى الراهن - إنما هى دليل قاطع على أن النهضة لم تحقق اكتشافا صحيحا لماهية الحداثة بل هى حركة أجهضت فى إنجاز هذا الهدف.

اقول إذن إن المجتمعات العربية لم تدخل بعد فى عصر الحداثة بالرغم من انها تتصدى كل يوم للتحديات التى تحملها تلك الحداثة التى تتجلى فى الصدمات العنيفة التى يقوم الاستعمار بها.

اقول إن هذا هو السبب الذى يقف إلى الآن عقبة حاسمة فى سبيل إدراك مغزى ومعنى الديمقراطية. وفى هذه الظروف فإن نظام حكم يبدو قادرا على مواجهة ضربات الاستعمار من جانب والذى يحقق شيئا من العدالة الاجتماعية من الجانب الاخر هو نظام حكم يتمتع بشعبية مضمونة.

اقول إن الحركة الشيوعية نفسها - بصفتها جزءا لا يتجزا عن المجتمع المحيط بها - لم تفهم هى الأخرى الديمقراطية فهما حقيقيا وكاملا. فالحركة الشيوعية ظلت تجمع بين الأهداف والمطالب الوطنية من جهة وبين المطالبة بالعدالة الاجتماعية من جهة أخرى دون ان تتجاوز هذه الحدود كما سبق أن ذكرته فى هذه الذكريات.

ثورة يوليو والناصرية

١ - لا يقل تقويم الناصرية صعوبة عما هو الأمر عليه بالنسبة إلى جميع التجارب الوطنية الجذرية والاشتراكية التى انتشرت فى أعقاب الثورة الروسية ثم الحرب العالمية الثانية.

وأرفض بالمناسبة هذين الحكمين البسيطين اللذين يقولان إن التجربة كانت بكليتها إما ايجابية او سلبية. كما أرفض الاكتفاء بسرد جوانبها الإيجابية والسلبية. على سبيل المثال وبالنسبة للناصرية سرد إنجازاتها ومواقفها الصارمة أمام الاستعمار انطلاقا من عام ١٩٥٦، وفى المجال السياسى إلغاء النظام الملكى وفي المجال الاجتماعى الإصلاح الزراعى والتاميم والتخطيط.. تواجهها النواقص المعروفة في المجال الديمقرطى وحل الأحزاب وكراهيتها "للشيوعية"، بل ومواقفها فى المجالات الثقافية التى تخلفت فى بعض الحالات عن مواقف النهضة وإنجازات الليبرالية البورجوازية.

فما يتطلب تفسيرا إنما هو بالتحديد التركيب الذى جمع بين هذه الجوانب. وهو تركيب تجد أشكالا متباينة منه في مختلف تجارب التحرر والتقدم للنصف الثانى من القرن السابق. ثم أقول إن إلقاء تسميات سريعة على هذه التجارب، سواء كان ذلك من أجل تبرير حكم إيجابى بجملته - مثل أن الناصرية فتحت "طريقا لا رأسمالى" (أى تعريفها بالنفى) - أم كان ذلك من أجل إدانتها بشكل عام - مثل أن الناصرية هى تجل لحكم رأسمالية دولة هى بدورها حزام نقل توسع الرأسمالية على صعيد عالمى وأو من خلال ممارسات تمتعت بقدر من الاستقلالية الذاتية - إنما هو عملية محدودة الفعالية فى فهم الآليات التى أنتجت النموذج. وأقول اليوم إن هذا النوع من الهروب من الصعوبة هو نفسه ناتج تجاهل ضرورة العودة إلى تقويم النهضة العربية الإسلامية وهي تمثل بدورها مصدر أهم الحركات السياسية المعاصرة في المنطقة من الناصريه والبعثية ثم الانحياز نحو الإسلام السياسى.

٢ - سبق أننى قلت فى هذه الذكريات انتمائى للحزب الشيوعى المصرى (راية) منذ عام ١٩٥٠. وكنت أقوم ببعض المأموريات وأنا طالب فى باريس فى تلك الأيام.

فمرة أرسل إلى الرفيق فؤاد مرسي مجموعة من الوثائق لحزب الراية ولحدتو تغطى مرحلة ما قبل تأميم قناة السويس (أى الأعوام من ٥٢ إلى ٥٥) وطلب منى ترجمة وثائق الراية وتسليمها للحزبين الفرنسى والإيطالى وكتابة تقرير ألخص فيه مواقف الراية وتقارنها بمواقف حدتو.

وقد قمت بهذا العمل وكتبت تقريرا شديد الدفاع عن مواقفنا وشديد النقد بالنسبة إلى حدتو، وهذه الوثيقة التى اعتمدها فؤاد موجودة. فسلمت نسخة منها للجنة التوثيق التى تقوم بتسجيل هذه الذكريات.

كنت أنا - ورفاق الراية بشكل عام - نعتبر أن انقلاب يوليو لم يكن ناتج صدفة. فقد خلق إلغاء معاهدة ١٩٣٦ جوا مناسبا للدخول فى مرحلة حرب عصابات فى منطقة القناة وهى بدورها فرصة لتجذير النضال ضد الاستعمار. فجاء الانقلاب ليقطع الطريق أمام مثل هذا التجذير، ولا يفترض هذا الحكم أن الاستعمار هو المحرك الذى اختفى وراء مبادرة الضباط الأحرار الذين قاموا بالانقلاب. كلا، لأن قائد الضباط - جمال عبد الناصر - قد أثبت أنه لم يكن يوما من الأيام عدا وطنى شجاع ومخلص

تمام الإخلاص. بيد أن هذا الحكم لا ينطبق على العديد من أعضاء قيادة الحركة.

فالاستعمار - ولاسيما الأمريكي - قد اعتبر أن المبادرة عمل مفيد، وقد اعترف الطرف الأمريكي بذلك أكثر من مرة، وأقنع زميله البريطاني باتخاذ موقف محايد على الأقل.

على هذا الأساس لقد أدانت منظمة الراية الانقلاب إدانة شاملة. وما كنت أراه أنا يحدث في بورسعيد، حيث كنت أقضي إجازتي الصيفية خلال هذه الفترة، قد أقنعني بصحة حكم الراية.

فكنت أتردد على النادي الوفدي الذي ظل مفتوحا لبضعة أشهر بعد انقلاب يوليو. فكان هو المكان الوحيد حيث استمر فيه نوع من النقاش السياسي الحر.

فالشباب الوطنيون يجتمعون هناك ليسمعوا تعاليق "رجال السياسة" من مختلف الأنواع وخاصة قيادات وفدية بالطبع ولكن أيضا البعض المنتمين إلى حزب أحمد حسين وبعض القيادات النقابية العمالية المتأثرين بالشيوعية. وكان أغلبية رجال السياسة يستخدمون الأسلوب المصري المعروف أي إعلان تأييدهم للشعارات الرسمية (بحيث إن الأذن السامعة تسجل هذه المواقف "السليمة" ثم إبداء تحفظات تلغي تماما ما سبق من قولهم.

على سبيل المثال أن "الثورة المباركة" (وهي كانت التسمية الرسمية في تلك اللحظة) سوف تخلصنا من الاحتلال البريطاني، ثم يضاف "لعله لا يتم ذلك من خلال معاهدة جديدة تدخل أمريكا طرفا فيها"! وأعتقد أن معاهدة ١٩٥٤ قد ربطت بالفعل ولو بشكل غير مباشر سياسة مصر بالاتجاه الأمريكي وميله لتغطية الكوكب من خلال سلسلة من الأحلاف العسكرية بحيث إن التحليل الذي طرحته الراية في المنشور المعنون بـ "الجلاء المزيف" والذي صدر بهذه المناسبة لم يكن دون أساس، فإذا كانت الظروف التي ترتبت على حرب ١٩٥٦ قد أتاحت إلغاء هذه المعاهدة، فإن مثل هذا التطور لم يكن متوقعا أصلا.

وكذلك كنت أسمع فيما يخص مستقبل السودان أحاديث تقول "لاشك أن الثورة المباركة سوف تنجز جلاء البريطانيين من السودان". لعله لا يتم ذلك من خلال تسليم السلطة لعملائهم المهديين". وهذا هو ما حدث بالتحديد على أن الاستقلال قد أعطى

للشعب السودانى قدرة تعبيرية متجددة ففتح باب التطورات اللاحقة الإيجابية والسلبية. وكان أغلبية رجال السياسة ذوو الأصوات العالية وجماهيرهم لم يخرجوا بعد عن إطار الشوفينية المصرية فيرددون شعار "وحدة مصر والسودان". فكان الشيوعيون ينفردون فى الدعوة إلى "نضال مشترك لشعبين شقيقين ضد عدو واحد".

اتفق اغلبية "رجال السياسة" المذكورين علي ضرورة عودة الضباط إلى ثكناتهم، ومباشرة انتخابات حرة. وكان بعض ممثلى النقابات يضيفون "بما فيه فتح باب الانتخابات إلى أحزاب جديدة" (وكان المقصود المفهوم حزب شيوعى) أما ممثلو أحمد حسين وفتحى رضوان والإخوان المسلمين فكانوا يرفضون تماما فكرة الانتخابات ويلجأون لتبرير هذا الموقف إلى الخطاب الديماغوجى المعروف حول "فساد الأحزاب" إلخ..، متفقين فى ذلك مع الضباط الأحرار.

وخلال هذه الفترة كانت المناقشات بينى وبين والدى كثيفة. كان والدى وفديا يعلق أهمية كبرى علي ممارسة الديمقراطية السياسية ومبادئ العلمانية كما أنه كان يعتبران النظام الملكى قد فات عصره منذ خيانة الخديو توفيق - ولذلك أعجبته شجاعة الضباط الذين خلصونا من هذا النظام الفاسد فى خدمة الإنجليز ومن الإقطاع فكان يرى الملكية الزراعية الشاسعة سببا رئيسيا فى فقر الشعب المصرى.

ولكن تحفظاته إزاء الضباط تصاعدت عندما تأكد من انهم لن يسعوا إلى إعادة الديمقراطية. وقال لى أكثر من مرة - وهو يعلم انتمائى للشيوعية ويقدر هذا الموقف بالرغم من خوفه الشديد على - إن النظام لن يفتح بابا صحيحا للتقدم الاجتماعى طالما اعتمد فكريا على "الكلام الفارغ والمتخلف بطوع أحمد حسين والإخوان" وكان يذكرنى بهذه المناسبة أنه وجد نفسه "منحازا للإنجليز" لأول مرة فى حياته (وآخر مرة!) أثناء الحرب العالمية الثانية لكراهيته للفاشية، وأن أغلبية الضباط والوطنيين لم يدركوا للأسف أن موقفهم مع الملك ضد الإنجليز فى تلك اللحظة لامبرر وطنى سليم له، ولكن والدى علق آمالا جديدة على جمال عبد الناصر شخصيا بعد تأميم قناة السويس وخاصة عندما تخلص من أغلبية القيادات التى كان والدي يعتبرها "متخلفة وفاسدة" أخلاقيا وذهنيا وثقافيا وبالتالى سياسيا مثل الشافعى والبغدادى وعامر.

فعندما تم تأسيس "لجنة التحرير" فى بورسعيد لتحل محل الأحزاب لم ينضم إليها

عدا شخصيات كنا نعرفهم فردا فردا على أنهم فاسدون ووصوليون دون أى سابق وطنى، بالإضافة إلى قيادات محلية تابعة لحزب أحمد حسين وقيادات إخوانية لم تقل انتهازية عن المجموعة الأولى.

٢ - ماحدث فى مصر انطلاقا من إلغاء النظام الملكى عام ١٩٥٢ قد ادى بالفعل ولو تدريجيا إلى تغيير اجتماعى ذى بعد ثورى، انطلاقا من عام ١٩٥٧. فما تبلور تدريجيا بعد حرب السويس إنما هو بالفعل مشروع مجتمعى "وطنى شعبوى" - علما بأن مدة حياة هذا المشروع لم تزد عن عشر سنوات من عام ٥٧ إلى هزيمة عام ٦٧.

فقد ظل النظام فى فترته الأولى من عام ٥٢ إلى عام ٥٧ محبوسا فى الأفق الضيق لرؤي الضباط الأحرار. فهؤلاء فى اغلبيتهم من اصول بورجوازية صغيرة ريفية (متوسطى الملاك) وهى طبقة اتسمت فى ظروف مصر بجمعها بين الميول الوطنية وبين نظرات فى اقصى الرجعية فى مجالات السياسة والأيديولوجيا.

وقد انعكس تغليب الرؤى الرجعية فى كراهية النظام للشيوعية والحكم على مصطفى خميس والبقرى بالإعدام (أول عمل للنظام الجديد) كما تجلت فى نظرة المتعالى إزاء الجماهير الشعبية، وعلى هذا الأساس رفض الديمقراطية رفضا، ثم جاءت حوادث عام ١٩٥٤ الملتبسة التباسا لتكرس عندنا (اقصد اعضاء الراية) تحفظاتنا إزاء النظام.

فلم يكن الضباط الأحرار مهيئين ثقافيا وإيديولوجيا وسياسيا ليفهموا معنى "الراسمالية" وآلياتها الأمر الذى انعكس فى سذاجة موقفهم حتى عام ١٩٥٧ إزاء رأس المال - الوطنى والأجنبى - وآمالهم فى انه سوف يشارك فى إنماء البلاد.

كما ان شخصية أغلبية القيادات فى تلك المرحلة الأولى - اقصد انور السادات وعبد اللطيف بغدادى وحسين الشافعى وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وزكريا محيى الدين - أثبتت فورا حدودها الضيقة. وكنا نعلم ان يوسف صديق وخالد محيى الدين لم يمثلا عدا تيارا هامشيا فى التنظيم. وأن ناصر نفسه يتحمل مسئولية إبعادهم. فالضباط - من انفسهم كانوا عاجزين عن أن يحققوا شيئا قابلاً للدوام، حتى كان سقوطهم - فدخول مصر فى سلسلة انقلابات متتالية على نمط بلاد اخرى للعالم الثالث تتجلى فى تغيير القيادات دون إنجاز تقدم يذكر - من المحتمل.

يجد ذكاء جمال عبد الناصر السياسي مكانه هنا بالتحديد . فجمال الغى حكم الضباط الأحرار ليحل محله حكم المؤسسة العسكرية فى جملتها.

وقد تجلى هذا الخيار فى "عسكرة "النظام. علما بان العسكرة ضمنت من جانب الاستقرار السياسى (لكنها من الجانب الآخر انتجت اسوا النتائج الا وهى انسحاب تسييس الشعب المصرى على حسب قول الزميل محمد سيد أحمد بان "عبد الناصر قام بتاميم السياسة". وقد اثبت التاريخ ان هذا الخيار يقف فى مقدمة أسباب الكارثة اللاحقة - علما بان جمال عبد الناصر لم يتراجع عن هذا الخيار خلال المرحلة التى حملت آمالاً حقيقية فى احتمال تجذير النظام بين عام ٥٧ وعام ٦٧. لذلك اقول إن مفاهيم النظام لم تتح الخروج من إطار مفهوم السلطة الاستبدادية التى اطلق عليها اسم نظام المماليك، والتى سوف يكون لنا عودة فى نقاشها فيما بعد.

من هنا يمكننا ان نفهم مواقف المنظمة التى انتميت انا إليها - راية - وتحفظاتها إزاء مبادرات النظام - معاهدة ٥٤ ("الجلاء المزيف")- بل والإصلاح الزراعى نفسه. فقد كرس هذا الإصلاح موقف متوسطى الملاك الريفيين دون أن يحل مشاكل الأغلبية المكونة من فقراء الفلاحين المعدومين.

ومن هنا كنا نقول فى منظمة الراية إن الهدف الرئيسى من هذا الإصلاح إنما هو تكريس السلطة لا اكثر. ثم فيما بعد وصفنا النظام الزراعى الجديد بطابع "إقطاعية دولة"، قاصدين من وراء هذه التسمية ان الهدف الأساسى هو تحويل الفائض المنتج فى القطاع الريفى لصالح تمويل التنمية الحضرية، اى تنمية قطاعات طفيلية مرتبطة باستهلاك الدولة ومن يدور حولها اكثر من انها تنمية صناعية فعالة.

اعتقد ان هذه الأحكام لم تكن خاطئة بالأساس، وإن كانت فى بعض الحالات متطرفة فى التعبير، ينقصها الاعتراف بدرجات التلوين التى لابد من إضافتها لكى تكون الصورة صحيحة.

على اننى ارى اليوم أن مواقف الراية اخطأت فى نقطة هامة. فقد بذل الحزب مجهودا عظيما ليقيم " جبهة ديمقراطية" وسعى من اجل ذلك إلى التقرب من الاخوان ومن الحزب الوطنى (بالرغم من أن هاتين المنظمتين تجاهلتا تماما مفهوم الديمقراطية)، على اساس انه لا يصح تجاهل "الجماهير" التى تجرها هذه المنظمات.

لقد فشلت هذه المحاولات، بالطبع. علما بان منظمة شيوعية اخرى - هى حزب العمال والفلاحين - قد توجهت فى اتجاه مختلف فاعطت الأولوية للحوار مع الوفديين وخاصة الشباب الوفدى الأكثر تقدما من قيادات الحزب المشيخة. أعتقد أن هذا الخيار يثبت حساسية أكبر إزاء مقتضيات المسيرة الطويلة المطلوبة نحو الديمقراطية والعلمانية وتكملة ما كان الوفد قد مهد الطريق إليه خلال الفترة من عام ٢٢ إلى عام ٥٢. وسوف أعود لموقف منظمة حدتو التى كانت تبذل مجهودا رئيسيا من أجل إقناع النظام بضرورة قبول مساندتها له.

على أن النظام لم يميز كثيرا بين مختلف المنظمات الشيوعية فتعامل معها جميعا بأسلوب القمع الوحشى الذى لم يكن له سابق قبل عام ٥٢.

٤ - لقد تبلور المشروع المجتمعى الناصرى الوطنى الشعبوى خلال الفترة من عام ٥٧ إلى عام ٦٧.

يمثل مؤتمر باندونج (عام ٥٥) القطيعة الصحيحة فى تاريخ مصر المعاصرة. فجمال عبد الناصر انحاز هناك لمشروع "عدم الانحياز" الذى تقدمت به الدول الأسيوية الكبري - الصين، الهند، إندونيسيا - الأمر الذي أدى به إلى الدخول فى نزاع حاد مع الاستعمار خاصة بعد أن أفشلت الولايات المتحدة المفاوضات بين مصر والبنك الدولى حول تمويل مشروع السد العالى.

فادى النزاع إلى قرار تأميم قناة السويس فى يوليو ٥٦ ثم حرب السويس فى اكتوبر.

كنت اقضى إجازة صيف ٥٦ فى بورسعيد فحضرت عمليات التأميم من قريب وخاصة أننا كنا على علم بالكثير من آليات إدارة القناة. وكانت الخطة أن اقدم أطروحة الدكتوراه فى أواخر العام نفسه، ولكنى انشغلت تماما خلال هذه الفترة بالعمل السياسى للدفاع عن موقف مصر، الأمر الذي اخر مناقشة الأطروحة إلى منتصف العام التالى.

يعلم الجميع أن عام ٥٧ قد أصبح عام التحول العظيم فى تاريخنا المعاصر انطلاقا من قرار وضع الحراسة على الأموال البريطانية والفرنسية والبلجيكية التى كانت لا تزال مسيطرة على أهم قطاعات الاقتصاد المعاصر فى مصر.

فكان الخيار المطروح على قيادة النظام هو الخيار بين "التمصير" - ومعناه تسليم

الأموال تحت الحراسة للراسمالية المصرية الكبرى (مجموعة بنك مصر خاصة) بشكل او بآخر وبين التاميم لصالح بناء قطاع عام يقوم بدور محورى وقيادى فى التنمية، انحاز جمال عبد الناصر لهذا الخيار الأخير.

ظلت الأسئلة الصعبة حول نوعية إدارة القطاع العام قائمة.

طلب من الرفيق إسماعيل صبرى عبد الله- الذى كان قد حكم عليه بالسجن عام ٥٤ فخرج عام ٥٦ - أن يقدم مشروعا بهذا الصدد.

أعتقد ان إسماعيل قد قدم بالفعل أفضل حل ، الا وهو تاسيس نوع من "الهولندنج" العام (أصبح المؤسسة الاقتصادية) ليتحمل مسئولية تعيين ممثلى الدولة فى مجالس إدارة شركات القطاع العام الجديد ومتابعة اعمالها، هكذا تفادى المشروع أخطر المخاطر ، الا وهو توزيع إدارة الشركات على "عملاء" النظام - ولاسيما من الضباط - بشكل فوضوى وان تتخلى الدولة عن متابعة ممارساتهم.

لقد اختار جمال عبد الناصر ضابطا ليراس المؤسسة - حسن إبراهيم - لم يكن له - لحسن الحظ - طموحات كبيرة تتجاوز الافتخار بالوظيفة. فترك هو أمور الإدارة الفعلية لمدير عام - المهندس صدقى سليمان - اثبت هنا - ثم فيما بعد فى توليه مسئولية هيئة السد العالى - قدرات تكنوقراطية صحيحة فى تناول مسئولية إدارية شاقة ولو ان ثقافته الاقتصادية والسياسية لم تتح له أن يتجاوز حدود رؤى المشروع الوطنى الشعبوى.

احتل إسماعيل أعلى مركز ممكن لشخصية شيوعية الا وهو مركز المدير فى المؤسسة. واثبت فى هذا المركز قدرة صحيحة على التاثير فى صالح افضل الحلول الممكنة في ظروف مصر عندئذ وذلك من خلال قدرته على إقناع المسئولين فى إدارة الشركات.

رجعت إلى مصر فى صيف ٥٧ بعد ما حصلت على الدكتورا فى الاقتصاد والتحقت بالمؤسسة الاقتصادية فى يناير ٥٨ بعد مقابلة "انترفيو" قام بها صدقى سليمان ورتبها إسماعيل . وقد تعلمت كثيرا فى وظيفتى التى اتاحت لى أن ارى من قريب حقيقة أوضاع الاقتصاد المصرى وممارسات إدارة الدولة والطبقة الجديدة التى اخذت فى التكوين فى إطار هيمنتها على القطاع العام، كما اننى رايت من قريب كيف استمرت

علاقات إنتاج راسمالية الطابع تعيد إنتاج علاقات اجتماعية لا تختلف كثيرا عما هى عليه فى الراسمالية الكلاسيكية وكيف تم تحييد حقوق العمال من خلال ممارسات جمعت بين إفساد القيادات وتهبيط عزم الآخرين.

على أن شهر العسل بين النظام والشيوعيين لم يدم طويلاً، خاصة بعد أن تحققت الوحدة المصرية السورية فى الإطار المعروف الذى أدى إلى إلغاء كل ما كان يتبقى من ظواهر الديمقراطية فى الإقليم الشمالى (سوريا سابقا)، الأمر الذى دفع لشيوعيين إلى إبداء "تحفظات" إزاء هذا الشكل من الوحدة.

ولم يكن النظام مهيئًا لأن يقبل أى نوع من النقد، فحدثت حملة القبض فى أول يناير ٥٩ التى شملت إسماعيل إلى جنب الوف الرفاق من جميع المنظمات. أصبحنا إذن فى المؤسسة "دون مدير" خلال عام ٥٩.

واصلت عملي ولو دون قناعة قوية فى مستقبل مثل هذا النظام. وصارت انتقاداتى أعمق. وقد نشرت هذه الرؤية النقدية للناصرية فى كتاب تم نشره فى الخارج عام ٦٣ بعنوان "مصر الناصرية" وباسمى الحزبى المستعار (حسن رياض). اعتقد ان التاريخ قد اثبت صحة الخطوط العامة للتحليل المطروح فى هذا الكتاب، إذ كان استنتاجى الرئيسى هو أن النظام محكوم بالتطور نحو اليمين فى نهاية المطاف، على أن الظروف السائدة فى المرحلة التى صدر الكتاب خلالها (أى المرحلة التى تمتد من عام ٦١ إلى هزيمة ٦٧) لم تعتمد هذه "النظرة المتشائمة"، إذ كانت المرحلة هى مرحلة "تجذير" النظام، ظاهريا على الأقل. بيد ان ما حدث فيما بعد (أى "الانفتاح") يكاد يكون صورة مطابقة لما وصفته على انه يمثل المستقبل الأكثر احتمالاً.

لقد أصبح فوزى منصور المسئول فى التنظيم الذى كنت انتمى إليه.

فصارت علاقاتنا وثيقة بل أخوية وعميقة. خاصة واننا كنا نشارك تماما فى صرامة حكمنا على كل من النظام الناصري والنظام السوفيتى نفسه.

فكنا من القلائل الذين أخذوا نقد ماو جديا. وفى خلال نفس العام قابلت الرفيقة إنجى افلاطون التى اختفت فى حى شبرا الشعبى فأصبحنا اصدقاء مخلصين حتى دامت هذه الصداقة إلى وفاة الرسامة.

وقد تم القبض على فوزى فى نوفمبر ٥٩ وقررت السفر قبل ان يتم القبض على،

وذلك بموافقة مسئولى التنظيم. لم أكن مستعدا أن أصبح "لاجئا سياسيا" فى أوروبا، فكانت تجربتى السابقة بأوساط اللاجئين قد أقنعتنى بأن هؤلاء يعيشون فى جو مصطنع، الأمر الذى يترتب عليه نتائج لابد أن تكون سلبية - فقررت أن أبحث عن مكان ووظيفة تناسب إرادتى فى الاستمرار فى خدمة قضايا شعوب العالم الثالث.

ومن هنا فتحت صفحة جديدة فى حياتى ليس هنا مكان ذكر حصيلتها التى تحدثت عنها فى السيرة الذاتية الفكرية.

٥ - لقد أدى انهيار مشروع الوحدة المصرية السورية إلى مرحلة تجذير الناصرية حتى أصبحت تلك المرحلة من عام ٦١ إلى عام ٦٧ تمثل "العصر الذهبى" الذى ترجع إليه ذكريات الحنين إلى عصر الناصرية.

فقد تمت فى خلال هذه المرحلة الموجة الثانية من الإصلاح الزراعى ومن قوانين التأميم تلاها اعتماد "ميثاق وطنى" له طابع تقدمى فى ظاهره، فيحدد حقوقاً ووظائف للفئات الاجتماعية المختلفة فى إدارة الدولة والمجتمع ويعتمد على مبدأ الانتخاب فى إطار حكم الحزب الواحد.

حتى اتخذ الشيوعيون (الذين ظلوا معتقلين) مواقف تساند هذه "الخطوات الإيجابية" التى اعتمدتها من جانب آخر نظرية "الطريق غير الراسمالى" التى انتجها الفكر السوفيتى فى تلك اللحظة. وعام ٦٤ تم الإفراج عن المعتقلين الشيوعيين بناء على طلب خروتشوف على مايبدو، وبمناسبة زيارته لمصر وحضوره حفل افتتاح السد العالى. ونعلم الآن أن الطرفين - المصرى والسوفيتى - قد اتفقا على الشرط المختفى وراء هذا الإفراج، ألا وهو حل المنظمات الشيوعية، كى ينضم الشيوعيون فى "الاتحاد الاشتراكى" الجديد.

على أن الحزب الاشتراكى الجديد الذى تم تأسيسه بقرار من أعلى لن يصبح يوما ما مؤسسة ذات حياة حقيقية، بل ظل على نمط أسلافه، مؤسسة فارغة وفاشلة. واعتقد أن ناصر نفسه لم يكن مهيئا لأن يقبل حزبا حقيقيا يمثل مركز قوة مستقلة نسبيا.

بيد أن التجذير قد شجع جمال عبد الناصر حتى تخلص من العديد من القيادات الرجعية الموروثة من أيام الضباط الأحرار، ولكنه لم يبعدهم جميعا، فظلت قيادة القوات

المسلحة مؤتمنة لعبد الحكيم عامر - شخصية دون المتوسط على أقل التقدير - ورفع أنور السادات إلى وظيفة نائب رئيس الجمهورية - وظلت العلاقات بين ناصر وخالد محيى الدين محدودة.

وبالرغم من كل ذلك انتجت المرحلة ظروفا ملائمة لتكوين طليعة قيادية، وطنية مستحدثة أصبحت فيما بعد ما أطلق عليه اسم "اليسار الناصرى"، ومنهم شعراوى جمعة وعلى صبرى ومراد غالب ومحمد فائق وغيرهم، وهم جميعا من الشخصيات الوطنية التقدمية المخلصة تمام الإخلاص، اثبتوا تمسكهم بالمبادئ بشجاعة متواصلة عبر العقود، على ان الشيوعيين استبعدوا من الوظائف القيادية فطلب منهم مساندة النظام مساندة غير مشروطة، واعلى المناصب التى استطاعوا ان يحتلوها فى الصحافة قد ظلت تحت رقابة حسنين هيكل.

ليس فى ذهنى رغبة فى "إدانة" كل ما انجزه النظام خلال هذه الفترة. كلا ، إلا ان العوامل السلبية التى اتسمت الناصرية بها قد ظلت قائمة.

حتى بلغت الإنجازات الاقتصادية حدودها التاريخية بعد سنوات قليلة فقط.

وانطلاقا من عام ٦٥ توغل الاقتصاد المصرى فى اختلالات خطيرة بينة تجلت فى نمو منفوخ لقطاع ثالث غير منتج وضغوط تضخمية صاعدة.

وما صاحب هذا التطور السلبى هو ان المؤسسة العسكرية نفسها توغلت فى غابة إدارة امتيازاتها الاقتصادية والاجتماعية - كما ان الحزب (الاتحاد الاشتراكى) قد ظل دون وجود حقيقى ، مؤسسة مكونة من وصوليين دون ادنى قناعة صحيحة.

وقد ظلت الناصرية فى المجال الإيديولوجى والثقافى اسيرة المشروع الوطنى الشعبوى، تتجلى حدوده فى طابع السلطة التى "تعمل" لصالح الشعب ولكن تعادى تماما اى تعبير مستقل ينطق هذا الشعب به، وظل الفكر السائد أسير السلفية التقليدية فيما يخص رؤيته للعالم والمجتمع، فكر عاجز عن أن يتجاوز حدود السلفية، فالناصرية- منذ النشاة - لم تكتف فقط بإيقاف حركة الدمقرطة والعلمنة التى مهد الوفد الطريق إليها خلال المرحلة التى امتدت من عام ١٩٢٢ إلى عام ١٩٥٢، بل قلب اتجاه التطور - ثم وبالرغم من إنجازات التجذير بعد عام ١٩٦١ فى مجالات أخرى، إلا ان الناصرية لم تقم بمراجعة موقفها المبدئى فى هذا المجال الذى أعتبره انا اساسيا لتحديث حقيقى

فى المجتمع، وبالتالى ظلت الاتجاهات الرجعية نحو العودة للاستبدادية السلفية التقليدية هى الحاكمة فى المجتمع المصرى الناصرى ثم فى مرحلة ما بعد الناصرية - وسوف أضرب هنا مثلين لم يجذبا اهتمام اليسار المصرى بالدرجة المطلوبة فى رأيى.

يخص المثل الأول دور الأزهر ومكانه فى المجتمع.

كان الفكر الأزهرى السلفى فى مصر فى تطور نحو الاختفاء منذ تأسيس الجامعات الأهلية الحديثة. فكان من الممكن ترك الأمور على هذا الوضع. إلا أن جمال عبد الناصر قد اعتمد فكرة أخرى هى "تحديث الأزهر".

أعتقد أن الفكرة التى ألهمت هذا القرار هى رغبة النظام فى توظيف الدين لصالحه. وبهذه المناسبة يتذكر الجميع ذلك الخطاب الذى زعم أن الإسلام "له طابع اشتراكى. على أن ما حدث فيما بعد قد أثبت أن مثل هذا النوع من الانتهازية الإيديولوجية لا طائل من تحته إذ إن مضمون الخطاب يمكن أن يعكس تماما، الأمر الذى حدث بالفعل - أقول إذن أنا إن الموقف التقدمى السليم كان قد اقتضى ممارسة مختلفة تماما من حيث المبدأ: أى فتح مساحة لحرية الرأى خارج وداخل المجال الدينى - علما بأن مثل هذا الخيار كان من شأنه أن يشجع حوارات وتطورات داخل المجال الدينى نفسه وتعدد التفسيرات الخاصة به ثم إطلاق الحرية للتيارات التقدمية والرجعية الناتجة حتى تتصدى بحرية فى ميدانها، أقول إذن إن خيار الناصرية هو المسئول فى نهاية المطاف عما نشاهده الآن ألا وهو عودة الفكر السلفى الأكثر تخلفا ليحتل المسرح.

ويخص المثال الثانى إصلاح المحاكم - أقصد "توحيد" هذا النظام ونقل الوظائف التى كانت المحاكم الشرعية تقوم بها سابقا (أى القضاء فى أمور الأحوال الشخصية طبقا للشريعة) للمحاكم الوطنية. فالتوحيد هذا قد أدى إلى اندماج عالمين اثنين كانا يختلفان تماما فى منطق ممارساتهما : عالم القضاء المدنى (العلمانى) وعالم القضاء الشرعى.

فادخل توحيد المحاكم بذور العودة لتغييب الفكر السلفى فى المؤسسة القضائية بجملتها وفتح الباب للطلب بتنفيذ الشريعة في جميع مجالات القانون. هنا أيضا أتصور أن الخيار التقدمى كان قد اقتضى ممارسة مختلفة تماما ألا وهى قبول ازدواجية

القانون لمرحلة انتقالية ولوطالت، حتى تنضج الممارسات الاجتماعية فتتيح تعديل قوانين الأحوال الشخصية فى الاتجاه المطلوب.

خلاصة القول إن خيارات الناصرية فى هذه المجالات لم تكرس الفصل بين الدولة والدين، بل على العكس من ذلك اعتمدت اندماجهما. هذا هو الطابع الإيديولوجى الرجعى للمشروع الوطنى الشعبوى المعنى.

بيد أن النتائج التى ترتبها بالضرورة هذه الخيارات لم تظهر بوضوح فى ايام حكم ناصر الذى استطاع أن يضع حدا لها. ولكن الدودة كانت تاكل الفاكهة من داخها؛ فلم يجد انور السادات أدنى عقبة فى توظيف الفكر السلفى من اجل تبرير انحيازه للاستسلام أمام الراسمالية العالمية.

فوجد هو مؤسسات دولة هامة (ومنها التعليم والقضاء) مهيئة لكى تستسلم لتغليب التيار الإسلامى السياسى السلفى.

اكتفى بذلك إذ إننى قد سبق ان عبرت عن رايى فيما يخص الخطاب الذى يضفى مشروعية للسلفية باسم "الخصوصية" الثقافية.

كان المطلوب بهذه الشئون طرح مشروع مجتمعى يختلف بالفعل عن المشروع الوطنى الشعبوى، وأن يقوم الشيوعيون بهذا الدور، حيث إن الماركسية ورثت من فلسفة التنوير مفاهيم الحداثة والديموقراطية والعلمانية، بل يفترض انها قد طورتها. على ان الشيوعية المصرية لم تعلق اهمية على هذه المفاهيم. وقد لعب النموذج السوفيتى الذى تبلور فى ظروف أدت إلى إنكار الديمقراطية إنكارا، دوره في تشجيع استمرار هذا النقص فى الشيوعية المصرية (وغيرها).

أستنتج من هذا التحليل للتجربة الناصرية انها فى واقع الأمر لم تتجاوز لحظة حدود مفاهيم الوطنية بل فى بعض جوانبها أشكالاً متخلفة ثقافيا لهذه المفاهيم. فالشعبوية من جانب ودور الدولة المركزى ("الدولنة") من الجانب الآخر يمثلان جوهر نواقص المشروع الناصرى المذكور. علما ايضا بأن الجو السائد عالميا انطلاقا من مؤتمر باندونج وتغليب أهداف التحرر الوطنى على الأبعاد الأخرى للنضال من اجل التقدم الاجتماعى والثقافى وكذلك أطروحات السوفيتية (الطريق غير الراسمالى .. إلخ) ونواقصها (فى المجال الديمقراطى خاصة) قد لعبت دورها فى وضع حد لاحتمال قيام

الشيوعية المصرية بدورها التاريخى الطليعى.

اثبت التاريخ اللاحق صحة استنتاجى المبكر عن حدود الناصرية. لقد فتحت هذه النواقص الباب للانفتاح الساداتى. كما ان تجمد السوفيتية فى ظل حكم برجنيف قد هيا الظروف الملائمة لانتصار يلتسين. فلا أرى أن ما حدث فى كل من مصر والاتحاد السوفيتى السابق له طابع "ثورة مضادة"، بل أقول إن الانفتاح فى حالة مصر وانهيار الاشتراكية القائمة بالفعل فى حالة الاتحاد السوفيتى لهما طابع تعجيل حركة كان مكتوبا فى داخل منطق تطور النظامين المعنيين.

ولا اكثر من ذلك. فليس معني ذلك ان مثل هذه الردة قد مثلت الاحتمال الممكن الوحيد، فكان هناك ايضا احتمال تطوير النظامين نحو اليسار ولو بالتدريج. إلا ان ذلك كان يفترض بدوره درجة من الوعى بمغزي التحدى لدى الطليعة - هذا هو بالتحديد ماكان ناقصا

أعتقد أننا اليوم فى حاجة إلى إعادة قراءة المواقف التى اتخذتها المنظمات الشيوعية المصرية على ضوء ما سبق قوله. وفى هذا الإطار اعتقد ان مواقف مساندة الناصرية باسم تغليب البعد الوطنى على غيره من ابعاد الإشكالية قد اثبتت عبثها إذ إنها لم تستطع ان تحول دون فشل النظام فى هذا المجال الوطنى بالتحديد.

وقد اعتمد هذا الموقف على فهم سطحى لنظرية تقول إن الطريق إلى الاشتراكية فى المجتمعات المتخلفة يمر من خلال مرحلة وطنية ديمقراطية ولم تؤخذ فى الاعتبار كتابات لينين ثم ماو بهذا الصدد وهي كتابات ركزت على الشروط التى لابد من جمعها لكى تصبح المرحلة الوطنية المعنية مرحلة نحو الاشتراكية الا وهي ان تقوم "البروليتاريا" من خلال تحالفة مع الطبقات الشعبية المستغلة (بفتح الغين) من فقراء الفلاحين بالأخص بالدور القيادى فى الثورة الموجهة ضد الإمبريالية وحلفائها من الكومبرادور وكبار الملاك. فإذا كانت طبقات أخرى هى التى تقوم بهذا الدور القيادى - سواء كانت بورجوازية وطنية او طبقات ريفية من الفئات الوسطى او فئات وسطى حضرية او اى تركيب يجمعهم - فلن يخرج من هذا النضال سوى تكريس الوهم بان بناء مجتمع رأسمالى متقدم (على نمط ما حققته البورجوازيات فى البلاد التى أصبحت مراكز المنظومة العالمية) قد ظل ممكنا فى عصر العولمة الإمبريالية.

اعتقد ان تاريخ العقود التى تلت الحرب العالمية الثانية قد اثبتت صحة هذه النظرية ولو ان العقود التالية قد اوضحت ايضا حدودها ونواقصها، فالنماذج للثورة الاشتراكية على مراحل هى بالأساس نماذج الصين (ومن هنا مركزية كتاب "الديمقراطية الجديدة" لماو) وفيتنام وكوبا بينما المشروعات الوطنية الشعبوية منذ اسلافها الباكرة (ثورة اتاتورك، ثورة المكسيك فى عقد العشرينيات، ثورة الكيومن تانج فى الصين) إلى اشكالها المتجددة فى اعقاب الحرب العالمية الثانية البيرونية فى الأرجنتين، الناصرية، البعثية، الثورة الجزائرية .. إلخ) قد اثبتت انها لم تتحرر من اوهام التنمية الراسمالية فبلغت حدودها بعد زمن قصير وإنجازات محدودة ثم انهارت فورا دون فتح باب التقدم نحو تجذيرها.

بيد أن العقود الأخيرة قد اثبتت ايضا ان "قيادة البروليتاريا" كما كان يقال بالنسبة إلى نموذج الثورات التى تمت فعلا بقيادة حزب شيوعى لم تمثل بدورها شرطا كافيا من اجل "ضمان" تطور لاحق نحو الاشتراكية. فلا يصح اليوم ان نتجاهل التطورات فى اتجاه العودة إلى الراسمالية التى تراها فاعلة فى الساحة فى الصين وفيتنام. فإذا كان من الممكن انتساب هذه التطورات جزئيا على الأقل لتطور ضغوط العولمة الراسمالية نفسها ،فلا ريب ايضا انها ناتج تصاعد تناقضات داخلية لم يُحسب لها حساب بالدرجة المطلوبة فى رؤى ماركسية لينين وماو. على أن نقاش هذه المشاكل الخاصة بنظرية الانتقال من الراسمالية العالمية إلى الاشتراكية العالمية يخرج من إطار هذه الذكريات. ولكن - ومهما كانت اطروحاتنا اليوم بهذا الصدد - فلن يلغى ذلك سذاجة (وبالتالى خطأ) نظرية "المرحلة الوطنية البورجوازية" التى سادت فى الحركة الشيوعية المصرية.

ليس معنى ذلك أن الحركات الوطنية الشعبوية المعنية لم تحقق شيئا كان جوانبها السلبية قد تجاوزت جوانبها الإيجابية لدرجة انها لم تستحق المساندة. كلا. فاطروحة الماوية دعت إلى مساندة ميول الطبقات الحاكمة المعنية (الدول) إلى تحقيق اكبر قدر ممكن من الاستقلال فى المجال الدولى، دون ربط هذه المساندة باوهام احتمال تطور اشتراكى فى هذا الإطار إذ إن "الشعوب" تميل إلى "الثورة" (وهى مطلب غير استقلال الدولة، مطلب قائم بذاته).

كلن هناك إذن رؤيتان للتحدي، اولاهما تميز بين مساندة القوى الوطنية المعادية للاستعمار (بما فيها نظم الحكم) وبين مقتضيات تطور الوعى بالحداثة والصراع الطبقى والثانية تدمج البعدين دمجا بحيث يتغلب البعد الوطنى على البعد الطبقى فى واقع الأمر.

انحازت الشيوعية المصرية للمنهج الثانى، وخاصة بعد عام ١٩٥٦، واعتمدت فى ذلك على نظرية"الطريق غير الراسمالى"، فالقيادة السوفيتية لم تقبل التميز المذكور فارادت ان تعتبر كل قوة تختار موسكو ان تساندها (وقد يكون هذا الخيار سليما فى حد ذاته) على انها "قوة اشتراكية" احتمالاً على الأقل (وهذا غير صحيح بالمرة). اعتقد ان مثل هذا المنهج لم يعبر إلا عن توظيف خطاب ماركسى الشكل لصالح اهداف الدبلوماسية السوفيتية، لاغير.

وبناء علي ما سبق قوله سوف اقترح عودة للنظر في ظروف نشاة الشيوعية المصرية، او بالأخص إعادة ولادتها خلال الحرب العالمية الثانية.

لقد قيل بهذا الشان إن توجه العديد من اعضاء الجالية اليهودية المصرية نحو الشيوعية (ومن ثمة دورهم فى إعادة ولادة الشيوعية المصرية) إنما يجب أن ينسب إلى خوفهم من ايديولوجيا النازية العنصرية المتطرفة والمعادية للسامية الصاعدة والتى تجلى خطرها الحقيقى فى احتمال غزو مصر.

فسعى عدد من ممثلى هذه الأوساط إلى تشجيع تيار وطنى مصرى تقدمى معاد للفاشية، خاصة وان التيار الوطنى الغالب فى تلك الأيام قد انحاز لصالح معسكر برلين، كراهية للاحتلال البريطانى.

لعل هذا التفسير يحمل شيئا من الحقيقة بالنسبة إلى اعضاء الجالية اليهودية المذكورة. ولكنه لا يجيب على اهم التساؤلات وهى تخص أولاً أسباب انتشار الدعوة الشيوعية فى اوساط مصرية وثانيا اسباب تغليب نظرية "المرحلة الوطنية الديمقراطية" المزعومة فى الحركة الشيوعية المصرية المعنية.

اعتقد ان مسئولية كوريل شخصيا فيما يخص الخيار الأخير المذكور هى رئيسية. ولا اود ان أخفى على القارئ تقديرى السلبى لهذه الشخصية.

اولاً لأسباب تتعلق بتكوينه النفسى وهو تركيب فردانى وانانى بل ربما تغلب عنده

الغرور والرغبة فى أن يكون "الوحيد" فى الحزب "القادر" على "فهم الأوضاع"، الوحيد فى مسئولية القيادة. فلم يقبل منافسة شخصيات متساوية معه فى قدرتهم التحليلية. ولذلك لم يشجع على الإطلاق التثقيف الحقيقى فى صفوف أعضاء تنظيمه، ويجد هذا النقص فى التثقيف انعكاساته فى صفوف الشيوعية المصرية بشكل عام وبالرغم من وجود استثناءات فردية. ولا اود ان أضرب هنا أمثلة تجليات لهذا النقص وذكر أسماء.

ثم إن الخيار الأنانى الفردانى المذكور يشجع من تلقاء نفسه ميل اتخاذ مواقف انتهازية تجلت فى التبعية نحو مواقف موسكو أو ما قد تصورته القيادة المحلية على انها رغبات موسكو، الأمر الذى دفع بدوره فى اتجاه تغليب البعد الوطنى وتجاهل الأبعاد الأخرى الاجتماعية والثقافية والإيديولوجية.

لقد تجمعت هذه الخيارات لتنتج الحركة الشيوعية بالشكل الذى رايناه يتغلب فى تاريخ مصر المعاصرة. وقد جذبت هذه الخيارات أفواجا من الوف الشباب الوطنيين الشجعان. وهذا نجاح فى حد ذاته ليس فى ذهنى على الإطلاق أن اسئ فى تقديره. كما ان هذا الموقف الغالب الذى نستطيع ان نعتبره نوعا من احتقار الفكر وإحلال محله العمل قد اصبح سمة من سمات الشيوعية المصرية. او بتعبير ادق لقد انحصر الفكر على التحليل السياسى البحت، اقصد قراءة المواقف السياسية التى تتخذها مختلف القوى العاملة فى الساحة دون تعليق اهتمام بنقد أصول الثقافة والممارسات الاجتماعية. من هنا خجل الحركة الشيوعية المصرية فى مجال الفكر الدينى والثقافة المجتمعية.

لن اخوض فى تفاصيل نقد الحركة الشيوعية المصرية من الزوايا المذكورة هنا. سوف اكتفى بالقول إن الحكم العام المطروح هنا لا ينفى درجات من التلوين التى ينبغى اعتبارها، لعل منظمة حدتو وما تفرع منها من منظمات عديدة قد عانت من هذه السمات أكثر من غيرها، ولو بسبب دور كوريبل فى تاسيسها وإضفاءها بما أصبح "تقاليدها" فى الفكر والعمل، حتى أصبح انحياز حدتو فى خط مساندة ثورة يوليو انحيازا متطرفا وباكرا، وهذا على خلاف موقف منظمة الراية التى اتخذت فى تلك المرحلة موقفا عكسيا، ولعل "احتقار" الفكر والتثقيف الصحيح كان اقل بروزا فى بعض المنظمات الأخرى ومنها حزب العمال والفلاحين.

على ان المواقف الموضوعية تقاربت بالفعل انطلاقا من عام ١٩٥٧ فانحاز الجميع لخط مساندة المشروع الوطنى الشعبوى وللنظرية السوفيتية القائلة "بالطريق غير الراسمالى". الأمر الذى لعب دوره فى وحدة الحركة اللاحقة ثم اختفاء المنظمات فيما بعد. وسوف يكون لى عودة فى هذه المواضيع.

بحيث إن الحكم "العام" المطروح هنا لا يبدو لى خيانة بالنسبة إلى حقيقة التاريخ فى خطه الرئيس. أقول إذن إن الحركة الشيوعية المصرية اتسمت بتغليبها البعد الوطنى على الأبعاد الأخرى للتحدى وأنها عانت نواقص واضحة فى مجال النقد الفكرى والثقافى.

لم يكن هذا النقص الأخير "مكتوبا"، تفرضه ظروف موضوعية فرضا. كلا فا لمجتمع المصرى تصدى لتحدى الحداثة منذ باكر (أيام محمد على)، قبل العديد من المجتمعات الأخرى الآسيوية والأفريقية. ثم اثبت قدرة باكرة على أن تتبلور فى طياته انتلجنسيا بالمعنى الصحيح، تسعى إلى أن تعى حقيقة الأمور بعمق مصادرها. ولكن - للاسف - الحركة الشيوعية المصرية لم تحول هذه الإنجازات إلى رصيد حتى تنطلق منه وتقوم بتطويره.

هذا هو معنى ومضمون الحكم العام الذى أطرحه هنا الا وهو أن الحركة الشيوعية المصرية ظلت محبوسة فى تغليب البعد الوطنى ونظرة للاشتراكية لا تتجاوز كثيرا حدود إنجاز "عدالة اجتماعية" حتى أدى انهيار المشروع الوطنى الشعبوى وانهيار النموذج السوفيتى إلى انهيار الشيوعية المصرية المصاحبة لهما.

٦ - تزامن عصر الناصرية الذهبى مع ازدهار العروبة، الأمر الذى ينعكس من خلاله نفوذ بل كريسما شخصية جمال عبد الناصر. علما بأن حزب البعث قد قام بدوره ايضا فى هذا الازدهار حتى يجب اعتبار الناصرية والبعثية على أنهما تمثلان توأمان فى جوهر الفكر ولو نشأت كل منهما فى ظروف خاصة بها ومختلفة إلى حد كبير. وسوف يكون لى عودة فى نقاش حدود هذا الفكر العروبى المزدوج وبالتالى إدراك أسباب فشل مشروعات الوحدة المتتالية.

كان الاستعمار على وعى تماما بأن القوات المسلحة مثلت كعب أخيل فى النظام الناصرى. فقامت الولايات المتحدة وحليفها إسرائيل بتدبير الحرب منذ عام ١٩٦٥. ثم

جاءت هزيمة ٦٧ التى لا تقل كارثة عن هزيمة ٤٨ ، وذلك بالرغم من تسلح جيوش مصر وسوريا بأحدث الأسلحة السوفيتية ومن عشر سنوات من التدريب والتعبئة المتواصلة. حتى لم يكن فى مستطاع النظام أن يفسر الهزيمة بأن أسلحته كانت فاسدة كما كان الأمر عليه فى حرب ٤٨.

وإذا كانت الشعوب العربية بل وقياداتها وأغلبية الشيوعيين على ما يبدو لم يتوقعوا مثل هذه الهزيمة، إلا أننى أستطيع أن أقول - دون أى تكبر منى-إننى كنت قد توقعتها منذ أول لحظة - انفجار المعركة أتذكر أن العديد من الرفاق الذين قابلتهم عندئذ قد اعتبروا قلقى بل حصرى وخوفى على أنها "ظواهر تشاؤم لا محل لها".

فكنت دائما قد احتقرت تماما "المشير" عامر، تلك الشخصية التى كان تظهر على وجهه وكلامه وممارساته سمات الغرور والجبن وعدم الكفاءة.

ثم كان لعبد الناصر بعد الهزيمة الخيار بين بديلين ، التجذير أو الردة. على أن التجذير فى هذه الظروف كان يقتضى خطوة واسعة فى اتجاه الديمقراطية والتخلى عن الفكر المعادى مبدئيًا للشيوعية، فآثر جمال عبد الناصر التراجع وتعويضه بمزيد من الالتجاء إلى الأبعاد السلفية فى إيديولوجيا النظام، وذلك بالرغم من انتفاضة الشباب والطلبة عام ٦٨. هكذا فتح ناصر نفسه باب التطور نحو الانفتاح.

ثم بعد وفاة ناصر اختارت المؤسسة العسكرية الحاكمة الوحيدة فى آخر المطاف السادات رئيسا، مؤكدة من خلال ذلك انحيازها لرؤى السادات الرجعية المطلقة المعروفة. فاثبت السادات مهارة تكتيكية أكيدة. ففى مرحلة أولى من حكمة تخلص من اليسار الناصرى - البديل الوطنى الصحيح الوحيد - دون أن يتنازل عن خطة "عبور القناة"، علما بأنه قد أعلن فورا بعد نصف النجاح فى إنجازات حرب ٧٣ أنها "الحرب الأخيرة ضد إسرائيل". ثم رفع القناع فالغى الاتفاقية المصرية السوفيتية وقلب اتجاه السياسة المصرية لينخرط فى سياسة واشنطن فزار القدس فى الظروف المعروفة عام ٧٧ وفتح الباب تماما لغزو الراسمالية الكومبرادورية الجديدة وشجع عودة الإسلام السياسى السلفى للسيطرة على المجال الإيديولوجى والثقافى.

كانت صفحة الناصرية قد طويت نهائيا.

قضية فلسطين

١ - كان عمرى عند نهاية الحرب العالمية الثانية، عندما دخلت قضية فلسطين فى مرحلة حاسمة فى منظور إلغاء الانتداب البريطانى وبالتالي احتمال استيلاء الصهيونية على الأرض كليا أو جزئيا، لا يزيد عن ١٤ عام. وبالرغم من اننى كنت اعتبر نفسى "شيوعيا" إلا اننى لم انتم إلى اية منظمة سياسية تتيح لى حق التحدث بصفة الشاهد. ثم عام ١٩٤٧، اى قبل ان تتعجل التطورات التى ادت إلى حرب ٤٨ سافرت إلى فرنسا للدخول فى الجامعة. وبالرغم من اننى انضممت فورا للحزب الشيوعى الفرنسى إلا ان قضية فلسطين لم تمثل هناك - بطبيعة الحال - المسالة الرئيسية فى النقاش والعمل.

بيد اننى اتذكر تماما ما كان رايى الخاص وكذلك الجو السائد فى الحزب الشيوعى فيما يخص هذه القضية.

استطيع ان اقول إننى كنت معاديا للصهيونية تماما، مبدئيا، وبالتالى معاديا لإقامة اية "دولة لإسرائيل" ولو على جزء من ارض فلسطين. ولحسن الحظ لدى ما يدل على ذلك بشكل قاطع. فكنت فى باريس عام ١٩٤٨، صديقا لطالب من اصل تشيكي يهودى هرب من الحكم النازى خلال الحرب.

ووقع هذا الشاب اليتيم فى ايدى شبكة صهيونية كانت تجتهد من اجل تعبئة المهاجرين. فبذلت انا اقصي المجهود لإقناعه بعدم الهجرة وخيار الجنسية الفرنسية المعروضة له، دون جدوى. وقد اصبح هذا الشخص - واسمه صول فردلندر - من كبار ابواق الصهيونية فى اسرائيل ثم جاء فى ذكرياته المنشورة حديثا ذكر لصداقتنا ولمحاولتى بإقناعه الفاشلة، وعن موقفى المعادى اصلا للمشروع الصهيونى.

كما تذكر تماما ان راينا فى الصهيونية كان بكل بساطة انها إيديولوجية عنصرية رجعية. وكنا نستند فى هذا الراى علي قراءتنا للنقد الشديد الذى وجهه البولشفيك ايام لينين (اى قبل ستالين) فى حركة "البوند" فى روسيا، علما بان هذا الراى لم يكن رايا فرديا خاصا لى او شاذا بل كان هو الراى الذى يشاركه جميع الشيوعيين بما فيه المثقفون الشيوعيون من اصول يهودية.

اضيف إلى ذلك ان الشيوعيين قد ادركوا تماما اهمية العلاقة العضوية التى ربطت

المشروع الصهيونى واستمرار تحكم الاستعمار فى شئون الشرق الأوسط. واذكر هنا ما كتبه بهذا الشان مكسيم رودنسون عن الطابع "الكولونيالى" لمشروع دولة اسرائيل. وهى كتابات اعيد نشرها بعد مرور نصف القرن ولا تزال تحسب من افضل ما كتب فى الموضوع، علما أيضا بان رودنسون كان له نفوذ حقيقى فى صفوف الحزب الشيوعى فى هذا المجال.

فلم يقبل الشيوعيون مرة تلك الخلطة بين معاداة الصهيونية، ومعاداة "السامية" التى يعيش عليها الإعلام الإسرائيلى، فالشيوعيون وقفوا بوضوح ضد العنصرية مبدئيا فضد الصهيونية بصفتها عنصرية دون ان يقعوا فى فخ عنصرية اخرى هى معاداة السامية التى أدت إلى جرائم النازية المعروفة.

اقول إذن إن الكلام الذى نسمعه اليوم يتردد كثيرا بان الشيوعيين - بصفتهم "غربيين" - لم يختلفوا كثيرا عن الآخرين فى انحيازهم والصداقة لمشروع إسرائيل، إنما هو كلام ليس له علاقة بحقيقة التاريخ.

٢ - اما بالنسبة إلى الجو السائد فى تلك الأيام فى المجتمع المصرى بصفة عامة وفى صفوف الشيوعيين المصريين بصفة خاصة فقد سبق أن ذكرت اننى لست في موقع يتيح لى حق الشهادة المباشرة.

على أن الرجوع إلى الوثائق المكتوبة وإلى ذكريات الرفاق الذين شاهدوا حوادث هذا الفصل من التاريخ قد يلقى بعض الضوء على ما حدث بالفعل.

وقد اقنعنى هذا التمرين بان الكلام الدارج اليوم والذى يفترض إدراكا باكرا بمغزى المشروع الصهيونى وعلاقاته بالإمبريالية لدى الشعوب العربية هو فى واقع الأمر نوع من إسقاط الحاضر على الماضى.

فالمصطلح "العروبة" على سبيل المثال لم تدخل فى قاموس المصطلحات المستخدمة فى الخطاب السياسى المصرى قبل عصر الناصرية وبعد عام ١٩٥٦ فقط.

فكان الشعار الذى اتذكر عمومية ترويجه فى ايام شبابى هو " مصر للمصريين" ولاغير.

والوثائق تثبت أن المثقفين المصريين والعرب من مختلف الانتماءات لم يدركوا العلاقة العضوية التى ربطت منذ الأصل المشروع الصهيونى ومصالح الهيمنة الاستعمارية على

المنطقة، بل وانا لست مقتنعا بانهم يدركون هذه العلاقة حتى يومنا هذا، وقد اثبتت كتابات فيصل دراج أن نظرات ورؤي المثقفين والمفكرين الفلسطينين أنفسهم ظلت تتسم بدرجة من السذاجة أدت بهم إلى الفصل بين "العدو" الصهيوني (اليهودي) و"الحليف" المحتمل البريطاني ثم الأمريكي؛ ويبدو أن الرئيس السادات لم يتجاوز هذه الحدود في إدراكه إذ أنه وجه سياسة مصر في اتجاه واشنطن "لأن الأوراق في أيديها".

حقيقة الأمر إذن هي أن التيار الشيوعي هو التيار الفكري الوحيد الذي أدرك مغزى العلاقة العضوية المذكورة. فالخطاب الدارج حاليا الذي يزعم أن "العروبة" و"الاسلام" كانا دائما يمثلان القوة الرئيسية في مواجهة الاستعمار بينما "الشيوعية بصفتها "فكر مستورد" إلى جانب الفكر البورجوازي المستورد هو الآخر لم تقف عقبه في سبيل ما اصبح فيما بعد يسمى "بالغزو الثقافي" إنما هو خطاب قائم على قلب وقائع التاريخ راسا على عقب.

فعند العودة إلى وثائق الماضي لا نجد ما يثبت واقع حدوث باكر بوعي عما هو المشروع الاسرائيلي في حقيقة امره. لا عند طلائع الحركة البورجوازية ولا في اوساط المعارضة لها باسم الحنين الماضوي "العروبي" أو "الإسلامي"

هذا وسيقول البعض أن اليوم هناك تيارات سياسية عروبية وإسلامية تعارض الاستعمار والصهونية معا. ظاهريا هذا صحيح على أن المفاهيم التي تلجأ إليها اطروحات هذه التيارات هي مفاهيم لا اساس علمي لها. فهي تيارات فكرية ظلت عاجزة عن إدراك مغزى تحدي الحداثة كما راينا فيما سبق، فهي تيارات ترفض الحداثة رفضا، وبالتالي هي عاجزة عن أن تفهم هذه العلاقة العضوية التي تربط بين المشروع الاسرائيلي ومقتضيات التوسع الراسمالي بشكل عام.

لذلك اعتقد ان "النقد الذاتي" الذي قام به حديثا عدد من الزملاء الشيوعيين لا محل له على الإطلاق، فهو ناتج تاثير الجو السائد وإعادة كتابة التاريخ لا أساس لها، بل واستسلام لهذا الفكر السادج القائل بان كل ماهو "مستورد" يرسى في نهاية المطاف إلى فكر موحد يضم معا الليبرالية البورجوازية والماركسية ليجعل منها شيئا واحدا في خدمة الاستعمار والصهيونية.

ربما اختلفت الظروف بالنسبة للرأي العام في سوريا "الكبرى" (المنطقة التي شملت

انطلاقا من بعد الحرب العالمية الأولى سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين). فقد تم هناك بالفعل تقسيم اصطناعى لمنطقة عربية عاشت موحدة فى ظل الدولة العثمانية (على خلاف وضع مصر التى نالت استقلالها الفعلى منذ عهد محمد على)، فادركت باكرا خطر إعلان بلفور ومشروع الاستيطان الصهيونى. ليس إذن من باب الصدفة ان شعار الوحدة العربية قد ظهر فى هذه المنطقة قبل ان ينتشر علي صعيد الوطن العربي بأجمعه، وليس ايضا من باب الصدفة أن هذه الشعارات قد تبلورت اولاً فى إطار تيارات يسارية (أعلنت نفسها اشتراكية) ثم اندمجت فيما بعد فى تكوين حزب البعث.

٣ - يبقى أن نتساءل إذن عن الظروف التى احاطت بقرار التقسيم عام ٤٧ واسباب موافقة الاتحاد السوفيتى عليه.

ثمة عقبات تجعل الإجابة على هذا السؤل فى غاية الصعوبة وخاصة طالما ان جميع الوثائق السوفيتية التى قد تلقى ضوءا على الموضوع غير متوفرة. ففى معظم الأحيان يُعوض النقص فى المعلومات بأنواع من المخيلات ضعيفة الأساس، كان السوفيت تصوروا ان سكان إسرائيل "الأوربيين الأصول" سيدخلون فكرا حديثا بل اشتراكيا فى منطقة يسود فيها الفكر السلفى الرجعى المجمد. هذا القول - الشائع فى ايامنا - ساذج ومتناقض تماما بما سبق قوله حول موقف البلشفيك إزاء الصهيونية.

بيد أن اعتبار مبادئ الماركسية عامة وفهمها البلشيفى خاصة لا يكفى لتفسير جميع المواقف التى اتخذها الاتحاد السوفيتى هنا وهناك فى المجال الدولى. كلا. ففى كثير من الحالات اتخذت السلطة السوفيتية مواقف لا يمكن تفسيرها إلا من خلال الالتجاء إلى مبدأ آخر الا وهو تغليب مصالح الدولة السوفيتية على اى اعتبار آخر، وهناك امثلة عديدة لمثل هذا الخيار، منها على سبيل المثال نظرية"الطريق غير الراسمالى" التى تناولنا مناقشتها فيما سبق.

ثم يجب أن لا ننسى أن السوفيت قد اتخذوا موقفا مبدئيا خلال المرحلة التى سبقت قرار انسحاب بريطانيا الا وهو إقامة دولة فلسطينية موحدة تضم جميع السكان الموجودين على ارضها فى لحظة حصولها على الاستقلال، علما بأن المستوطنات اليهودية فى تلك الأيام لم تملك عدا ٥٪ من ارض فلسطين وان عدد سكانها ظل محدودا.

ولكن الطرفين الصهيونى والعربي قد رفضا التعايش فى ظل دولة واحدة الأمر الذى شجع الانزلاق نحو فكرة التقسيم. صحيح أن مشروع التقسيم قد أعطى لدولة إسرائيل أراضى تتيح لها التوسع خارج مستوطناتها ومدينة تل أبيب التى كادت أن تكون فى تلك الأيام المدينة اليهودية الوحيدة. بيد أن امتناع الطرف العربى عن التأثير فى المفاوضات حول تفاصيل التقسيم قد ساعد الطرف الصهيونى فى تغليب مطالبه.

ولعله كان من المفيد أن نتذكر هنا أن الفاعلية فى العمل السياسى تفترض الانطلاق من تقويم سليم لموازين القوى العاملة فى الساحة ثم يتم على أساسه رسم استراتيجيات وتكتيك من شأنها أن تساعد على تغيير تلك الموازين. هذا هو ما فعله الفيتناميون عندما قبلوا التقسيم عام ١٩٥٤ ثم استغلوا الظروف المترتبة عليه حتى غيروا موازين القوى فى الجنوب لصالحهم.

وهذا هو بالتحديد مالم تفكر فيه عام ١٩٤٨ الأطراف العربية التى اكتفت بالتمسك بالمبدأ أن فلسطين عربية فلا مكان فيها لإقامة أية "دولة" ذات طابع آخر. بيد أن صحة المبدأ فى حد ذاته، والتمسك الصحيح والسليم بذكره لا يلغى واقع موازين القوى. فالسؤال المطلوب الإجابة عليه هنا هو الآتى: هل كان للعرب بديل أفضل من مشروع التقسيم عام ١٩٤٧؟ لقد أثبت التاريخ اللاحق أن رفضه فى غياب قدرة على فرض حل أفضل – أى إقامة دولة فلسطينية على كل أرض الانتداب – كان لابد أن يؤدى – وأدى بالفعل – إلى إعادة تقسيم فى صالح الاستيطان الصهيونى، ثم بعد نصف قرن إلى "الاعتراف" بالواقع الجديد.

أعلم تماما أن مدافعى "الرفض" يزعمون أن موافقة العرب على مشروع التقسيم ما كان من شأنه أن يغير شيئا، إذ كانت الصهيونية مهيئة لفتح أراض خارج حدود خريطة التقسيم. هذا صحيح ولكن موقف العرب قد ساعد على إنجاز خطة الصهيونيين، بينما إذا كان العرب قد "قبلوا" التقسيم – ولو بتحفظات – لكان قيام الصهاينة "بفتح" أراض خارج خريطة التقسيم قد بدا بوضوح على أنه عملية توسعية سافرة. بينما رفض التقسيم قد ساعد الصهاينة على إخفاء مشروعهم وإعطاء طابع "دفاعى" لما كانت عمليات حربية توسعية.

ملاحظة أخيرة: عندما نتحدث عن الطرف العربي نقصد نظم الحكم. فالأحزاب

الشيوعية (السرية) مثلت فى تلك الأيام القوى السياسية المنظمة الوحيدة المستقلة عن النظم بينما جميع الأحزاب الأخرى الوطنية والإسلامية (الإخوان) لم تجرؤ على ان تتحرك خارج إطار قرارات الحكومات، هذا وقد عملت هذه الأطراف العربية بحيث تتفادى المواجهة المباشرة بين شعب فلسطين والصهاينة، فالنظم قامت بتشجيع "الهجرة" على أساس ان الجيوش العربية هى المسئولة عن تنظيم "العودة" القريبة!

هذه هى أسباب الكارثة، فليست هى بالأساس "قبول قرار التقسيم".

الوحدة المصرية السورية والعروبه

لقد حدث مع إشكالية العروبة ما حدث بصدد قضية فلسطين ، سيادة الخرافات فيما يخص المصادر ونشأة الفكرة والحركة وتطورها ومواقف مختلف القوى السياسية منها، فاليوم يسود القول بأن الطلائع "المستغربة" ويجمع تحت هذا العنوان الليبراليين البورجوازيين والشيوعيين تجاهلت العروبة ووحدة الوطن واهمية إنجازها إلخ بينما "الشعوب" من تلقاء نفسها، بل والتيارات السلفية الإسلامية، اضفت اهمية رئيسية لهذه المطالب.

هذا غير صحيح: بل سوف أوضح هنا ان "القوميين" من مختلف المدارس - بما فيهم الناصريون - لم يقدموا لقضية الوحدة خدمة فعالة للأسف- بسبب خطأ رؤيتهم الجوهرية للمشكلة - وان اطروحات الشيوعيين فى هذا المجال كانت اقرب إلى أن تكون قادرة على تحقيق بعض النتائج المطلوبة، فى فرضية أن العمل قد تم على حسب المنهج الذى قدمته هذه الأطروحات.

انا أعتبر العروبة واقعا حقيقيا وظاهرة إيجابية - فالعولمة الراسمالية القائمة بالفعل هى مصدر تحطيم الحياة المادية والثقافية للعديد من الشعوب ومن هنا أهمية المقاومة فى جميع المجالات ومنها الثقافى، ومن هذه الزاوية لاشك فى رايى - ان وحدة اللغة السائدة فى العالم العربى تمثل رصيدا مشتركا إيجابيا يمكن توظيفه من اجل تحقيق قدرة اكثر فعالية فى مواجهة التحدى وذلك من خلال بناء مؤسسات فوق القطرية صحيحة تفتح الطريق لاحتمال إنجاز الوحدة العربية.

اقول ذلك لأن البعد القطرى له ايضا وجود حقيقى إلى جانب البعد القومى.

فالقصة القائلة بأن الاستعمار الأجنبى هو المسئول عن "تقسيم" الوطن العربى تقسيما "اصطناعيا" هى فى واقع الأمر أطروحة ضعيفة لا يعتمدها التاريخ الحقيقى، لعل تقسيم سوريا الكبرى التاريخية إلى دول سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن يمكن ان ينسب إلى اتفاقيات سيكس - بيكو المعروفة، وكذلك لعل فصل بلاد العراق عن سوريا التى عاشت فى إطار موحد ولكن تحت حكم تركى يمكن أن ينسب أيضا إلى الاستعمار، على ان التاريخ اللاحق الناتج من تفكيك الدولة العثمانية قد خلق تبلور مصالح ووعى قطرى حقيقية. ثم إلى جانب هذه الأمثلة نجد أيضا اقطارا عربية لها شخصيتها الذاتية منذ زمن طويل يسبق الغزو الاستعمارى المعاصر، ومنها مصر واليمن والمغرب وان مصادر هذه الشخصيات الذاتية تخوض فى ماض بعيد سابق على التعريب والإسلام فى بعض الحالات. فعلينا أن نعى ان "الوطن العربى" هو مفهوم وطن يقتضى بناؤه احترام هرم المستويات التى يقوم على أساسها، من القطرى إلى القومى. فالوحدة العربية هى مشروع مستقبلى محتمل لا وراثة من الماضى. هذا مالم تفهمه التيارات العروبيه السائدة

وقد تكونت حركات التحرر الوطنى ثم نمت فى إطار الأقطار المرسومة فى داخل حدودها السياسية - سواء كانت هذه الحدود "مصطنعة" ام ذات اصول تاريخية - حتى انطبعت هذه الحركات بطابع القضايا الخاصة بالإقليم المعنى ولاسيما أن التكوينات الاجتماعية تباينت تباينا ملحوظا من قطر إلى آخر وعندما تولت هذه الحركات زمام الحكم طورت - فى افضل الفرضيات - مشروعات تنمية وطنية قطرية متمركزة على الذات فى هذا الإطار، ولم يكن من الممكن أن يكون الأمر مختلفا.

فكان المطلوب ان يأتى البعد القومى ليساند الاستراتيجيات القطرية السليمة ويضفى عليها قدرة إضافية من خلال تطوير استراتيجيات تكميلية. هذا لم يحدث. "فالقوميون" تجاهلوا بشكل عام الإشكالية بل أنكروا وجودها باسم "وحدة العروبة"، اى من خلال خطاب مجرد لا يمت للواقع بصلة. والحكام لم يكونوا مهيئين لفهم مغزى التحدى لحقيقى بسبب غياب فهمهم لما هى حقيقة آليات الراسمالية. لذلك اعتمدوا على تكنوقراط قصيرى النظر لم يتصوروا عدا مشروعات "أسواق مشتركة"، وهى بالتحديد المعادلة ذات الطابع الراسمالى التى لا تمثل أسلوب العمل المطلوب.

ولم تكن الرؤى القومية افضل فيما يتعلق بالجانب السياسى للإشكالية. حيث إن الشعبوية التى قامت على أساسها لم تتحرر أبدا من تقاليد الدولة الاستبدادية. ذلك إلى جانب عجز مفكرى البعث عن ان يخرجوا من إطار سذاجة تصورهم للقضية وتمثيلها بالتجارب التاريخية لألمانيا وإيطاليا، متجاهلين اختلاف الظروف التاريخية اختلافا شاملا.

هذا وقد تبلور فى لحظة ما من التاريخ المعاصر تيار آخر سعى إلى تجاوز الشعبوية الوحدوية من يسارها، اقصد هنا" حركة القوميين" (وارجو إذن أن لا يخلط القارئ بين القوميين بهذا التعريف الضيق وبين الاتجاه القومى بالمعنى الواسع) التى كونها تجمع من الشباب الثورى جمعوا بين الماركسية الماوية والجيفارية فاسسوا الأحزاب الفلسطينية الجذرية (الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية) كما انهم قاموا بدور قيادى فى ثورة اليمن الجنوبى. وهى لحظة اقصى التقدم فى تاريخ العرب المعاصر لعل رواية صنع الله إبراهيم - وردة - تقدم لنا تحليلاً صحيحا عما كان من مجد هذه اللحظة من تاريخنا افضل من الكتابات السياسية للحركة نفسها حيث إن هذه الكتابات ظلت تتحدث بلغة إيديولوجية تحكمها مفاهيم "الخط السليم" و"الانحرافات" إلخ فاوضحت هذه الرواية كيف أن اعمق واقوى الميول للتحرر الجماعى والفردى - ولا سيما بالنسبة إلى النساء - وقد قولبت الحركة، ولو ان اسلوب "الكلاشينكوف" الذى حل محل خمول الجماهير الشعبية التى ناضلت الحركة باسمها كان لابد ان ينطفئ كما انطفأت الجيفارية فى امريكا اللاتينية.

طويت صفحة العروبة الشعبوية التى نادت بها النظم الأتوقراطية.

واعتقد ان منظر "المؤتمرات" السنوية لما يتبقى من الحركة يقدم دليلاً على ذلك. فالمؤتمرات المعنية لا تجمع سوى نفس الشخصيات التى أصبح عمرهم يزيد عن السبعين، الذكور - لا امرأة واحدة بينهم - والمستمرين فى الحوار مع أصحاب السلطة حيث إنهم لم يتصوروا يوما ما ان يجادلوا غير الحكام، من اجل "إقناعهم" بصحة أطروحاتهم التى لا تتجاوز الحنين للماضى.

طويت هذه الصفحة حتى صار العالم العربى مجردا من اى مشروع خاص به، يكون هو المصدر فى رسمه، وذلك سواء كان فى إطار قطرى أم قومى.

حتى اصبح الخارج هو الذى يرسم "الخطط" للعالم العربى - مشروعات الشرق اوسطية الأمريكية والحوار المتوسطى الأوروبى. فيطلب من الدول العربية "التكيف" لها.

ليس معنى ذلك ان العالم العربى لم يعد فى حاجة إلى بديل مركب على جميع المستويات من المحلى إلى القطرى والقومى وفى جميع ابعاده الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية والثقافية. كما أنه لا يعنى أن الإحساس بهذه الحاجة قد اختفي من الوعى العام. فتعدد ظواهر مساندة الانتفاضة الفلسطينية يقوم دليلا على ان الأمر ليس على هذا الوجه. بيد أن ظواهر التضامن المعنية لا تكفي لتحل محل رؤية صحيحة وفعالة لمكان ودور العرب فى العالم المعاصر.

وفى هذا الإطار اقول إن الوحدة احتمال ومشروع مستقبلى بمعنى انه ينظر إلى التحديات الصاعدة في المستقبل فيتصور مقتضيات استراتيجيات قادرة على مواجهتها، وليس هو مشروع "إنعاش" ماض خرافى إلي حد كبير.

اقول هنا إن الحركة الشيوعية المصرية، بالرغم من كل نواقصها فقد أدركت ذلك اكثر من اى تيار فكري آخر بما فيه التيارات القومية الناصرية والبعثية.

لعل الحركة الشيوعية المصرية فى مرحلتها الأولى قد وجهت كل اهتمامها - أو يكاد - علي مصر فلم نطور "نظرة عربية شاملة" للأمور والتحديات.

بيد أن جميع التيارات السياسية العاملة فى الساحة المصرية فى تلك المرحلة شاركت الشيوعية فى هذا المنهج. فلا أتذكر وجود شعار وطنى غير "مصر للمصريين".

سبق أننى ذكرت بمناسبة قضية "وحدة وادى النيل" التى اهتمت القوى السياسية المصرية بها أكثر من اهتمامها بوحدة عربية أوسع أن الحركة الشيوعية قد اتخذت فيها موقفا سليما يتلخص فى شعار "وحدة نضال شعبين شقيقين". علي خلاف جميع الأحزاب الأخرى التي عبرت عن روح شوفينية، معتبرة "السودان" امتدادا لمصر ونافية خصوصياته، واعتقد ان موقف الشيوعيين المصريين هو السليم، فالوحدة المحتملة المستقبلية لن تُحقق دون اعتراف بالخصوصيات القطرية.

وهذا المبدا السليم هو المبدا الذى وقفت على أساسه الحركة الشيوعية المصرية فى تقديرها للوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨. فرحب الشيوعيون المصريون بفكرة

الوحدة بحماس. بحيث إن اتهامهم بأنهم "قاوموا" الوحدة هو في واقع الأمر كذب بحت. علي ان الشيوعيين ابدوا تحفظات على أسلوب تنفيذ فكرة الوحدة. وقد اثبت التاريخ انهم كانوا علي حق في هذا الحكم. بل أعتقد ان تحفظاتهم لم تكن علي القدر من الصراحة المطلوبة، وذلك بسبب قصور نقدهم للناصرية بشكل عام. فأعتقد أن إعطاء مسئولية "إدارة" سوريا للمشير عامر واختيار جناح من حزب البعث كحليف محلي "وحيد"، وستبعاد جميع القوى السياسية الوطنية السورية الأخرى بل مقاومتها بعنف هي مجموعة قرارات خاطئة والتى لابد ان تُنسب مسئوليتها لجمال عبد الناصر، لا غيره، كان كل ذلك لابد ان يؤدى إلى فشل المشروع. علما بان هذا الفشل قد خلق عقبة كبرى لأى مشروع وحدوى مستقبلى.

ثم بعد ذلك باشهر، عندما انفجرت ثورة يوليو ٥٨ فى العراق التي فتحت باب احتمال توسيع الوحدة، استمر النظام المصري يتجاهل عبث منهج نفى الخصوصيات الذي تمسك هو به- وبالرغم من كل ما يمكن أن يؤخذ من نواقص وعيوب منهج قيادة الثورة العراقية فى تلك المرحلة (اقصد مرحلة عبد الكريم قاسم)- وهذا موضوع اخر ليس هنا المكان لتناوله- إلا أن أسلوب نظام الجمهورية العربية المتحدة لم يكن افضل. لذلك أعتقد ان موقف الشيوعية المصرية التى انحازت- ولو بدرجات- لصالح النظام العراقي لم تكن خطأ اساسيا علي الإطلاق. الخطأ الأساسي هو ذلك الخطأ الذي ارتكبه جمال عبد الناصر عندما ساعد عبد السلام عارف علي تحقيق الانقلاب الذي قام هو به. فالتاريخ اثبت ان هذا الانقلاب لم يقو اتجاهات وحدوية في العراق، بل انتج عقبات إضافية لها وشجع عودة حكم قوى رجعية ثم تسلسل حزين من الانقلابات "البعثية" التي ادت إلى ما ادت إليه.

كان تضامن مصر مع ثورة اليمن الشمالى عام ١٩٦٥ بل وتقديم مصر مساعدة عسكرية للجمهورية الجديدة مبدا سليما في حد ذاته، في رايى، وهو راى شاركه الشيوعيون المصريون بصفة عامة، إن لم يكن راى "الحركة" الشيوعية التى تم حلها فى تلك اللحظة من التاريخ. على ان مرة اخرى إعطاء مسئولية قيادة العمليات للمشير عامر كان الوسيلة لتحقيق فشل مضمون.

ثم عندما انفجرت ثورة جنوب اليمن عام ١٩٦٨ - وهى تمثل لحظة اقصي ما توصل

إليه تاريخ حركات التحرر العربية، وذلك بالرغم من كل عيوبها- لم يقف النظام المصرى إلى جانبها، بل بذل ما كل استطاع من مجهود ضدها!

خلاصة قولى فى إشكالية العروبة والوحدة العربية هو أن إدانة الشيوعيين المصريين بالمواقف التى اتخذوها فى هذه المجالات لا تعتمد على اى اساس صحيح. بل على العكس من ذلك لقد اثبت التاريخ أن مواقف الشيوعية المصرية كانت افضل بمراحل من مواقف اى تيار وحدوى آخر. وان المبادئ التى دافع الشيوعيون عنها من شانها- فى فرضية العمل طبقا لها- ان تتيح تحقيق إنجازات حقيقية لم تكن ممارسات "القومية" و "العروبة" قادرة على تحقيقها.

تعدد المنظمات الشيوعية المصرية؛ الوحدة؛ الحل

١-كنا جميعا- وأنا منهم- نؤمن بصحة الرؤية اللينينية التى تبنتها الأممية الثالثة الا وهى أن انفراد الحزب الشيوعي الواحد دون منافس له يستحق ان يزعم أنه هو الآخر حزب شيوعي إنما هو الاستنتاج الطبيعي والمنطقي من النظرية التى تقول أن هناك خطا صحيحا واحدا فقط. وبالتالي فإن تعدد الأحزاب لا معنى له.

والبعض منا- وانا منهم- كان ايضا على علم بان هذه الرؤية لم تكن رؤية ماركس في تناوله مشكلة تعدد منظمات الطبقة العاملة. بيد أننا كنا قد اقتنعنا برؤية لينين أن تعدد المنظمات في أيام ماركس لم يكن إلا انعكاسا لتخلف الوعي في الطبقة العاملة في تلك المرحلة المبكرة وان التقدم قد ادى بطبيعة الحال إلى وحدة الفكر والعمل وبالتالي وحدة التنظيم.

على ان هذه النظرية التي شاركنا جميعا في تبنيها قد ادى إلى اسلوب رفض الآخر ونقده- حيث إنه خاطئ بالضرورة!- بل اتهامه بشكل صريح او ضمنى بأنه "عميل" للعدو فى بعض الأحيان. الأمر الذى شجع ايضا تكبير العوامل الشخصية في النزاعات بين مختلف المنظمات. أضيف إلى ذلك اننا جميعا ايضا كنا نشارك فى منهج دغماتيكى سائد في الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية، اقصد منهج قائم على اعتبار ان هناك "نصوصا" مقدسة او تكاد هي المصادر في طرح المبادئ التي يضمن "تطبيقها" اكتشاف الخط الصحيح. ثم كنا جميعا مقتنعين بأن القيادة السوفيتية- على الأقل إلى ان انفجر

النزاع بينها وبين القيادة الصينية- تمتلك مفاتيح الحق. لذلك كنا جميعا ندين انحراف- بل خيانة تيتو عام ١٩٤٨.

وقد فرضت هذه القناعات اسلوب تبرير المواقف التى كنا نتخذها من خلال اعتمادها على نصوص- "الكلاسيك" والسوفيت. الأمر الذى لا يساعد على تشخيص مدى ومغزى الاختلافات. وإلى اليوم يظل هذا التشخيص عملية غير بسيطة لهذا السبب بالتحديد. فالوثائق لا تلقى الضوء المطلوب على مصادر وحقيقة هذه الاختلافات وهى تختفي وراء سيل من النصوص التي لا تمت للمشكلة بصلة في بعض الأحيان او على الأقل تتعلق بها بشكل واضح.

ثم، لقد سمعت اكثر من مرة تفسيرا آخر لتعدد المنظمات المصرية يلجا إلى دور المخابرات البريطانية. ويلاحظ بالفعل ان في العديد من البلاد التي دارت في فلك سيادة الاستعمار البريطاني- مصر والعراق والهند والملايو- نشاهد ظواهر قد تبدو متماثلة، أقصد تعمق النزاعات الداخلية التي تؤدى إلى تفكيك وتقسيم المنظمة الواحدة. هذا بينما نشاهد في مستعمرات فرنسا (سوريا وفيتنام.. إلخ) غياب مثل هذه الظواهر. بيد انني لا أميل إلى "التفسير البوليسي" للتاريخ فاعتقد ان الوحدة او التفكيك ناتجة عن ظروف داخلية بالحركة المحلية وان هذه الظروف قد تقف هنا عقبة في سبيل مناورات العدو (المخابرات المعنية) إلى ان تتاح هناك فرصة ملائمة لها. وفى هذا الإطار الأخير لعل الفرق بين "الثقافة"البريطانية و"الثقافة" الفرنسية قد لعب دوره، بشكل غير مباشر وغالبا دون وعى أعتمد هنا على ذلك الفرق الذي سبق انني لاحظته بين تعليم مدارس الليسيه- التقدمي- والمدارس البريطانية- الرجعي على طول الخط، وتركيز الأول على فلسفة ديكارت وهيجل في مقابل تجاهلها في الثاني وتركيزه على البرجماتيكية دون مبدا اخر. اضيف إلى ذلك ان المنظمات الشيوعية في المستعمرات الفرنسية كانت تلجا إلى الحزب الفرنسي- "الأخ الكبير"- المحترم في الأممية الثالثة، وهو وضع لم يكن له مثيل بالنسبة إلى الحزب البريطاني قليل الشان.

على كل حال أنسب اختلاف الراي في الحركة الشيوعية المصرية إلى مصدر موضوعي ذي أهمية بالغة الا وهو قضية التناقض بين البعد الوطني والأبعاد الاجتماعية والفكرية في داخل الحركة نفسها. بحيث إن البعض من بين الشيوعيين قد

مالوا إلى تغليب البعد الأول بشكل واضح يكاد يكون مطلقا في بعض الحالات بينما البعض الآخر أبدوا تحفظات إزاء هذا الخط.

أعتقد أيضا ان هذا الاختلاف تواجد في جميع المنظمات الشيوعية ولو أن حدتو قد مثلت في رايي نوعا متطرفا للأسلوب الأول المذكور هنا بينما حزب الراية وحزب العمال والفلاحين اختلفا من هذه الزاوية عن حدتو حتى عام ١٩٥٦، ثم التقت هذه المنظمات الثلاث الرئيسية في خط مساندة الناصرية. كنت انا شخصيا اميل إلى الأسلوب الثاني، ولذلك فقد دافعت بحماس عن موقف الراية من عام ٥٢ إلى عام ٥٦ ثم اقتنعت "بصحة" الانقلاب في موقف الراية انطلاقا من تاميم القناة. على انني رجعت في هذا التقدير انطلاقا من حملة يناير ٥٩ وتقربي من نقد ماو للخط السوفيتي ونظرية "الطريق غير الراسمالي".

٢- تحققت وحدة التنظيم بالتحديد خلال تلك اللحظة- اي بين عام ٥٨ وعام ٦١ - ولم يكن ذلك مجرد صدفة.

انا شخصيا رحبت بالوحدة التي تحققت عام ٥٨ وذلك لسبب بسيط وواضح الا وهو انني قد شاركت في تلك اللحظة فى الرؤية العامة السائدة في الحركة الشيوعية المصرية بضرورة الانخراط في إطار المشروع الوطني الشعبوى الذي كان عبد الناصر يقوده، وقبولي في تلك اللحظة نظرية الطريق غير الراسمالي وبالتالي آمالي (التي اتضح انها وهمية) فى احتمال تجذير المشروع وتطويره نحو الاشتراكية. علي انني قمت بمراجعة هذا الموقف انطلاقا من عام ٥٩.

هذا واستطيع أن أقول أيضا إنني احتفظت بشيء من الحذر إزاء الوحدة. واعتقد أن هذا النوع من الموقف قد ساد في صفوف الشيوعية المصرية بشكل عام بسبب صرامة النزاعات السابقة وانطباعها بطابع شخصى ملحوظ. اضيف انني كنت لا ازال اعطي ثقتي الخاصة لرفاق الراية وقيادتها وما سبق ان قلته بصدد شخصية كوربيل قد شجع عندي هذا الحذر. ولكن لا يعنى ذلك على الإطلاق عدم تقديري لجميع الرفاق من مختلف المنظمات. وقد تقوى هذا التقدير بمرور الأعوام. فأنا مرتاح تماما من هذه الزاوية. قلت واكرر ان الشيوعيين المصريين من جميع المنظمات أثبتوا انهم مثلوا طليعة الشعب المصري وضربوا المثل بالشجاعة الإنسانية. وذلك بالرغم من كل نواقص الحركة

بشكل عام، اقصد على الأخص نقاط الضعف فى التكوين الثقافى.

عندما حدث انفجار عام ٦١ كنت مقيما فى الخارج- فى باماكو. وكنت من هناك احاول ان اتابع ما يحدث فى الحركة الشيوعية المصرية من جانب كما كنت اتابع تطور النزاع السوفيتى الصينى من الجانب الآخر. وبما اننى كنت أعلق على هذا الصراع اهمية رئيسية فانحاز لصالح نقد الماوية الموجهة للسوفيت فكنت بالتالى أعتبر ان الشيوعية المصرية بشكل عام خاطئة فى خياراتها. وذلك دون ان يكون هناك فى هذا الحكم أدنى درجة من الاحتقار لهذه الحركة. كلا .

٣ - لم يفاجئنى كثيرا قرار الحل عام ١٩٦٥.

فكنا نسمع - فى الخارج - شخصيات سوفيتية على علم "بأسرار" الكريملين يقولون ويرددون إن النضال من أجل الاشتراكية فى مصر (وفى بعض بلدان العالم الثالث الأخرى) يقتضى "توحيد" القوى التقدمية حول النظم الحاكمة "الوطنية". واتذكر تماما حديث دار بينى وبين سفير سوفيتى كان يعرف مصر معرفة جيدة فيقول إن "المستقبل هو فى الحزب الاشتراكى الناصرى" الجديد. وقد قلت له : لا مستقبل لهذا الحزب لأن النظام (المؤسسة العسكرية خاصة) لا يريد أن يعطيه وجودا ، فلن يتيح للشيوعيين فرصة العمل فيه، وجمال عبد الناصر لن يقبل الاعتماد عليه بل سيستمر يعتمد على المؤسسة العسكرية بصفتها المصدر الوحيد لشرعية النظام . هذا الحديث يرجع على ما اذكر إلى عام ١٩٦٣، اى قبل قرار الحل.

٤ - والآن لى وجهة نظر فى مشكلة اشكال التنظيم المطلوبة مختلفة تماما عما كان هو عليه رأيى فى مرحلة الراية والحركة الشيوعية المصرية ثم فى مرحلة تبنى اطروحات الماوية. ودون ان اخوض هنا فى هذه المواضيع التى قد تخرج عن ذكرياتى والتى تناولت مناقشتها فى اماكن اخرى سوف الخص هذا الرأى فى النقاط التالية.

اولاً : هناك علاقة وثيقة بين نظريات التنظيم المطلوب من اجل دفع النضال إلى الأمام وبين التصورات الخاصة "بالانتقال" و"بناء الاشتراكية" .

فنظرية الحزب "الواحد" والخط الصحيح "الواحد" - التى طورتها اللينينية ثم قامت الماوية بمراجعها وتكملتها جزئيا فقط (إذ أن الماوية تنتمى هى الأخرى إلى تراث الأممية الثالثة) - ترافق بالضرورة تصور بناء "سريع" للمجتمع الاشتراكى فى بلدان

تحررت من الاندماج في أعولمة الراسمالية الإمبريالية.

فإذا أخذنا بتصور مختلف تماما عما هو الأمر عليه في نظرية الانتقال من الراسمالية العالمية إلى الاشتراكية العالمية هي الأخرى ونظرنا إليه على أنه مرحلة تاريخية طويلة تتسم بعمل تناقض داخلي بين قوى تفعل في إطار إعادة تكوين العلاقات الاجتماعية الراسمالية من جانب وبين قوى تخضع لمنطق آخر مستقل عن مقتضيات التراكم الراسمالي من الجانب الآخر وإذا اعتبرنا أن هذا التناقض يعمل في كل مجتمعات العالم الحديث بمافيها تلك المجتمعات التي أنجزت تقدما ملحوظًا وخطت خطوات نحو" الاشتراكية"، فإن أشكال التنظيم لا يمكنها أن تتلخص في "حزب واحد".

ثانيًا : لن يحقق النضال من أجل التقدم نحو الشيوعية إنجازات ملحوظة دون ممارسة ديموقراطية في المنظمات الشعبية المعنية. فهو الشرط الذي لا مفر منه لكي تلعب هذه المنظمات دورها في تعميق الديمقراطية على صعيد المجتمع بكليته- فالمقصود هو دمقرطة متواصلة لا نهاية لها وليس الاكتفاء باشكال الديموقراطية المعروفة الأكثر تقدما في لحظتنا.

بحيث إن عملية الدمقرطة المتواصلة تضفي أبعادا جديدة اجتماعية وفي إدارة الاقتصاد على الأبعاد السياسية والفكرية التي أنتجتها الحداثة حتى الآن.

أعود هنا إلى ما انطلقت منه أي مفهوم الحداثة، فنحن في حاجة إلى تطوير الحداثة، وبما أن الديمقراطية هي ناتج الحداثة فما نحن في حاجة إليه إنما هو تطوير وتعميق الديمقراطية.

ثالثا : تفترض عملية الدمقرطة المتواصلة تعدد الفكر والحركات والمنظمات. ولا يصح على الإطلاق أن يحتكر تيار فكري أو منظمة (أو حزب) حق الإبداع.

بل يفترض أن صنع المستقبل حق الجميع وبالتالي أن الإبداع سوف ينهل من مصادر ومنابع فكرية عديدة، منها على سبيل المثال الماركسية أو الفكر الديني غير السلفي على نمط لا هوت التحرير المسيحي وغيرها.

فالاحتكار يقتل المشروع التحرري. وينطبق هذا الحكم ليس فقط على الماركسية بل بالأولى على الأيديولوجيات الأخرى التي طرحت كبدائل لها مثل القومية والإسلام السياسي. كما ينطبق بالطبع على أصولية الفكر الليبرالي السائد حاليا. علما بأن

"الخصوصية" التى توظف من اجل تبرير الخيارات القومية او الدينية السلفية المذكورة تقف عقبة فى سبيل تقدم الدمقرطة المطلوبة إذ إن هذه الخصوصيات هى "تراثية" الطابع، موروثة من الماضى بينما نحن فى حاجة إلى تنوع من نوع آخر، تنوع فى الابداع الموجه نحو خلق المستقبل والتحرر من قيود الماضى.

قطعا لم تكن المنظمات الشيوعية المصرية والأخرى نماذج فى ممارسة الديمقراطية. ولو ان جميع الأحزاب الأخرى من الليبرالية البورجوازية إلى القومية والدينية لم تقل فى نواقصها عن الشيوعية من هذه الزاوية.

على أن الشراكة فى العيب لا يقوم تعذيرا بالنسبة للأحزاب الطلائعية - الماركسية والأخرى - التى تود أن تسعى إلى دفع الدمقرطة إلى الأمام.

بيد ان السرية التى فرضتها على الحركة الشيوعية النظم الاستبدادية التى حكمت مصر المعاصرة قد لعبت دورا أساسيا فى إلغاء أى احتمال للممارسة الديمقراطية داخل الحركة. فالسرية تعنى استحالة تطوير النقاش الذى يتطلب العلنية - كما أن السرية تضفى اولوية لمقتضيات الأمن على حساب المطالب الأخرى.

الدولة الاستبدادية المصرية

١ - لقد اوضحت فى هذه الذكريات أن الشيوعية المصرية لم ينقصها الوعى الوطنى. كلا. بل اثبتت الحركة الشيوعية المصرية انها قامت فى طليعة الحركة الوطنية وانها طورت فى هذا المجال مفاهيم وتحاليل صحيحة وفعالة فاقت بمسافات مفاهيم وممارسات جميع القوى الوطنية الأخرى.

بل ربما لم يكن النقص الأساسى للحركة الشيوعية فى مجال العمل الاجتماعى بين العمال (النقابات) والفلاحين - وذلك بالرغم من ان هذا العمل قد ظل محدودا لأسباب مختلفة بعضها يرجع إلى تغليب البعد الوطنى على الأبعاد الأخرى للقضية كما سبق ان ذكرته، على ان النقص فى هذا المجال يرجع ايضا إلى الوعى الاجتماعى المتخلف للطبقات الشعبية نفسها وهى جزء لا يتجزأ من مجتمع يعانى فى كليته من انه لم يدخل بعد فى عصر الحداثة.

يضاف إلى ذلك الممارسات الاضطهادية للدولة وعنف وسائل القمع التى اتسمت بها

الدولة الوطنية الشعبوية. فمصر المعاصرة عاشت ولا تزال فى ظل قوانين الحكم العرفى، بسبب (أو بحجة) حالة "الحرب" مع إسرائيل ثم بعد ذلك بسبب (أو بحجة) العمليات الإرهابية التي تقوم بها بعض المنظمات الإسلامية.

اقول إذن إن النقص الأساسى فى الحركة الشيوعية المصرية وقع فى مجال الفكر والنضال الفكرى. وأقصد هنا بالتحديد أن الشيوعية المصرية لم تدرك تماما معنى تلك الجملة التى طرحتها والتى تقول إن "المجتمع المصرى لم يدخل بعد فى عصر الحداثة". وبالتالى كان هناك حاجة إلى إضفاء اهمية رئيسية للنضال من أجل التقدم الفكرى - الثقافى.

٢ - كون المجتمع المصرى - والمجتمعات العربية بشكل عام- لم يدخل عصر الحداثة قد انعكس فى الطابع الاستبدادى لجميع اشكال الدولة المتتالية الحاكمة خلال التاريخ المعاصر.

فالناصرية فى مصر والبعثية فى سوريا والعراق والبديل المطروح باسم الإسلام السياسى لا تمثل إلا اشكالاً من الدولة الاستبدادية التقليدية التى تحكم المنطقة منذ قرون إن لم يكن منذ الأزل. وقد اقترحت إعطاء اسما خاصا على هذا النموذج من الدولة الا وهو "دولة المماليك"، بالإشارة إلى العصر الذى شاهد استكمال سمات هذا النمط.

يقوم النظام المملوكى على شراكة ثلاث فئات من الرجال فى ممارسة الحكم. اقول رجال إذ إن النساء بطبيعة الحال مستبعدات تماما عن هذه المسئوليات. فهناك رجال الحرب ورجال الدين ورجال التجارة، يندمجون فى كتلة حاكمة واحد.

تعتمد مشروعية حكم رجال الحرب على مفهوم للإسلام بكرس التمييز بين دار السلام ودار الحرب، كان "الجهاد" عملية مستمرة وان المجتمع الإسلامى فى حالة "حرب" متواصلة مع باقية العالم. علما بأن هذا التركز قد اكتسب تلك الأهمية الحاسمة فى رسم وظائف الدولة خلال الحروب الصليبية حتى أصبح صلاح الدين الأيوبى مؤسسا لهذا النمط من السلطة. كما أن مفهوم الدين الذى لجأت إليه هذه الدولة هو مفهوم "سنى" تقليدى قائم على إلغاء الاجتهاد وتكريس البعد الطقوسى الشكلى للممارسات الدينية بحيث إن "الإسلام" قد اصبح إعلانا للانتماء إلى "أمة" (اى

بمعنى آخر إلى جماعة) اكثر من انه عقيدة دينية فردية قوية. وليس من الصدفة أيضا ان الفاتح التركى للأناضول، ثم الدولة العثمانية التى ضمت جميع الأراضى العربية عدا المغرب الأقصى - قد كرس هذا المفهوم المزدوج للدولة العسكرية الطابع أصلا (التى اطلقت على نفسها اسم "حكم الغازى" - أى حكم هؤلاء الذين غزوا الدولة البيزنطية) ولتوظيف الإسلام من أجل إخضاع الشعوب المعنية العربية وغيرها لحكم السلطان - الخليفة العثمانى.

كما أن هذا النوع من السلطة لا يتيح مجالاً لإنماء أنشطة اقتصادية مستقلة عن السلطة. فالمنطقة العربية الإسلامية استفادت من موقعها الجغرافى الفريد الذى اضفى لها احتكارا فى ربط آسيا واوروبا وافريقيا حتى ترتب عليه ازدهار تجارى أصبح ركنا من اركان تقدمها الحضارى. بيد أن الطبقة التى مارست هذه التجارة لم تحقق لنفسها استقلالا ذاتيا فى مواجهة السلطة العسكرية الحاكمة، على نمط ما حدث فيما بعد فى أوروبا من خلال تكوين مدن حرة.

ولن أخوض هنا فى هذه الإشكالية التى تناولت مناقشتها فى كتابات أخرى حول "النمط الخراجى" وتمييزه عن النمط الإقطاعى الغربى.

أكتفى بالإشارة إلى أن النمط الخراجى القائم على اندماج ثلاثى يضم رجال الحرب والدين والتجارة قد اتخذ فى منطقتنا ومنذ القرن الثالث عشر ميلادى شكلا خاصا ومتجمدا ("نظام المماليك") فصار المسئول عن استمرار الاستبداد السياسى والفكرى والركود الاقتصادى. حتى أصبح عقبة مانعة حالت دون إنجاز النقلة إلى عصر الحداثة الرأسمالية.

ولاتزال هذه السمة الرئيسية للتكوين الاجتماعية العربى الإسلامى تحكم الحاضر فى بعديه الفكرى (تجمد الفكر الدينى وتوظيفه فى تكريس نظام الحكم الاستبدادى) والاقتصادى (تبعية الأنشطة الاقتصادية للسلطة السياسية). فلا يوجد حتى الآن "قطاع خاص" بالمعنى الصحيح للكلمة، عدا ذلك القطاع الأجنبى الناتج عن الغزو الاستعمارى والذى يتمثل اليوم فى أنشطة الشركات المتعدية الجنسية - أما "القطاع الخاص" الوطنى فلا يزال ركيكا معرضا "لأهواء" الحكام.

ومن المعروف أن أقصر طريق لتكوين "ثروة" فى عهد الانفتاح السائد إنما هو العمل

فى ظل حماية رجال الدولة (وفى كثير من الأحيان بالمشاركة مع رأس المال الأجنبى) بدلاً من أن يكون ناتج مبادرة إنتاجية مستقلة عن السلطة. وقد أطلق البعض على هذا الشكل من القطاع "الخاص" اسما دالاً ألا وهو "القطاع الفردانى"، للإشارة إلى هذا النمط من الأنشطة التى يقوم بها "افراد" يعتمدون على علاقاتهم الوثيقة بالحكام من اجل ممارسة اعمالهم. وهناك امثله لا تعد من هذا الشكل من الراسمالية الخاضعة لمنطق نظام المماليك. على سبيل المثال تلك المؤسسة التى تستولى على احتكار فى المناقصة فى قطاع هام من الاقتصاد ثم تعيد توزيع الأعمال على منشآت صغيرة ومتوسطة تعمل من الباطن، علما بأن المؤسسة المحتكرة هى التى تحقق معظم الأرباح.

لن اقول ان الناصرية (وكذلك البعثية) فى عصرها الذهبى لم تحاول أن تخرج من حظيرة نظام المماليك. كلا. حاولت الحركة الوطنية الشعبوية أن تتجاوز بالفعل هذه الحدود وأن تقيم قطعا عاما صحيحا، كما انها اضفت بعدا اجتماعيا لمشروعها، على ان النظام لم يتحرر من مبادئ منطق سلطة المماليك حيث إن المؤسسة العسكرية احتفظت باحتكار المشروعية وظلت صاحبة القرار النهائى. كما ان النظام ظل "يوظف" الدين فى إطاره التقليدى دون أن يتجاوز فى هذا المجال ما ورثه مما اسميته "إجهاض النهضة". وبالتالى كانت العودة إلى نظام المماليك امرا طبيعيا تلا سقوط المشروع الوطنى الشعبوى.

هل يمثل المشروع الذى يطرح نفسه بديلا للأمر الواقع - اقصد مشروع الإسلام السياسى - بديلا حقيقيا؟ كلا. فهذا المشروع يظل محكوما هو الآخر بمبادئ نظام المماليك. علما بانه يسعى إلى ان يحل رجال الدين محل رجال الحرب فى مرتبة الأولوية فى القيادة العامة لنفس الثالوث الحاكم ولا غير.

شهادة

عبد الله حسن

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : عبد الله حسن البصيلي.

تاريخ ومحل الميلاد : ١٩٢٥/١٢/١٧ - المطرية - القاهرة.

المـــــهـــــنـــــة : نساج ميكانيكي ، آخر عمل: مراقب عام أقسام النسيج بالشركة العربية للنسيج الحديث.

بيانات عائلية :

الوالد من أصول صعيدية، مهنته نجار باب وشباك وكان وفديا متعصباً، والوالدة ربة بيت لا تقرأ ولا تكتب، وتحملت مسئولية تربيتنا بعد مرض والدي الذي استمر ١٧ سنة.

كان ميلادي بعزبة فلبيك بالمطرية وكانت محاطة بمعسكرات الجيش الإنجليزي من حلمية الزيتون إلى السويس وكان لهم محطة سكة حديد بالحلمية لنقل معداتهم العسكرية. وكان عدد من أهالي المطرية والمناطق المجاورة يعملون بمعسكر الحلمية كما كان الكنستابلات الطليان راكبو الموتسكلات ، رأيتهم وهم يرفعون الحمل من على الحمار يضعونه فوق أكتاف الفلاح كي يعلموا الفلاح الرأفة بالحمار وكثيراً ما كان هذا الفعل يعجب الناس، ينبهرون برحمة الإنجليز والطليان.

بعد عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ قاموا بإنشاء شارع المعاهدة المار من أمام منزلنا وكانوا يستأجرون الفلاح وحماره بمبلغ خمسة عشرين قرشا وكثير من الفلاحين استأجروا أولاد الدارس مقابل ٢٠ مليما كي يتمكنوا من تشغيل أكبر عدد من الحمير لزوم الطريق الذي أصبح شارع المعاهدة الذي يربط بين القاهرة وخط القنال وكانوا يسوقون الفلاحين بالكرابيج كي يسرعوا في حمولة الحمير، رأيتهم وهم يخطفون البنات بالقوة وأجبروا عدداً كبير من عمالهم المصريين على العمل قوادين لجلب المنحرفات إلى المدافن وغير المنحرفات أو فتح بيوت للدعارة، وأثناء الحرب العالمية الثانية جلبوا أعدادا كبيرة من الأفارقة والهنود وهونج كونج وغيرها من البلاد المستعمرة وأطلقوا أيديهم للعربدة وهم سكارى ومعهم ضباط إنجليز وأستراليون، وزاد الطين بلة بقدوم الأمريكان وما فعلوه بالمصريين باعتبار المصري ملوثًا لا يجوز له التواجد بجوار معسكراتهم، فمن يجدوه بطريقهم يدهسوه بعرباتهم الكبيرة أو يطلقوا

* أجرى الحوار كل من أ. رمسيس لبيب، أ. سيد ندا وأ. تجاني عبد المجيد قبل رحيله . أعضاء لجنة التوثيق

عليه النار فيردوه قتيلاً، كما رأيت الإنجليز وهم يخطفون الطرابيش من على رؤوس المارة ويلعبون بها الكرة.

وأفعالهم هذه جعلت شباب المطرية والزيتون يتحولون إلى عصابات لسرقة كامب الإنجليز وقتل أكبر عدد منهم وكانت محطة سكة حديد شحن البضائع والمعدات الإنجليزية مسرحًا للمعارك بين الشباب والجنود السكارى وكذلك قهاوى الزيتون لأنها كانت محاطة بعدد من الخمارات التى يرتادها الإنجليز والجنسيات الأخرى، كما كانوا يعترضون عربات الإنجليز المحملة بالتموين أو البطاطين أو الأسلحة الخفيفة مثل البندقية والترليوز كما كانوا يستدرجون الإنجليز الى أماكن خالية بحجة وجود بنات وبمجرد وصولهم ينقضون عليهم ويقتلونهم ويستولون على أسلحتهم.

ولما كنت أحكى لوالدى هذه المواضيع كان يفرح جداً ويقول لى: «بكرة المسكوف يخلصون منهم» ولما سألته عن المكسوف قال: «الجيش الأحمر بتاع روسيا» وكان كلما يجلس مع أصدقائه، يبشرهم بقدوم المسكوف. رغم أنه كان متصوفا متدينا جداً متعصبا للوفد.

بدأت العمل بالمصانع وأنا فى سن عشر سنوات بعد مرض والدى مرضا مستعصيًا أقعده عن العمل وبعنا كل شئ وتولت أمى المسئولية واشتغلت بتجارة الصابون التى كانت رائجة فى ذاك الوقت، ولما التحقت بمصنع يوسف آخوان لتعلم مهنة لف البكر حاولت أمى إقناعى بترك المصنع والعودة للمدرسة فرفضت وأصررت على العمل بالمصنع رغم أن أجرى كان ١٥ مليما فى الأسبوع وبعد ذلك تدرجت فى العمل بمصنع سلوم الذى كان مديره العام الزميل المرحوم محمد على عامر الزهار ثم انتقلت إلى مصنع ج ـ دينا ـ وكان أصحابه من إيطاليا.

وأثناء الحرب العالمية الثانية التى بدأت سنة ١٩٣٩ وضع المصنع تحت الحراسة وقبض على أصحابه وقام الإنجليز بأخذ جزء كبير من أرض المصنع أسموها الأرنس لتصليح المركبات العائدة من المعارك الحربية وبها عطب . وكان الإنجليز كثيرى الشغب معنا، وحدثت معارك كبيرة بيننا وأصيب فيها بعض العمال وأذكر منهم على السعدونى، ومحمد سليمان الكلباتى.

ملحوظة : هذا المصنع هو مصنع جورج أسود حاليًا، وأثناء عملى بمصنع سلوم تشاجر معى أحد العمال وتم فصلى من المصنع.

فاتنى أن أذكر ما حدث لى بمصنع ج دينا من رئيس قسم البكر وكانوا ينادونه بالريس ياسين وكان يقود العمال بالكرباج ويرهبهم بشنبته ، ومع صغر سنى لم أقبل هذا الوضع وتشاجرت معه وطلبت نقلى إلى قسم الدانتلة وتعلمتها بسرعة وكنت أعمل على بنك كما كانوا يسمونه لإدارة عدد ١٢ ماكينة وبعدها انتقلت إلى مصنع شوشة بقسم لعمل شريط الجربنديه للجيش الإنجليزى، وبعد انتهاء الطلبية طردونا بدون مكافأة ولا إنذار حيث كان القانون يعطيهم الحق فى توفير نسبة ١٠ عشرة بالمائة من العمال كل ستة أشهر من كل عام، ونفصلنا بحجة انتهاء الطلبية. وذلك كان فى عام ١٩٤١ وأشار على ابن عمى أن أعمل بالجيش الإنجليزى فرفضت لأنى كنت أكره حتى اسمهم وكان لى صديق يعمل ميكانيكى سيارات أشار على أن ألتحق بإحدى الورش لأتدرب على مهنة إصلاح السيارات وبعدها أتقدم للعمل بشركة طيران البرتش إيرويز أو شركة مصر للطيران وقد اقتنعت بالفكرة وعرضت الأمر على والدى فرحب بالفكرة أيضًا، وكان له صديق صاحب ورشة كبيرة بالزيتون اسمه الأسطى أحمد صابر وكلمه عنى فرحب الرجل اشتغلت عنده فترة أخذت فيها قسطًا سطحيًا من تعلم المهنة.

وفى أحد الأيام فوجئت بضابط استرالى قوى البنيان يضرب فى الناس وهو سكران وكلما تجرى الناس أمامه يزداد هياجًا وما إن وصل عند الورشة حتى وجدتنى أهوى على رأسه بالكرسى وكانت رأسه صلعاء وهو خالع البيريه، وما إن ضربته بالكرسى إلا ونزلت الدماء منه بغزارة وقد أغمى عليه وسقط فى الأرض. فإذا بصاحب الورشة ينهار تماما ويقول خربت بيتى ويلطم خديه ولما رآه أصحاب المحلات المجاوره رآه علي هذا الحال أخذونى عندهم وأخفونى خشية أن يتصرف معى صاحب الورشة تصرفًا جبانًا وأبعدونى عن المكان وتركت العمل بالورشة لهذا السبب.

نسيت أذكر أن رجلا إنجليزيا اسمه باظ برتبه كونستبل يسكن فى حارة متفرعة من شارع المطرية وقريبا من نقطة بوليس المطرية وسميت باسمه ومازال اسمها حارة باظ، هذا الرجل كان حين يدخل الحارة يسكت جميع من فيها وتسكن الحركة ولا يدخلها بياع متجول وكان يهاجم أى بيت تحدث فيه حركة وكان أمام سكنه سواق ملاكى اسمه موسى وكان الرجل دائما تحت تهديد هذا الإنجليزى وذات مرة كانت زوجة عم موسى تعجن العجين فى الصباح الباكر وإذا بالإنجليزى يدخل عليهم البيت ويضرب الحريم ويسكب العجين فى الأرض ويدوسه

بقدمه وكان هذا الفعل الإجرامي حافزاً للناس لتدبير خطه لضرب هذا المفترى فاجتمع أهل الحارة واتجهوا نحو بعض الكبار من البلد وشكوا لهم ما حدث ويحدث من هذا الرجل البغيض وطلبوا منهم استخدام نفوذهم وعلاقاتهم بالإنجليز على أن يقفوا مع عم موسى بعد تنفيذ الخطة.

وتم الاتفاق على أن تقوم زوجة عم موسى بالعجين وعمل ضوضاء أكثر من اللازم وحدث هذا ووقع الإنجليزى فى الفخ وأثناء هجومه على البيت قاموا عليه بالشباشب والخيزران وأعطوه علقة ساخنة، واتصل بنقطة بوليس المطرية وكان الجميع جاهزا لمساعدة الرجل وحضر إنجليزى ورأى العجين المسكوب على الأرض واعتذر لأهل البلد عن هذه الفعلة الشنيعة، أما باظ فقد حرم أن يحتك بأحد بالمرة.

وكنا ونحن أطفال نخرج من المدرسة فى مظاهرة.. ونهتف ياعزيز يا عزيز كبة بأحد الانجليز وكنا نهتف ضد صدقى ونقول «يا صدقى يابوز الناس مين قالك تكيد الناس ياصدقى يا بوز الناس من قالك تعادى النحاس ياصدقى يا وش النملة مين قالك تعمل دى العملة، وكان أهلنا يشجعونا على ذلك. وبعد الإنتهاء من رصف شارع المعاهدة خرجنا من المدرسة لتحية الملك فاروق وهو ذاهب إلى أنشاص مخترقاً شارع المعاهدة، ووقفنا على جانبى الطريق نقول ياملكنا إمشى بشويش إحنا جعانين مش لاقين عيش-ياملكنا يا محبوب مفيش خبز ولا حبوب ، وبالمناسبة كانت الناس تذهب إلى معسكر الهجانة لتأخذ بعر الجمال أى براز الجمال يدقوه ويأخذون منه الشعير والقمح يغسلوه ويطحنوه على الرحاية ويعملون قرصاً ياكلونها بسبب عدم وجود المخبز لأن الإنجليز كانو يستولون على جميع المحاصيل ولم يتركوا الشعب سوى الذرة العويجة وبعض الذرة الشامية.

ولما بدأت أزمة الخبز تنفرج كان مقرراً لكل أسرة عشرة أرغفة بخمسين مليما، ولما اشتد الزحام على الأفران ارتفع سعر الرغيف إلى ستة مليمات، ولكثرة اشتراكى بالإضرابات والمظاهرات امتنع أصحاب المصانع عن تشغيلى بمصانعهم وكان لى صديق يعمل بالجيش الإنجليزى مع عمه بالإسماعيلية أخذنى معه فى منطقة فلتر المحسمة اسمها وكنت أعتقد أن كل الجنود إنجليز وهنود وإذا بى أجد جندياً قادماً نحونا فقلت لصديقى آهو واحد ابن كلب جاى نحونا وإذا به يقول لا يا أخى أنا مسلم فسطينى فأحرجت إحراجاً شديد وأعتذرنا له فوضع يده على كتفى وقال لا يا أخى أنت معذور وإحنا مرغمين على الخدمة معهم لأنهم

ماكميتا لا عليك ياسيدى، لذلك قررت ترك العمل وعدت إلى القاهرة دون أن أحصل على أجرى وكنت أمضيت حوالى شهرين فى العمل.

وبعد عودتى اشتغلت بمصنع إدوار طويل وكان أصحابه يهود وهم أليبروليون وإدوار طويل ومدير اسمه جورج وكذلك مشمش رئيس قسم الأسنك وذلك كان فى عام ٤٢ وقمت بتشكيل لجنة من كل المصانع المجاورة لضرب وتأديب أى رئيس يحاول اضطهاد العمال وكان الدافع لهذا التفكير أن أغلب المصانع كانت تستعين بفتوات المنطقة ويتم تعيينهم لإرهاب العمال، فمثلاً كان مصنع سلوم فيه واحد اسمه حجاج يحمل الكرباج وكانت العمال تحمل له ألف حساب وكان معه خواجة أرملى اسمه أرنين كان يحمل بندقية وأحيانا طبنجة ذات الماسورة الطويلة، ومصنع جورج أسود كان فيه واحد اسمه على الأسود وشقيقه مهدى، ومصنع أنطون شوشة كان به واحد أسمه محمد جودة ريحمل كرباجًا سودانياً ومعه عدد من أقاربه وهذا الرجل مثل الوحش. مصانع الشيخ بمنطقة كان يحرسها مجموعة من العرب وأى عامل يطالب بحقه يستدعيهم صاحب العمل لتأديبه ومنهم واحد اسمه سليم ضرب أحد العمال بعصى غليظة على ساقيه فتسبب فى حدوث كسور بالعظم.

المهم أن هذه المجموعه فرضت وجودها وبعد ذلك تطورت إلى عمل صناديق أسميناها صناديق الإضراب وتم عمل إضراب بمنصع شوشة تزعمه زميل اسمه شحات رزق الله وعبده شحاتة وذلك فى سنة ٤٢ ، وقام شكرى شوشة وأخوه رزق بإطلاق الرصاص على العمال وأصيب حوالى ٢٥ عاملاً قبض عليهم وعلى عدد آخر وتم ضربهم بالقسم وانتهى الموضوع دون أى إجراء فاتجه العمال للقضاء وكان اثناء إطلاق النار على العمال أحد أولاد خيرى بك أباظة يسير فى الشارع وأصيب برش فى ساقه وثار خيرى بك لإصابة ابنه ووعد العمال بتوليه القضية وفى النهاية تم الصلح بينه وبين شكرى شوشة وذهب دم العمال هدراً وتوعد شكرى شوشة شحات وعبده شحاتة بإطلاق الرصاص عليهم إذا وجد أيا منهم عند المصنع.

وفى عام ٤٢ تقدمت بطلب لشركة ابرتش إيرويز للطيران وطلب آخر لشركة مصر للطيران وذلك بعد أن قام المصنع بتوفير عدد من العمال وأنا منهم حيث كان القانون يسمح لرب العمل بتوفير نسبة ١٠٪ من عماله كل ستة أشهر، وأثناء عمل الامتحان بشركة البرتش إيرويز تقدم منى أحد الرؤساء وقال تعرف تروح كوبري القبة، قلت: أعرف قالى تروح هناك ووصف لى شارع ناسى اسمه وقال فيه هناك بيت نمرة خمسة تسأل على المهندس طه وتعطيه

مبلغ خمسة جنيهات ليوافق على تعيينك فقلت له إنى لا أملك هذا المبلغ الآن ولك على بعد ما أتعين يأخذ إن شاء الله أول قبض كله فقال يبقى إنت مش عايز تتعين وتم تأشيره على الورق غير صالح للعمل.

وبعد ذلك جاني خطاب من شركة بمصر بالتوجه لمقر الشركة بمطار أماظة لعمل الكشف الطبى وكان الدكتور اسمه حمدى سيف النصر ونجحت فى الكشف الطبى وسلمونى لأحد الرؤساء لعمل الامتحان العملي ولحسن الحظ وجدت المشرف على الامتحان صديق لى وعندما رآنى أخذنى بالحضن: إنت هاتعمل امتحان براد، نادى على رئيس القسم حليم يوسف وبرأسه عبد العزيز عبد الجليل شقيق صديقى إسماعيل عبد الجليل وتم عمل الامتحان بمعرفتهم وتحت التوجيه وكان كبير المهندسين اسمه عوض الجندى، وكبير المهندسين الجويين المهندس سليم لوقا وكان رجل عظيماً، ومدير الشركة كان اسمه هتجر إنجليزى.

وقد حاولت تجميع بعض الناس حول النشاط الرياضي وكان أبرز أعضاء التجمع البطل كمال محجوب حامل أثقال وحائز على بطولة العالم فى وزنه وبطل المصارعة حمادة العباسى بطل القليوبية فى وزنه والبطل الملاكم عبد العال محمد على حائز على بطولة سلاح الطيران وبطولة مصر فى الملاكمة وكنت ألعب ملاكما هاوياً فى هذا التاريخ، وأيضاً كانت تضم الملاكمة الهاوى عبد السلام.. وحمودة - إبراهيم وسيد ضاحى وعبد ربه يعقوب لاعب الكرة وعدد كبير من بعض العاملين بالشركة. ولما قويت الرابطة وبدأت تتسع وقاربت على الانتشار انتصر الباش مهندس عوض الجندى وبدأ فى تدبير مؤامرة لفصلنا جميعًا وأقسم أنه لن يترك أى رياضي يعمل بالشركة واتفق مع مساعد مهندس اسمه أحمد ونس على التشاجر معى وحدث وضربته داخل المطار وجاء واحد اسمه رجب وأخذنى إلى خارج المطار وقال إن عوض أفندى يرتب لفصلك.

ولما فشل فى تنفيذ مؤامرته . اتفق مع واحد مساعد مهندس معه بطولة مصر فى الملاكمة وكان اسمه صبحى حتاتة قامت معركة بينى وبينه اشترك فيها المرحوم عبد العال محمد على وانتهت المعركة برفت جميع الرياضيين أعضاء التجمع ولم يخطر شئون العمال بالوقوف واعتبرنا متغيبين عن العمل أكثر من أسبوع. وكنا نجهل القانون فى هذا الوقت الذى كان ينص على فصل العامل إذا تغيب عن العمل لمدة أسبوع بدون إنذار ولا مكافأة ونجح فى فصلنا جميعاً.

وبعد فصلي من شركة مصر توجهت إلى مصنع إدوار طويل ولم أجد عملا، والتحقت بمصنع الصلصة بقسم التجارة وكنت أقوم بترميم لصناديق الخشبية وتصليحها لتعبئة الإنتاج وهذا المصنع اشتراه سلوم وأصبح اسمه مصانع سلوم وأصبح اسمه بعد التأميم مصنع تريكونة والذى تم هدمه الآن وإقامة عمارات سكنية على أرضه وبعد تركى مصنع الصلصة اشتغلت بمصنع سرفيان بقسم التدوير ، وكذلك مصنع كومبان ثم مصنع ألكان أوزمان ولكني لم استمر في العمل به لأنه كن فيه شخص يفرض إتاوة على كل من يعمل فى هذا المصنع وكذلك مصنع سفريان الأول اسمه محمد دريهم والثانى اسمه أحمد الصعيدى ورفضت دفع إتارة وبدأ النزاع بيننا وفى النهاية فصلت من المصنع.

وبعد ذلك اشتغلت بمصنع جاك نصير بشارع الأجديلى بالشرابية بقسم التدويرات حيث كان المصنع به مكن راشيل وكذلك مكن تريكو بدوى وحدثت مشاكل بسبب الأجور وتوجهت إلى مكتب عمل شبرا وقام معى مفتش مكتب العمل ووعدنى بأنه سوف يجبر صاحب العمل عن تنفيذ طلباتنا حتى لو أدى الأمر إلى ضربه وأجرت له تاكسيا ونزل من التاكسى ودخل المصنع بمفرده لأننا كنا متوقفين عن العمل فى انتظار ما سوف يحققه المفتش من حصولنا على حقوقنا، وبعد انتظار طويل خرج إلينا ليقول: أنا حاولت معه ولم أصل إلى حل ورفض جميع المطالب وتركنا أمام باب المصنع وذهب.

ملحوظة : هذا المفتش حضر بمصنع شركة الصناعات الحديثة (القرنفلى سابقًا) والشركة العربيه للنسيج الحديث لاحقا، وقد وجدت رقي إلى وكيل وزارة وجاء ليحاضرنا بالثقافة العمالية عن التنظيم النقابى فى مقر الاتحاد الاشتراكي والجماعة القيادية الذى كان موجوداً بالمصنع حاولت، أن أذكره بمشكلة مصنع جاك نصير فتظاهر بعدم معرفته بهذا المصنع، مع العلم أني شاهدت بعينى يوم إضراب عمال مصنع لوقا أن دخل مدير مكتب عمل شبرا المصنع وأثناء وجوده بالمصنع حدث أن فتحت شنطة سيارته وامتلأت بالقماش وكنت جالسا على قهوه بجوار المصنع ورأيت بعينى هذه الواقعة.

قام أصحاب مصنع إدوار طويل ببناء مصنع بشارع فيكتور ليفى بالزيتون فتوجهت إلي المصنع وتمكنت من العمل بالمصنع لمدة سنة وتم توفير عدد من العمال وكنت ضمن الذين تم الاستغناء عنهم، وفى سنة ٤٦ عدت للعمل بالمصنع مرة أخرى وقمت بإحياء صندوق الإضراب واخترنا المرحوم نصر عواد أمينا للصندوق وكان يضم كل من عبد الله حسن رئيسا ونصر

عواد أمينا للصندوق وعبد الرحمن هجرس وأحمد طويلة ومحمد عبد الخالق أعضاء وكنت متحفظاً من ناحية المرحوم محمد عامر حيث كان يعمل مفتش عام مصانع سلوم ماتكه فضلاً عن الدعاية المعادية من ناحية عبد العزيز الصباغ واتهامه له بالتجسس على العمال لصالح أصحاب المصنع ونظراً لأن عامر كان صارما فى إدارته لعمل فقد وجدت هذه الدعاية من يصدقها وكنت أنا منهم، رغم أنى اشتركت معه فى كل المظاهرات التى كان يقوم بها الوفديون ضد هذا الاستعمار لأنه كان رئيس لجنة شباب الوفد بالمطرية ولأنى كنت وفدياً بالتبعية لوالدي الذي كان وفديا متعصبا وكل أقاربى كانوا وفديين حتى الموجودين منهم بالوجه القبلي.

واشتركت معه فى مظاهرات الطلبة والعمال التي كانت فى عام ٤٦ والتي حاصرتنا فيها القوات البريطانية وأطلقوا علينا الرصاص والقنابل المسيلة الدموع وحاصروا ميدان الإسماعيلية «التحرير» بالعربات المسلحة. وكانت هذه المظاهرة بداية اللقاء وبعدها قام الزميل نصر عواد بلقاء لنا فى بيته ودار بيننا حوار وكنت صريحاً معه عما سمعته عنه فقال الأيام بيننا وستثبت عملنا وبعدها دخلنا ودعانى إلى زيارته فى بيته فكان يسكن فى بيت ريفى به حوش واسع ووجدت عدداً من العمال ومعهم محاضر يحدثهم عن الطبقة العاملة والفلاحين وما يلاقونه من تعسف أصحاب والأرض وأصحاب المصانع فأعجبت به جداً.

وفي الجلسة الثانية كانت محاضرته عن تصور المجتمع وعرفت أن اسمه أنور فتح الله وأنه تروتسكى المذهب ورجعت بذاكرتي إلى ما كنت أسمعه من والدى عن المسكوف والجيش الأحمر وزاد شوقى للاستماع، ولكنى بعد ذلك وجدت أن توجه عامر قد تغير ودخلنا فى دور تكوين النقابة وكنا فى أواخر سنة ٤٧ ونجحنا فى تكوين النقابة برئاسة المرحوم محمد عامر وعضوية نصر عواد وعباس عبد العزيز وعبد الرحمن هجرس وكمال إبراهيم وعبد المنعم عيسوى، وباقى الأسماء لا أذكرها الآن، وقبل أن نقوم بتكوين هذه النقابة بحثنا عن النقابة التى كانت موجودة بشبرا وعلمنا من بعض الزملاء الذين يعرفهم عامر بأن النقابة السابقة استولى عليها بعض الأخوان المسلمين ووضعوها فى مكان فى بهتيم وحاولنا الوصول إلى مكانها ولم نفلح لدرجة أننا تقابلنا مع عناصر فى بيت فضيلة الشيخ طه البهنسى ولما لم نفلح فكرنا فى تكوين نقابة عامة تحت اسم نقابة النسيج الميكانيكى وملحقاته بالقاهرة وضواحيها سجلناها بوزارة الشئون الاجتماعية تحت رقم ٦٧ د وكان مقرها بدار النقابات بقنطرة الدكة وكان سكرتير الدار اسمه السكرى، وكان اشتراك العضوية خمسة قروش فى الشهر.

وبدأ نشاط النقابة بالاتصال بالعمال أمام أبواب المصنع وعقد الاجتماعات في المزارع والحقول والبيوت حتى أطلق بعض العمال اسم بيت الأمة على بيتنا من كثرة اللقاءات التى تتم فيه لأنه كان به حوش كبير يتسع لأكثر من ٢٠٠ فرد وكان عامر هو الحاضر الوحيد وهو أول من حدثنا عن أول مايو وأول من جمعنا للاحتفال به سنوياً حتى أن البوليس السياسى بدأ يحاربنا ويقبض علينا ويودعنا بالأقسام قبل أول مايو مما جعلنا نترك منازلنا قبل أول مايو بأسبوع ونحتفل به سرا بعيداً عن نظر البوليس. ولما يأس البوليس منا وضع علينا رقابة بوليسية تراقبنا منذ خروجنا من البيت فى أى وقت حتى نعود أما عامر فوضعوا له عدداً من المخبرين يسيرون كظله ولما اكتشف أمرهم اتفق مع أحد أقاربه أن يأتى له بحمار يركبه بالخلف خلاف وعندما يسأله أحد من الناس يقول لهم أنا أراقب الحرس الخاص كى لا يهمل فى عمله، وكان يرأس مخبرى القلم السياسى إبراهيم الطوخى ومحمد نصر ومعهم الشناوى وعبد العزيز ومجموعه ثانية لا أذكرها الآن.

بدأ نشاط النقابة بعمل اعتصامات بمصانع سلرم التى كان محمد عامر مديرها ونجح فى إقناع أصحاب المصنع بالموافقة على مطالب العمال وهى عبارة عن تنفيذ الأمر العسكرى رقم ٩٩ لسنة ١٩٥٠ وعلاج العمال على نفقة المصنع وزيادة الأجور وأحقية العمال فى الإجازات السنوية والموسمية مثل رأس السنة الهجرية والميلادية والمولد النبوى الشريف والجلاء وكانت هذه المطالب هى الغالبة بالنسبة لجميع العمال فضلاً عن مطالب عمال النسيج التى تزيد على هذه المطالب بالنسبة لعمال الإنتاج مثل عطلات التقسيط والتصليح وعطلات الكهرباء وعطلات الغزل وكثير من المطالب الاقتصادية.

وكذلك اعتصام عمال مصنع نعمان أنطاكى بعزبة النخل وكذلك مصنع الفيوم للغزل الذى قام برئيس الخفر وكان اسمه قاسم قام بترتيب مؤامرة لضربنا داخل المصنع حتى الموت وإلقائنا فى المصارف ولما علم العمال بتدبير المؤامرة أرسلوا لنا مرسالا، من العمال يحذر من الذهاب للمصنع ولحق بنا ونحن نستعد لركوب سيارات الشركة من تحت الكوبرى وكان محمد عامر مصراً على الذهاب إلى الشركة لولا أن العمال أصروا على عدم ركوبنا حفاظا على حياتنا، أما مصنع أنطاكى فقد رفض صاحبه مديده بالسلام على محمد عامر رغم وجود مدير مكتب العمل الأستاذ عبد الحميد سليمان رحمه الله، وإذا بالزميل عامر ينهر صاحب المصنع ويقول له أنا لا يشرفنى أن أضع يدى فى يدك لأنها ملوثة بدماء العمال فعلق مدير مكتب العمل ليه كدا يا أستاذ عامر فرد عليه عامر وقال «لو نظرت لمبنى المصنع لوجدته مبنى

بدم وأنهم وضعوا دم العمال بوجدة لحام للطوب بدلا من المونة.

وتأزم الموقف وارتفعت هتافات العمال بحياة النقابة ورئيسها محمد عامر ورضخ صاحب المصنع لمطالب العمال وانتهت معركة الاعتصام بتحقيق مطالب العمال وانتشرت صناديق الإضراب ولما اشتدت محاربة البوليس السياسي ببوليس قسم الزيتون أسميناها صناديق الادخار، وزاد ترابط العمال والتفافهم حول النقابة وشدد البوليس من ضرباته الموجهة لنا وتم اعتقال محمد عامر سنة ١٩٤٨ وعليه عقدت اجتماعاً مع العمال وحضره عدد كبير من العمال فى بيتى واتفقنا على عمل صندوق خاص لمساعدة أولاد عامر حتى يتم الإفراج عنه وقررنا أن يكون الاشتراك ٢٥ خمسة وعشرين قرش صاغ كل قبض على أن يتم شراء كل ما يلزم البيت أسبوعيا من أرز وسكر وصابون ولحم ومبلغ للصرف منه وعلم البوليس بذلك وبدأ يهدد العمال ويحرض أصحاب المصانع والرؤساء ضد العمال المشتركين فى الصندوق إلا أننا استمرينا فى جمع الاشتراك من أكبر عدد ممكن من العمال، ولما وجدنا الحصار قد اشتد علينا وعلى العمال اجتمعنا وقررنا البحث عن وسيلة للإفراج عن محمد عامر. فقال الزميل نصر عواد أنه يعرف شيخ الطريقة الأحمدية وكان صديقًا شخصيًا لرئيس الوزراء النقراشى باشا وعليه توجهنا إلى الشيخ أحمد شمس الدين واتفق معنا على دفع ثمن مأدبة العشاء التى سيتم عملها لرئيس الوزراء وإذا فشل فى مسعاه يرد المبلغ لنا وكان المبلغ المتفق عليه هو ٢٥٠ جنيهاً ولما فشل رد لنا المبلغ بالكامل وقال إن رئيس الوزراء قال له إن هذه سياسة عليا ولا يمكن أن يورط نفسه فى مثل هذه الأمور.

وبعد ذلك استمرينا فى جمع الاشتراكات وفوجئت برئيس قسم التدوير يشتبك بأحد العمال وهو محمد عبد الخالق فتوجهت إليه لفض المشاجرة وكنا بوردية مسائية فوجدته يترك محمد ويشتبك معى فاستجبت لاستفزازه وضربته علقة ساخنة وفى الصباح قبل انصرافنا من العمل حضر صاحب المصنع ومعه رئيس مباحث القسم وكان اسمه حنفى عبد الرحمن وقبض على ومعى محمد عبد الخالق، عبد الكريم الهجرسى وأدركت أنها مؤامرة علينا بسبب صندوق الإعانات وظل التحقيق معى لمدة ثلاثة أيام وفى آخر يوم قال «أنا ها اكتبلك حرف ش فى المحضر وأعتقلك وأوديك عند محمد بك عامر قلت له ياريت على الأقل أطمئن عليه لأنى لم أره منذ أخذتموه فاستدعى جاويشا اسمه عوض وقال ياعوض اعمل محضر لعبد الله وهاتهولى هنا» ففتح المحضر واتهمنى بضرب شحاته أفندى رئيس قسم التدوير وأنى مشاغب وعلى

اتصال بالشيوعيين وعلي رأسهم محمد بك عامر المعتقل بسبب نشاطه الشيوعي وأنني مكون صندوق لمساعدة محمد عامر ومعي عدد من عمال المصنع وهم نصر عواد وجلد ومحمد عبد الخالق وعبد الكريم وأحمد طويلة وكلهم من العناصر المشاغبة وفي النهاية رفضت التوقيع على المحضر وكان هذا الضابط قوى وكان يضرب من يقع تحت يده لذلك اتفقت مع ابن عمتي وهو عالم أزهر رحمة الله عليه أن يحضر القسم وإذا شعر بأن الضابط اعتدى علي بالضرب يقوم بإبلاغ النيابة فورا لأنني لن أسمح له بضربي و سأفقأ عينيه وحاول الشيخ أن يثنيني عما عزمت عليه ولم يفلح ولكن علمت بعد ذلك بأنه يستعمل الضرب مع اللصوص والسوابق.

فاتني أن أذكر أن النقابة وهي في قنطرة الدكة قامت بدعوة الجمعية العمومية لانتخاب مجلس جديد وحصلت على تكريم من أحمد نجيب مرتضى رئيس مكتب شئون العمال بالمحافظة وأثناء انعقاد الجمعية حضر أحد رجال القلم السياسي وكان محمد عامر يعرفه ويعرف والده وبيتهم كان في شارع الترعة فأخذ عامر ودار حديث بينهم وانفعل عامر عليه وقال له: مش عيب عليك تبقى ابن فلان باشا وتقبل أن تكون كلب من كلاب القلم السياسي فغضب وانصرف وفوجئنا بمأمور القسم فكان ضخم الجثة ومعه قوة في عربة بوكس وأمر بفض الجمعية وإلغاء انعقادها فحاولنا التفاهم معه ولكنه رفض فتقدم محمد عامر نحوه ليطلعه على التصريح فرفض وكاد يمزقه ولم يمكنه عامر من خطف التصريح وحدثت مشادة كادت أن تنتهي بالتشابك بالأيدى لولا تدخل بعض العمال وانتهى اليوم بدون أن نتمكن من إجراء الانتخابات وقمنا بعمل تلغرافات احتجاجاً علي تصرف المأمور وعليه قرر المجلس نقل النقابة من دار النقابات إلى مكان آخر وبالفعل انتقلت إلى العباسية خلف مستشفى الدمرداش. وبعد القبض علي عامر واعتقاله هرب عباس عبد العزيز وكان أمينا لصندوق النقابة فقرر المجلس تسليم الصندوق إلى الزميل نصر عواد وأثناء التسليم والتسلم حضر كمال إبراهيم وما إن رأي عباس حتى عاد مسرعا وبعدها دخل رجلان يرتديان ملابس العمال وسألوا عن عباس فقلنا إنه غير موجود يلزم أى خدمة فرد أحدهم وقال للآخر: لا تضيع وقت قم معنا يا عباس حضرة الضابط عاوزك وأخذه وغادر النقابة. فأرسلت خطابا للزميل عامر أبلغه بما حدث من كمال فرد على الخطاب عن طريق أم صلاح زوجته يقول فيه إن أغلب الزملاء الذين تم اعتقالهم كان بواسطة كمال وحذر زوجته منه.

بعد خروج عامر من المعتقل نقلنا النقابة إلى النعام في فيلا كبيرة وبدأ عامر في تجنيدي

يقال أنت مرشح لعضوية الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني وقابلني بالمرحوم بدر (سيد رفاعي) في بيت أبو محمد عامر وبعدها انتظمت فى خلية مع الزملاء عيد سيد أحمد وجمعة حسن جمعة وكمال خليل وإبراهيم حسن وسيد.. لا أذكر بقية اسمه بعد فصلى من مصنع دوار طويل سنه ٤٨ اشتغلت بمصنع إسكندر على تولين كريب ولعدم وجود كريب الراجل فقد أغلق الرجل المصنع وبعد محاولات انتقلت بمنصع أنطون شوشة بالزيتون، دخلت مصنع شوشة فوجدت إدارة المصنع وعلى رأسها وهبة أفندى يضرب العمال بالشلوط والقفا وجدت شكرى شوشة يدخل القسم ويفصل العمال بالعشرات وتونى ابن آخيه رزق يمسك لعامل من رقبته ويقذفه من آخر القسم ويظل العامل يجرى مندفعًا حتى يخرج من باب القسم ولارحمة لأى فرد حتى لو كان تعدى الستين سنة، وذلك خلاف حرمان العامل من جميع حقوقه.

وفى خلال ثلاثه أشهر من تعيينى بالمصنع كنت مشكلا لجانا في كل قسم من أقسام المصنع وهى عبارة عن اختيار عامل ينوب عن كل صف ثم مندوب من كل قسم وعمل اجتماعات مستمرة وبعد ذلك تقدمنا بالطلبات وهى عبارة عن غلاء المعيشة الصادر بالأمر العسكرى رقم ٩٩ لسنة ١٩٥٠ عطلات والتصليح والكهربة والإجازات السنوية والموسمية والعلاج الطبى وتحسين أجور العمال شهرية وموسمية وعدة طلبات أخرى نسيتها الذاكرة. وهذه المطالب تقدمنا بها إلى مكتب عمل القاهرة وعرضت على السيد/ خليل حسن خليل مفتش أول مكتب العمل ولم يتخذ فيها قراراً واتجهت فى يوم خميس أسأل عن مصير الشكوى وما إن دخلت مكتب السيد وخليل حتى ثار وطردنى من مكتبه وقال امشى من وإلا جبت لك العسكرى يطردك برة، فقلت له إن شاء الله سوف أجعلك تشتغل بوم راحتك وعدت إلى المصنع وعملت اجتماعًا مع اللجان فى بيت ابن خالتي وكان موظفا بالسكة الحديد وأثناء الاجتماع أبدى لمندوبين مخوفهم من عامل اسمه أحمد الصعيدى لأنه يتصدى لأى إضراب ويفشله فأخذت على عاتقى ضم الصعيدى وبعد الاجتماع تقابلت معه فى نفس المكان وأجريت معه حواراً وأقنعته بالوقوف مع زملائه لأننا سوف نعتصم بالمصنع غدا الجمعة ووافق وتعاهدنا على الوقوف معا صفًا واحدا في مواجهة صاحب العمل، ومن حسن الحظ أن أحمد الصعيدى كان متزوجًا بنت البواب فراح له وقال له الصبح تربط عينيك بشاش أسود وتعمل إن عينيك مريضة وتستلم السراكى من العمال من سكات ملكش صالح ما تسألش أحد عن ورديته وقد كان وتم الاعتصام وكنت مربط مع مندوبين المصانع بالمنطقة وقام العمال بإرسال المواد

الغذائية للمضربين وحضر الأستاذ خليل وحضر مأمور القسم ورئيس المباحث والنيابة ودارت المناقشة على النحو التالى :

صاحب العمل غير موافق على مطالب العمال. ورد المأمور على بأن قال لى «أنا لو عندى خدام كسرطبق بأمشيه. قلت له شغل الخادم أن يأكل ويشرب ويلبس ولكنه لا ينتج، قال بلاش الخادم مراتى لو اختلفنا بطلقها. قلت برده التشبيه خطأ لأن مراتك يوم ما تميزها تدفع لها المهر الكبير وتيجى بمفردها تلبسها أفخر الملابس وتؤكلها أفخر المأكولات والفسح والحفلات وسنة والتانية تولد ولد واتنين تبقى مسئول عن كل ما يلزمهم ويوم ما تطلقها زى ما بتقول بتاخذ نفقة متعة وإعاشة ونفقة لها وللأولاد لكن العامل يوم ما يفصل يفقد كل شئ حتى أجره ثم إن العامل ينتج وصاحب العمل يثرى من عائد الإنتاج ويحرم العامل من كل حقوقه وأبسطها الرعاية الصحية، فنظر إلى وقال إنت التفاهم معاك ما بينفعش، واستمر الإضراب من يوم أول مايو حتى ٥ مايو سنة ١٩٥٠ وتم الاتفاق مع وكيل النيابة ومدير مكتب العمل إبراهيم الغطريفى على عرض المطالب على لجنة التوفيق وتحرير محضر جنحة عسكرية لعدم تنفيذ الأمر العسكرى رقم ٩٩ لسنة ١٩٥٠ الخاص بغلاء المعيشة مع العلم بأن الحد الأدنى للأجور فى ذلك الوقت كان ١٢,٥ قرش بما فيه غلاء المعيشة لمن بلغ سنه ١٨ سنة فتل عن الحد الأدنى نصف قرش عن كل سنه تقل عن ١٨ سنة وبعد عرض المطالب على لجنة التوفيق تقرر عرضها على لجنة التحكيم واستمر نظر القضية أمام لجنة التحكيم وفى الجلسة التى سبقت حريق القاهرة.

وأثناء انعقاد الجلسة وجدت إبراهيم الطوخى ومحمد الشنشاوى مخبرى القلم السياسى وجدتهم موجودين بالقاعة فطلبت من رئيس لجنة التحكيم وهو برتبة مستشار وقلت له من مراقب نحن أم أنتم فقال لماذا هذا السؤال؟ فأشرت له وقلت له هذان الرجلان من القلم السياسى. فخبط على المنضدة بالقلم وأشار لهما بالخروج من القاعة وطردهما من الجلسة، فذهبا إلى المصنع وتقابلا مع العمال وقالا لهم إن المحكمة كادت أن تحكم لهم لولا أن عبد الله حسن لم ينتبه عن العمال واعترض على وجودنا بالقاعة مما أثار القاضى وأجل الجلسة.

ولما علمت بما حصل منهما وأن بعض العمال صدقوا ما قيل لهم فسارعت بعقد اجتماع بدار النقابة بالدفاع وشرحت لهم ما حدث بالتفصيل فاقتنعوا وقبل الجلسة بثلاثة أيام علمت بأن مباحث الزيتون أخذت عاملا اسمه كمال طويلة فتوجهت إلى القسم لمعرفة سبب القبض

عليه ووجدت عدداً من عمال المصنع موجود أمام القسم وكنت وقتها راكباً دراجة وأثناء وجودى مع العمال تحت رئيس مباحث الزيتون حنفى عبد الرحمن وهو يطلب من أحد المخبرين القبض على وعمل محضر إدارى بحجزى وكان يوم خميس فوضعت بالحجز الخميس والجمعة والسبت حتى جاء حنفى عبد الرحمن حوالى الساعة السابعة مساء وطلب المحجوزين إدارى وتحرى ولما جاء دورى فى الدخول إلى مكتبه طلب منى المخبر الواقف على الباب أن أخلع حذائى فرفضت وعلا صوتى وإذا بالضابط يقول للمخبر فيه إيه يا حسن فقال له دا عبد الله حسن يا بيه فقال له سيبه يدخلى فدخلت وإذا به يقول لى فيه إيه يا سى عبد الله فقلت له له يعنى مش عارف فيه إيه مش إنت اللى أمرت عبد الرحمن المخبر بالقبض على وأمرت الصول أحمد دسوقى بعمل محضر إدارى وتم حجزى بالقسم وأنت تعلم أن القانون يعطينى حصانة نقابية وأنك بفعلك هذا خالفت القانون فاعتذر وأنكر أنه أمر بذلك يوم السبت وكانت الساعة الثامنة مساء.

وحضرت الجلسة صباح يوم الأحد بدار القضاء العالى، وعقدت الجلسة ونادي الحاجب عبد الله حسن البصيلى فقلت حاضر يا فندم. وإذا بشكرى شوشة صاحب المصنع ينظر إلى ويقول لمدير المصنع هوأده عبد اله يا وهبه، قال له أيوة يابيه وما أن نودى على اسمه حتى رفع يديه وقال يابيه أنا مستعد للصلح دول شياطين وعفاريت واتضح أن القبض على كان بتدبير ولعبة المقصود منها عدم حضورى الجلسة. فطلبت الكلمة من رئيس المحكمة وقلت له أنا أطلب من هيئة المحكمة الموقرة حمايتى من ألفاظ صاحب المصنع فوجه له القاضى كلمة لشكرى بعدم تجاوزه فى الكلام. فعاد وطلب من القاضى تأجيل الجلسه للصلح. فسألنى القاضى إذا كنت موافقا على الصلح فقلت لا مانع إذا قبل شكرى بك تنفيذ مطالب العمال وتم تأجيل الجلسة وانصرف الجميع وعدت إلى النقابة.

وكنا استأجرنا فيلا بشارع الترعة بالزيتون وفى اليوم التالى حضر رئيس القلم المخصوص فى سيارة سوداء فارهة وطلبنى فخرجت له وسلم على وسألنى عن محمد عامر فقلت له غير موجود فأعطانى كارت وقال لما يحضر محمد عامر قل له إنى جئت وتعالوا مع بعض لأنى عاوز أتفاهم معاكم. ولما حضر عامر أعطيته الكارت فحرقه وقال لن نذهب إلى أحد. وفهمت من الكارت أن صاحبه هو محمد حلمى رئيس القلم المخصوص، وبعدها جاءنى إبراهيم الطوخى من القلم السياسى وسألنى إنتم لبه مارحتوش للباشا ، فقلت له إحنا مش

رايحين لأحد. بس داغلط عليكم وعليك إنت بالذات. فقلت « ليكن ما يكون وبعدها بحوالى ثلاثة أيام فوجئت بمحاصرة المصنع بقوات هائلة من رجال البوليس ومعهم عدد كبير من الضباط العظام ومعهم مأمور القسم حسن خالد ورئيس الباحث حنفي عبد الرحمن ونائب المأمور حسين عبد الجواد ومنعوني من دخول المصنع وأحد الضباط لفت نظرى إلى كشف معلق على الباب فوجدت عدد ٩ عمال تقرر فصلهم وهم ١- عبد الله حسن -٢- محمد عبد الرحمن -٣- محمد شعيب - ٤- عبد المحسن راشد -٥- سعد القلعاوى -٦- صبحي أسعد - ٧- مراد شاكر -٨- أحمد الصعيدى -٩- منصور الجندى والكل انصرف ماعداى إذ احتاطني عدد من الضباط ووضعوني فى سيارة مغلقة ولحق بى البطل المرحوم عامر وأمسك بالسيارة يحاول الركوب معي فمنعوه وكاد أن يشتبك معهم، وتحركت السيارة إلى قسم بوليس الزيتون ووجدت رئيس القلم المخصوص والقلم السياسى وعدد من اللواءات وبدأت المساومة ودار الحوار على النحو التالى مع رئيس القلم المخصوص، قال لى: صاحب المصنع فصلك ومستعد لفتح الخزنة بدون تحديد رقم وتأخذ أنت مايكفيك وتتنازل عن القضية فرفضت قال بلاش دى هو بيعرض عليك محل مانى فاتورة يملأه لك من جميع الأصناف دون أن يأخذ أى شئ كمقابل » فقلت له أولا بالنسبة للعرض الأول فأنا مش للبيع وبالنسبة للعرض الثانى مرفوض ولن أخون زملائى بمال الدنيا كله ونحن فى الحوار وإذا بالرفيق محمد عامر يهجم على المكتب كالأسد الجسور ولم يفلح الحرس من منعه من الدخول وقال ياعبد الله إذا قبلت أى عرض منهم سأجعل العمال ينصبون لك مشنقة على باب المصنع فقال له رئيس القلم المخصوص إنت بتحرضه يا محمد بك فقال نعم أنا أحرضه ومسئول مسئولية كاملة عن كل ما قلته فقال لى إنى رئيس القلم ياعبد الله يعنى دى مش أحسن من حاجة تانية. فقلت له التانية أحسن وبعد ذلك توجهت إلى النقابة فوجدت مندوبى الصفوف سجتمعين وقرروا عمل اعتصام وبالفعل تم عمل اعتصام لمدة عشرة أيام احتجاجا على فصلنا.

ومن جانب النقابة عملت شكوى لإدارة النقابات حيث إن المفصولين منهم عدد خمسة من أعضاء مجلس إدارة النقابة وصرح لنا الأستاذ إبراهيم الغطريفي بأن فصلنا سوف يكون سببا لإضافة مادة لقانون النقابات تمنع فصل النقابى أثناء عرض النزاع على الجهات المسئولة وكذلك عدم فصل العضو النقابى إلا بعد التحقيق معه بحضور مراقبين من نقابة أخرى يحضرون التحقيق ومن جانبنا عملنا شكوى لإدارة الصلح والتوفيق واستمر البحث فيها حتى جاء حريق القاهرة وتم اعتقالى مع محمد عامر وعباس عبد العزيز وآخرين- يوم حريق

القاهرة كنت مكلفًا من المرحوم إبراهيم عبد الحليم بتوصيل جريدة الملايين إلى المنصورة وأثناء وجودى بالمنصورة صباح يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ لاحظت أن دور السينما تستخدم سيارات عليها أفيشات تدعو الناس لدخول السينما مجانا لمشاهدة ثلاثة أفلام ولاحظت كثرة السيارات المحملة بالدعاية بصورة لافتة للنظر ولكني لم أفطن لشئ غير عادي. وبعد احتسائى فنجانا من القهوة مع الزميل الذى كان لقائى به فى مستودع أخشاب استأذنت بالانصراف وتوجهت إلي مرقف السيارات ولم أجد غير سيارة متوجهة إلي الزقازيق ومنها إلى القاهرة فكان الوقت قرب من العصر. فركبتها و أثناء توقفها بموقف الزقازيق وجدت أناس تجرى خلف اثنين زملاء وتقول حرامى وتخيلت أن الزملاء هما الزميل ضياء بدر الصحفي وزميل يشبهنى تماما كان اسمه طه أحمد وإذا بالضابط والمخبرين يصعدون إلى السيارة ومد الضابط يده وأمسك بى على أنى أحد الذين يطاردونهم وسألنى : أنت كنت تجرى أمامى فقلت أنا راكب من المنصورة وشهد الكمسارى والركاب بذلك فسألنى إن كنت أحمل تحقيق شخصية فأبرزت له كارنيه النقابة فتركونى وغادروا السيارة. وانطلقت بنا السيارة وما إن وصلت شبرا حتى توقف السائق عن السير وطلب منا مغادرة السيارة وكانت الساعة حوالي السادسة مساء وعلمنا منه أن القاهرة تحترق وأدركت أبعاد المؤامرة ومشيت إلى أن وصلت إلى ميدان باب الحديد - رمسيس حاليًا - ورأيت الخراب والحرائق مشتعلة فى البيوت والمخازن ودور اللهو مشيت حتى وصلت عند المحكمة المختلطة واختنقت من شدة الدخان المتصاعد من الحرائق فنزلت إلى دورة المياة الموجودة تحت الأرض بجوار المحكمة حتى أفقت من حالة الاختناق وإذا تدخل أحد وقال حرام يجذبونه ويقذفون به فى النار وعساكر البوليس لاتحرك ساكنا ووجدت الشوارع عبارة عن بحيرة من الخمور السائلة، وكانت الساعة حوالى السابعة مساء وإذا بالجيش ينزل ويطلق الرصاص فى الهواء وقلت فى نفسى إذا أصبت أو أزهقت روحى سيشنعون بالشيوعيين ويلصقوا بنا التهمة واستمريت فى السير أخذ بعض السواتر حتى وصلت باب اللوق لعمل التمام حيث كان الزميل إبراهيم سينتظرنى للاطمئنان. لكننى وجدت باب الجريدة مغلقًا ولم أعثر على أى زميل وعدت سيرا على الأقدام حتى وصلت البيت حوالى الساعة الثانية صباحا وأثناء عودتى وجدت أعداداً كبيرة من الناس بمنطقة المطرية فرحين مهللين ويكبرون باسم الله فتوقفت معهم لشرح أبعاد المؤامرة ولكن أغلبهم لم يقتنع.

وأثناء ترتيبى لشنطة ملابسى دق الباب ودخل عدد من البوليس على رأسهم أحمد نجيب

مرتضى وقاموا بتفتيش الحجرة وأخذ مطبوعات مجلس السلام العالمى وبعض الملصقات التى لم يتم الانتهاء من لصقها، وتم حجزى بقسم المطرية ثم تجمعنا بقسم الزيتون قبل ترحيلنا إلى معتقل روض الفرج وكنا عدداً كبير أذكر منهم الآتى : ١ـ محمد على عامر ـ٢ـ عبد الله حسن ـ٣ـ جودة سعيد الديب ـ٤ـ محمد محمود ـ٥ـ سعيد القلعاوى وكان أصغرنا سنا ـ٦ـ جنيد ـ٧ـ صبحى محمد على ـ ٨ ـ محمد يوسف المدرك وعدد كبير من الزملاء، وبعد ذلك نقلونا إلى معتقل الماظة الذى مكثنا فيه ثلاثة أيام بدون أى طعام وبعدها نقلونا إلى معتقل الهايكستب وكان يضم عدد كبير من الزملاء أذكر منهم محمد على عامر، مبارك عبده فضل، تركى مراد، أحمد طه، عبد المنعم الغزالى، فؤاد حداد، جمال غالى سعد عبد اللطيف، حسن عبد الرحمن، فؤاد حبشى، يوسف مصطفى، صبحى محمد علي، أنور برلس، صلاح دسوقى، عباس عبد العزيز، إبراهيم سلامة، سلام إبراهيم، حسين الغمرى، أحمد شرف الدين نور سليمان، سعيد القلعاوى، محمد محمود، أحمد الوزان من منظمة جاتي، محمد سيد أحمد وعدد من محسن فتحى رضوان من الحزب الوطنى القديم، عباس قاسم وعلى الزبير والشربينى من الوفد، الحاج محمد الغندور وعبد الخالق التكية، عباس الأسوانى وعدد آخر من حزب مصر الفتاة، المهندس محب. الباشا من زعماء فدائى القناة تحولوا إلى العمل الفدائى من رؤيتهم مقتل أم صابر على يد ضابط إنجليزى حسنى العرابى، محمد معوض الفيومى.

لما تجمعنا مع بعض قررنا الاضراب عن الطعام لإجبار الحكومة على صرف كفاله نقدية للمعتقلين وكونا لجنة للإشراف على عملية الإضراب بقيادة المرحوم الشيخ أحمد شرف الدين وتمسكنا بالاستمرار فى الاضراب حينما استجابت الحكومة لمطلبنا بعد مضى عشرة أيام من الإضراب ولكن المهندس محب عبد العاطى والباشا رفضوا إنهاء الإضراب ونقلوا إلى مستشفى القصر العينى وهم مصرون على الاستمرار فى الإضراب حتى يتم الإفراج عنهم ولا أعلم مصيرهم حتى الآن، وأحب أن أذكر أن الباشا كان مرصوداً له صرف مبلغ ٥٠٠ جنيه لمن يرشد عن مكانه أو يقبض عليه حيا أو ميتا ونشر ذلك بمجلة الاثنين وصور نشرت له بمجلة الاثنين وبعض الجرائد ولم يتمكنوا من القبض عليه إلا عن طريق ابن شقيقته وكان يعمل مخبراً بقسم الزيتون وذلك حسب قوله لى إنه طلب منه أن يصنفه عنده ليبعده عن عيون البوليس وعن عيون الإنجليز فقبل الرجل بحكم اطمئنانه لابن شقيقته وما إن توجه معه إلى القاهرة حتى استضافه وبات عنده فى أمان .

وفى اليوم الثانى خرج به وجلس على مقهى أمام قسم الزيتون، واستأذنه لشراء سجاير وإذا بالمخبرين يطبقون عليه من بابى المقهى الاثنين ويقبضون عليه أما المهندس محب فكان من الذين يتعاونون مع الجيش الإنجليزى باعتباره من مقاولى المعمار وذلك رغم قرار مقاطعة الجيش الإنجليزى إلا أنه تحول إلى العمل الفدائى هو وعماله بعد أن رأى مقتل الشهيدة أم صابر برصاص الضابط الإنجليزى وذلك حسب روايته لى وأذكر بعض المقاطعات بين المعتقلين ومنها مثلا رفاق تنظيم شمس الذى كان يبنى مقاطعته لجميع التنظيمات الشيوعية واتهامهم بالتجسس والخيانة ـ وكذلك عناصر حزب مصر الفتاة كان يبني مقاطعته للشيوعين على جيناء وسحرة. أما الزملاء أبناء حدتو فقد كانوا دائماً يقومون بعمل مناظرات يتحدث فيها الزملاء أحمد طه، ومبارك عبده فضل وزكى مراد ومحمد عامر لدرجة أنه بعد أحد المناظرات جاء عبد الخالق التكية وعباس الأسوانى وسألوا محمد عامر عن مؤهلاته فرد عليهم قائلا أنا أحمل شهادة ميلاد وأهم منها شهادة جامعة الأهوال وكلية الشدائد فقال عباس الأسواني والله لو أنا رئيس حكومة يا محمد ما أفرجت عنك من السجن أبداً. ويوم اغتيال الشهيد عبد القادر طه وقف شقيقه أحمد طه ضباط القلم الشامخ يرثى أخاه وكذلك يوم وفاة والدى فاستمديت الصبر والقوة من موقف أحمد الشجاع.

وفى يوم من أيام رمضان جاء ضابط خسيس من ضباط القلم السياسى وأمر ضابط المعتقل بالقبض على الأهالى الذين تجمعوا حول الأسلاك الشائكة فقام الضابط بتنفيذ الأمر وكان اسمه إبراهيم العنترى وعلى أثر ذلك بدأنا نهتف وخرج الضابط وتركوا المعتقل وأمر العساكر بمحاصرة المعتقل وصدرت تعليمات لى من لجنة الإغاثة بالوقوف أمام باب المعتقل ومنع أى عسكري من الدخول لحين يفرغ على الزير من الاتصال بجميع المسئولين وأثناء ذلك هاجمنى عسكرى بالسمكى وكان بجوارى عباس قاسم والحاج محمد المندور أحد زعماء مصر الفتاة.

وإذا بالأستاذ عباس يخطف البندقية من العسكرى ووجهها نحو العسكرى ولكن العسكرى أسرع بالجرى وإذا بالضابط عبد السلام. يجرى نحونا ويطلب من عباس عدم إطلاق الرصاص حفاظا على أرواح الجميع وطلب الدخول معنا فى نقاش وبالفعل سمحنا له بالدخول وقام المرحوم زكى مراد بإدارة الحوار الذى اشتد فيه الرفاق المرحومان مبارك عبده فضل وعبد المنعم الغزالى، وأعجب الضابط بآراء الزملاء وقرر أن يتقدم باستقالته من البوليس وفتح

مكتب محاماة ووعد بأنه سوف يقوم بالدفاع عن أى شيوعى بدون مقابل وبعد ذلك حاول أن يقنع الضابط الفيتورى بدخول مكتبه ولكنه رفض وكانت هذه الواقعة فى شهر رمضان فقمنا بتقديم الإفطار للجنود وهذه كانت لفتة طيبة منا جعلتهم يتعاملون معنا بعد ذلك كأخوة لا كمعتقلين، وبعد ذلك حضر حكمدار القاهرة ومعه قوة كبيرة من الضباط ورجال الأمن ودخل عندي فى الحجرة التى أنام فيها وموجود بها المواد التموينية فقمت وأغلقت الباب بالترباس، فقال لى بتعمل إيه يا ابنى قلت له «بأقفل الباب علشان أعرف إنت مين» وفى هذه الأثناء تجمع الضباط حول الباب بقصد كسره ولكنه طلب منهم عدم استخدام القوة ودار حوار مع اللجنة انتهى بأن الزميل زكى مراد طلب منى فتح الباب ولما خرج سألهم عن سبب هذه الزوبعة ولما وقف على مافعله الضابط أمر بتوصيل الأهالى إلى منازلهم بسيارات الحكومة ولكنا طلبنا منه توصيلهم إلى أقرب مكان للمواصلات وقد نفذ طلبنا وقام بتوصيلهم إلى مصر الجديدة وأمر بنقل الضابط وأوقف بضابط آخر اسمه فتحى رزق من ضابط مباحث قسم المطريةوفور استلامه إدارة المعتقل قام بالتفتيش واصطدمنا به وقام المرحوم فؤاد حبشى بالتشاجر معه وقال له أنت جاسوس فاستعان الضابط بى ومحمد عامر وقال أنتم تشهدون بأنى جاسوس أنتم أولاد بلدى وتعرفون عنى الكثير وانتهى الإشكال بانه لم يأخذ أى ورقة من التى كانت فى حوزتنا وقامت ثورة يوليو ودارت مناقشات حادة بين جميع الزملاء سواء من حدتو أو غير حدتو.

ولما كنا نعلم بقرب عمل شئ من خلال القوات المسلحة حيث أبلغنا من الزملاء من خارج المعتقل بنية الضباط الأحرار بعمل اغتيالات ردا على ما قام به الملك باغتيال الشهيد عبد القادر طه وتمت مناقشة الموضوع وانتهى الرأى إلى عدم اللجوء للأغتيات ويفضل تغيير النظام إذاوجدت إمكانية التغيير وجاء الرد بأن الظروف مهيئة لعمل انقلاب فوافقنا، لذا عندما حدث الانقلاب وبعض المنظمات وعلي رأسها اتهمت الضباط بالفاشية كان رأينا أن الانقلاب ذو حدين فإذا حكمنا عليه بالفاشية ينحول فعلا إلى الفاشية ويكون سلاحًا نظيراً عند كل الوطنيين وإذا حاولنا أن يتحول إلى الديمقراطية يصبح الانقلاب فى صالح الشعب وعلينا أن نشمل تأييدنا بإرسال الديمقراطية وعودة الجيش إلى ثكناته وإجراء انتخابات عامة لتشكيل حكومة وفدية.

وبعد خروجنا من المعتقل وبدء نشاطنا من جديد اجتمعت لجنة المنطقة وكان حاضرا معنا

الزميل المناضل المرحوم مبارك عبده فضل وكان الاجتماع على مقهى بالدراسة وتناقشنا حول الانقلاب والشعارات المرفوعة من الضباط عن العدالة والاشتراكية وأبديت رأيى فى أننا لابد أن نستمر فى النضال وعدم الاتكال على الضباط لأنهم لن يقوموا بدلا منا بتحقيق الاشتراكية وأن الركون إليهم فيه خطورة وقد أيدنى فى رأيى الزميل الراحل مبارك عبده فضل ونحن فى هذا الاجتماع إذا بزميل يقول إن المكان انضرب ولابد من تغيير المكان فقمنا دون تحديد موعد للاجتماع القادم وبعدها فقدت الاتصال ولم أتقابل بعدها إلا بالزميل محمد علي عامر الذى كان على اتصال دائم بى حتى اشتد عليه المرض وقد ناقشنى في موضوع حل الحزب وكان رأيى مؤيدا له في عدم حل الحزب وقلت: «الحزب يبقى ومن فقد طاقة النضال فليستقيل ويترك الباب مفتوحا أمام غيره من المناضلين» وكان يواصل معى بإحضار مجلة الشروق وكان دائم الاتصال بى.

شهادة

عدلي عزيز عياد

البيانات الشخصية

الاســــــــم : عدلى عزيز عياد الصيرفى

تـاريخ المـيـلاد : ثلاثة وعشرون من سبتمبر عام ١٩٢٨م

المـؤهـلات : (١) دبلوم معهد المعلمين الخاص «الابتدائى» أدبى تخصص لغة إنجليزية ١٩٦٨

(٢) ليسانس آداب قسم فلسفة سنة ١٩٨٠

فترة السجن والاعتقال : (١) خمسة أشهر فى قسم بندر المنيا - عقب إعلان الأحكام العرفية يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢. وأديت امتحانى بكلية التجارة إبراهيم باشا بسجن الأجانب بالقاهرة وعدت بعد الامتحان إلى قسم بندر المنيا.

(٢) ثلاث سنوات من عام ١٩٥٣ حتى ١٩٥٦ بسجن أسيوط ثم سجن المنيا حيث أديت امتحان الدبلوم لمعهد المعلمين الخاص وكانت النتيجة رسوبى لعدم أدائى امتحان التربية العملى. ثم أوردى ليمان أبو زعبل

(٣) خمس سنوات من عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٤. فى قسم الموسكى ١٧ يوما، ثم فى معتقل القلعة ثم معتقل الفيوم وأخيرا فى معتقل سجن المحاريق بالواحات الخارجة.

بيانات عائلية :

سيرة ذاتية وكفاح شعب كان يتميز بالسماحة والطيبة

تمتاز مدينة المنيا التى نشأت بها بأن شعبها لا يحس بالغربة أى غريب وغير متعصب دينيا لا يفرق بين مسيحى ومسلم وهذا لأن أغلبية شعب المنيا كان يدينون ومتحمس لمبادئ الوفد باستثناء أقلية صغيرة كانت تنتمى لجماعة الأخوان المسلمين. ولم يكن للحزب الاشتراكى، وأحمد حسين والسعدى وجود يذكر.

فى أواخر عام ١٩٤٩ توثقت أواصر صداقة قوية بينى وبين أحد أقربائى ويدعى لويس اسحق وكان يقيم بمدينة منفلوط مع والده وامرأة أبيه حيث إن والدته توفت وهى

فى سن صغيرة وعندما توفى والده نزح إلى المنيا بصحبة اخوته البنات «اليس إسحق» «ولورنس إسحق» ولأنه كان العائل الوحيد لهذه الأسره فقد ترك دراسته بعد الثقافة والتحق بعمل محصل فى بلدية المنيا. وكان لويس يحدثنى دائما عن حلم يود تحقيقه وهى المساواة العامة بين البشر لا يوجد غنى أو فقير، وعن مجتمع لا يوجد فيه عاطل اى باختصار يوتوبيا. كان اشتراكيا بالفطرة وكانت اشتراكية طوباوية اى خيالية لا تستند إلى اسس علمية حتى انه عندما سمع عن وجود حزب اشتراكى أسرع لطلب الانضمام إليه والكفاح فى صفوفه برسالة الأستاذ «زهير صبرى» رئيس الحزب الاشتراكى الملكى ولكنه لم تبلور اى رد على طلبه. وانضم لويس إلى حزب الوفد حيث إن مبادئ الوفد كانت أقرب إلى نفسه عن بقية الأحزاب وأصبح سكرتير لجنة الشبان الوفديين. فى هذا الوقت تعرف علي شخص يدعي يوسف عبد الملك قلينى شاب يملك خمسين فدانا متقف شديد الذكاء حتى انه كان الأول على مدرسة المنيا الثانوية فى التوجيهية والثالث على القطر. وكون لويس مع يوسف ومعهم شخص ثالث يدعى ديمترى جرجس اول حلقة ثقافية درسوا فيها كتاب رأس المال ترجمة راشد البراوى والمادية الديالكتيكية.

واثناء هذه الفترة ظهرت مجلة الفجر الجديد التى كان برأس تحريرها الأستاذ «احمد رشدى صالح» واعجب لويس بهذه المجلة واخذ يوزعها على أصدقائه ومعارفه وكانت هي الأداة التى أوصلته إلى تنظيم «طليعة الشعب للتحرر الوطنى» (طشتو). وعندما بدأ لويس فى الانغماس فى العمل الحزبى السرى انسحب يوسف عبد الملك وبقى لويس وديمترى وكنت انا دائما احضر المناقشات التى كانت تدور بينهم بحكم صداقتى للويس.. وعندما قبض علي لويس وديمترى وكانت معهم مجموعة كتب ماركسية حدث اول اتصال بينى وبين التنظيم عن طريق عائلة ديمترى وكلفت بالسفر للقاهرة ومقابلة السيد «سيد البكار» وكان يشغل سكرتير احد الوزراء. لأقدم له شكوى أن لويس وديمترى قد قبض عليهما لنشاطهما فى الوفد، وفعلا دون سعيد البكار اسمهما لعمل اللازم. وخرج لويس وديمترى من السجن بدون محاكمة.

وقد انسحب ديمترى جرجس بعد ذلك من التنظيم. وبدأ لويس فى تجنيدى عندما اخذ يحدثنى عن التفاوت الطبقى الكبير بين باشوات يملكون آلاف الأفدنة وفلاحون فقراء لا يملكون إلا قوت يومهم وكانت هذه الملاحظات لم تجد عندى الفهم والوعى

الكامل. ثم أصبحت عضوا فى التنظيم بعد فترة اختبار طويلة نسبيا، وبدأت أعمل داخل حزب الوفد حسب قرار الزميل لويس، حيث إننى كنت عضوا فيه.

نشاطى السياسى داخل حزب الوفد

سيطر التنظيم الماركسى «طشتو» على قيادة لجنة الطلبة الوفدية وكان نشاطنا

(١) عمل محاضرات والتركيز على الديمقراطية والبعد الاجتماعى

(٢) عمل ندوات كان يشترك فيها أناس من خارج تنظيم الطلبة.

(٣) عمل مسرحيات وحفلات سمر تهاجم فيها أحزاب الأقلية والحزاب السراى المعركة ضد الإخوان المسلمين فى مدرسة المنيا الثانوية.

انفصل شاب كان يدعى السيد سعيد محمود كمال عن تنظيم الأخوان المسلمين وأخذ يهاجمهم بشده فاضحا أعمالهم القذرة. ثم انضم إلى صفوف الطلبة الوفديين وهناك أصبح رئيسا للجنة الطلبة وكان شخصا قياديا مجمعا، لكن الأخوان لم ينسوا هذا العمل وأخذوا يتربصون له إلى أن وجوده يخرج وحيدا من المدرسة حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر وانقضوا عليه وأشبعوه ضربا ثم استل أحد الأشخاص قبضة حديدية ضربه بها فى وجهه فخر مغشيا عليه على الأرض والدماء تنزف منه بغزارة. ومر بعض الأشخاص ووجدوه ملقى على الأرض فاستدعوا الإسعاف التى حملته إلى المستشفى وجاءنى الخبر فى المساء عن ضرب السيد سعيد فأسرعت رجمعت الطلبة الوفديين وزعماء المدرسة وكانوا أيضا وفديين واتفقنا على الثأر لسيد وأن المعركة معهم ستبدأ الساعة العاشرة عقب نهاية الحصة الثالثة وفعلا مع نهاية الحصة الثالثة بدأ ضرب الأخوان وكان أول من تلقى اللكمة الأولى هو زعيمهم أحمد أبو شناف وكان من الأعراب ثم بدأت طلبة المدرسة جميعا فى ضرب الأخوان وكان عددهم حوالى ٢٥ طالبا وكانت المعركة تحت قيادة أحمد أبو طاقية الذى كان حارس مرمى مدرسة المنيا الثانوية والنادى الرياضى معا. أسكتت هذه المعركة صوتهم لمدة ثلاث سنوات حتى تركنا المدرسة.

الفصل من حزب الوفد

كانت قيادة لجنة الوفد بالمنيا لإنسان ثائر شديد التعصب للوفد ومبادئه، وكان

يدعى «الخطيب ناجى» كان يخطب فى المظاهرات التى كانت تنادى بسقوط عبد الهادى كلب الوادى، فكان يقف خطيبًا ويقول «لا تقولوا عبد الهادى كلب الوادى، فالكلب فيه صفات من النبل لا توجد فى أمثال عبد الهادى، بل قولوا يسقط عبد الهادى حمار الوادى، لا والله، بل خنزير الوادى» وفى أحد الأيام لمح شخصنا يدخل مقر الوفد حاملا جريدة آخر ساعة فاستشاط غضبًا وقال «من الذى أتى بصحف الدعارة فى بيت الطهارة» وعندما تسلم فؤاد سراج الدين سكرتارية حزب الوفد بدلاً من مكرم عبيد تخلصوا من الخطيب ناجى بتعيينه قاضيًا شرعيًا وتولى قيادة حزب الوفد فى المنيا محامى رجعى من أنصار فؤاد سراج الدين ويملك حوالى ٤٠ فدانًا، وحدث أن تقدم أحد النواب بمشروع قانون فى مجلس النواب «التشبيه السياسى» مما يُخوّل للحكومة القبض على أى شخص بمجرد الاشتباه فى أى نشاط وسرعان ما اجتمعت المنطقة وأخذت قرارًا بطبع منشور يعارض هذا المشروع ويوزع على أهالى مدينة المنيا. وكتب لويس إسحق المنشور وطبعنا منه حوالى ٥٠٠٠ خمسة آلاف نسخة وزعت على شعب مدينة المنيا وقوبل هذا المنشور بالاستحسان وبترحاب شديد خاص بين مثقفى البلد من محامين وأطباء وموظفون حتى أن بعضهم كان يشاركنا فى توزيع المنشور وفى منحنا تبرعات نقدية فاقت ما قد صرف على طبع المنشور. وعندما علمت قيادة الوفد اجتمعت برئاسة الأستاذ «راتب حمزة» وقررت محاكمة لجنة الطلبة. ودافعت عن موقفنا وذكرت أن عمر وزارة الوفد قصير وستأتى بعدها أحزاب الأقلية وستتخذ من هذا القانون وسيلة للتنكيل بنا ونكون بذلك قد قدمنا لهم المبرر والوسيلة لتنفيذ أغراضهم الرجعية، وقوبل هذا الدفاع بالاستحسان من أغلب الحاضرين إلا أن رئيس اللجنة أصر على فصلنا بحجة أننا أعطينا أعداء الوفد فرصة لمهاجمتنا. وعندما علم السيد الأستاذ يوسف «بك» الشريعى، وكان أحد أقطاب حزب الوفد وكان شبه إقطاعى يملك حوالى ٥٠٠ فدان، دعانا إلى منزله فى سمالوط ومعنا قياده لجنة الوفد وألقى كلمة موجزه هاجم فيها قرار السيد «راتب حمزة» بفصلنا وهو بهذا العمل قد خرج على مبادئ الوفد ألا وهى حرية الرأى والديمقراطية ولهذا يجب إلغاء هذا القرار فورًا وفعلاً ألغي قرار الفصل وعدنا مرة أخرى، وفى المرة الثانية تقدم أحد النواب الوفديين بمشروع قانون فى البرلمان يهدف إلى تقييد «حرية الصحافة وقانون العيب فى الذات الملكية» وعدنا الكرة مرة أخرى وطبعنا منشورًا يعارض هذا المشروع وقوبل بنفس

الحماس والاستحسان كما قوبل المنشور السابق، وفصلنا للمرة الثانية ولكن فصلنا لم يدم فترة طويلة بسبب زيارة السيد فؤاد باشا سراج الدين إلى مدينة المنيا. والغى قرار الفصل وأبلغونا بأن نكون فى المحطة الساعة الثانية ظهراً لوصول السكرتير العام، وذهبنا إلى المحطة لاستقبال الزائر بعد اخذ قرار بعدم الهتاف لهذا الزائر ويكون الهتاف فقط للنحاس زعيم الوفد. وعندما أطل الباشا من نافذة القطار بوجهه المكتنز الأحمر وسيجارته الفاخرة الهافانا. كانت الهتافات كالآتى «لا زعيم إلا النحاس - عاش النحاس زعيم الأمة - عاشت مبادئ الفرق الخالدة وكانت هذه الهتافات تتجاوب مع كل الحاضرين ولما لم يجدوا أحداً يهتف لفؤاد باشا هتف له مجموعة الضباط الذين كانوا حاضرين ولم يتجاوب معهم جمهور الحاضرين حتى انه غضب وقفل باب النافذة وانصرفنا بعد ان امر رئيس المباحث بأن تؤخذ اسماء هؤلاء الذين كانوا يهتفون.

النشاط فى جمعية الشبان المسيحية

انضممت أنا والسيد سعيد إلى جمعية الشبان المسيحية وبدأنا ننشط فى عمل محاضرات ونقيم الندوات ولم نلبث إلا أن انتخب السيد سعيد رئيس قسم الطلبة وانا سكرتير القسم. وكانت جمعية الشبان المسيحية تنظم كل عام ندوة عامة فى القاهرة «المركز الرئيسى» تحت عنوان «المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى تواجه الشباب» واختير ثلاثة لتمثيل جمعية الشبان بالمنيا فى القاهرة وهم عدلى عزيز، ومفيد خير، وفوزى ذكى وكلنا كنا اعضاء فى التنظيم الشيوعي السرى. وكان يحاضرنا فى هذه الندوة بعض الأساتذة اذكر منهم الدكتور الأستاذ سلامة موسى.

مظاهرات الطلبة فى مدينة المنيا

كانت مدرسة المنيا الثانوية هى الشرارة التى تنطلق منها مظاهرات الطلبة فى كل مدارس المدينة وفى مظاهرة خرجت من المنيا الثانوية كانت تهتف «بسقوط الاستعمار» «مصر والسودان لنا ولندن إن امكناه «عاش النحاس» . وكانت هذه المظاهرة بقيادة الوفد وعندما وصلنا إلى آخر الشارع فوجئنا بعربتين نزل منها عساكر بوليس ومعهم عصا غليظة وطويلة وشرعوا فى ضربنا فتراجع بعض الطلبة ورجع إلى المدرسة ومن شدة حنقهم كسروا أدوات المعمل وكادوا يفتكون بناظر المدرسة لولا ان اقفل الباب على نفسه

بالمفتاح واستدعى البوليس بالتليفون لإنقاذه. والبعض الآخر هرب من شوارع جانبيه وهكذا فشلت هذه المظاهرة وكان نتيجتها ان اقفلت المدرسة لمدة اسبوع وفصلنا من المدرسة ولم يسمح لنا بالحضور إلا ومعنا أولياء أمورنا حيث أخذوا عليهم تعهداً بعدم السماح للأولاد بالإخلال بالأمن. وقد استفدنا من المظاهرة الأولى وقررنا عقد اجتماع مع كل قيادات المدارس الأخرى واتفقنا على قيام مظاهرة يشترك فيها كل مدارس المدينة. وفعلا تمت هذه المظاهرة من كل مدارس المدينة (١) المنيا الثانوية (٢) مدرسة الزراعة (٣) مدرسة الأقباط الثانوية (٤) مدرسة التجارة الثانوية، وفعلاً نجحت هذه المظاهرة ولم يستطع البوليس ان يفعل شيئًا لأننا قد وصلنا إلى قلب المدينة «شارع الحسينى» وكان جمهور الناس على الجانبين يصفقون لنا ويحيوننا وكنا اول مظاهرة فى الصعيد تهتف بسقوط الملك. وكانت الهتافات كالآتى «يسقط الفتى الطائش»، «يسقط عفيفى وحافظ عفيفى»، «إلى أنقره يابن المرة»، «يسقط الاستعمار الإنجليزى الأمريكى» - وكانت هذه المظاهرة بقيادة رفاق طليعة الشعب «طش» عدا مدرسة الزراعة التى كان يقودها الإخوان المسلمون وقد انسحبوا من المظاهرة عندما هتفنا بسقوط الملك.

لجنة أنصار السلام

كلفت من الرفيق لويس بتكوين لجنة لأنصار السلام. وفعلا قمت أنا والسيد سعيد بتكوين لجنة انصار السلام من بعض الوفديين وأناس عديدين ليس لهم ميول سياسية وكانت هذه اللجنة التى كانت تجتمع كل مرة فى منزل أحد اعضاء اللجنة، تحت قيادة السيد سعيد محمود كمال رئيسا وعدلى عزيز سكرتير وقد نجحت هذه اللجنة فى جمع حوالى خمسة آلاف توقيع (٥٠٠٠) على نداء استكهولم للسلام لتدمير الأسلحة الذرية. وكانت توزع مجلة أنصار السلام التى كان يراس تحريرها «يوسف حلمى» وقد قبض على أعضاء هذه اللجنة جميعا على أنها لجنة شيوعية وعرضنا على وكيل النيابة الذى لم يجد اى دليل لإدانتنا فقد أمر بالإفراج عنا بعد دفع كفالة قدرها ٢ جنية لكل فرد .. وقد أذاعت محطة إذاعة موسكو الناطقة بالعربية نبأ القبض على لجنة أنصار السلام بالمنيا وكان من بين المقبوض عليهم طفل صغير يدعى عادل عزيز.

إخماد فتنة طائفية

فى احد الأيام سرت إشاعة فى المدينة بأن فتاة من أسره فقيره قد زارها السيد المسيح واجرى لها عملية نزع المصران الأعور. وانقسمت المدينة ما بين «مؤيد «مسيحيون» ومعارض ومستنكر «مسلمون» واصبح منزل الفتاة مزرا ليتلقوا البركة. وهنا اسرعت انا والرفيق لويس واحضرنا طبيبين احداهما مسيحى والآخر مسلم للكشف على هذه الفتاة وبعد الكشف اصدر الطبيبان بيانا بأن المصران الأعور موجود فى مكانه وهكذا وئدت هذه الفتنة قبل أن تشتعل.

الاعتقال الأول

كنت فى هذا الوقت فى الصف الأول من كلية التجارة جامعة إبراهيم باشا التى كانت تقع فى شارع القصر العينى مكانها الآن «المعهد التعاونى»، فى ذلك اليوم كنت مشتركا فى المظاهرة الكبرى التى كانت تحاصر مجلس النواب وهى تهتف بالغاء معاهدة الذل والهوان وتوزع السلاح على الشعب لطرد الاستعمار والاحتلال لبدء المقاومة المسلحة. وخرج احد الوزراء وابلغنا ان الوزارة قبلت إلغاء المعاهدة. وأثناء هذا التجمع الهائل فوجئنا حوالى الساعة الثانية ظهرا بأخبار تفيد أن القاهرة تحترق وأن جمهور من الغوغاء أخذ يهاجم المحلات وينهبها وأن وزارة الوفد قررت فرض الأحكام العرفية. وانفضت المظاهرة وسافرت إلى بلدتى ولكن قبل أن أصل إلى المنيا نزلت فى بنى مزار لمقابلة الرفيق لويس وإخباره بما حدث وفى الساعة الخامسة صباحا قبض على أنا ولويس ورحلنا إلى قسم المنيا. وكان هناك فؤاد غطاس.

ووجدنا فى قسم بندر المنيا بعض الزملاء والمناضلين منهم أنور إبراهيم ووالده الأستاذ ممدوح عبد الرحمن المدرس بمدرسة المنيا الثانوية ومن الوفديين محمود محمد محفوظ ومحمود عبد الباقى ومن الرفاق الشيوعيين محمد اسماعيل وجمال اسماعيل وبعض العاديين الذين لم يكن لهم ميول سياسية مثل سعد وكان اعتقالنا بغرفة سجن النساء فى القسم. وقد لعب هذا المعتقل دورا هاما فى حياتى بعد أن كنت أعتقد نظريا فى المبادئ الماركسية خرجت وانا مؤمن تماما بهذه المبادئ لما رأيته فى هذا القسم طيلة الخمسة شهور التى مكثت بها، دخل علينا احد الأشخاص المتهمين وطلب زجاجة كنا نضع فيها الكحول لعمل شاى فى سبرتاية، واعطيناه إياها وخرج وبعد برهة قليلة سمعنا صوت يشبه صوت انفجار قنبلة فهرعنا للخارج لنرى ماذا حدث وهنا رأيت

منظرًا لم يفارق ذهنى إنسان ملقى على الأرض ورأسه مفتوحة والدم ينزل بغزارة من رأسه واقتربت عليه وقلت له لماذا فعلت هذا بنفسك فأجاب بأن هناك ستة أولاد وأمهم لا يجدوا ما يسد رمقهم بسبب فصلى من شركة أندرسون وكنا نقوم فى القسم بتوعية العساكر ونشرح لهم أهدافنا السياسية وهى رفع الظلم عن الفقراء والقضاء على الإقطاع ورأسه الملك، وكنا نقابل بتعاطف كبير منهم حتى أن أحدهم قال « ما فائدة الكفاح فى هذه المدينة؟ «يجب أن تنزلوا إلى الريف».

نجحنا فى تنظيم اعضاء للعساكر عقب إهانة أحد الصولات وكان يدعى محمد لأحد العساكر وسبه سبًا شنيعًا وقد اعتصموا جميعًا فى الحجز بناء على توجيهاتنا وفعلا نجح هذا الاعتصام وحضر الصول نفسه واعتذر للعسكرى. ونتيجة لنجاح هذا الاعتصام قويت الروابط الوثيقة بهم حتى أن كثيرين منه عرضوا علينا أداء خدمات لنا بلا مقابل وكان الرفيق لويس إسحق يقود العمل الحزبى مع الزملاء فى الخارج من الذين لم يقبض عليهم.

(٢) كانت معاملتنا الإنسانية للخارجين على القانون الذى كان يسمح لهم بالعمل صباحًا إلا أنهم فى تمام الساعة الخامسة يجب أن يكونوا بالقسم ويناموا فيه. أنهم نظموا فيما بينهم مظاهرة بعد أن شربوا خمرة فى حانة وخرجوا يهتفون ضد حكومة العهد الحاضر ويحثون الناس على زيارة الفدائيين فى الفيوم. ثم هجموا على محل شمس الصباح وكسروا جميع نوافذه الزجاجية وقد خرجت قوة من ٢٠٠ عسكرى من القسم مزودة بالعصى والشوم انهالوا عليهم ضربا بقسوة ووحشية حتى أن معظمهم أتى على محفات لأنه لا يستطيع أن يمشى ولما سئلوا لماذا فعلتم هذا أجاب أحدهم أن هذا أقل ما يجب أن نفعله من أجلكم، وأثناء فترة اعتقالى ببندر المنيا استدعيت للسفر إلى القاهرة لأداء امتحان آخر العام بكلية التجارة ومكثت فى سجن الأجانب حيث كان المكان نظيفًا والمعاملة جيدة والغذاء معد بعناية وكنا ننام على سراير.

الاعتقال الثانى من سنة ١٩٥٣ حتى ١٩٥٦

بعد خروجى من المعتقل سنة ١٩٥٢ قررت أن أترك كلية التجارة والتحقت بمعهد المعلمين الخاص بأسيوط حيث قضيت السنة الأولى به وفى هذا المعهد نشطت فيه وناضلت نضالا ديمقراطيًا واجتماعيا وعملت مناظرات فى المعهد ومهاجما الديكتاتورية

وذلك فى الصحيفة التى كنت اتشرف برئاسة تحريرها. وكنت أسكن مع أحد اقاربى يدعى جودت إبراهيم وصديق له يسمى منير ثابت وهما أعضاء فى منظمة الحزب الشيوعى المصرى وكان كل نشاطهم الحزبى ينحصر فى إلقاء مجلات الراية والحقيقة كمنشورات حول المعهد وفى المتنزهات. اما العمل الديمقراطى فلم يكونوا يشتركون فيه لأنه يكشفهم ونجحت فى الصف الأول وانتقلت إلى المنيا لأدرس الصف الثانى «الدبلوم» فى نفس المعهد وبعد حوالى شهر من بدء الدراسة وانا اثناء ذهابى إلى المعهد فوجئت باحد المخبرين يمسك يدى ويقول لى تعالى إلى القسم لمقابلة الضابط لأنه يريد ان يتحدث إليك ولما سالته بان اذهب إلى البيت لإحضار ملابسى ونعود قال لا داعى لهذا لأنك سوف لا تمكث اكثر من خمس دقائق وذهبت إلى القسم وانا فى جيبى حوالى ٢٠ قرشاً ومكثت هناك مقبوض على حتى المساء ثم سافرت إلى القاهرة حيث اودعت قسم الموسكى حيث عرضت على وكيل النيابة للتحقيق معى وكان هذا فى مبنى المباحث العامة وقد سالنى إن كنت أعرف شخصا يدعى منير ثابت واجبته بالإيجاب وقلت له إننى كنت ساكن معه فى أسيوط فى شقة واحدة ولكننى تركت أسيوط بعد الامتحان مباشرة وذهبت إلى المنيا وهناك انقطعت أخباره عنى وقد أمر بالإفراج عنى. ولكن كان هناك قرار الاعتقال جاهزاً. فكنت فى قسم الموسكى سبعة عشر يوما. قضيت الثلاثة أيام الأولى مهملاً لا اجد ما يؤكل ولولا مساعدة محام كان معتقلاً معى وكان يشاطرنى الأكل الذى كانوا يحضرونه له. ولأنه تعامل مع الشيوعيين فى السجون واحبهم لحسن معاملتهم فكان برد الجميل لى. وقررت ان اضرب عن الطعام وهنا استدعانى مامور القسم فى المساء ولما شرحت له حالى وقلت له انا لا املك نقود وأهلى لا يعرفون عنى شيئا لأنهم خطفونى من الشارع . ولما علم أنى طالب فى معهد المعلمين تغيرت لهجته وأبدى استياء شديدا لما حصل لى وامر بإحضار طعام خاص «جبنة من جيبه لى من المطعم المجاور للقسم ثم امر بإعطائى عدد ٢ بطانية. وأعطيته عنوان والدى وفعلا فى اليوم التالى وصل والدى واعطانى ملابسى. ثم رحلت إلي معتقل القلعة وهناك استقبلنى الضابط فوزى دكى الذى كان فى يوم ما زميلى واعطانى علبه سجاير كاملة كانت معه. ثم رحلت إلى سجن أسيوط حيث سكنت فى زنزانة بها عبد الستار الطويلة وموريس يوسف الفنان الرسام. وكان إبراهيم بكر هو الوحيد الذى اعتقل معى من المنيا.

ثم رحلت إلى سجن المنيا حيث اديت امتحان آخر السنة فى المعهد ولكننى رسبت بسبب عدم إتمام الامتحان والسماح لى بأداء التربية العملية ثم رحلنا إلى اوردى ليمان ابو زعبل حيث ضربنا ونزعوا ملابسنا واعطونا ملابس السجن وكان المعتقل ينقسم إلى (٣) ثلاثة عنابر عنبر (١) كان يسكنه أعضاء تنظيم الحركة الديمقراطية مع من يتعاطفون معهم. اما عنبر (٢) فكان يسكنه أعضاء تنظيم «الحزب الشيوعى المصرى» اما عنبر (٣) فكان يسكنه أعضاء تنظيم طليعة العمال مع من كانوا يتعاطفون معهم من أعضاء نواة الحزب والنجم الأحمر» وكان هذا العنبر يضم أكبر عدد من العمال المنظمين وقليل من المثقفين، وفى هذا المعتقل وقع حادث طريف كان هناك أديب شعبى يدعى عبد الرحمن الخميس فى بداية وصوله للمعتقل سكن فى عنبر (١) مع أعضاء الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ثم بعد فترة انتقل إلى عنبر (٢) حيث يوجد أعضاء تنظيم «الحزب الشيوعى المصرى» بقيادة الرفيق سعد زهران وخرجت مجلتهم تمدح الأديب عبد الرحمن الخميس وتصفه بانه مكسيم جوركى الشرق ومكث حوالى شهر ثم حمل بطاطينه وبرشه وسكن فى عنبر ٣ حيث يوجد أعضاء تنظيم «د.ش» الديموقراطيين الشعبيين وفى الحال خرجت صحيفة «منظمة الحزب الشيوعى المصرى» بمانشيت «الخميس يخون قضية الشعب المصرى». وحيث إنى كنت انام جواره فاخذت احدثه حتى أعرف لماذا ترك عنبر ٢ فقص على القصة التالية. جاءت زيارة للرفيق سعد زهران من والدته فلما خرج عاد من الزيارة وهو يبكى فلما سالوه ماذا حدث أجاب «إن أم المصريين التى هى امه تركوها تحت حرارة الشمس مدة ساعتين» وضرب كفا بكف حيث صور أمه مثل صفية سعد زغلول ثم استطرد ماذا فعلت والدة سعد حتى تستحق هذا اللقب، ثم التفت إلى وقال إنهم وحوش إنهم يريدون أن يربوا للطبيعة الخبرة أظافر» ثم أفرج عنا فى عام ١٩٥٦. ورحلت إلى مدينة المنيا وكانت حالتى النفسية والمزاجية فى احسن حال بسبب أن مسئول التنظيم لم يقبض عليه وكذا معظم الرفاق فلم يعتقل من مدينه المنيا سواى والزميل إبراهيم بكر فقط ولما تقابلت مع الزميل لويس فوجئت بل وصدمت بعد أن علمت أن التنظيم الذى كان مزدهرا يوجد به اربعه مجموعات غير تلك التى توجد فى مراكز مديرية المنيا قد انكمش إلى الحد الذى لم يبق فيه غير لويس إسحق - نبيل عزيز - أنور إبراهيم - نجيب حنا - وطلبت فى اجتماع المنطقة دراسة هذه الظاهرة غير الطيبة وبعد دراسة استمرت اكثر من

اجتماعين قررت المنظمة دعوة الرفيق لويس إلى الاعتراف وخاصة بعد أن علمنا أنه تقرر نقله إلى الواحات الخارجة. وحيث إنه كان يتقاضى ١٢ جنيه من الحكومة قررنا أن ندفع له هذا المبلغ من اشتراكاتنا وتبرعات الآخرين، وطلب الرفيق لويس مهلة لعرض الموضوع على رفاق المنظمة القاهرة ولم أكد أعلم حينئذ أن الرفيق لويس عضو اللجنة المركزية للتنظيم. ولكن المده التى طالت الرفيق لويس طه لنا أكثر من أربعة شهور وهنا داخلنى إحساس بأنه ربما يكون قد فرض عليه هذا الأمر وهو غير مستعد له نضاليا وأحسست أن هذا ممكن أن يدمر الرفيق. وبعد أن طالت المده توجهت إلى منزل لويس أنا وأخى وكانت حوالى الساعة الثامنة مساء وقلت ماذا تم فى الأمر؟ فقال لم يبت فى الأمر بعد. وعندئذ اندفعت قائلاً بأنى أسحب هذا الاقتراح وهنا احمر وجه الرفيق لويس وقال هل ناقشت هذا الموضوع مع أحد فقلت أنا ناقشته مع أخى نبيل فأوقف المناقشة وأنهي الكلام وانتهت الزيارة وبعد يومين بعد أن سافر لويس إلى القاهرة رجع ومعه قرار فصلى وكان سبب فصلى هو سعيي إلى عمل تكتل بين من ومن، فإن المنظمة كانت مكونه من لويس و٣ أقارب والأخير غير قريب وهو نجيب وسبب لى هذا الفصل صدمة كبيرة لى لأنه جاء فى أحرج وقت فى حياتى حيث إن المنزل رفض أن يستمر فى الصرف على تعليمى وكذا فصلى من المعهد بسبب الغياب بدون عذر وكان المفروض أن يتفهم مصاعبى ولكنه رمانى إلى عرض الطريق وكان فصلى فى أصعب ظروف حياتى. ولكنى لم أيأس وسافرت إلى القاهرة. وهناك تطوع الأستاذ معين مينا المحامى الذى كان يعمل في مكتب الأستاذ يوسف درويش. ورفع قضية مستعجلة فى مجلس الدولة لإلغاء قرار الفصل وحيث إن قرار المباحث العامة كان يقول أن تحيط بالشخص المذكور شكوك فى انضمامه إلى أحد المنظمات الشيوعية لكن قرار المستشار هو السماح لى بالالتحاق بالمعهد لأنه لا يحق فصل طالب وحرمانه من لتعليم بسبب شكوك. والتحقت بالمعهد وكانت آخر سنة لهذا المعهد لأنه أغلق أبوابه بعد ذلك ونجحت فى الدبلوم بتقدير جيد جداً فى مادة التخصص لغة إنجليزية ورشحت للعمل فى منطقة الدقهلية وحيث إن درجاتى كانت ممتازه فقد رشحنى الموجه للعمل بمدرسة أجا الاعدادية على أن ينقلنى العام القادم إلى المنصورة. ولم أستلم العمل لأن قرار المباحث العامة اعترض على تعيينى مدرساً. وسافرت إلى بنى سويف حيث التحقت بالعمل فى مدرسة شبل الخاصة وكان معى أنور إبراهيم . فى هذا الوقت كان هناك اتجاه قوى في

وحدة كل التنظيمات الشيوعية وكان كل تنظيم يحاول أن يزيد من أعضائه وأعتقد أن هذا لسبب فى أن الرفيق لويس عرض علىَ أن انضم إلى التنظيم الذى كان يطلق عليه طليعة العمال وقبلت الانضمام إلى التنظيم وفى ذهنى إعادة موضوع فصلى مرة أخرى لرد اعتبارى ولكن الظروف كانت تتسارع بسرعة شديدة.

الاعتقال الثالث وحل الحزب الشيوعى المصرى «حزب ٨ يناير»

بعد ضربة أول يناير وإلقاء القبض على قيادة الحزب لاحظت أنى تحت مراقبة دقيقة من قبل مباحث بنى سويف فقررت أنا وزميلى فى السكن وكان يدعى محمد على فهمى فخرى الذى كان عضوا فى منظمة النواة. أن نهرب إلى القاهرة ولأنى كنت بعيدا عن التنظيم فترة من الوقت فلم أكد أعرف أحدا فى القاهرة ولكن فخرى ذكر لى أنه يعرف شخصا أمينا يدعى صابر يسكن فى الهرم فمكثنا عند السيد صابر لمدة أسبوع وفى ليلة فى عام ١٩٥٩ قبض على من فى المنزل وكان معنا صابر. ثم رحلنا إلى قسم الجيزه حيث حجزنا هناك. قبل الترحيل إلى سجن القلعة. ولكن صابر لم يكن فى مستوى الشبهات حيث إنه خرج فى نفس اللحظة التى حجزنا فيها ثم من معتقل الفيوم إلى سجن المحاريق بالواحات الخارجة حيث ضربنا وعذبنا ونزعوا ملابسنا المدنية وأعطونا ملابس السجون ثم مشينا حفاة على الشوك وتحتنا العقارب والدفانات «أم أربعة وأربعين» تحت قيادة اللواء همت. وبدلاً من شيل الرمل من مكان إلى مكان اقترح الرفاق المسئولون من السجين أن يعملوا مزرعة وفعلا حفرنا قناة بين العين ومكان المزرعة ثم تولى الرفاق زراعتها بأنواع كثيرة من الخضروات مثل البامية والقتة والجرجير وزرعنا أشجار ليمون وبرتقال ثم أفرج عنا يوم ١٩٦٤/٤/٤ وكان آخر من ودعنى هو لويس إسحق الذى قال لى بالحرف الواحد حيث إننا كنا مختلفين سياسيا حول الطبيعة الطبقية لحكم عبد الناصر بينما لويس كان يقول إن عبد الناصر يمثل الاحتكار وشبه الاحتكار، أما أنا فقد تخليت عن هذا الفكر وبدأت أعتقد أن عبد الناصر يمثل البورجوازية الوطنية. «إن الاختلاف فى الرأى لا يمثل مشكلة فأنت تقول حتى مجموعة اشتراكية وأنا أقول غير ذلك هذا جائز، ولكن لابد أن يكون هذا الاختلاف داخل الحزب» وهنا نظرت إلى لويس بدهشة وقلت لو أنك بعد هذه السنين والمعارك جئت لتحدثنى عن أهمية وجود الحزب فقال إذن اتفقنا وودعنى، وبعد رحيلى

بنصف ساعة ونحن على مشارف الواحات كان الرفيق لويس يتلقى الرصاصة القاتلة التى اودت بحياته فى الحال فى سجن المحاريق. وكان يوم استشهاده عبد الناصر يوقع امر الإفراج عن المسجونين السياسيين «الشيوعيين».

نشاطى الصحفى

(١) اثناء دراستى فى مدرسة المنيا الثانوية قمت بعمل مجلات حائط كانت تتغير كل اسبوعين كنا نضع بها اشعار المذاكرة والكفاح ضد الاستعمار ثم اشرفت على إصدار جريدة كانت تسمى الشعلة وكان الغلاف مرسوم عليه شخص يحمل شعلة لينير الظلام حوله. وكان يشرف على هذه المجلة مدرس تقدمى يدعى فتحى الشبيطى مدرس فلسفة وكان احيانا يزورنا فى مقر الوفد.

هذا علاوة على النشرات والبيانات التى كنا نصدرها ونحن فى حزب الوفد.

(٢) وعند انتقالى إلى معهد المعلمين الخاص باسيوط فى الصف الأول بعد أن تركت كلية التجاره «إبراهيم باشا» اشرفت على إصدار مجلة يكون هدفها محاربة النظام الديكتاتورى الحكم كان يساعدنى فيها رفيق من منظمة الحركة الديمقراطية. اما رفاق منظمة الحزب الشيوعى المصرى فقد رفضوا مشاركتنا فى إصدار المجلة بحجة عدم الكشف عن هويتهم وسميا المجلة «الهواية» وقوبلت بالاستحسان من الطلبة والمدرسين على السواء عدا مدرس اللغة العربية الذى هاجمها فى خطبة الصباح على انها «ليست الهداية بل الشيطان» وقد طلبت المباحث العامة من مدير المعهد إغلاق هذه المجلة ولكن مدير المعهد وكان يسمى السيد أحمد مصطفى رفض طلب المباحث لأن هذا المعهد منبر ديمقراطى ولا يجوز الحجر على آراء طلبتى وظلت هذه الجريدة تصدر حتى نهاية العام الدراسى وكان يمولها تبرعات الطلبة واساتذة المعهد. وفى معهد المعلمين بالزيتون كتبت مقالة فى مجلة المعلمين اهاجم فيها الدروس الخصوصية مما اثار علىّ حنق بعض المدرسين والطلبة.

نشاطى الحزبى

كنت اقوم بتوزيع مجلة التنظيم «كفاح الشعب والمقاومة الشعبية» على الزملاء وعندما كانت نشرات التنظيم السرية تتاخر كنا انا والرفيق لويس واحد الزملاء نصدر نشرة

مجلة ونطبعها على رونيو بدائى وكنا نقوم أنا والرفيق لويس بلصق منشورات المنظمة على جدران المصالح الحكومية وأعمده النور. هذا علاوة على اشتراكى وقيادة المظاهرات الطلابية. ورفع شعارات التنظيم فى هذه المظاهرات.

نشاطى الرياضى

فى آخر العام الدراسى فى المنيا الثانوية كنت المسئول عن فريق تنس الطاولة الذى كنت اقوده. وكان هناك نظام دورى بين المحافظات وقد انتصرنا على محافظات الصعيد ثم على محافظة بنى سويف ثم الجيزة ولكن هزمنا فى محافظة القاهرة وكنا الثانى وقد حصلت على كثير من الميداليات. وعند التحاقى بكلية التجارة «إبراهيم باشا» التحقت بفريق تنس الطاولة بالكلية وكان مسئول الرياضة وكان قد ابدى إعجابه بى رشحنى لألعب مع الفريق المصرى فى دورة البحر الأبيض المتوسط فى اليونان - وكان تخلفى بسبب اعتقالى فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢.

خاتمة وتكملة واجبة

إن هذا العمل المجيد الذى كنا نقوم به سواء فى المنيا أو القاهرة لم يكن من صنع فرد مهما كانت قدراته ومهاراته ولكن كان من صنع كتيبة مناضلة مؤمنة بالفكر الاشتراكى العلمى ومستعده للتضحية بكل نفيس وغالٍ سواء فى مجال العمل الوطنى فى الاشتراك وتنظيم المظاهرات الطلابية والشعبية التى كانت تنادى بطرد الاحتلال الإنجليزى وضد الاستعمار الأمريكى أو فى المجال الاجتماعى ونطالب بتاميم الشركات الكبيرة وخاصة «قناة السويس» والكومبرادور وكانت تقوم بتوزيع منشورات المنظمة ومطبوعاتها السرية. وجمع التبرعات التى تخدم تحركنا الجماهيرى وكانت هذه الأعمال الجليلة تتم تحت قياده المناضل الشهيد لويس إسحق الذى كان يعرف بالاسم الحركى «سعد» وفيما يلى أسماء الرفاق من تنظيم طليعة العمال.

١) أنور إبراهيم ٢) نبيل عزيز ٣) عدلى عزيز
٤) السيد سعيد محمود كمال ٤) جمال محمد اسماعيل
٦) محمد إسماعيل الشهير «بابو شنب» ٧) ريمون الضعيف واخوه الصغير
٨) إبراهيم بكر الطوخى ٩) تيسير محمد الفكهانى

١٠) نجيب حنا «كونتر» ١١) مفيد خير فرج

١٢) فوزى خليل. «وانسحب من التنظيم بعد دخوله كلية البوليس »

١٣) نبيل دانيا ١٤) على «الكوافير»

١٥) الدكتور يوسف ابو عوف ومن الشبيبة الصغار ١) محمد حسين كان يوزع النشرات ويلقى خطب الصباح فى المدرسة الابتدائية مهاجما الاستعمار والخونه. ٢) عادل عزيز

اما المناضلون الذين شاركوا رفاق التنظيم فى نضالهم سواء فى حزب الوفد او فى انصار السلام فهم ،

١) محمود محمد محفوظ ٢) محمود عبد الباقى خليفة

٣) انور الإسكندرانى ٤) يوسف عبد الملك قيني

٥) سميرة بسطة ٦) سمير عزيز

٧) وليم رياض ٨) وجيه ظريف

٩) صبحى كامل ١٠) احمد ابو طاقية

١١) سعد الشيمى ١٢) الأستاذ رفيق عبده المحامى

١٣) صفوت عبد النعيم ١٤) رجائى عبد الملك

ومن الشخصيات القيادية فى حزب الوفد أذكر النائب الأستاذ يوسف بك الشريعى الذى طالب بإلغاء فصلنا من حزب الوفد، وعضو الهيئة الوفدية العليا الشيخ ابو شريف «ترزى عربى».

شهادة

علي نجيب

البيانات الشخصية

الاسـم : علي نجيب.

محل وتاريخ الميلاد : عام ١٩٢٨ - الإسكندرية.

المهنـة : تخرجت من معهد الكيمياء الصناعية الذى تحول إلى قسم الكيمياء بكلية الهندسة عام ١٩٥٠، ثم تم تعييني معيداً بكلية الهندسة، وعام ١٩٥٤ تم فصلى، ودخلت المعتقل عام ١٩٥٥ وخرجت ١٩٥٦، ثم عملت بشركة تصدير اقطان لمدة ثلاثة شهور، إلا أننى استفدت منها كثيراً، وانتقلت للقاهرة وعملت فى شركة مصر للتجارة الخارجية رئيس قسم الكيمياء حتى يناير ١٩٥٩، عندما بدات الاعتقالات هربت حوالى ٦ شهور ثم تم القبض على.

بيانات عائلية :

نشات فى بيت مستقر جداً، وكانت العلاقة بين ابى وامى حميمة فيها سلام لم اسمع ابداً شجارا فى البيت، منذ صغرى كان عندنا مكتبة من اول دائرة المعارف البريطانية حتى كتب الرافعى، وأنا كنت فى القراءة فى مرحلة الثانوية ربما قبل ذلك. بحيث إننى عندما التحقت بالصف الرابع وكانوا يدرسون لنا تاريخ مصر. كتاب محمد رفعت - على ما اظن كنت قد قرات رف كتب الرافعى وفى هذا الوقت الإحساس بالقضية الوطنية فى مصر يحتدم اكثر واكثر، مع أننى فى وقت الحرب لم اكن مع النازى، وقت الحرب كانت عواطفى مع الحلفاء وليس مع الألمان وهناك شئ فى النازية كنت اشعر به رغم اننى كنت لازلت صغيراً اتميز بالحدة فى الفكر والشوفينية التى كانت فى المانيا تخيف الناس او تخيفنى ولا أستطيع ان اقول إنى وقتها كنت احلله بهذه الطريقة، إنما رغم إن الإنجليز كانوا فى مصر إلا انى كنت اريد ان يكسب الحلفاء ولم تكن عواطفى ابداً مع المظاهرات التى قامت مثلاً سنة ١٩٤٢ إلى الأمام يا روميل.

كانت المناقشات السياسية داخل البيت قليلة جداً إنما القراءة كانت كثيرة، وفى هذا الوقت فى أعقاب الحرب مباشرة بدأ الفكر اليسارى يتضح فى مصر ويكون له جمهور ويكون له تيار فكرى يؤثر على الطلبة والذين فى عمرنا إنما انا وقتها كنت ملتحقا حديثاً بالجامعة وقررت بينى وبين نفسى انت لازلت مراهقاً فلا التزم بشئ.

---

* أجرت الحوار معه حنان رمضان - مركز البحوث العربية.

تخرجت سنة ١٩٥٠ فى اوج احتدام الحركة الوطنية قبل ثورة يوليو وعندما عينت معيداً، قمت بعمل شيئين قررت ان اتصل بالشيوعيين وكنت اعرف حمزة البسيونى لا اعرف فى اى تنظيم هو، إنما كان يضع فى عروة الجاكت حمامة سلام فقلت له يا حمزة اريد ان آتى معكم، هذا الاختيار كان لابد منه لو لديك حس وطنى عالى وقررت ان شعارات الفقر والجهل والمرض تعبر عن صراع طبقى حقيقى فى مصر، القضية الوطنية مربوطة بالتحول الاجتماعى من وقتها رغم اننى لم اكن مدركاً لم اكن قد قمت بعمل هذا التحليل الذى كتبته فى كتاب (راى فى الثورة الوطنية) إنما كان لابد أن اذهب معهم ورغم انه لا يوجد فى حياتى الخاصة او العائلية اى شئ يدعونى لا للتمرد ولا للسخط ولا لهذا الكلام إنما لو أننى لم اشارك فى الحركة الشيوعية لما كان ممكناً ان اكون فى سلام مع نفسى.

وقتها كنت معيداً وكان لدى معمل وحدى فى كلية العلوم، معمل صغير ثلاثة امتار فى ثلاثة متر ووقتها كان هناك الكفاح المسلح وبدأت فى هذا المعمل أصب (تى. إن تى) فى قنابل يدوية كانت تصنع في ورش كلية الهندسة، كانت لدينا مشكلة البادئ لأن البادئ الذى كان موجوداً فى السوق مفجر ونحن كنا نريد بادئا مشعلاً، قبل ان نكمل عملنا حدث حريق القاهرة، وبجانب عملى فى تحضير هذه الأشياء لمعاونة الفدائيين وكانت هناك اجتماعات ومناقشات وكلام من هذا النوع.

فى ١٩٥١ قبض على ثلاثة ايام، بعد ذلك ظللت اتصل بالتنظيم حتى اعتقلت سنة ١٩٥٤ إنما قبل الاعتقال كنت على اتصال برميل، واعترف ومعروفة حكايته لا شأن لنا به. لماذا لم يعترف على؟ لا اعرف إنما الذى حدث أننى وجدت الاتصالات انقطعت فوجدت نفسى وحدى ظللت ابحث حتى وجدت خلية ترزية قلت لهم يا زملاء، نحن منطقة الإسكندرية، اتذكر منهم، محمد الليثى يرحمه الله، دخل السجن بعد ذلك فقلت لهم نحن منطقة الإسكندرية بدأنا نسترجع كل الخيوط الممكنة اتصلنا ببعض افراد كانوا فى قسم الجمرك وكانوا فى الحضرة واتصلنا بناس فى محرم بك ووصل الأمر أن تمكنا من إصدار مطبوعات واصدرنا فى الإسكندرية جريدة باسم (الجبهة)، عندما دخلت «ابو زعبل» وجدت نسخة منها وصلت هناك، وفى هذه الفترة كانت غريبة لأنك وحدك وحتى تجمع الناس مرة اخرى وقتها بعد ان بدانا ناخذ شكلاً. بدا ياتينا اتصال من القاهرة فكان ياتى لى صلاح حافظ وعبد الجابر خلاف، وظل الوضع هكذا إلى ان تمت اعتقالات ١٩٥٤ ففصلت من الجامعة قبلها، قبل الاعتقال بستة شهور كان لى

نشاط ولم اتوقف فقبض على سنة ١٩٥٤ وظللت سنة فى «ابو زعبل»، وطبعا كلنا ضربنا فى السجن إنما انا شخصيا لا اشعر انى خرجت من السجن بمرارة هذه التجربة، ذلك امتحان الإنسان يجب ان يغبط نفسه انه لم يفشل فى الامتحان، كان إمتحانا سخيفا، كان صعبا، كان مؤلما لا نستطيع ان نظل نتكلم عن ان كفاح الشيوعيين هو قدرتهم على تحمل العذاب فى السجن، الشيوعيون قدرتهم على تغيير افكار الناس؛ على ان يروا ما الجانب الإيجابى فى الحياة ليقودوه.

السجن شئ مؤلم إنما ليس الإنجاز انك دخلت السجن الإنجاز انك تمكنت من تغيير افكار الناس ودفعت المجتمع للأمام وزودت الإدراك بالقضية الوطنية بالمصالح الطبقية بالعلم والتنوير، وان السياسة فى فترة ما بعد الحرب. كانت اكبر قوة شكلت الراى العام وشكلت التوجه الوطنى للشيوعيين هذا هو الإنجاز وليس تحمل السجن هذا شئ لزوم الشئ كما يقولون.

عندما دخلت المعتقل كانت هناك تنظيمات اخرى، إنما هناك شئ اساسى جعلنى غير مستريح للتيارات الأخرى وكنت وقتها فى «ابو زعبل» وكان هناك عنبر الراية وتشعر كما لو كان لديهم شكل من اشكال لا داعى لأن نقول عبادة الفرد، تعظيم الفرد، الهتاف لزعيم التنظيم ورئيس التنظيم الذى هو شئ لا معنى له بجانب الجانب الفكرى، انا تعلمت كيمياء اى تعلمت علوما طبيعية والعلم ليس فيه مقدسات، العلم تقدمه يتم من خلال النقد والشك وتغيير ما تم إثباته، نحن كان عندنا محيط العلم صغيرا، وحوله محيط الجهل، وكلما اتسع العلم كلما ادركنا ان جهلنا يزيد وبالتالى ميزة الماركسية انها تستخدم المنهج العلمى فى تحليل المجتمع وبالتالى يجب ان تخضع لما له العلمية ويجب ان تخضع للتغيير، لا توجد مسلمات ثابتة، لا توجد مسلمات مقدسة.

اجد اناسا تناقش بحدة شديدة وتدافع عن مفاهيم لا تقبل المناقشة، انزعج، عقلى لا يقبل ان هناك مفاهيم فى امور الدنيا لها قدسية ايا كان من الذى قالها. ماركس قال شيئا جيدا كان يراه وقت ان كان حيا، الدنيا تغيرت ليس، هذا فقط، بل لو كان عاش وقت اكثر لكانت نظريته قد اتسعت، كان يمكن ان يغير بعض المفاهيم إنما الميزة الأساسية فى الماركسية ليست فيما تقوله إنما كيف تقوله؟ كيف تفكر فيه؟ كيف تحلله؟ عندما اجد ان هناك اناسا مع التسليم تماما بإخلاصهم وحماسهم يفكرون هذا النوع من التفكير انزعج، اتذكر فى البداية كنت قد رايت بعض الكراسات الخضراء وعندما قراتها قلت هذه الضباء التفكير العلمى خصوصا اننى قبل دخولى التنظيم قرات

التاريخ بكمية ليست بسيطة، قرات تاريخ مصر قراءة تامة قرات الرافعى واشياء اخرى وعندما دخلت الجامعة، رغم دخولى الكيمياء الصناعية إنما كنت اقرا فى الاقتصاد، زملائى عندما دخلوا كلية التجارة كنت اذاكر الاقتصاد الخاص بهم، وبالتالى كان من وقتها التفكير الاقتصادى موجوداً وبالتالى لم يكن هناك احتياج لنوع التثقيف الذى تقدمه حدتو للزملاء الجدد.

لم اشارك فى حركة فدائية وكان دورى فى بولاق هو تحريك الخلايا التى كانت معى بجانب الدور التثقيفى والنظرى فى المكتب الاقتصادى، ولا ادعى انه كان لدى عمل متميز فى التنظيم وقتها.

فى سنة ١٩٥٤ عندما رحلت لـ «ابو زعبل» الزيارة الوحيدة التى حضر لى ابى فيها طوال فترة السجن، جاءنى وعرض على الآتى، انا جئت الآن ويمكن ان اخرجك فوراً من السجن، تخرج معى بشرط ان تسافر إلى إنجلترا للحصول على الدكتوراه، هو كان على علاقة طيبة جداً بالقيسونى، كان وقتها القيسونى وزيراً للمالية كان وابى وقتها وكيل الوزارة لشئون القطن.

لو كنت قبلت كنت ساستفيد، سوف أخرج من السجن واحصل على الدكتوراه وتوضع د. قبل اسمى تعبر عن مزايا، لكن لو فعلت ذلك كنت كانى اخون نفسى ولا يمكن بهذا النوع من التنازلات فرغم الإغراء الجيد وشكله المحترم جداً إلا أن المرء سيفقد سلاماً مع نفسه، قلت له الذى يريد ان يخرجنى لا يقول لى اين اذهب واوقفت المناقشة.

لا يمكن للمرء ان يفعل شيئاً يفقد به ليس احترام الناس، إنما احترامه لنفسه والذى اطلق عليه أن يكون المرء فى سلام مع نفسه.

فى ١٩٥٩ كانت القضايا الفكرية قد تبلورت، كانت الحركة الديمقراطية تؤيد عبد الناصر وكان وقتها قد ظهرت افكار المجموعة الاشتراكية وطريقة التطور اللاراسمالى وكنت ارفض هذا النوع من التفكير، مجموعة اشتراكية لماذا؟ والتطور اللاراسمالى ماذا يعنى؟ وكانت لى وجهة نظر وتبلورت تماما فى ١٩٥٩، ١٩٦٠، ١٩٦١، هى أنه توجد علاقة جدلية بين تحقيق أهداف التحرُر الوطنى وحتمية إحداث تحولات اجتماعية، كان الطريق الذى تسير فيه ثورة يوليو انها من اجل تحقيق اهداف التحرر الوطنى كان يجب بالضرورة أن تحدث تحولات اجتماعية، إن الذى يحدث. الذى تسمونه مجموعة اشتراكية وكلام من هذا النوع. هو تصفية الأجنحة الأكثر تخلفاً داخل الثورة، مع كل نقلة اجتماعية جديدة كان لابد من تصفية هذه الأجنحة وبالتالى الكلام عن ان هناك

مجموعة اشتراكية متبلورة وأن هذا يحدث تغييرا، رأيى ان هذا نوع من التفكير الميكانيكى، ما دام حدث كذا إذن هناك مجموعة اشتراكية، لا ليست هناك مجموعة اشتراكية هناك مجموعة وطنية تتفاعل مع الأحداث لتحقق الأهداف الوطنية، يجب بالضرورة ان يحدثوا تحولات اجتماعية والغريب ان هذا النوع من التفكير له أصول فى فكر حدتو، فى فكر خط القوات الوطنية الديمقراطية، ان نحاول أن نوجد تفسيرات ميكانيكية للذى يحدث، فهذا منهج غير علمى وبالتالى كنت ارفض هذا وكنت اقول إن هذه التفاعلات من شانها بالضرورة أن تحدث تغييرا فى التنظيم لأن التنظيم الشيوعى المستقل، وهذا حقيقة فى الثورة: استولت على الأهداف التى كنت تكافح من اجلها، وبالتالى تنظيمك يفقد مبررات وجوده، وكان وقتها رغم الإحساس ان التنظيم فى ازمة، رغم الإحساس ان الزملاء الذين خرجوا قبلى من السجن كانوا يخرجون وينضمون للتنظيم الطليعى الذى انشاه عبد الناصر إلا انى عندما طرحت وجهة النظر هذه التى ذكرتها بعد ذلك فى كتاب (رأى فى الثورة الوطنية) ووجهت بهجوم شديد جداً لدرجة انه عقد مؤتمر داخل السجن بعنوان (حزبنا ضرورة تاريخية)، ونصحت من بعض الزملاء بالا اتكلم فى المؤتمر لأنه، «ممكن ان يتخذ قرار بطردك من التنظيم على اساس انك تخليت عن الكفاح» وهذا الكلام النورى وظللت فى هذا المؤتمر اتفرج ورأيى ان هذا الموقف من اكثر المواقف التى اخرت الشيوعيين، لعبة القيادة والقاعدة او الضباط والعسكر هذه لعبة عبد الناصر ولم يكن ليقبل ان القيادات التنظيمية الشيوعية تتعامل معه على اساس ان وراءها حشد تقدمه وتتفاوض معه باسمه ولذلك هم وضعوا انفسهم فى وضع أن التعامل معهم سيتم بتصفيتهم كافراد ثم اختيار الأفراد المناسبة. هذا الوضع كان من الممكن ان يكون افضل جداً لو قيل منذ البداية اننا نريد ان نأتى عندك وبصرف النظر عن الشكل القيادى والتنظيمى إنما نحن مقتنعون انك تسير فى الطريق الذى نريد أن نسير فيه، ونريد أن نسير معك فى هذا الوضع، يكون هناك مراعاة اكثر للثقة وايضا العناصر المناوئة للفكر اليسارى، حتى عند عبد الناصر، كانت تحجم وفرصتها على المناورة تقل، ولا يكون أن الشيوعيين يؤخذوا واحداً واحداً فى جناح ضيق من التنظيم الطليعى ولا يكون لهم اى قدرة على أن يؤثروا كأفراد او كأعضاء فى حركة التنظيم الطليعى "رأيى ان هذا سلوك قصير النظر".

الشيوعيون لم يكونوا مدركين ان التناقض على الساحة وبالتالى هو فى السلطة واكثر إدراكاً من الشيوعيين الذى اعتقد انه كان يقول عليهم رومانسيين او خياليين،

ذلك كان يضع الشيوعيين وعبد الناصر فى تناقض لا مبرر له والشيوعيون دفعوا ثمن هذا، لأنه بدلاً من ان ياخذوا موقفاً واضحاً قيادة وقاعدة دخلوا أفراداً والطرف الآخر تخير الأفراد ووضع كل واحد فى المكان الذى يستحقه، أما الناس الذين لهم نشاط جماهيرى فهؤلاء آخر ناس استفاد بهم التنظيم الطليعى وبالتالى هذه خسارة على الشيوعيين وعلى الحركة الوطنية بدون داع. لن نتكلم عن العوامل الذاتية التى كانت وراء هذا كانه فى كل مكان هناك ذاتية وحتى قضية السلطة فيها الذاتية إنما هذا الذى حدث.

وقتها تعرضت لشئ مؤلم فبدلا ان يناقش الفكر بدأ الهجوم بشكل شخصى، وقيلت لى كلمة جرحتنى جداً، خلع الضرس بدون الم اى لو تريد ان تتخلى عن الكفاح افعل ذلك بدون ضجة ولهذا السبب تعمدت ان اظل فى التنظيم حتى الاجتماع الذى تم فى بيت يوسف صديق وتم حل التنظيم، والذى قال لى هذه الكلمة لم يحضر الاجتماع، لأنه كان فى التنظيم الطليعى.

فكرة قدسية الحزب تتحول إلى فكر عقائدى وإلى حد كبير يمنع القدرة على التصرف العقلانى، والحزب السوفيتى قام بثورة وحقق نتائج الثورة واصبح فى السلطة وقضية تقديس الحزب فى الاتحاد السوفيتى مربوطة بالسلطة انت هنا لم تستول على السلطة وتتحدد حركتك وقدرتك على الكفاح الوطنى والاجتماعى الملازم له بظروفك. ان ترفض ان تدخل فى تنظيم عبد الناصر لأن حزبك مقدس او كما قيل فى هذا المؤتمر انه ضرورة تاريخية فى الوقت الذى تسمح لأعضائك ان ينضموا للتنظيم الطليعى، هذا خلل، خلل فكرى ويحمل قدراً كبيراً من الديماجوجية.

التنظيم تم حله لأن هذا كان التعامل الإيجابى مع الواقع، التنظيم قيمته مثل اى تنظيم فى الأهداف التى يحققها. التنظيم ليس له قدسية فى ذاته، القدسية فى الأهداف، الأهداف الوطنية، الأهداف الاجتماعية فى العلاقة الجدلية ما بين التحرر الوطنى والتحول الاجتماعى وليس فى شكل التنظيم لو ان المعركة الوطنية وعلاقتها بالتحولات الاجتماعية تتحقق بواسطة عبد الناصر، إذن انت عندما تبقى على التنظيم المستقل تخلق تناقضا، ليس فقط لا داعى له إنما ينتهى بهزيمتك وبآثار سلبية على الطرف الآخر ايضاً. فانت تضر باهدافك هنا الموضوع ليس ان تكون مكافحا لو كان التنظيم موجوداً، ولا تكون مكافحا لو كان غير موجود، هذا تفكير ذاتى جداً وليس به رصد للواقع الاجتماعى الذى تعيش فيه، ولدينا تجربة غريبة جداً فى "كوبا فيدل

كاسترو" قال إنه هو الحزب الشيوعى، وقال البعض القيادات الكبيرة التى ابدت امتعاضها سافروا، أرسلهم لموسكو. الموضوع ليس سرقة الحزب الشيوعى، فهو يقول الأهداف التى تقولون عليها تتحقق بقيادتى كواقع لأنه فى السلطة. ليس ضرورة ان عبد الناصر كان يقول انا الحزب الشيوعى إنما هو يحقق الأهداف التى نريدها، هذه القضية تحمل عند كثير من الشيوعيين قدراً كبيراً من المؤثرات العاطفية إنما الدنيا هكذا والقدرة على مواجهة الذات بامانة علمية مهمة جداً فى هذه المواقف.

حركة الثورة كلها وليس موضوع الدستور والأوراق كانت تؤدى إلى تحقيق اهداف التنظيم الشيوعى واى تنظيم لم يكن يقول أحقق الشيوعية. الحركة الشيوعية اساساً تحاول باقصي درجة تحقيق الأهداف الوطنية بما يلزم ذلك من إحداث تحولات اجتماعية، ولا نقول إننا اقمنا مجتمعاً اشتراكياً، وبالطبع ولا مجتمع شيوعى لأنه لم يتحقق، وا لمجتمع الاشتراكى فى اى بلد ياخذ طابعه الخاص. لا يوجد نمط عالمى للتحولات كيف تكون؟ إنما أساساً مع من انت؟ لو انت مع الشعب العامل، لو انت ضد الاستعمار الأجنبى، لو انت تقبل التحولات الاجتماعية التى تغلب مصالح الكادحين انت تحقق أهداف الحزب الشيوعى. الموضوع ليس الشكل؟ ليس الإعلان؟ ومع ذلك استخدام عبدالناصر الشعارات الاشتراكية إنما هذه ليست القضية، ليست قضية نوع الدستور أو نوع الشعارات؟ إنما ماذا كان فى الواقع؟ وتفهم هذا ترى ما الذى تم بعد عبد الناصر، لابد ان نعرف ما الخلل داخل سلطة عبد الناصر، التى بدات تتضح وتناقش بصراحة هذه الأيام والتى تبلورت فى هزيمة ١٩٦٧، هذه قضايا اوسع بكثير من مناقشتنا، هذه وجهة نظرى فى موضوع حل التنظيم.

على مدار تاريخ الحركة تم عديد من الانقسامات، رايى ان هناك نوعين من الأسباب نوع من الأسباب الذاتية وهذا لا تستطيع منعه فى اى مكان إنما الأسباب الحقيقية عدم تبلور الوعى وان الفكر اليسارى فى مصر إلى حد كبير اخذ شكلاً دوجماطيقيا وبالتالى تظهر تيارات مثل (م . ش . م) مثلاً يقولون لا شيوعيون إلا العمال: وتظهر افكار المثقفين شديدة التنوع ومحكمة الاختلاف حول قضية ثانوية تتحول لانقسام. ثم قضية أساسية ان التنظيمات السرية عموماً معرضة للانقسام لأن إمكانية تبادل الراى بحرية داخلها قليل جداً، كل مقابلاتك سرية، خلايا لا تعرف بعضها البعض وبالتالى لو ان خط القيادة ليس على هوى، او ليس مقبولاً من بعض العناصر، فلا تجد هذه العناصر لاتجد اى فرصة حقيقية للتفاعل مع القيادات، وشكل التنظيم السرى يجعل إمكانية

هذا التفاعل قليلة جداً ولذلك نجد أن التنظيمات السرية التى تأخذ دوراً حقيقياً يكون الجانب الأيديولوجي فيها قليل، مثل التنظيمات الإرهابية المتسترة بستار الإسلام لا يوجد أبداً نقاش فكرى، لا يوجد فكر أساساً، وتحديد العدو بواسطة القيادة وحشد انفعال شديد جداً لا يسمح بالتفكير إنما ليس هذا نمط التنظيم الشيوعى، وبالتالى التنظيم الشيوعى دائماً لديه مشكلة ما بين السرية من ناحية، والقدرة على الصراع الفكرى من ناحية اخرى لأن هذا لا يحل بشكل سلس، تحدث انقسامات ومع ذلك لو أن هناك مد ثورى فإن الانقسامات تقل لأن الهدف يكون أكثر تبلوراً والأمل فى تحقيقه يزيد وبالتالى الناس تتعامل مع بعضها بشكل أسهل وبذاتية اقل.

فكرة او مفهوم جماهيرية العمل الشيوعى تبدو غرابتها فى تنظيم سري، كيف تنظيم سرى وجماهيرى في نفس الوقت، العلاقة بينهما ليست علاقة سببية مباشرة او ميكانيكية لو ان الجماهير لديها مشاكل وتجد انك تعبر عنها بشكل إيجابى وتعطيها فرصة للحركة تتحرك ويكون لك نفوذ جماهيرى فعال، الذى نراه فى فترة ٤٦، ١٩ - ١٩٥٢ لا تقاس بعدد الأفراد المنضمين للتنظيم الشيوعى رغم انهم بالطبع فى هذه الفترة زادوا، إنما أساساً بالذى كانوا يقولونه، كالناس كانت يتحركون به لأنهم كانوا يقولون الكلام الذى يعبر عن احاسيس الناس وعن مصالحها وتوجد فرصة عند الجماهير فى أن تتحرك.

العمل الجماهيرى قياس حساس جداً وصعب جداً لأن الشعب المصرى يتحمل وصبور على السلوك إنما عندما يتحرك تكون حركته عنيفة جداً وهذا يظهر فى فترات ما بعد الحرب، بعض الشباب اسسوا دار الأبحاث ويقولون بعض الكلام، ثم تنشأ اللجنة الوطنية للطلبة ثم تصبح الطلبة والعمال والشعب كله يفاجا بانها أصبحت قيادة، هل هؤلاء استطاعوا فى هذه الفترة إقامة تنظيمات جماهيرية؟ كانت التنظيمات الجماهيرية تخلق من خلال الحركة ولا تقاس بالعضوية، الذى يشترك فى مظاهرة لا يقوم بعمل اشتراك عضوية مظاهرة، وبالتالى هل الفكر الشيوعى كانت له جماهيرية؟ كانت له جماهيرية عالية جداً، اى حركة جماهيرية، كان الكلام الذى يقوله الشيوعيين وينم عن تحركاتهم هو المسيطر على الموقف إذن هم الجماهيريون بالرغم من ان عددهم قليل إنما تقاس القدرة الجماهيرية بمدى استجابة الجماهيريون وقت الحركة.

يقال الآن أن كلمة الشيوعية أصبح صعبا أن تقال للناس، ومع ذلك انا رأيى ان الفكر اليسارى لديه فرصة ممتازة، دعنا من كلمة الشيوعية لأن الكلمة تاثيرها اهتز اهتزازاً

شديداً بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، إنما لا زال الفكر اليسارى هو المعبر عن مصالح الناس فى مصر فى حالتنا هذه، يحدث تآكل فى قدرتها الإنتاجية، تحدث زيادة مهولة فى البطالة، تحدث مشكلة إسكان يزيد، النفوذ الأجنبى. تنهب البلد، فى هذا الوقت يكون الفكر اليسارى هو المعبر عن الناس، رأيى أن فترة السادات، ثم انهيار الاتحاد السوفيتى سببت جدبًا، سببت تراجعا فى الفكر اليسارى وليس تراجعا فى المشاكل التى من شأنها أن تؤدى لنشاط الفكر اليسارى، أنا شخصياً متفائل، ولا أخاف من حكاية أن كلمة الشيوعية، لا تقال الآن لا داعى أن تقول كلمة الشيوعية نحن نريد أن نحل مشكلة الإسكان والبطالة وانخفاض مستوى الأجور وتآكل القدرة الإنتاجية فى الاقتصاد المصرى وبالتالى يجب أن تتوقع أن اليسار يطرح أفكارا جديدة. قدرته على التعبير قليلة لا مانع، إنما المجتمع ليس شيئا إستاتيكيا، المجتمع كين ديناميكى وبالتالى بالضرورة سيجد تعبيراً عنه، اليسار ستكون لديه فرصة. ما الأشكال التى سيأخذها؟ هذا موضوع يقرر فى مجال آخر، ما نوع الأشكال التى يمكن أن يأخذها اليسار؟ ما نوع التنظيم الذى يمكن أن يأخذه اليسار؟ ما نوع التعبير الذى يمكن أن يعبر به؟

المشاكل موجودة والفكر اليسارى لابد أن يطرح الحلول لا أحد آخر سيطرح الحلول سوى اليسار.

أولاً: الموقف من القضية الفلسطينية

الشيوعيون لهم وجهة نظر فى القضية الفلسطينية فكان رأيهم قبول تقسيم فلسطين ليس بناء على قرار الاتحاد السوفيتى إنما بناء على قرار الواقع، أنا شخصيا سنة ١٩٤٨ لم أكن فى أى تنظيم إنما عندما نفكر الآن هل الشيوعيون عندما قالوا نقبل قرار الأمم المتحدة ١٩٤٨ ونقبل هذه الحدود، كان قرارهم أكثر إيجابية من رفضه؟ نعم أنت الآن لا تدافع عن حدود ١٩٤٨ أنت لا تستطيع الوصول لحدود ١٩٦٧، والسياسة هى فن الممكن لو أنك تدخل معركة خاسرة لا تدخلها، فالموضوع ليس موضوع إثبات الشجاعة، الذى كان ممكناً سنة ١٩٤٨ أن تقبل هذه الحدود، والذى عطل ١٩٤٨ الرجعية العربية المتواطئة مع الاستعمار، الرجعية العربية التى جعلت الملك عبد الله يأخذ الضفة الغربية وجيشه بقيادة الإنجليز يعرى الجناح الأيمن للجيش المصرى الذى يجعل العراقيين الذين كانوا يحاربون يقولون (ماكو أوامر) والذى يجعل الجيش المصرى يدخل بدون تسليح والذى يجعلهم يقبلون الهزيمة التى استغلتها إسرائيل، مجموعة أخطاء، لا يمكن أن تكون

قد تمت اعتباطاً، قبول اليسار تقسيم ١٩٤٨ تفكير عاقل وبراجماتى، ماذا كان سيحدث لو تم قبول قرار ١٩٤٨؟ تنشأ دولة فى فلسطين وليس أن تأخذ الأردن الضفة الغربية، وتأخذ مصر قطاع غزة لا، كانت ستكون هناك دولة، حتى لو كانت دولة ضعيفة جداً، تقول لى هل ستهاجم إسرائيل هذه الدولة؟ هذه قضية أخرى لأن الحق واضح وأكبر دليل على ذلك أنه عندما أراد السادات إبرام صلح مع إسرائيل، من قاد الحملة ضده؟ اليمين العربى لابد أن نفكر والناس تهاجم السادات، أنا لا أهاجم السادات على صلح إسرائيل أنا رأيى أن هذا عملاً إيجابياً، الهجوم على السادات أحدث فى المجتمع المصرى تحولات اجتماعية تأثيراتها مدمرة بداية من سياسة الانفتاح وتربية طبقة رأسمالية غير منتجة وطفيلية بداية من تسليم الاقتصاد المصرى إلى المؤسسات الأجنبية. هذه هى المشكلة وليس الصلح عندما تحدث تراجعات اجتماعية، بالضرورة تضعف الإرادة الوطنية كان من الممكن إبرام صلح لو أن عبد الناصر عاش بعد ١٩٧٣ كان يمكن أن يعقد صلحاً بالطبع كان من الممكن أن تتغير نتيجة الحرب أيضاً ولا تحدث الثغرة حكاية أخرى، لا نستطيع أن نقول لو، لو، لو إنما المشكلة الحقيقية فى مصر، ليس الصلح مع إسرائيل، المشكلة الحقيقة فى مصر. العوامل السلبية الموجودة فى المجتمع المصرى، التحولات السلبية التى تضعف قدرته الاقتصادية وإرادته الوطنية هى نفس الوقت وفى مصر، إذا كان اليمين أو الرجعية أو المصالح الاستغلالية فى الداخل بالضرورة متواطئة مع المصالح الأجنبية، القضية ليست قضية اتهامات بالخيانة. لا.. دعنا من الكلام الانفعالى إنما المشكلة فى خلق مصالح تخدم الأجنبى وإضعاف الإرادة الوطنية تضعف.

كان الموقف من قضية فلسطين أننا ضد إسرائيل، أننا مدركون أن إسرائيل وكيل أمريكا فى المنطقة وسلاحها فى ضرب الحركة الوطنية العربية وأساساً المصرية وإثارة مواقف حول الشيوعيين وأنهم قبلوا التقسيم أو لم يقبلوا، لم تكن هذه هى القضية المطروحة أو التى كان يناقشها الشيوعيون أساساً، نحن كنا نؤيد حركة القومية العربية ولو أننا اعترضنا على شكل الوحدة مع سوريا، وكان كلامنا صائباً، وجزء من ضرب الشيوعيين سنة ١٩٥٩ هو اعتراضها على شكل الوحدة، شكل الوحدة تم بطريقة شديدة السذاجة والذاتية كان ممكن جداً أن نتكلم عن وحدة فيدرالية وليس كونفدرالية، أن تظل مصر، تظل سوريا ويتم الاتحاد مثلما يحدث الآن خطوة خطوة فى المجتمع الأوربى إنما فرضنا شكلاً من الهيمنة وأيضاً أرسلنا أكثر الناس تنفيراً، الذى كان يقود سوريا

ضباط عبد الحكيم عامر ولذلك الانقلاب نه من مكتبه، هذا النوع من شكل الوحدة الذى يبين كما لو كانت مصر ضمت سوريا بالضرورة كان لابد يأتى بنتائج سلبية، لأن سوريا تختلف عن مصر، العوامل المؤثرة على المجتمع السورى مختلفة عن مصر وحتى الذى تم فى ١٩٦١ فى مصر لم يكن بالضرورة يتم بنفس الشكل فى سوريا إنما انت استعديت قوى كبيرة جداً فى سوريا وارسلت عناصر منفرة، ثم المجتمع السورى لابد من النظر له بطريقة اخرى، مصر قبيلة واحدة وبالتالى الذى فى السلطة، الذى يجلس على كرسى الفرعون فرعون. لأن مصر قبيلة واحدة، سوريا ليست قبيلة واحدة، كان يوجد فى مصر سلطان مملوكى واحد ، فى سوريا كان كذا سلطان، مصر دائماً موحدة إنما لا تستطيع ان تاخذ نفس التقييه فى سوريا، ولأن مصر موحدة فالسلطة فيها شديدة التركيز والاستقرار. سوريا ليست كذلك، لا تستطيع فرض شكل الهيمنة المركزية على سوريا، انضمامها للجمهورية العربية المتحدة كان به قدر كبير جداً من العواطف ودراسة ضعيفة جداً للواقع وبالتالى نتائجه سلبية. الشيوعيون قالوا شكل هذه الوحدة ليس طيباً وهذا كان من اسباب ضربهم سنة ١٩٥٩، لم تكن هناك منشورات ضد الوحدة او انا لم اسمع ان هناك منشور ضد الوحدة إنما كان هناك موقف ناقد، وهذ الموقف نوقش مع قيادة حدتو.

راى التنظيم فى الأحداث التى جرت فى البلاد العربية فى الأردن والعراق؟ بالطبع كان يؤيد ثورة العراق. إن الذى لعب لعبة القوميين والشيوعيين هذه خيبة ولا يوجد تحديد موقف مع قاسم ضد الشواف والشكل الدامى الذى تم فى العراق، انا اعتقد ان الشيوعيين فى مصر لم يكونوا متابعين له ابداً ولا متحيزين بوضوح لطرف ضد طرف لأن نوع الحركة الثورية فى بلد يتحدد بمزاج البلد، مصر لا تقبل العنف وانقلاب السلطة فيها، يتم بطريقة فيها هذا القدر من العنف والشعب المصرى لم يقبل العنف يعنى هل من الممكن تصور ان الملك فاروق كان يسحل؟ هل الشعب المصرى كان يقبل هذا؟ مع انه خرج فى مظاهرات ضد الملك فاروق وداس على صورته وشتم شتائم إنما هل كان يقبل ان يسحل؟

كان الشيوعيون فى مصر يتصدون لمشاكل مصر، موقف الشيوعيين يمكن فهمه على انهم موقف اكثر العناصر وطنية. عبد الناصر دخل فى معركة مع خروشوف، الشيوعيون الذين يؤيدون عبد الناصر موقفهم لم يتغير مع انه يدخل معركة يقبض عليهم فيها ويهاجم خروشوف، ووصل الأمر إلى المهاترة المتبادلة ومع ذلك كان الشيوعيون يؤيدون عبد الناصر هذه قضية ليس لها هذا الوزن كله. الشيوعيون فى

مصر كانوا دائماً يمثلون مستوى عاليا جداً من الفكر المستقل، حكاية الأممية لم تكن ساخنة تماما عند الشيوعيين المصريين، الشيوعيون المصريون هم التيار الوطنى الذين يأخذوا موقفاً يساريا من قضايا المجتمع. هناك تأثيرات كثيرة على مستوى العالم لكن لا اعتقد اننى كنت مهتما تماماً برصد علاقة الشيوعيين وموقفهم من كل القضايا الفرعية المتعلقة بالدول العربية، الشيوعيون لهم موقف من المؤثرات الاستعمارية، لهم موقف من الأوضاع الداخلية، لهم موقف من حركة ثورة يوليو، المؤثرات الفرعية او التابعة، وبالتالى لا تأخذ هذا الاهتمام ولذلك اقول لك انا شخصياً لم اشعر فى أزمة العراق انني مع عبد الكريم قاسم ضد الشواف، إنما كان إحساس بكم المصائب التى تلقى علينا، إن الشيوعيين فى العراق استخدمهم عبد الكريم قاسم وضربهم بعد ذلك، هذه قضية خاصة بينهم إنما بالنسبة لنا، إن الشواف وعبد الكريم قاسم يضربون بعضهم البعض، مصائب تأتى لنا كمؤثرات خارجية مؤثرة على الأوضاع فى مصر.

شهادة

مكرم الله مرقص

البيانات الشخصية

الاســـــــم : مكرم الله مرقص يعقوب سلامة

تاريخ ومحل الميلاد :١٢ فبراير ١٩٢٤ بقرية بنى صامت مركز بنى مزار بمحافظة المنيا

المـؤهـلات : ليسانس الحقوق عام ١٩٦٨.

المـهـنـة : عملت بإدارة الأرشيف بالقوات المسلحة فى الأربعينيات، وفصلت من عملى بعد اعتقالى عام ١٩٥٩، وبعد الإفراج عنى وفى ١٩٦٨ رفعت دعوى لإلغاء قرار الفصل، وكسبتها، وعدت إلى عملى السابق، واستقلت فيه بعد شهر لأن ظروف ذلك العمل لم تعد تلائمنى، وعينت فى عملية تشغيل المعتقلين والمسجونين الشيوعيين. وكنت من أواخر من تم تعيينهم بإحدى شركات القطاع العام، وبعد إحالتى إلى المعاش عملت با لمحاماة وتخصصت فى قضايا تعويض المعتقلين والمسجونين واسرهم.

فترة السجن والاعتقال : اعتقال فى المدة من ٢٨ مارس ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤.

بيانات عائلية :

توفى والدى وأنا لا أتجاوز الثانية عشرة، وعملت مع ابن عمي فى زراعة الأرض إذ كان والدى قد ترك قيراطين، والتحقت بالمدرسة الابتدائية ببنى مزار ثم حصلت من بنى مزار على الشهادة التوجيهية، وجئت إلى القاهرة والتحقت بجامعة القاهرة عام ١٩٤٥ كما التحقت بالعمل بأرشيف القوات المسلحة، وقد فصلت من الجامعة بسبب قيامى بالعمل فى أثناء الدراسة، وكان ذلك سبب تأخرى فى التخرج.

وفى عام ١٩٤٥ كانت الجامعة تموج بكل التيارات السياسية وفى مقدمتها الوفد، وفى ذلك العام التقيت بزميلى محمد عوض الله الذى كان قد كون خلية ماركسية، ودعانى للانضمام إلى تلك الخلية فانضممت إليها، وقد سميت هذه الخلية أو المجموعة «مسعضه» أى «المنظمة الثورية للعمال والفلاحين، وكانت تضم عددًا من الطلبة والأطباء والفنانين منهم الفنان عبد الوهاب الجريتلى الذى كان إنسانا وفنانا ممتازًا ومات فى ظروف غامضة فى مستهل الستينيات عندما ذهب إلى أسوان ليسجل بالرسم معجزة

السد العالى ونقل معبد رمسيس.

وكان منهم فى ذلك الوقت الزميل إسماعيل المهداوى، لم يكن لنا علاقة باى تنظيم شيوعى آخر، وكنا نقرا الكتب التى تصدرها حدتو، ونعقد اجتماعا ونتناقش، ونصدر منشورات مطبوعة على الرونيو والآلة الكاتبة ونقوم بتوزيعها ولصقها على الجدران، لم يكن لنا بالطبع خط سياسى أو برنامج محدد، وكانت مواقف الأعضاء تكاد تقوم على الاجتهاد الشخصى، ولم تزد المجموعة في اى وقت عن عشرة افراد، وفى عام ١٩٥٥ التقيت بالزميل حمدى عبد الجواد، وتناقشنا فى عملية توحيد الحركة الشيوعية، وكان رايى انه ينبغى تصفية الخلافات الفكرية قبل اى وحدة، واختلفنا ولم نصل إلى موقف واحد، وفى عام ١٩٥٦ ومع انغماسى فى العمل فى لجان المقاومة الشعبية انقطعت علاقتى بالمجموعة التى لم تكن تقوم بعمل حقيقى أو بنشاط ملموس، ودار نقاش بينى وبين عناصر من منظمة طليعة العمال فى ذلك الوقت، ولم اقتنع بموقفهم ولم تكن تلك العناصر التى التقيت بها على مستوى فكرى جيد.

وفى ذلك الوقت كان يدور نقاش بينى وبين فرنسيس لبيب عضو منظمة الحزب الشيوعى المصرى «الراية» كنت اختلف مع تقييم ذلك التنظيم لسلطة عبد الناصر بأنها فاشية، كنت منذ قرات مقالاً لأبى سيف يوسف فى الملايين عام ١٩٤٩ يفرق فيه بين الفاشية والديكتاتورية العسكرية، وكنت مقتنعا بما جاء فى المقال، وارى أن نظام عبد الناصر ديكتاتورية، عسكرية لا فاشية، ورغم اختلافى مع فكر منظمة الحزب الشيوعى المصرى انضممت إليها، وكان ذلك فيما أذكر قبل وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ التى ضمت المنظمات الثلاث الكبيرة، وذلك مع احتفاظى بوجهة نظرى التى تذهب إلى أن نظام عبد الناصر شكل من الديكتاتورية العسكرية، وأن حركة يوليو ١٩٥٢ انقلاب عسكرى امريكى كما سأوضح فيما بعد.

الموقف من أحداث عام ١٩٤٦ :

كنت مشاركًا فى أحداث ومظاهرات جامعة القاهرة عام ١٩٤٦ وفى اليوم الذى مزقت فيه صورة الملك فاروق كنت أحد الخطباء فى الجامعة، كنت أشارك فى الأحداث بشكل فردى وبدافع فكرى اليسارى.

الموقف من حركة يوليو ١٩٥٢

كان رأيى أن انقلاب يوليو ١٩٥٢ انقلاب عسكرى على نمط الانقلابات العسكرية التى يصنعها الاستعمار الجديد وهو الاستعمار الأمريكى مثل انقلاب أديب الشيشكلى وغيره، وعلى أن أذكر أن أحد الأصدقاء وهو شقيق الشهيد نبيل حمودة الذى استشهد فى العدوان الثلاثى فى بورسعيد كان له أثر هام فى توعيتى بطبيعة الاستعمار الجديد وأساليبه، وطوال فترة حكم عبد الناصر كنت أرى أن نظامه ديكتاتورية عسكرية.

الموقف من مؤتمر باندونج

عندما سافر عبد الناصر إلى باندونج كان معى فى العمل شخص يدعى محمد عثمان، وكان معاديًا للشيوعية ويعرف ميولى السياسية، وجاء إلى هذا الشخص وقال «هاهو عبد الناصر قد سافر إلى باندونج وقابل شوان لاى» فقلت له إن هذا غير كاف، فقال غاضبا «ماذا تريدون أكثر من ذلك؟» فقلت له «نريد تأميم قناة السويس» فثار وقال «أنتم هتودونا فى داهية» وعندما أمم عبد الناصر قناة السويس جاء هذا الشخص وعانقنى وهو يقول «إنت نبى؟!» وتغير موقفه منى.

الموقف من تأميم قناة السويس

عندما تم تأميم القناة فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ توقعت حدوث عدوان على مصر لأنه من غير المعقول أن تقبل الدول الاستعمارية بهذا التأميم، وفى يوم ٢٧ يوليه كنت جالسا على مقهى أمام كنيسة سانت تريز بشبرا، وأخذت أناقش الجالسين حولى فى ضرورة الإستعداد لصد العدوان المرتقب، وكان ذلك بصوت عال، وكان بالمقهى عمال من شبرا الخيمة، واقترحت تكوين لجان المقاومة الشعبية، وإذا بصوت يرتفع ويقول «لا .. لنكون لجانا وطنية» وكان صاحب الصوت فتحى رفاعى الذى لم أكن أعرفه فى ذلك الوقت - وأذكر هذا للأمانة بصرف النظر عن موقفه بعد الإفراج عنا - ودارت مناقشة انتهت بتأييد أغلبية الموجودين لوجهة نظرى بتكوين لجنة المقاومة الشعبية، وانتخبت رئيسا لها، وأعتقد أنه على نمط هذه اللجنة تكونت لجان المقاومة في أنحاء القطر.

وفى أثناء العدوان نشطت لجنة المقاومة الشعبية، وانخرطت فى الحرس الوطنى، وتدربت على إطلاق النار.

الموقف من قرارات التاميم

كنت ارى ان قرارات التاميم تحقق نظام راسمالية الدولة، كنت اؤيد وجهة النظر التي قال بها الدكتور لويس عوض والتى تذهب إلى ان تلك القرارات يمكن ان يستفيد بها اى احد، اى انها لا تحقق الاشتراكية لصالح الطبقة العاملة.

الموقف من سياسات الاتحاد السوفييتى

كنا نؤيد سياسات الاتحاد السوفييتى تاييدا كاملاً، ولكن عندما قال خروشوف إن عبدالناصر يبنى الاشتراكية رفضت انا هذا الكلام.

الموقف من حل الحزب

طبعا انا كنت ضد الحل، فكيف يتم حل الحزب الذى يعد كل شئ بالنسبة لنا، ولكن لم ياخذ احد رايى، وبعد الإفراج عنا لم يتصل بى احد لتنظيمى، وفوجئت يوما بالزميل نور غنيم يلتقى بى ويقول لى «لقد حل الحزب فما رايك» فتساءلت، إذا كان الحزب قد حل فباى صفة يسالنى عن رايى، وهاج الزميل نور لما ينطوى عليه كلامى من معنى، ولا شك ان تساؤلى عبر عن فداحة الموقف الذى اصبحنا فيه بعد الحل. لقد سبب حل الحزب حزنا شديدا بالنسبة لى.

ولابد ان اذكر هنا انه بعد الإفراج عنا تركنا انا وكثير من الزملاء بلا عمل وبلا مورد نعيش منه ولولا والد زوجتى العامل بالسكة الحديد الذى اعال اولادى فى اثناء فترة الاعتقال واعالنا جميعا بعد الإفراج عنى لكان لنا مصير آخر، كان يوجد زميلان هما عبد السلام صفر وعبد الستار محمد كانا يسكنان مع أسرتيهما فى حجرة واحدة، وكان لديهما جلباب واحد يتبادلان ارتدائه عند الخروج. وهذا يبين السوء البالغ لأحوالنا بعد الإفراج عنا.

سبب أزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥

ارى ان انتهاء الحركة الشيوعية بحل التنظيمات ونهايتها عام ١٩٦٤ يرجع إلى ان قيادات هذه الحركة كانت من العناصر البرجوازية والبرجوازية الصغيرة.

وفى هذه المناسبة اود ان اقول إن اغتيال الزميل الشهيد لويس إسحق فى الأيام

الأخيرة لوجودنا فى الواحات بإطلاق الرصاص عليه كان متعمداً، كان لويس إسحق رجلاً بحق، وكانت اللجنة المركزية موافقة على الحل باستثناء لويس الذى كان المسئول التنظيمى الذى يستطيع ان يعيد بناء الحزب إذا تقرر حله، ولذلك تم إغتياله بتعليمات من عبد الناصر للتخلص منه، وإزاحة العقبة امام الحل، وقد اقر ابو سيف يوسف فى شهادته فى قضية التعويض التى رفعتها لأسرة لويس إسحق بان قتل لويس كان متعمداً.

وفى النهـاية اود ان اوصى الأجيـال الجـديدة بضـرورة الرفض التـام للنظام الديكتاتورى بجميع اشكاله والوانه حتى لو تسمى بديكتاتورية الطبقة العاملة. لأن الديكتاتورية تقتل المواهب البشرية وتعوق الإنطلاق نحو التقدم.

شهادة

يوسف أحمد ماضي

البيانات الشخصية

الاســـــــــــــم : يوسف أحمد ماضى

محل وتاريخ الميلاد : الإسكندرية ١٠/١٠/١٩٢٦

المـــؤهـــلات : حفظ القرآن فى كتاب الحى

المـــهـــنـــة : عامل بشركة الغزل الأهلية بكرموز

بيانات عائلية :

من اسرة بسيطة عمالية فجدي لوالدي كان عاملاً بورشة ترام الإسكندرية وقد الحق والدى معه وهو صبى فى الخامسة عشرة من عمره حيث تعلم مهنة البرادة واتقنها، وحتى لا يذهب للجهادية تقدم للتطوع ببوليس ميناء الإسكندرية بمهنته واجتاز امتحان القبول وعين فنى صيانة المنشآت البحرية برتبة شرطى، التحقت منذ طفولتى بكتاب فى نفس الحارة التى بها منزلنا ثم بمدرسة لتحفيظ القرآن تسمى الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ونشر العلوم الإسلامية، وكانت بمنطقة غيط العنب، حيث حفظت القرآن وجودته وكان سنى احد عشر عاماً ونصف. وكان لى قريب لوالدتى يعمل ناظرا بالمعهد الدينى بالورديان فطلب ان اكمل دراستى بالمعهد، ولأن ذلك يتطلب ان البس العمامة والجبة رفضت، وطلبت ان اعمل واتعلم مهنة.

بداية العمل:

التحقت بورشة سباكة المعادن وكنت سعيداً جداً بذلك ولكن لم يمر شهر واحد حتى فصلت لصغر سنى فقد كان الحد الأدنى يجب الا يقل عن خمسة عشر عاماً حسب القانون فى هذه الفترة. وتنقلت من ورشة لأخرى حتى بلغت الثالثة عشر، فى هذه الفترة كانت شركة الغزل الأهلية بكرموز تعتبر من اكبر الشركات بالإسكندرية. وسعيد الحظ من يلتحق بها، وسعى والدى لإلحاقى بها عن طريق الوساطة، وكانت العقبة هى ان اقدم شيئًا يثبت ان عمرى خمسة عشر عاماً وتغلب والدى على ذلك بالتسنين عن طريق حكيم باشا البوليس بعد ان قدم رشوة للممرض قدرها عشرة قروش.

التحقت بالشركة فى بداية ١٩٣٩ وعملت بوردية الليل من السابعة مساء إلى السابعة صباحاً واستمر ذلك ثلاث سنوات.

وكانت بداية الحرب العالمية الثانية، واشتعلت نيران المعارك والحرب معارك الإضرابات لتحسين ظروف العمل. وكان لشدة الغارات الجوية وهجرة عدد كبير من العمال وانقطاعهم عن العمل والإضرابات المستمرة أثر كبير فى انخفاض الإنتاج الذى كان يخصص أغلبه لسد احتياجات القوات البريطانية، ودفع ذلك الحكومة إلى فرض حصار من قوات الجيش المحصنة بالأسلحة والدبابات إلى جانب قوات بلوك الخفر لمنع الإضرابات وتم القبض على عدد كبير من العمال وكانت جميع زنازين الحجز بالأقسام وبلوك الخفر تغص بهم. وقد شاركت فى جميع الإضرابات بحماس. فكنت أشعر بشئ من الفخر والبطولة عندما أقوم بفصل التيار عن الآلات لنبدأ الإضراب وتغمرنى السعادة وأنا أشارك فى الهتاف بمطالبنا بإلغاء العمل اثنتى عشرة ساعة بالعمل سبع ساعات والعمل ثلاث ورادى وصرف غلاء معيشة ورفع الحد الأدنى للأجور. وعندما اشتدت الغارات على المدينة طالبنا بإلغاء العمل ليلا حتى انتهاء الحرب.

وفى أحد هذه الإضرابات فى أوائل عام ١٩٤١ حيث كانت الإسكندرية مدينة مهجورة تركها أهلها وهاجروا من كثرة الغارات وشدتها وكنت أعمل بوردية الليل بشكل دائم ولم نغادر المصنع فى الصباح وعندما حضرت وردية الصباح انضمت إلينا وخرجنا فى مظاهرة من مبنى المصنع بكرموز متجهين إلى مبنى مصنع محرم بك. كان عددنا حوالى ثلاثمائة وكنا نهتف طوال الطريق مرددين مطالبنا، وعندما وصلنا إلى مبنى مصنع محرم بك ولطول المسافة أخذ عددنا يتناقص وأصبح حوالى خمسين فرداً، وعند وصولنا فتح لنا الحراس ورجال الجيش الأبواب وتركونا ندخل ومررنا على جميع الأقسام، وأوقفنا العمل بها ودخلنا قسم النسيج وهو مكون من ثلاثة طوابق وأوقفنا العمل فى الطابق الأول والثانى وصعدنا إلى الطابق الثالث وهو الأخير فى المبنى فوجدنا باب العنبر مغلقاً من الداخل ولم نستطع الدخول وكانت نهاية السلم ولم يكن أمامنا سوى الهبوط والتراجع إلى الطابق الثانى وفجأة هجم علينا جنود بلوك الخفر بالعصى من السلم فأسرعنا بالصعود مرة أخرى إلى الطابق الثالث محاولين فتح باب

العنبر بالقوة وفجأة فتح الباب وخرج علينا الجنود من داخل العنبر بالعصى، واغلق الباب مرة أخرى وحوصرنا جميعا على درجات السلم تنهال علينا العصى من أعلى السلم وأسفله حتى تكدسنا بعضنا فوق بعض على بسطة سلم واحدة كانتا شكائر اسمنت وكان عددنا قد وصل إلى خمسة وثلاثين فردا، وتم شحننا داخل سيارة إلى قسم كرموز وادخلونا حجرة الحجز وكان بها عشرة افرادجميعهم من العمال المضربين، ووصل عددنا داخل هذه الحجرة الصغيرة إلى خمسة واربعين فردا كانت هذه أول مرة يقبض عليّ وادخل فيها القسم. وكان كل ما يشغلنى هو كيف اتمكن من الهرب وأول ما خطر لى هو تغيير اسمى حتى لا يستدل على بعد ان أهرب، وعندما حضر ضابط القسم ليدون اسماءنا أخبرته ان اسمى محمد على خضر. قضيت بالحجز ثلاثة ايام كنا نعيش فى حجرة الحجز كفرد واحد. وكان بعض العمال الأكثر خبرة ينظمون توزيع الطعام الذى تحضره بعض أسر المحجوزين على الجميع دون اى تفرقة، كانت الحراسة على الحجرة تتغير مع كل وردية يسلم الشرطى المكلف بالحراسة كشف به أسماؤنا لمن يستلم مكانه ويقوم الأخير بالنداء بأسمائنا دون فتح باب الحجرة وكان بعض العمال يجيب على كل نداء سواء كان اسمه أو لم يكن كنوع من التهريج.

فى مساء اليوم التالى حضرت النيابة للتحقيق واخرجونا فردا فردا للتحقيق وكنت اصغر الموجودين سنًا.

وسئلت عن اسمى وتاريخ ميلادى.

فذكرت أن اسمى محمد على خضر من مواليد ١٠/١٠/١٩٢٦، اى اقل من خمسة عشر عامًا وتقرر ان أعامل معاملة الأحداث، ورغم أن أغلب المحجوزين كان يعرف اسمى الحقيقى لم يذكر اى فرد منهم ذلك.

كان والدى خلال هذه الأيام دائم البحث عنى فى جميع الأقسام والمستشفيات وحضر إلى قسم كرموز عدة مرات للسؤال واطلع على كشف أسماء المحجوزين وفى اليوم الثالث طلب من الحارس إلقاء نظرة على المحتجزين ربما يجد من يعلم شيئًا عنى وعندما فتح باب الحجرة سأل إن كان أحد يعرف شيئًا عن يوسف، وبدون ان اشعر اجبته بأنى موجود، وتركنى وذهب، واحضر معه ضابط صديق له قابل مأمور القسم

الذى أمر بإطلاق سراحى، وتصادف حدوث ذلك فى نفس الوقت الذى يتم فيه تغيير الحراسة، وكنت اقف فى صاله القسم مع والدى والضابط والمامور واراد الحارس ان يستلم بالشكل الرسمى نظرا لوجود المامور، وفتح باب حجرة الحجز وطلب من كل فرد الخروج والوقوف فى صالة القسم عندما يسمع اسمه وخرج جميع الموجودين داخل الحجرة ولم يخرج محمد على خضر لأنى كنت اقف فى الصالة وطلب الضابط من المامور أن يسمح لنا بالانصراف وانصرفنا دون ان يتنبه احد بأن يوسف هو محمد على خضر ولزم جميع من كانوا بالحجز الصمت ونفوا معرفتهم بشىء، وهكذا هربت بامر المامور، ولم يعثروا على محمد على خضر رغم حضور رجال المباحث اكثر من مرة إلى الشركة للبحث وسؤال العمال وخاصة من كانوا موجودين معى بالحجز ولم يخبرهم احد رغم أنهم يعرفونى تمام المعرفة.

كانت هذه التجربة بداية الطريق لتدعيم علاقتى بعدد من القيادات العمالية ممن تعرفت عليهم أثناء الحجز، واشركونى معهم فى بعض اجتماعاتهم التى كانت تعقد لتنظيم عمليات الإضراب لتحقيق مطالبنا الاقتصادية، ولم يكن يظهر لهم اى ارتباط بالتنظيمات السياسية. ومن الأمور التى كانت تناقش بشكل دائم فى كل اجتماع الموقف من الأخوان المسلمين لمواقفهم العدائية ومحاولة تخريب الإضرابات واتهامهم بالشيوعية لكل من يدعو إليها، وكان اتهامهم لكل من يؤيد الإضرابات بانه شيوعى هو ما جعلنى احترم الشيوعيين واتطلع لكى اكون واحدا منهم، وكانت اخبار المعارك الحربية عن انتصار قوات المحور فى جميع الجبهات وتقدمها حتى أصبحت القوات الألمانية على مشارف الإسكندرية بعد احتلالها للعلمين وتراجع هذه القوات بعد الهزيمة التى منيت بها بعد غزوها للاتحاد السوفييتى وكان هذا الانتصار من العوامل التى جعلتنى ازداد حبا، وإعجابا بالشيوعية والشيوعيين متمنيا الانضمام إليهم، ولم اكن اعرف شيئا عن الماركسية أو عن التنظيمات التى تعتنقها.

فى هذه الفترة اسست الشركة ناديا رياضيا واشتركت فى فريق المصارعة الرومانية، وكان المدرب هو إبراهيم عرابى وتفوقت فى المصارعة فى وزن الذبابة فقد كان وزنى لا يتعدى تسعة واربعين كيلو، وشاركت فى بطولة الإسكندرية وحصلت على المركز الثانى.

وحدث أن نظم اتحاد المصارعة مباريات بصالة ملعب البلدية وتقرر مشاركتى بها وتم نشر إعلان دعائى يضم صور البطل العالمى إبراهيم مصطفى ومدربنا إبراهيم عرابى وصور لعدد من أبطال المصارعة وكانت صورتى ضمن هذه الصور، وتم لصق الإعلان على حوائط وابواب المصنع مما جعلنى معروفا لعدد كبير من العمال وسهل ارتباطى بعدد كبير منهم.

بداية ارتباطى بالتنظيمات الشيوعية كانت فى احد الإضرابات وكنا معتصمين داخل المصنع وانفرد بى احد الزملاء وسألنى إن كنت ارغب فى الانضمام لمجموعة تعمل لتنظيم العمال وتوعيتهم فرحبت بذلك، وكانت البداية، حضرت عدة اجتماعات مع بعض الزملاء وحضر احد الزملاء، واستمرت الاجتماعات لأكثر من شهرين لم تناقش خلالها سوى المشاكل اليومية داخل الشركة، وفى احد الاجتماعات اخبرنا بأنه تمت وحدة بين منظمة اسكرا وح. م وتشكل تنظيم باسم الحركة الديمقراطية (حدتو) ولم اكن اعلم من قبل إلى أى تنظيم ينتمى، وعلى ما اذكر تم توزيع منشور او اثنين (حدتو) بعد ذلك التقيت عن طريق احد الزملاء بزميل من التكتل الثورى هو الزميل انور عبدالملك وكنت اعرفه باسم سيف وهاجم تنظيم حدتو لأنه يتبنى خط القوات الديمقراطية، وشرح خطورة هذا الخط، ولأول مرة بدات اشعر بانتمائى إلى الفكر الماركسى بعد شرح الزميل وبعد ان قرات خط التكتل الثورى الذى طلب منى الزميل سيف قراءته لمناقشته، واستمرت علاقتى بالتكتل لفترة، وقويت علاقتى بالزميل سيف، وكان لقاؤنا يتم على انفراد، بعد ذلك اتصل بى زميل آخر وافهمنى خطورة التكتل وطلب منى الانضمام لصوت المعارضة الداخلية. وشرح لى خطورة خط القوات الديمقراطية وان التكتل الثورى يطبق نفس الخط، وطلب ان ارتب لقاء بينه والزميل سيف بحضورى وتم اللقاء وبعد مناقشة مستفيضة اعترف الزميل سيف بان التكتل خطا تنظيمى وان خط التكتل هو ايضا خط قوات ديمقراطية. وابدى استعداده لحل التكتل والمشاركة فى قيادة صوت المعارضة فرفض الزميل طلبه واشترط عليه الدخول كاعضاء عاديين، وانتهى اللقاء بوعد من الزميل سيف بدراسة الأمر، وكان الزميل الذى اجرى المناقشة هو الزميل توفيق حداد، وكنت اعرفه باسم جبران، كان هذا اللقاء نقطة

تحول كبيرة بالنسبة لى فبعد اعتراف الزميل سيف بخطأ كل ما كان يدافع عنه فى جلسة واحدة اقتنعت تماما بموقف صوت المعارضة من الجانب السياسى والتنظيمى. بعد ذلك تعددت لقاءاتى بالزميل جبران وشرح لى أسباب الخلافات داخل حدتو وتكوين القاعدة المشتركة لعمل مؤتمر تأسيسى.

خلال هذه الفترة وعن طريق الجلسات المستمرة مع الزميل توفيق حداد بشكل خاص إلى جانب عدد من الزملاء وبفضل الدراسات المكثفة لأسس الماركسية اللينينية شعرت بانى ولدت من جديد وخرجت من الظلام إلى النور، وكان لقرارات المؤتمر التى اعلنت عن مولد تنظيم يحمل اسم المنظمة الشيوعية المصرية (م. ش. م) وتوقيع جميع المطبوعات والمنشورات والملصقات باسم المنظمة الكامل جعلنى اشعر بالفخر لانتمائى إلى تنظيم يعلن فى مطبوعاته عن وجود الشيوعيين المصريين.

واستمديت منه القوة والنشاط فقمت بتجنيد العديد من العمال، وشكلت منهم خمس خلايا كل خلية مكونة من ثلاثة أفراد واوصلت عددا منهم لزملاء مسئولين فى التنظيم وكان من بينهم زميلات مصريات وأجنبيات قاموا بتربية وتوعية العديد من العمال، وكانوا محل تقدير واحترام من الجميع رغم الصعوبات التى واجهتهم.

كنا نقوم بدراسة كافة المشاكل التى تواجه العمال ومطالبهم ونرفعها إلى التنظيم وطالبنا التنظيم بكتابة مانواجهه من مشاكل للقضاء عليها فى شكل منشور تتم صياغته بمعرفتنا وأسلوبنا وان عليهم مراجعته لتصحيح الأخطاء إن وجدت وطبعه لتوزيعه، وكان لذلك اثر كبير فى صفوف العمال فقد وجدوا عند قراءتهم للمنشور أنه يعبر عن كل ما يرونه بأعينهم وما يعتمل فى نفوسهم وبالأسلوب الذى يرتاحون إليه، وقمنا بتنظيم نشاطنا بشكل سرى فى مختلف المجالات، ففى الدعاية الانتخابية لمجلس إدارة النقابة كان لنا تاثير كبير فى إنجاح اعضاء معروفين بميولهم اليسارية امثال عبدالمنعم إبراهيم ومحمد صادق، وفى المشاكل الاقتصادية والإدارية داخل الشركة كانت المنشورات التى كنا نقوم بصياغتها ويجدها العمال بين أيديهم ترد على تساؤلاتهم فى مختلف المشاكل، وفى الجانب السياسى كان التنظيم يركز حملته فى الهجوم على الأحكام العرفية فلم يكن يمر اسبوع دون توزيع منشور، ذلك إلى جانب الملصقات التى كنا نقوم بلصقها على صناديق الغزل والحوائط وداخل دورات المياه. وكان ذلك يتم بخطة مدروسة بدقة

لضمان الأمان وحتى لايقبض على اى زميل وهو يقوم بعملية التوزيع او اللصق، فكنت استلم المنشورات فى المساء واسهر على تجهيزها للتوزيع فى الصباح فاقوم بطى كل منشور إلى اربع وتقسيمها بعدد الأفراد الذين سيشاركون فى التوزيع وغالبا ما كانت والدتى تقوم بهذه العملية وتطلب منى النوم لأنى ساستيقظ مبكرا واخرج فى وقت مبكر قبل مواعيد العمل والتقى باثنين من الزملاء حسب مواعيد محددة ليأخذ كل منهم الكمية المحددة لتسليمها لعدد آخر من الزملاء بحيث يشترك جميع الزملاء فى التوزيع، وكان على الجميع ان يكونوا موجودين داخل العنابر قبل باقى العمال ومع كل زميل خمسة منشورات فقط مطوية بحيث لا تلفت الأنظار وهى فى أيديهم ويبدأ التوزيع فى الوقت المحدد والأماكن المحددة على ان ينتهى التوزيع قبل مرور خمس دقائق من الوقت المحدد وعدم الاحتفاظ باى نسخة من المنشور.

وإلى جانب المنشورات كانت الملصقات التى تحمل بعض الجمل والرسوم التى تهاجم الأحكام العرفية. اذكر على سبيل المثال رسم ليدين مكبلتين بالأغلال وتحته جملة الأحكام العرفية سجون ومعتقلات، الأحكام العرفية قيود على الحريات، الأحكام العرفية لخدمة اصحاب الشركات، الأحكام العرفية تفرض لحل النقابات، وكانت جميع المنشورات والملصقات توقع باسم المنظمة الشيوعية المصرية. وكان لهذه الحملة ردود فعل مختلفة فغالبية من يقع فى أيديهم المنشور كانوا يطلعون عليه غيرهم، وكان البعض من المعادين وكان أغلبهم من الإخوان الذين كانوا يثورون ويسبون الشيوعيين ويفقدون صوابهم عندما يشاهدون أسم المنظمة الشيوعية المصرية على المنشورات والملصقات.

ورغم توزيع الملصقات والمنشورات على فترات متقاربة. وردود الفعل بين الإخوان وإدارة الشركة، والرقابة الشديدة من رجال البوليس السياسى والجهود المكثفة لمعرفة من يقوم بها لم يتمكن البوليس وعملاؤه من كشف اى فرد منا.

وشعر الزملاء من حدتو بالقلق، وجاء الزميل الذى كان جندنى وكان مسئولا عنى فى حدتو، وطلب وقف المنشورات والملصقات، واعتبر ذلك استفزازا للعمال وهدد بالتبليغ عنى وطبعا لم نستجب للتهديد.

بعد فترة شعرت برقابة شديدة على جميع تحركاتى داخل الشركة وخارجها وتأكد لى أن الزميل الذى هددنى نفذ تهديده، واستمرت حملتنا ضد الأحكام العرفية ولم

تتوقف المنشورات والملصقات واصبحت اتوقع القبض على فى اية لحظة.

وطلب منى التنظيم الانقطاع عن العمل، وعدم الإقامة فى منزلى والإقامة فى مكان لايعرفه احد حتى افراد اسرتى فاخبرت والدتى وطلبت منها عدم الانشغال وانى ساطمئنهم من وقت لآخر. قضيت فترة اتنقل من مكان لآخر وارسل البوليس السياسى من يستفسر من اسرتى عن سبب انقطاعى عن العمل على انهم زملائى فى الشركة. واخبرتهم والدتى عدم معرفتها، وطلبت منهم إخبارها إذا علموا شيئا عنى، واستمر هذا الوضع حوالى اسبوعين. كنت دائم التنقل من مكان لآخر، كنت اقضى الليل على الكراسى بمحطة السكة الحديد، واذهب إلى المساجد فى الفجر حتى اتمكن من غسل وجهى، وكنت دائم الاتصال بزملائى من العمال، كان والدى دائم البحث عنى والتقى باحد الزملاء الذى اراد ان يطمئنه واخبره بالموعد الذى سنلتقى فيه. وحضر والدى وطلب ان اذهب إلى المنزل لرؤية والدتى وتغيير ملابسى وفى المنزل اقنعتنى والدتى بالإقامة بمنزل خالتى الذى لايعرفه احد. واففت ومر اسبوع وشعرت بانى مراقب وان مكانى كشف فتركته، وطلب التنظيم ان اقيم مع احد الزملاء من العمال والذى يسكن بمفرده، وكان مصابا بالدرن، وامضيت عنده ليلة واحدة وغادرته وعاودت التنقل مرة اخرى، وكانت فترة مرهقة جداً، وكان التنظيم قد طلب منى البحث عن شقه مفروشة ولم اطمئن لعدم ارتياحى لمن سيجاورنى السكن او صاحب الشقة الذى يؤجرها.

وكان اتصالى بالزملاء فى الشركة منتظما ولم تتوقف حملة المنشورات والملصقات، ورغم ذلك كنت اشعر بانى قد فقدت شيئا مهما جدا فى حياتى لعدم وجودى داخل الشركة وبين العمال والمشاركة الفعلية واليومية لحل مشاكلهم، وكان إحساسى بانى قد انتزعت من الأرض التى نموت بها، وكالسمكة التى اخرجت من الماء، وحرمت من حرية الحركة بوضعها داخل إناء حرمها من ان تحيا حياتها الطبيعية.

لم يستمر هذا الوضع لأكثر من شهرين، وتم القبض على، وكنت على موعد مع زميلين من الشركة لمناقشة قرارات المؤتمر، كان موعدنا العاشره صباحا بميدان سانت كاترين قريبا من محلات هانو. التقينا ولم نسر سوى خطوات وشعرت بيد تجذبنى من ياقة القميص من الخلف وخطوت خطوتين دون أن التفت للخلف واشتد الجذب، ووجدت الزميل الذى على يسارى مقبوضا عليه بينما الذى على يمينى يفر هاربا،

وتأكدت فورًا أنه يعمل لحساب البوليس.

كانت القوة التى قبضت علينا مكونة من الصاغ ممدوح سالم واثنين من المخبرين وكان أول ما فكرت فيه هو الهرب والتخلص من قرارت المؤتمر الموجودة فى جيبى. وبسرعة أخرجت قرارات المؤتمر وقذفت بها بقوة حتى وصلت إلى محلات داود عدس، وانفكت يد المخبر عن ياقة القميص وأسرع لإحضار اللفافة التى قذفتها فحاولت الجرى فى الاتجاه المعاكس ولكن يدممدوح سالم كانت أسرع وأمسك بى وأخذ يكيل لى الركلات واللكمات والسباب وأنا أقاومه، وتجمع عدد كبير من المارة للاستفسار ومشاهدة ما يحدث، ووضعنا داخل السيارة ووصلنا مبنى المحافظة (مديرية الأمن حاليا) حيث يوجد مكتب البوليس السياسى وبمجرد وصولنا لم أر زميلى، وتم عزلنا عن بعض وتم تفتيش ملابسى فورا وكنت احتفظ بورقة صغيرة مدون بها أسماء حركية لسبعة من الزملاء والمواعيد المحددة للقائهم وقطعة صغيرة من قلم رصاص داخل الجيب الصغير للبنطلون.

وبدأت الاستجوابات. لماذا قذفت بالمطبوعات؟ وهل كان يوجد أحد لأخذها ومن أصحاب الأسماء السبعة؟ وما هى المواعيد والأماكن المحددة للقائهم؟ ولم تخرج الإجابة عن لم يكن معى مطبوعات ولا ورقة وقلم ولا أعرف الكتابة. كان سمير درويش هو من يوجه الأسئلة وممدوح سالم يبتسم إبتسامة عريضة من إجاباتى ويقول ، «إحنا هنخليك تفتكر كل شىء وحنعلمك القراءة والكتابة حالًا».

وأثناء ذلك دخل شخص وانحنى على ممدوح سالم وهمس إليه ببعض الكلمات، ونظر ممدوح سالم إلى وهو يقول ، "أنت مصارع إحنا هندربك تدريب عمرك ماشفته" ونظرت إلى الشخص الذى حدثه فوجدته أحد المصارعين ويدعى محمد البربرى، وكان عضوًا فى النادى وكان يصادقنى ويتقرب منى وكثيرًا ما تدربنا معًا.

احتجزونى بطرقة دورة المياه الخاصة بهم ولها باب مغلق بمفتاح لايفتح إلا بمعرفتهم، وتركونى واقفا، ولم تكن الساعة قدجاوزت الثانية عشرة وعلى فترات متقاربة أسمع المفتاح ويفتح الباب ويدخل أحد رجالهم ويوجه لى بعض اللكمات والصفعات على الوجه وفى البطن لتحطيم أعصابى، وبعد أن يتبول أويقضى حاجته يكرر نفس الاعتداء إلى جانب السباب بأقذر الألفاظ والتهديد ببشاعة التعذيب الذى

سوف القاه إذا لم انفذ كل ما يطلب منى واعترف بكل شىء، واستمر ذلك حتى الثانية بعد الظهر وبعد انصراف جميع الموظفين فى الطابق الموجود به مكتبهم اقتادوفى حيث يجلس سمير درويش وممدوح ساله، وكان هو الذى يقوم بالأسئلة والتهديدات واخبرنى ان زميلى الذى قبض عليه معى اعترف لهم بكل شىء. وبعد أن كرر اسئلته وتهديداته ولم يصل إلى شىء امر رجاله بنزع حذائى وتعليقى من اقدامى بالفلقة وامرهم بالاستمرار فى الضرب حتى اقرر الاعتراف، بعد ذلك امر بنقلى إلى حجرة مجاورة وطلب ان يسمع صوتى وانا اطلب الاعتراف ولا ادرى الوقت الذى استمر فيه الضرب حتى وجدته يامرهم بالتوقف، وفك اقدامى وإجبارى على الجرى فى الصالة وهى متسعة بطول المبنى، وطلبنى مرة اخرى وكرر طلبه بالاعتراف وأنذرنى بأن التعذيب الذى لقيته مجرد شىء بسيط لما سيحدث بعد ذلك واننى لن اكون اقوى من محمد مالك الذى أجبروه على الاعتراف بكل شىء وهو يفصل منى عشرة (وكان قد تم القبض على محمد مالك الذى كان متهما باغتيال النقراشى قبل القبض على بأسبوع وبمعرفة ممدوح سالم) ولم اجب عليه فامر بتكرار التعذيب وعلقت بالفلقة مرة أخرى واستمر التعذيب لفترة أطول وطلب إحضارى بعد إجبارى على الجرى مرة أخرى. وكنت طوال هذه الفترة التى استمرت لأكثر من ساعتين افكر فى كيفية الهرب من هذا الجحيم وكانت حجرة مكتبهم بها نافذه نطل على حوش المبنى الخلفى وهو واسع يتم تجديد رخص السيارات داخله وله باب يؤدى إلى شارع ابى الدرداء وكنت اعرف المنطقة المحيطة معرفة جيدة وقررت بانى إذا تمكنت من الوصول لهذا الباب وخرجت منه لن يتمكن احد من اللحاق بى وهيات نفسى لذلك وعندما اقتادونى بعد الجرى للمرة الثالثة إلى المكتب لإعادة استجوابى وبمجرد ان رفع المخبران أيديهم عنى وقبل أن ينطق ممدوح بكلمة واحدة كنت قد انطلقت كالسهم قافزا من نافذة المكتب ولم أسمع سوى كلمة (يا ولد) التى نطق بها ممدوح سالم بعد ان قفزت وكانت قفزتى كما يقفز السباحون للغوص وبمجرد ان قفزت فوجئت بأن تحت راسى ساترا من الطوب الذى كان يبنى أمام الأبواب للوقاية من الشظايا اثناء الحرب العالمية الثانية. ولم يكن ذلك فى الحسبان وبحركة لاشعورية قمت بعمل دورة فى الهواء لتفادى الاصطدام به وفى الدوره الثانية كنت على ارض الحوش وبحرص المصارع على الا تلمس اكتافه الأرض

انهيت القفزة بكوبرى فلم تلامس أكتافى وظهرى الأرض وخففت الدورة الثانية من شدة الصدمة، أصبت بكسر بالفك الذى انطبق على الأسنان بشدة وادى لتكسير أجزاء من جميع الضروس وبعض الأسنان وجرح أسفل الذقن مازال أثره باقيا إلى جانب كسر بالحوض والذراع الأيسر واشتباه ارتجاج بالمخ ولم تتاثر الراس بالصدمة أو العمود الفقرى ولم افقد الوعى لأن ذقنى تحمل شدة الصدمة وفقدت القدرة على المشى أو الحركة نتيجة لإصابة الحوض، وكنت أعى لكل ما يحدث حولى من حوار اتذكر منه بعض الجمل مثل (ما متش اطلب الإسعاف أحضر حذاءه وضعه فى قدميه) كنت أسمع ذلك وانا مغلق العينين حتى وصل رجال الإسعاف وحملونى على النقالة، بعد ذلك لم اشعر بشىء من شدة الألم والتعذيب الذى تعرضت له طوال اليوم، استيقظت فى صباح اليوم التالى، وتم نقلى لعمل اشعه واظهرت وجود كسر بالحوض وتم عمل شورت من الجبس ولم يتم اى علاج لكسر الفك والذراع.

حضر وكيل النيابة العسكرية وكان يدعى مصطفى سيم لأخذ اقوالى، وتعمدت إظهار عدم استطاعتى الأجابة وقرر الطبيب أن حالتى لاتسمح. وحضر فى اليوم التالى وبدا اسئلته وكانت تنصب فقط حول الحادث. وكان السؤال الأول لماذا قفزت من النافذة؟

لم اقفز من النافذة لقد تم تعذيبى من الحادية عشر صباحا حتى الرابعة مساء حتى فقدت وعى من شدة التعذيب ولم أشعر إلا وانا بالمستشفى لقد اعتقدوا أنى توفيت من شدة التعذيب فالقوا بى من النافذة مدعين انى قفزت منها.

وكان السؤال الثانى اين هى آثار التعذيب؟

فاشرت إلى اقدامى المتورمة والإصابات الموجودة فى جميع أجزاء جسمى فكان رده لا يوجد اى آثار لتعذيب؛ ورفض تسجيل إجاباتى وانهى المحضر وطلب منى التوقيع فرفضت.

تحدد استمرار الجبس لمدة ثلاثة أشهر، وخلال وجودى بالمستشفى لم أكن أستطيع فتح فمى لتناول اى طعام فكانت والدتى تحضر يوميا ومعها زجاجات من عصير القصب والبرتقال وتجلس بجوارى لمساعدتى على الشراب، واخبرتنى أن ممدوح سالم حضر إلى المنزل وفتش الشقة بعد القبض على مباشرة وانها قامت بالتخلص من

المطبوعات بعد ان اغلقت عليه باب الحجرة هو ومن معه وفصلت التيار الكهربائى من الخارج مما جعلهم يتخبطون فى الظلام وتقع يد ممدوح سالم داخل صينيه بها سمك كانت تعده للطهو فثار وطلب ان يغسل يديه وخرج من التفتيش صفر اليدين، يداه ملوثتان برائحة السمك.

وقد حدث فى الأسبوع الأول من وجودى بالمستشفى ان حضر عدد من طلبة الطب فى المستشفى لدراسة حالات بعض المرضى فى العنبر، واتوا إلى سريرى واقترب احدهم وهمس فى اذنى ان اذكر فى التحقيق انهم هم الذين القوا بى من النافذة فاخبرته ان ذلك هو الذى حدث بالفعل، وكان لهذه الهمسة تاثير كبير فى رفع معنوياتى، وشعرت بسعادة بالغه لشعورى بان التنظيم يقف إلى جانبى ويتابع ما يحدث لى.

بعد مرور أسبوعين بالمستشفى فوجئت بالحوار التالى أمام سريرى بين احد رجال البوليس السياسى ورجل يرتدي زى رجال الإسعاف. رجل البوليس يطلب منه إحضار النقالة لنقلى إلى السجن ورجل الإسعاف يرفض قائلا ان عمله هو إسعاف المرضى والمصابين ونقلهم إلى المستشفيات وليس نقلهم إلى السجن، ويرفض طلبه، ويتركه وينصرف كان الوقت حوالى العاشرة صباحا وحضرت والدتى وعندما أخبرتها انصرفت واحضرت ملابس وطعام حتى لا البس ملابس السجن والبستنى قفطان من التيل الأبيض كانت أعدته لذلك. وفى حوالى الثانية حضر اثنان من جنود بلوك الخفر ومعهم نقالة وضعونى فوقها وتذهب الممرضة وتحضر الطبيب ويطلب منها الكارتة التى يدون بها تطور حالة المريض وتعلق بالسرير وتبحث الممرضه ولم تجدها وتخبر الطبيب باختفائها فيعترض على نقلى وخروجى وله يعره أحد اى اهتمام وامر رجل البوليس السياسى الجنود بنقلى وحملونى إلى سيارة نقل تاتى بالطعام للجنود المكلفين بالحراسة داخل المستشفى ووضعونى بالنقالة على ارضية صندوق السيارة وانطلقت إلى سجن الحضرة، وما ان وضع الجنود النقالة امام بوابة السجن حتى وجدت والدتى ترتمى على وتحتضننى، وتخبرنى بانها قدمت طلبا لألبس وآكل ملكى، وانها ستحضر يوميا لإحضار الطعام، وفتحت بوابة السجن لأدخله محمولا على نقالة ووضعت منفردا بداخل زنزانه بعد فترة حضر طبيب السجن وعندما اخبرته بانى لا استطيع فتح فمى لتناول الطعام.

قرر صرف لبن ومرتبة من القش، واعتقدت ان الأمور تسير بشكل طيب، وتبخر هذا الإحساس قبل مرور اربع وعشرين ساعة. فقد احضروا المرتبة فى الحال مع جردل للماء وآخر للبول ومعهم رغيف من الخبز لأن صرف اللبن يبدأ من اليوم التالى واغلقت الزنزانة وتمر الليلة الأولى بدون طعام اوماء لأن جردل الماء وضع بعيداً عن متناول يدى، ولا استطيع الوصول إليه وفى صباح اليوم التالى اتونى بقراونة بها لبن واخرى بها ارز باللبن، وطلبت نقل جردل الماء وجردل البول قريبا من متناول يدى، وتناولت بعض الماء، وحاولت تناول بعض الأرز فلم أستطع، تناولت قروانة اللبن وشربتها عن آخرها. وبعد بضع ساعات شعرت بمغص وآلام شديدة بالمعدة وأصبت بحالة شديدة من الإسهال، وجذبت جردل البول، وحاولت وضع جسمى، فوقه فلم استطع لأنه مرتفع والجبس الملتف حول وسطى يعوقنى عن الانحناء او الارتفاع بمستوى الجردل، وكان يوجد معى منديل اخرجته بسرعة ووضعته تحت جسمى وبعد جهد تمكنت من رفع جسمى قليلا بالتحميل على ذراعى واقدامى، وتخلصت من جزء من الفضلات التى كانت تتصارع داخل معدتى، وجذبت المنديل بحرص ووضعته فى جردل البول، وكانت قطيعة بينى وبين الطعام بشكل عام، حتى الماء كنت اتناوله بحرص شديد حتى لا يسبب لى مشاكل مع جردل البول، ورغم الحرص الشديد فإن الأمر لم يسلم، فكنت عندما اضطر إلى ذلك أجذب الجردل قريبا منى واثنى اقدامى وادفع بالجردل تحتهما ثم ارفع جسمى من الخلف محملا على كيعانى حتى استقر فوق الجردل وكان جسمى يظل مفروداً ولا استطيع ثنى وسطى لأعلى، وعند ماحضر الطبيب طلبت نقلى إلى مستشفى السجن او تغيير جردل البول بوعاء مما يستخدمه المرضى ملازمى الفراش بالمستشفى فوعدنى عدة مرات ولم ينفذ، ويمر اسبوع لم اتناول خلاله سوى قليل من الماء، وكان كل صباح عند فتح باب الزنزانة يحضر احد المساجين لتنظيفها وتغيير جردل الماء والبول وكان المساجين يتسابقون للقيام بذلك للحصول على كمية اللبن الموجودة فقد كان يصرف لى لتران من اللبن يوميا، خلال هذا الأسبوع انتشرت الحشرات من المرتبة المحشوة بالقش وزحفت لتسكن داخل الجبس الذى كان يبدأ من الوسط فوق الحوض وينتهى فوق الركبتين ومبطنا بطبقة من القطن تفصل بين الجلد والجبس الذى يرتفع قليلا فوق المعدة مما سهل التسرب إلى داخله لجميع انواع الحشرات من بق وبراغيث وقمل

والإقامة بين القطن لتنهش فى جسدى وتمتص دمى، وحرمتنى من النوم لشدة الألم فكنت اتمنى أن تغمض عيناى ولو لفترة قصيرة حتى لا اشعر بهذه الآلام وهذا الجحيم الذى كنت اعيشه، لقد أنسانى هذا العذاب جميع مشاكلى الأخرى، وطغى على مشكلتى مع الطعام وجردل البول، وأصبحت معركتى الوحيدة تنصب فى القضاء على هذه الحشرات، فكنت ابدأ إغلاق باب الزنزانة فى جذب القطن من داخل الجبس لتخرج قطع القطن يغلب عليها اللون الأسود من كثرة الحشرات الساكنة بها واضعها فوق الجزء المغطى للمعدة من الجبس، واضغط على الحشرات باظافر اليدين محاولا القضاء عليها فانتصر على جزء ويتسرب الجزء الآخر داخل الجبس مرة اخرى، وواصلت هذه المعركة كلما واتتنى الفرصة، واستمريت فى دفع أصابعى حتى تصل إلى الأجزاء الضيقة والملتصقة بالجسم حتى امكن من الحصول على اى قطعة من القطن حتى تقيحت جميع اظافرى وتحول لون الجبس الأبيض إلى الأحمر من كثرة دماء الحشرات التى قتلتها فوقه، وفشلت جميع المحاولات التى بذلتها للقضاء على غزو الحشرات وازدادت المعاناة، وضعفت المقاومة بعد أن تورمت أصابعى فقررت التخلص من الجبس وليكن ما يكون.

وكان الجزء الخلفى من الجبس فوق المقعدة على شكل حزام يتصل بالجزء المغطى للبطن لضمان ثبات الشورت وعدم تحركه من مكانه وكان يوجد كوب من الصاج لشرب المياه وله يد. فاستخدمت اليد فى نشر الحزام وكنت اقوم بذلك ليلاً حتى تمكنت من كسر الحزام ودفعت بالجبس إلى خارج جسدى وكانه شورت عادى. وكانت سعادتى لاتوصف لنجاحى فى الخروج من الجبس وشعرت انى قد اطلق سراحى واستطيع تناول الطعام والتعامل مع جردل البول ومقاومة الحشرات والاستمتاع بالنوم الذى حرمت منه، تم ذلك بعد مرور عشرة ايام تقريبا ومرت بى كسنوات، وكنت البس الجبس فى الصباح قبل فتح السجن واخرج منه فى المساء بعد تمام السجن، واخذت اتدرب على المشى ليلاً داخل الزنزانة بامل التمكن من الهرب عند الخروج إلى المستشفى لنزع الجبس، وجاء الموعد ونقلت من الزنزانة إلى سيارة الإسعاف لنقلى للمستشفى، وعندما وضعت النقالة داخل السيارة وجدت والدتى بداخلها، ورافقتنى حتى المستشفى، وفى الطريق اخبرتها بانى كسرت الجبس واستطيع المشى وطلبت منها محاولة إقناع الطبيب بتاخير نزع

الجبس إلى صباح اليوم التالى حتى أتمكن من الهرب، وجاء الطبيب وطلب من الحرس المرافق الأوراق المدون بها تاريخ نزع الجبس، واتضح أن إدارة السجن أهملت ولم ترسلها، فطلب إحضارها والعودة فى اليوم التالى، وحاولت والدتى إقناعه بأن أبقى فى المستشفى لليوم التالى فرفض لأن ذلك ليس من سلطاته. وخرجت فى اليوم التالى وتم نزع الجبس، ولم يستغرق وجودى بالمستشفى أكثر من نصف ساعة وفشلت فكرة الهرب.

كانت المعاملة فى السجن فى غاية السوء فقد كان يطبق علينا الحبس الانفرادى، وتترك الزنزانة التى على اليمين خالية وكذلك التى على اليسار والتى فوقنا بالدور العلوى حتى يصبح كل فرد منا معزولا بشكل كامل عن الجميع، ونخرج للطابور فى الصباح فردا فردا بحراسة سجان خاص ولفترة قصيرة جدا وممنوع علينا الحديث مع السجان او اى شخص آخر ،وتتم معاقبة كل من يحاول الحديث معنا من المساجين أو السجانين، وكنا نعامل معاملة المحكوم عليهم بالإعدام.

ولم تتغير هذه المعاملة إلا بعد أن ازداد عددنا مما اضطر إدارة السجن إلى شغل الزنازين الخالية والسماح بالخروج للطابور ودورات المياه لأكثر من فرد فى وقت واحد. وكان للشكاوى المتكررة منا ومن الأهالى فى الخارج وبعد أن نظمنا إضرابا عن الطعام أثر كبير فى تحقيق بعض المكاسب فتم إلغاء الحبس الانفرادى وفتح الأبواب لفترات أطول، وتوزيع الطعام الملكى على الجميع، وتنظيم عملية التسكين بحيث يقيم أعضاء كل تنظيم بزنازين مستقلة، وتمكنا من عمل علاقات طيبة مع بعض المساجين وخاصة ممن كان يقبض عليهم فى الإضرابات التى كانت منتشرة فى هذه الفترة وتم تجنيد عدد منهم. ورفضنا تطبيق لائحة السجون الطبقية التى تفرق بيننا فى المعاملة بحيث يعامل المثقفون بحرف (أ) فتصرف لهم أسرة وغذاء أفضل ويعامل العمال بحرف (ب) فينامون على البرش ويصرف لهم غذاء السجن العادى مع أنهم يحاكمون فى قضية واحدة. وطالبنا بتحسين المعاملة للجميع، ونظمنا زيارات للزملاء الذين تقيم أسرهم خارج الإسكندرية ولايحضر لزيارتهم أحد. فكانت والدتى تقوم بعمل زيارات لهم وتحضر طعاما بأسمائهم وبكميات كبيرة حتى يتوفر لأكبر عدد. ونظمنا عملية الاتصال بالتنظيم فى الخارج وتولت والدتى مسئولية الاتصال التنظيمى فكانت جميع اتصالاتنا بالتنظيم تتم عن طريقها، وكانت تستخدم أساليب متعددة لمدنا برسائل التنظيم وتوصيل رسائلنا

إليه، ونظمنا ترديد نشيد التنظيم الذى الفه الزميل محمود المستكاوى بحيث نبدأ فى ترديده يوميا فور سماع الجرس الأول لفتح السجن كل صباح فى جميع الزنازين فى وقت واحد وبأعلى صوت، فكان صوتنا يدوى فى جميع أنحاء السجن والمنطقة المحيطة به وأصبح المساجين يرددون لحن النشيد، وحاولت الإدارة منعنا من إلقائه بالتهديد، ولم نتراجع، واذكر بعض ابيات من النشيد الذى كان يلهب حماس الجميع وتبدأ بكلمات .

رغم الإرهاب والكبت الزايد	رغم الخيانة والتخريب
والحكم العرفى وظلمه السايد	رغم المحاكم والتعذيب
م ش م قامت تنادى	هيا نحطم الاستغلال
فيا جياع ضموا الايادى	هيا لنهدم رأس المال
ف شبرا الخيمة وف المحلة	ف إسكندرية ف خط النار
تقف كتيبة الطبقة العاملة	عشان تقود جيش الثوار

وحاول الزملاء من حدتو إقناعنا بالعدول واعتبار موقفنا يستفز الإدارة، وقدم الإخوان المسلمون شكاوى لإدارة السجن ولم نتراجع كما جاء فى نهاية النشيد.

لا فيه تراجع ولا مذلة	ولا تهاون بل إصرار
تنظيم حديدى يقود الثورة	ويفنى حتما رأس المال

المقاطعة : كان قرار مقاطعة جميع التنظيمات نابع من أن هذه التنظيمات تسيطر عليها قيادات خائنة تعمل لتخريب مسيرة الطبقة العاملة لبناء حزبها الطبقى عن طريق الانقسامات والانحرافات السياسية وتبنيها لخط القوات الديمقراطية، وان ما تقوم به لا يقل خطورة عما تقوم به أجهزة الدولة، ويجب أن نكشفهم لقواعدهم بمناقشة جميع الأعضاء غير القادرين وضم من يقتنع بخطنا وموقفنا إلى صفوفنا، وقد نجحنا فى ذلك، فبعد مناقشات مع عدد من زملاء حدتو اقتنع الزميل سيد عطية وانضم إلينا . واذكر كذلك الشقيقين كليمان وجاك ليبوفيتش كانا عضوين بحدتو وكان كليمان الشقيق الأكبر فى مركز قيادى وجاك هو الأصغر واقتنع وانضم إلينا ونفذنا قرار المقاطعة فقاطع جاك اخاه وكانت أسرته تحضر لزيارتهم معا فطلب أن تكون زياراته منفصلة عن أخيه وان يكون له طعامه مستقلاً عن اخيه.

والى جانب مقاطعة كافة التنظيمات، كان قرار مقاطعة جميع إجراءات التحقيق

والمحاكمة التى تتم فى ظل الأحكام العرفية وبمعرفة النيابة العسكرية والمحكمة العسكرية التى تتم فى ظل الأحكام العرفية، والمطالبة بإلغائها وتحويلنا إلى النيابة والمحكمة المدنية.

وكان قد سبق لتحقيق معى أمام النيابة العسكرية قبل قرار المقاطعة، وتم استكتابى حول قطعة صغيرة من الورق يدون بها بعض الأسماء الحركية ونفيت صلتى بها، وجاء تقرير خبير الخطوط ليؤكد انى تعمدت تغيير خطى، وطلبتنى النيابة لأعادة استكتابى فرفضت وطالبت بتسجيل مقاطعتى لكافة الأجراءات التى تتم بمعرفة النيابة العسكرية وفى ظل الاحكام العرفية، وتحويلى للمحاكمة امام المحاكم المدنية، وقد استفز ذلك الموقف وكيل النيابة (وكان يدعى مصطفى سليم وقد اصبح بعد ذلك فى عهد الثورة محافظا لإحدى محافظات الوجه القبلى) واقسم بشرف امه ان يحاكمنى امام المحكمة العسكرية.. وقد بر بقسمه.

وتحددت جلسة المحاكمة، وكان الوفد قد تولى الحكم ومن المتوقع الغاء الأحكام العرفية ووعقدنا أجتماعا وناقشنا الموقف من المحاكمة ووتقرر ان أطلب من المحامى وكان موكلا ان يطلب التاجيل بهدف تاخير نظر القضية حتى تلغى الأحكام العرفية وفى حالة رفض طلبه لايتقدم للدفاع، ويترك الأمر لى. وفى نفس الوقت اعددنا الكلمة التى سوف القيها لمهاجمة الأحكام العرفية والمحكمة العسكرية.

وجاء يوم المحكمة كنت المتهم الأول والمتهم الثانى كان زميلاً من الغزل الأهلية، وقد اعترف فى التحقيق بانى جندته ومسئوله فى التنظيم، واعترف بكل ما عنده وفى السجن نقد موقفه، واعترف بخطئه وابدى استعداده لتنفيذ كل ما يطلب منه أمام المحكمة، كانت الجلسة سرية، لم يحضرها سوى المحامين والشهود وهم رجال البوليس السياسى البكباشى سمير درويش والصاغ ممدوح سالم.

وبمجرد دخولنا قاعة المحكمة تعرفت على المحامى وطلبت منه ان يطلب التاجيل فقط ودخلت هيئة المحكمة وعلى راسها الفريق حسين طنطاوى وكان هو المكلف بنظر جميع القضايا الشيوعية سواء كانت فى القاهرة أو الإسكندرية واعلن بدء المحكمة فقام المحامى واعلن انه موكل عنى وطلب التاجيل للاطلاع.

وكان رد رئيس المحكمة "تطلع على إيه يا أستاذ القضية مفيهاش حاجة تطلع عليها،

واحد مسكوه ماشى فى الشارع ومش معترف بأى حاجة ومش محتاجة تأجيل" ونادى باسمى وبمجرد وقوفى وبصوت قوى ألقيت الكلمة التى كنت قد حفظتها عن ظهر قلب للهجوم على الأحكام العرفية والمحكمة العسكرية قائلا : إن الأحكام العرفية تظام فاشى هتلرى وضع للإرهاب ففى هذا النظام الجائر تتكاتف هيئات البوليس السياسى والنيابة العسكرية والمحكمة العسكرية للقضاء على المتهمين الشيوعيين، ويقوم البوليس السياسى بالقبض عليهم وتعذيبهم فقد قاموا بتعذيبى ومحاولة قتلى بإلقائى من نافذة المحافظة، ثم تلفق النيابة العسكرية التهم ضدهم، ثم يقدمون إلى هذه المحكمة الفاشية الإرهابية لتوزع عليهم سنوات طوال من السجن والأشغال أو لتحكم عليهم بالإعدام كما حكمت على زميلنا الشهيد صلاح بشرى. إن هذه الهيئات جميعها تعمل فى ظل هذا النظام الجائر ولذلك فقد قاطعتها، واعلن مقاطعتى لها اليوم، واطلب محاكمتى أمام محكمة مدنية، وفى أثناء إلقائى هذه الكلمة التى فوجىء بها الجميع وعندما وصلت إلى الجملة التى اتهم فيها المحكمة بقتل صلاح بشرى، خرج حسين طنطاوى عن وقار، واخذ يسبنى باقذر الألفاظ مثل اخرس يا كلب يا ابن.. والفاظ بذيئة اخرى ويسرع ممدوح سالم مندفعا نحوى موجها لى السباب واللكمات ويضع يده فوق فمى لمنعى من مواصلة الكلام وبمجرد ان رفعها اكملت كلمتى.

بعد ذلك وقف المحامى للدفاع فاعترضته صائحا، إننى أستنكر هذا الدفاع وارفضه إنه حلقة من المسرحية التى تمثل فى ظل الاحكام العرفية وامام هذه المحكمة الفاشية الإرهابية وعندما نودى على المتهم الثانى اعلن انه متضامن معى فى موقفى ورفعت الجلسة وعقدت بعد فترة للنطق بالحكم، وبمجرد النطق بالحكم كان صوتنا يدوى بالقاعة :

"عاش كفاح الطبقة العاملة، تحيا المنظمة الشيوعية المصرية" وكانت محاكمتى هى أول محاكمة يطبق فيها قرار المقاطعة بالإسكندرية واعتقد انها كانت آخر قضية شيوعية تنظرها المحكمة العسكرية برئاسة الفريق حسين طنطاوى وفى ظل حكومة الوفد فعلى ما أذكر تم إلغاء الأحكام العرفية بعد ذلك بفترة وكان الحكم هو ثلاث سنوات لى وسنتان لزميلى وغرامة خمسون جنيها لكل منا.

وكما ذكرت خضنا العديد من الإضرابات وكان اكثر هذه الإضرابات إثارة هو

الإضراب الذى بدأناه فى يناير ١٩٥١ وكان حزب الوفد قد تولى الحكم، وكان مطلبنا الوحيد لإنهاء الإضراب هو الإفراج الفورى، وكنا قد بدأنا الإضراب عندما ألقى القبض على الزميل سعد الطويل وأحضروه إلى السجن وهو مضرب عن الطعام، وعزلته إدارة السجن بعنبر آخر بعيدا عنا وتكتمت أخباره حتى لانشاركه الإضراب، وعلمنا فى اليوم التالى لوصوله، وتمكنا من الاتصال به، وأخبرنا بأنه اتخذ قرارا بالقيام بإضراب فى جميع السجون الموجود بها زملاء من التنظيم فى وقت واحد. وكان يعلم بموعد بدء الإضراب قبل القبض عليه، وتصادف إلقاء القبض عليه فى نفس اليوم المحدد لبدء الإضراب فنفذ القرار قبل وصوله إلى السجن، وكان لهذا الالتزام بتنفيذ قرارات التنظيم تقدير وإعجاب من جميع الزملاء، ولم نكن نعلم بالقرار بسبب انقطاع الاتصال بنا ونفذنا الإضراب فورا، وكان الزميل سعد ومن معه من الزملاء قد سبقونا بيومين وقد حدد التنظيم موعد بدء الإضراب ولم يعلن عن موعد إنهائه حتى لا يتسرب للمسئولين وكانت المدة المحددة خمسة عشر يوما كما علمنا فيما بعد ولانقطاع الاتصال استمر إضرابنا ستة وعشرون يوما والزميل سعد ومن معه من الزملاء ثمانية وعشرون يوما، وتوالت زيارات النيابه لأقناعنا بالعدول عن مطلب الأفراج واستبداله باى مطالب اخرى يمكن تنفيذها، ورفضنا وكانت الجرائد اليومية توالى نشر أخبار الإضراب يوميا، ونشر اسماء المضربين وحالتهم الصحية وخاصة بعد انتهاء الاضراب فى السجون الأخرى بعد مرور خمسة عشر يوما، وحضر وكيل النيابه ومعه الجرائد التى نشرت خبر انتهاء الاضراب فى السجون الأخرى فابدينا عدم ثقتنا بما تنشره الجرائد، وكان الأهالى يتجمعون يوميا امام مقر النيابة التى كانت تصرح لهم بزيارتنا لاقناعنا بإنهاء الإضراب، وتعددت زيارات والدتى التى كانت فى شدة القلق لإنقطاع الاتصال بها رغم التزامها بالحضور المستمر فى الأماكن والمواعيد المحددة فقد كانت هى الوحيدة المسئولة عن الاتصال بيننا وبين التنظيم.

وقد بعثت النيابة برقيات إلى جميع اسر المضربين وطلبت منهم الحضور بمقر النيابة فى الثامنة وطلبت منهم إقناعنا بإنهاء الإضراب لأن حالتنا الصحية ساءت جدا ووصلت لمرحلة خطيرة، وطلبت من كل أسرة اخذ بعض العصائر والضغط علينا بكل الوسائل لتناولها.

وتصادف فى نفس اليوم ان حضر احد الزملاء واعتقد انه كان محاميا ومعه طلب لزيارة الزميل سعد، وابلغه بقرار إنهاء الإضراب، وانهى الزميل سعد الزيارة وابلغنا بالقرار، وقررنا تقديم بعض المطالب لتحسين اوضاعنا لننهى بها الإضراب واعتقد ان الزميل سعد هو الذى ابلغ وكيل النيابة بإنهاء الإضراب وفى نفس الوقت حضر والدى ووالدتى ومعهم عصير قصب حضرت بعض الأسر وكان من بينها اسرة زميلة اجنبية وكانت مضربة عن الطعام قبل وصولها إلى السجن مثل الزميل سعد، وكانت هى الزميلة الوحيدة فى السجن، حضر والدها واحضر معه الأستاذ المحامى زهير جرانة، وحاول إقناعها وهو يبكى بإنهاء الإضراب ويحذرها بأنها مصابة بمرض صدرى خطير قد يقضى عليها، ورغم الدموع المنهمرة على وجه والدها وا لمحاولات المستميته من الاستاذ زهير جرانة أصرت على الرفض.

شاهدت ذلك وانا أجلس مع والدى ووالدتى بمكتب المامور، وكانوا يجلسون بجوارنا فى نفس الحجرة وموجود معنا وكيل النيابة الذى حاول إقناعها بان جميع زملائها قد انهوا الإضراب، واصرت على الرفض، وطلب وكيل النيابة منى تناول بعض السوائل امامه لإثبات ذلك بالمحضر وحتى ترانى وتقتنع بصدق ما يقول، ولم تغير من موقفها لعدم معرفتها بقرار إنهاء الإضراب، فوجهت إليها الحديث قائلا لقد تقرر إنهاء الإضراب، ولم أستطع مواصلة الحديث بعد أن وجهت لى نظرة إستنكار واحتقار لاعتقادها بأنى مدسوس من الإدارة لاستدراجها لإنهاء الاضراب، فلزمت الصمت وطلبت من وكيل النيابة ان يطلب الزميل سعد لأنه الوحيد الذى تثق به. وفعلا لم تنه إضرابها إلا بعد مقابلة الزميل سعد، واذكر هذه الواقعة لأثبات ان الزميلات مصريات وأجنبيات قد قدموا من التضحيات مالا يقل باى شكل عما قدمه الزملاء من الرجال وقد يتفوقون عليهم فى بعض الحالات، ويؤكد ذلك ما حدث فى نفس الإضراب.

فقد تاثر أحد الزملاء المخلصين والذى اكن له كل حب وتقدير عندما زارته والدته عدة مرات لأقناعه بالعدول عن الإضراب، وكانت تحضر من القاهرة ولم تثمر محاولاتها وعندما زارته بعد مرور عشرين يوما من الإضراب وكانت سيدة كبيرة فى السن، وكانت صحتها قد ساءت وبكت وتوسلت إليه ان ينهى إضرابه فلم يتحمل توسلاتها ودموعها ولخوفه الشديد على حياتها انهى إضرابه امامها، وخرج من الزيارة

حزينا ودموعه تسبق خطواته، ولم يستطع العودة إلى صفوفنا وترك زنزانته وتوجه للاقامة مع زملاء حدتو لشعوره بأن مكانه أصبح خارج صفوفنا، هذا هو موقف زميل مكافح تغلبت عليه العوامل العاطفية والإنسانية وضعف.

وهذا هو موقف الزميله الأجنبية التى تعانى من مرض صدرى خطير وقاومت ولم تضعف والتى لم أتشرف بمعرفتها فى يوم من الأيام وعلى ما أذكر -وقد أكون مخطئا ان اسمها ميمى سلفيرا.

ويبقى أن أذكر أن والدى لم يفارقه ما شاهده من موقف الزميلة ورفضها لتوسلات والدها رغم دموعه، وقارن بين موقفها وموقفى عندما أنهيت الإضراب بمجرد لقائى به وبوالدتى فى الزيارة وبدون أى توسلات، وقد ذكرنى بذلك فى أول لقاء بعد الإفراج عنى، قائلا لقد كانت البنت أرجل منك وأصرت على موقفها وتراجعت أنت عن الإضراب بمجرد حضورنا.

إننى أذكر هذه الواقعة لأبراز ولو جزء بسيط من المواقف البطولية والمشرفة التى قدمتها المرأة المصرية والأجنبية على حد سواء وما تحملته من صعاب، وما قدمته من تضحيات فى سبيل المبادىء التى تؤمن بها. لأضعها أمام أعين من يحاول عدم إعطائها ما تستحقه من تقدير واحترام.

وفى أواخر عام ١٩٥١ اشتدت المقاومة الشعبية لقوات الاحتلال البريطانى فى مدن القناة، وخاض رجال الشرطة معركة غير متكافئة مع قوات الاحتلال التى استخدمت أسلحتها الحديثة ضد رجال الشرطة العزل الا من بعض البنادق المتخلفه التى لا تصلح حتى لصيد الطيور فى حين وقفت حكومة الوفد موقفا متخاذلاً فلم تحرك جنديا واحدا من قوات الجيش للوقوف إلى جانب رجال البوليس الذين صمدوا وقاوموا بشجاعة وسقط الكثير منهم شهداء فى المعركة، وكتبنا من داخل السجن احتجاجا نطالب فيه بمشاركة قوات الجيش ووقوفها لمساندة رجال البوليس، وبعثنا به للمسئولين عن طريق إدارة السجن.

الإفراج ، أفرج عنى فى أواخر ديسمبر ١٩٥١ وكانت مفاجأة لى عندما طلبنى ضابط العنبر وأخبرنى بصدور قرار بالإفراج عنى بثلاثة أرباع المدة والاستعداد فورا لذلك. حيث أن الحرس المكلف باستلامى قد حضر، وفى خلال نصف ساعة كنت خارج

السجن بحراسة مشددة مكونه من صاغ واثنين من الجنود متجهين إلى مديرية الأمن حيث يوجد مكتب البوليس السياسى، واستفسرت من الصاغ الذى أخبرنى انه مكلف باستلامى للإفراج عنى وانه ليس من البوليس السياسى وأنه مدرب الموسيقى ببولك الخفر واستعانوا به نظراً لحالة الطوارئ وعدم وجود ضابط، وأبديت عدم ارتياحى لتسليمى للبوليس السياسى فاخبرنى انه لن يتركنى إلا فى القسم التابع له سكنى واننى مسئول منه، وكانت طريقة الإفراج المفاجىء تشغل تفكيرى طوال الطريق فلم يسبق ان افرج عن احد من الشيوعيين بثلاثة أرباع المدة، ولايتم ذلك إلا فى المناسبات حيث يتم الإفراج عن عدد كبير من المسجونين، ولا توجد اى مناسبات، ولا يوجد اى فرد آخر مفرج عنه غيرى، ولم يخرجنى من هذه التساؤلات سوى وصولنا إلى مكتب البوليس السياسى وكانت الساعة قد جاوزت الثانية ظهراً، ووجدت سمير درويش وممدوح سالم فى الانتظار وبمجرد دخولى المكتب تم الحوار الآتى مع ممدوح سالم.

إنت ياه اللى بتنط من الشبابيك. وكان ردى، بيقولوا كده. وكرر ردى وهو يهز رأسه، بيقولوا كده، وواصل حديثه قائلا، مولانا الملك أمر بالإفراج عنك بمناسبة عيد ميلاد الملكة ناريمان إياك ياه تقدر. وكان ردى إحنا بنقدر كل حاجة، وهنا تدخل الصاغ الذى حضر معى وطلب إن ينهى مهمته حتى يذهب لعمله فسمح له سمير درويش باخذى والانصراف، وأوصلنى الصاغ إلى قسم كرموز، وطلب من الضابط الموجود إرسال من يخبر أسرتى وتسهيل إجراءات الأفراج.

رفضت سداد الغرامة المحكوم بها وهى خمسون جنيها لقرار مقاطعة المحاكمة وكل ما يترتب عليها، وعملت مصاريف بالقسم من صباح اليوم التالى للإفراج من السابعة حتى الثانية ظهراً والخضوع للمراقبة من غروب الشمس حتى الصباح ورغم هذه القيود شعرت بحرية الحركة التى حرمت منها طوال فترة السجن فانطلقت بحماس أعيد اتصالاتى مع زملائى من العمال فى الغزل الأهلية فكنت انظم معهم اجتماعات بعد انصرافى من القسم، واستفيد من الوقت حتى غروب الشمس موعد المراقبة، وفى المساء انظم الاجتماعات، بالمنزل وتمكنت فى فترة قصيرة من اعادة العلاقات مع

العديد من الزملاء وتجنيد بعض الزملاء الجدد ممن لهم نشاط بارز فى نقابة الغزل الأهلية. وكان نشاطى فى هذه الفترة يختلف تماما عنه قبل فترة السجن فقد عرف الجميع انى شيوعى، فكنت فى جميع مناقشاتى ادعو للشيوعية وادافع عنها، ففى القسم كان الجنود والموظفين والضباط يعلمون انى شيوعى وكان بعضهم يطرح الأسئلة حبا فى الاستطلاع والمعرفة والبعض يناقش من وجهة نظر معادية. وابدى الجميع تعجبهم لإصرارى فى الاقتناع والدفاع عن الشيوعية رغم دخولى السجن والعمل مصاريف بالقسم والمراقبة المفروضة علىَ، وكان العديد من أفراد الأسرة والجيران يحضرون لمناقشتى واخذ رأيى فى الأحداث السياسية التى تمر بها البلاد فى هذه الفترة، وكانت جميع تحركاتى ونشاطى تتم بشكل فردى فلم يكن قد تم اتصالى بالتنظيم، بعد فترة وصلتنى رسالة من التنظيم تطلب منى الهروب من المصاريف والمراقبة والسفر للقاهرة فى اقرب وقت، وقمت بالتمهيد لذلك بالترابيط بين الزملاء قبل السفر، وقبل الوقت الذى حددته للسفر بثلاثة أيام حضر ضابط من القسم ليلاً وطلب منى النزول إليه وكان ذلك امرا عاديا بخصوص المراقبة، وعندما نزلت طلب منى الذهاب معه إلى القسم حيث وجدت فى انتظارى أحد ضباط البوليس السياسى الذى اخذنى إلى مديرية الأمن وتم اعتقالى مساء ٢٦ يناير ١٩٥٢ يوم حريق القاهرة.

بعد ذلك رحلت إلى معتقل النزهة البحرى، كان المعتقل يضم حوالى ثلاثمائة زميل من العديد من التنظيمات، وكنت الوحيد من م ش م ويجب ان التزم بتنفيذ قرار المقاطعة وعدم التعامل باى شكل من الأشكال مع الجميع، وفى نفس الوقت مقاطعة كافة الإجراءات التى تنفذها السلطة وإدارة المعتقل معتمدة على الاحكام العرفية، وعندما حاول بعض الزملاء التعامل معى ومحادثتى اخبرتهم برأيى ورأى م ش م فى تنظيماتهم، وانها تقوم بعمل تخريبى يضر بمصالح الطبقة العاملة ويخدم البوليس ومقاطعتى لهم جميعا لعدم انتمائهم إلى التنظيم الذى أنتمى إليه. وفى اليوم التالى طلبت مقابلة الضابط المسئول فى المعتقل وطلبت ورقة وقلم وسجلت احتجاجى على اعتقالى ومقاطعتى لكافة الإجراءات التى تستمد شرعيتها من وجود الأحكام العرفية، وطالبت بالإفراج.

كانت الحياة فى المعتقل افضل من الحياة داخل السجن فالنوم على أسرة بفرش نظيف، والطعام جيد، والزيارات افضل إلا ان ما عانيته من متاعب رغم قصر فترة الاعتقال يفوق كل ما عانيت طوال فترة السجن فقد واجهت حملة منظمه من الاستفزاز من اغلب الزملاء لإجبارى على التعامل معهم والتخلى عن موقفى، وكان لذلك تاثير سىء على اعصابى عانيت منه طوال فترة الاعتقال، وكانت القراءة هى الشىء الوحيد الذى أستعين به لتخفيف وطأة هذه المواقف على اعصابى فكانت والدتى تحضر معها فى كل زيارة شنطة من القماش مليئة بمجموعة كبيرة من الكتب والمجلات والروايات وتستبدلها باخرى فى الزيارة التالية، وكتبت العديدمن الشكاوى اطالب بالغاء الأحكام العرفية والأفراج عن جميع المعتقلين، واكرر ذلك كلما جدت احداث مثل تغير الوزارات الذى كان يتم على فترات متقاربة جدا لعدم الاستقرار. وقد حدثت بعض المواقف الطريفة، اذكر منها، كان يوجد شخص معروف بعلاقته بالبوليس وكان معزولا ومقاطعا من الجميع وعندما وجدنى اقاطع الجميع حاول التحدث معى والتقرب منى فطردته فكان هو الوحيد المقاطع من الجميع وانا الوحيد المقاطع للجميع وكان الشاويش المكلف بحراسة العنبر يقيم بجوار منزلنا واسرته على صلة بوالدتى وراى والدتى، تحضر لزيارتى وعرف صلتها بى. وعندما لاحظ عدم تعاملى مع الزملاء اعتقد ان موقفى لايختلف عن موقف الشخص الاخر وانى ايضا مقاطع لعلاقتى بالبوليس، واخبر اسرته، واسرته اخبرت والدتى فحضرت لزيارتى وكان أول مانطقت به ما هى علاقتك بالبوليس؟ تعجبت لسؤالها فاخبرتنى بما حدث وعن السبب فى مقاطعة الجميع لى فشرحت لها الموقف.

وموقف آخر عندما ارسل البوليس السياسى مصورا لالتقاط صور للمعتقلين، وسارع العديد لحلاقة ذقونهم وتغيير ملابسهم استعدادا لذلك، وتم اخذ صور للجميع ولم اتحرك من مكانى: وحضر المصور ليصورنى فرفضت وحاول البعض إقناعى وطبعا لم يجدوا اى اجابة، بعد ذلك حضر شاويش وسأل عن سبب رفضى فاوضحت له رفضى لأى إجرءات تتم فى ظل الأحكام العرفية فخرج وعاد ليخبرنى أن ضابط العنبر يطلبنى فتوجهت إلى مكتب الضابط وعندما خرجت من باب العنبر فوجئت بمن ينادى يازميل

يوسف والتقت خلفى بحركة لاشعورية وكان المصور يقف مستعدا والتقط الصورة المطلوبة، وتعالت ضحكات الجميع ابتهاجا بنجاح تدبيرهم وطبعا لم اذهب إلى مكتب الضابط. وكان الزميل حمدى مرسى هو الذى ردد اسمى، واطلق سراحى قبل مرور ستة اشهر ضمن الدفعة الثالثة من المفرج عنهم. ولم يمر أسبوع من خروجى حتى وقعت احداث ٢٣ يوليو١٩٥٢.

اعدت اتصالى بعدد من زملائى العمال بالغزل الأهلية وتمكنت بعد فترة من العمل بشركة كوتاريللى موزعا لمنتجاتها، وقد استفدت كثيرا من ذلك لتمكنى من الحركة السريعة على الدراجة والوجود فى اى وقت ومكان لعدم الالتزام بمواعيد عمل تقيد حركتى، فكنت اذهب لفرع الشركة يوميا فى الثامنة صباحا واغادره بعد ساعة محملا بمنتجات الشركة، وأعود فى الخامسة مساء، وقد أتاح لى ذلك الالتقاء بالزملاء وفى المواعيد التى تناسب ظروف عملهم وإخفاء المطبوعات مع منتجات الشركه، بعد فترة قطع الاتصال بالتنظيم، وانعكس ذلك بلقائى مع العمال فكان لقائى بهم يتم بشكل فردى فى إطار الصداقة العادية وبعدد محدود منهم، ولم يكن له اى شكل تنظيمى استمر ذلك فترة طويلة، بعد ذلك اتصل بى الزميل سعد الطويل واخبرنى أن التنظيم تفكك وأن أعضاءه انضموا إلى تنظيم الراية، ولم اكن اثق فى اى تنظيم آخر، وبالمناقشة اقنعنى بأنه يجب علينا الارتباط بتنظيم لمواصله الكفاح وانضمامنا لتنظيم الراية الهدف منه المساهمة فى الإسراع بتحقيق الوحدة لتكوين الحزب، وتمت الوحدة وأعلن تأسيس الحزب الشيوعى المصرى فى ٨ يناير ١٩٥٨.

وللأسف لم تتم الوحدة على أسس مبدئية وشابها العديد من السلبيات والأخطاء الخطيرة التى عجلت بنهاية الحزب وقضت عليه.

وكنت احد ضحايا هذه الأخطاء التى ارتكبت فى تحقيق الوحدة فقد دفع كل تنظيم بعناصر ليس لها علاقه بالماركسية ليثبت ان لديه من الأعضاء ما يفوق غيره بهدف الحصول على اكبر نسبة من المراكز القيادية والسيطرة على قيادة الحزب، وكان العديد من هذه العناصر قد دفع بهم البوليس ويعملون لحسابه، فقد قبض على فى كمين اعده احد هذه العناصر، فرغم حرصى الشديد خاصة بعد احتفالات يناير ١٩٥٩ وكنت لا

التقى بأكثر من واحد وفى الطريق والجلوس فى أماكن مكشوفة على الكورنيش، وعدم حمل اى مطبوعات أو تدوين اى آراء او ملاحظات، والاكتفاء بالمناقشات الشفوية وعندما توجد مطبوعات أضعها فى صندوق الدراجة ويتم توزيعها على الزملاء فى الطريق وانطلق فور تسليمها دون توقف ولا اشارك او اقوم باى عمل قبل التخلص تماما من جميع المطبوعات، وكنت على موعد مع احد الأشخاص لتسليمه بعض المطبوعات التقيت به بشارع كرموز وهو قريب من منزلى وسلمته مجموعة من المطبوعات التى كانت معى فطلب الاستفسار عن بعض الأمور ، وتوقفت للإجابة عليه وركبت الدراجة، ولم أسر لأكثر من ثلاثة امتار حتى شعرت ان العجلة الخلفية خالية من الهواء توقفت لأراها، وفورا شعرت بيد تجذبنى، والتفت لأجد مخبرا من المباحث العامه يدعى عبدالجواد ونظرت لأجد الشخص الذى سلمته المطبوعات يقف مكانه وبجانبه صبى صغير ينظران ليشاهدا ما يتم وتأكدت فى الحال أنه مدبر الكمين وان الصبى الموجود معه هو الذى افرغ الهواء من العجلة أثناء توقفى للحديث معه، وأثناء اقتيادى إلى قسم كرموز حاولت التخلص من ورقه صغيرة دونت بها بعض المعلومات عن مشاكل العمال، اخرجتها من جيبى وكورتها بين أصابعى وأسقطها فى الطريق ولم يشعر المخبر بذلك، وعندما وصلنا إلى القسم استولوا على الدراجة التى يوجد بصندوقها باقى المطبوعات إلى جانب منتجات الشركة واحتجزت بمكتب ضابط المباحث بعد أن اتصل المخبر عبدالجواد برؤسائه واخبرهم بالقبض على، ووجدت ضابط المباحث يعرض على الورقة التى تخلصت منها وأخبرنى ان صبيا صغيرا احضرها له بعد أن ألقيتها فى الطريق، وسألنى بعد ان قرأها إن كنت أعمل صحفيا ثم مزقها وتخلص منها. وكانت احداث القضية الأولى لها تأثير كبير على تصرفات المباحث العامة فلم يمر اكثر من نصف ساعة حتى حضر سيد فهمى وسعد عقل، واخذونى فى سيارتهم واجلسونى بينهم احدهم على يمينى والآخر على يسارى حتى لا أحاول الهرب وتحدث سعد عقل قائلا إحنا قلنا إنك عقلت بعد ان تزوجت وعملت فرح كويس، ومنتظم فى عملك، ولم اعقب على كلامه، وكانت هذه هى الجملة الوحيدة التى وجهت لى، وتأكدت ان مراقبتهم لى لم تتوقف وكنت قد تزوجت آخر اكتوبر ١٩٥٨ وقبض على ٤ مارس ١٩٥٩

ولم يكن مر خمسة أشهر على الزواج، لم يتم استجوابى من المباحث، واتجهوا بى إلى نقطة شريف ووضعت فى حجرة بمفردى وعرضت على النيابة صباح اليوم. وحولت إلى السجن فى نفس اليوم بعد التحقيق معى واعترافى بالمطبوعات التى كانت بصندوق الدراجة وبعضويتى فى الحزب، ولم يقبض على أى زميل ممن كنت التقى بهم.

التقيت بالسجن بالزملاء محمد عويضة وكمال عبدالعاطى وإبراهيم سلام ومصطفى شعراوى، وكنا معزولين تماما ولا يوجد أى اتصال تنظيمى بنا كما كانت إدارة السجن تطبق علينا الحبس الانفرادى، وطالبنا بإلغائه، ورفض مطلبنا واقترح محمد عويضة أن نضرب عن الطعام، وبدأنا إضرابا استمر عشرة أيام، وكان مأمور السجن معاديا أذكر أن اسمه الحلوانى، طلبت مقابلته وأبلغته بإضرابنا حتى يتم إلغاء الحبس الانفرادى، وفى المناقشة أكد لى أن لديهم الصلاحيات التى تعطيهم حرية التعامل معنا وقتلنا والتخلص منا إذا لزم الأمر ولن يسألوا عن ذلك ولن يعرف أحد طريقنا ولازم تعرفوا أن الظروف تغيرت وواصلنا الإضراب، وفى اليوم الثامن طلبتنى النيابه لاستكمال التحقيق فأبلغت وكيل النيابة بمطلبنا وإضرابنا عن الطعام فكان رده أن إدارة السجن لم تخطرنا بشىء، وطلب إنهاء الإضراب على أن يبحث الأمر فيما بعد مع إدارة السجن، ورفضت إنهاء الإضراب ومرت عدة أيام، ولم ينفذ المأمور ماوعد وطلبت مقابلة نائبه، وفى اليوم العاشر طلبنى نائب المأمور وأبلغنى أن المأمور يطلب انهاء الاضراب وسوف ينفذ مطالبكم، بعد ذلك عرضت الأمر على الزملاء. ووافقنا وأنهينا الاضراب منه أن المأمور مصر على الرفض وانه كان يتحايل لتنهوا إضرابكم لأنه اخطأ بعدم إبلاغه النيابة بعد مرور ثلاثة أيام من الإضراب وعندما استفسرت النيابة بعد ان اخبرتها بالاضراب اضطر لذلك حتى لاتقع عليه المسئولية، انتظرنا حوالى الإسبوعين وبدأنا إضرابا آخر لم نشرك فيه مصطفى شعراوى لظروف وفاة والده، وقد علمنا بذلك من الزيارة، ورأينا عدم إبلاغه أو إشراكه مراعاة لمشاعره وحالته النفسية.

واستمر إضرابنا سبعة عشر يوماً، وفى مقابلة مع نائب المأمور علمت منه أن المأمور يرفض أى مناقشة خاصة بالإضراب وانه اخطر النيابة فى الموعد القانونى وأخلى مسئوليته، وكان نائب المأمور يبدى استياءه وعدم موافقته على تصرف المأمور ورغم

مرور سبعة عشر يوما على الإضراب لم تحرك النيابة ساكنا واتخذت موقفا سلبيا من الشكاوى التى قدمت من أسرنا.

بعد عدة أيام من الإضراب خرج إبراهيم سلام، وبعد مرور عشرة أيام أمر المأمور بنقلنا إلى الزنازين المخصصة للمحكوم عليهم بالإعدام، وتشديد الحراسه علينا حتى لايتسرب إلينا أى طعام، وبعد يومين من نقلنا أبلغنا كمال عبدالعاطى انه لايستطيع مواصلة الإضراب وكانت إحدى عينيه مريضه ولا يرى بها وشعر بزغللة فى عينه السليمة وأصبح لا يرى بوضوح ووافقنا على خروجه، واستمريت أنا ومحمد عويضة، وفى اليوم السابع عشر للإضراب جاءت أسرة مصطفى شعراوى لزيارته، وبعد انتهاء الزيارة طلب مقابلتى وأخبرنى أن والدته أخبرته بأن هناك تعليمات من الحزب بانهاء الإضراب، بعد المقابلة طلبت من الضابط لقاء محمد عويضه لمناقشته وذهبت إليه وقد صدمت عندما رأيته يبدو كهيكل عظمى ووجهه أصفر وشكله يوحى بأنه سيفارق الحياة، لم أناقشه وأبلغت الضبط فورا بالموافقة على إنهاء الإضراب.

أعتقد أن الاضراب فى تلك الظروف التى كنا نمر بها كان خطأ من أساسه فقد كانت الحملة الشرسه ضدنا مشتعلة والاتهام بالعمالة للاتحاد السوفيتى وصل إلى ذروته فى جميع أجهزة الإعلام، والمسئولين وعلى رأسهم جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر، وتنشر الجرائد اليوميه على صفحاتها الأولى بالبنط العريض والحبر الأحمر اتهاماتهم لنا بالخيانة والعمالة مستخدمين أقذر الألفاظ والأساليب وتركيز الهجوم على الاتحاد السوفيتى فى نفس الوقت الذى كان يقدم فيه كافة المساعدات لبناء السد العالى وتصنيع البلاد.

ورغم مرور سبعة عشر يوما على الإضراب لم تتحرك النيابة لبحث الأمر، وكانت أسرنا من وسط عمالى شعبى لا تملك من الخبرة والاتصالات ما يفرض على المسئولين التحرك والاهتمام، فرغم الشكاوى المتعددة والحضور المستمر بمبنى النيابه لم تثمر جهودهم.. كما أننا لم نقم بدراسة سليمة قبل البدء بالأضراب لظروف كل فرد منا لحالته الصحية ومدى تحمله، ولم ندرس الفترة التى يجب تحديدها لأنهاء الإضراب، كما أن عددنا البسيط الذى لم يتخط أربعة أفراد كان له بعض التأثير، ولم تتغير المعامله بعد إنهاء الإضراب سوى فتح الابواب علينا لفترة أطول، وكان مصرح لنا

باستلام الطعام من أسرنا أثناء الزيارة التى كانت تتم أسبوعيا فنظمنا أن تتم الزيارة لكل منا فى يوم مختلف بحيث نحصل على الطعام خمسة أيام فى الأسبوع، وكانت ظروف اسر بعض الزملاء لاتسمح بذلك فتكفلت والدتى بإحضاره على أن يقدم بمعرفة الأسرة التى تقوم بالزيارة وبكمية كبيرة حتى يمكن توفيره للجميع، وكانت تحضر يوميا ومعها بعض الطعام لتضيفه إلى طعام الأسرة التى تقوم بالزيارة وتعرفت على اسر جميع الزملاء، أستمر هذا الوضع لفترة حتى حضر الزملاء فى قضية الحزب الكبرى وكان عددهم أربعة ستين ولايمكن تسكينهم انفرادى لتفادى أزمة السكن واجبر ذلك المامور على إلغاء الحبس الانفرادى بالنسبة لنا. وحدث فى إحدى الزيارات أن أخبرتنى والدتى بوجود رسالة وضعتها فى الطعام، لتسليمها للزميل فؤاد مرسى، دهشت ولم اسألها، وتحفظت على الطعام، وعزلت الجزء الذى به الرسالة على أنه يخص الزميل فؤاد مرسى، وتكررت الرسائل عدة مرات، وفى إحدى المرات طلب منها توصيل رسالة عاجلة وكانت زيارتى تمت فى اليوم السابق. فسلمت الطعام الموجود به الرسالة لأسرة الزميل الذى سيزار فى نفس اليوم، واعتقد ان اسرة الزميل رات ان كمية الطعام اكثر من اللازم فاحتفظت بجزء منه وتصادف وجود الرسالة فى هذا الجزء وعلم به بعض الأسر فالتقوا بوالدتى ولاموها على هذا التصرف وأخبرتنى بما حدث.

انتهت محاكمة القضية الكبرى ورحل الزملاء، وتمت محاكمة محمدعويضة، ورحل أيضا، وتم ترحيل باقى الزملاء إلى الواحات وبقيت بمفردى انتظر المحاكمة، بعدفترة احضر احد الأشخاص ووضع بالزنزانة بجوارى وعلمت انه شيوعى من ليبيا وعلمت منه إنه يدرس بالمعهد الدينى مع زميل آخر قبض عليه قبله، وانه أعترف وكان السبب فى القبض عليه، وقد تم عزله حتى لا يلتقى به ولا يعرف مكانه وكان شابا متفتحا على درجة عاليه من الوعى، كان يجلس معى فترات طويلة اثناء فتح الابواب، وتناقشنا فى امور كثيرة، وعلمت منه انه ليس له علاقة باى تنظيم داخل مصر وان التنظيم المرتبط به موجود بليبيا وكان اسمه يوسف عبدالله مشعيت من مصراته، فى تلك الفترة حضر الزملاء فى قضية حدتو، وبدات محاكمتهم، وعلمت من مناقشاتهم بعد عودتهم من أحدى الجلسات ان احد زملائهم قد اعترف عليهم ولم يعد معهم وتم نقله إلى سجن الإجانب تمهيدا للإفراج عنه واتذكر ان اسمه خليل الشاودى وله اخ فى نفس

القضية هو كمال الشلودى، وهو من قيادة التنظيم فى حدتو واذكر انى صافحت الزميل شهدى عطيه قبل سفره قائلا "شد حيلك"، وكان رده "شدوا حيلكم انتوا الشباب الذى نعتمد عليه".

تمت محاكمتى بعد ذلك بفتره قصيرة، وكان قد تم ترحيل الزمين الليبى. وفى المحاكمة لم انف الاتهام واعترفت بالمطبوعات التى ضبطت معى وانتمائى إلى الحزب، ولم اقدم اى دفاع سياسى، وكنت اشعر بالعزلة لعدم وجود اتصال بينى وبين الحزب، وصدر الحكم بالسجن خمس سنوات، ورحلت إلى الواحات كنت بمفردى بالسجن، وفى طريقى لنواحات قضيت يومين بسجن مصر والتقيت بزميل يدعى سيد ترك وكان فى طريقه للافراج بعد قضاء مدة السجن فى الواحات، وكنت سمعت باسمه من قبل كزعيم نقابى، تناقشت معه فى الأحداث السياسية وحملة الاعتقالات والهجوم الشرس الذى تشنه علينا أجهزة الإعلام واتهامات جمال عبدالناصر لنا بالعمالة للاتحاد السوفيتى، وفوجئت به يدافع ويؤيد كل ما يقوم به عبدالناصر حتى لو اعاد اعتقاله، تعجبت من هذا الإخلاص الشديد للحكم الديكتاتورى، وعللت ذلك بأنه قضى عدة سنوات معزولاً فى الواحات ولم يمش الأحداث الجارية، وتم ترحيله فى اليوم التالى واختفى واختفت اخباره ولم اسمع عنه او اراه مرة اخرى.

وفى اليوم التالى رحلت إلى الواحات، وعندما وصلت وشاهدت هذا العدد الضخم من الزملاء من كافة التنظيمات والمستويات وايقنت ان السلطة الحكمة قد اخترقت بأجهزتها جميع التنظيمات وقضت عليها لانعدام السرية التى يتحتم وجودها لبناء الحزب.

الحياه فى سجن الواحات، رغم وجود هذا التجمع الضخم الذى ضم قادة التنظيمات الشيوعية ورغم حملة التصفية الجسدية، وإهدار آدمية لجميع وإجبارهم على تحمل أبشع انواع التعذيب وتناول اسوا الأطعمة وإصابة عدد كبير من الزملاء بأمراض متعدده ولسوء التغذية مثل الأنيمياء والدستاريا، فإن ما كان يطبق فى سجن الواحات من تفرقة فى الحياة العامة اكد بما لا يدعو للشك ان اغلب القيادات ليس لها علاقة بالماركسية بوصفها نظام يسمح لكل من ينتسب إلى اسرة لديها الإمكانيات المادية لإرسال طرود الأغذية او إحضارها أثناء الزيارات بحق الاحتفاظ بنسبة منها

لتصرفه الشخصى وهدمت بذلك ابسط المبادئ الماركسية، لقد تساوى الجميع فى تحمل ابشع انواع التعذيب وتناول اسوا الأطعمة، وفى اول بادرة للتخفيف من آثار هذه المعاناة تمت التفرقة بين المعدمين المحرومين من زيارة اسرهم وبين من لديهم الإمكانيات ممن يحصلون على نصيب اكبر من هذه الزيارات، وكأنما المساواه تسرى فقط فى الحرمان والتعذيب، إن الاشتراكية تعنى بناء مجتمع يحقق العدالة والمساواة فهل يعقل أن يعمل لتحقيق هذا الهدف النبيل من يرفض تطبيق ذلك على نفسه وبدات مرحله جديدة من الصراع الأيديولوجى فى داخل التنظيم الواحد وبين جميع التنظيمات، تعددت الاراء واختلفت وجهات النظر وتفاقمت ولم تسفر عن اى تقارب بل افرزت تنظيما جديدا شكله بعض الزملاء واطلقوا عليه اسم "الأفق" لقد انصب الصراع السياسى حول طبيعة السلطة وهل هى راسمالية وطنية ام راسمالية الدولة الاحتكارية، وهل هى ديكتاتورية عسكرية يجب ان نعمل لإسقاطها ام هى معادية للاستعمار وعلينا تاييدها والوقوف إلى جانبها، وما هى طبيعة الثورة القادمة وهل هى ثورة واحده ام ثورتان هل هى ديمقراطية شعبية او ثورة اشتراكية، وكانت حدتو فقط التى تؤمن بان على رأس السلطة مجموعة اشتراكية تعمل لبناء الاشتراكية، اشتعلت المناقشات فى كافة الاتجاهات كل قيادة تحاول اثبات جدارتها، وان رايها وتحليلها هو التحليل الثورى الصحيح والوحيد.

إن الشيء الوحيد الذى لم تتطرق ى قيادة لمناقشته هو الأخطاء التى ادت إلى سقوط هذا العدد الضخم من الأعضاء والقيادات فى ليلة واحدة، ولم يخطر على بال اى منهم عمل نقد ذاتى لهذه الأخطاء، من المعروف ان كل تنظيم يجب أن يضع مسئولية الأمان فى مقدمة أعماله، وفى حالة القبض على اى فرد من اعضائه يتم فورا عمل تحقيق لبحث الأخطاء والأسباب التى ادت إلى سقوطه وتوقيع العقوبة على المتسبب، فهل عندما تسقط القيادات ومعها التنظيم ككل ويترتب على ذلك سقوط العديد من الزملاء شهداء من هول ما لحق بهم من تعذيب، الا يستوجب ذلك ان تحاسب هذه القيادات وان يتم عمل نقد ذاتى يعلن لجميع الأعضاء وتوقع العقوبات المناسبة على المخطئين؟

لم تهتم القيادات بعمل اى نقد يبرز هذه الأخطاء وحاولت إثبات وجودها بإثارة

مناقشات غير مجدية الهدف الوحيد منها هو اثبات صحة آرائها وتحليلاتها لكافة الأحداث، وتناست أنها عندما كانت تناقش موقفها من القوى السياسية فى مجتمعنا، مع من تتحالف ومن نقف منه موقف العداء، إننا فى الحقيقة لم يكن لنا وجود او ثقل يمكننا من فرض وجودنا بالشارع المصرى وان ما يؤكد ذلك هو عدم تحرك مصنع واحد صغيرا او كبيرا للاحتجاج على حملة الاعتقالات وعلى التعذيب أو الشهداء ممن فقدوا حياتهم، وإن دل ذلك على شئ فهو يدل على عدم وجود جذور للحزب فى صفوف الطبقة العاملة.

ورغم ذلك فقد كانت امامنا الفرصة التى لو استفدنا منها لكفرنا عن بعض الأخطاء التى ارتكبت.

فقد جمعنا سجن الواحات بعدد غير قليل من ابرز عناصر الطبقة العاملة وقادتها ولم تفكر القيادات فى أى يوم طوال فترة السجن فى عمل مدارس كادر لصقل هذه القيادات وتسليحها بالنظرية الماركسية ولنخلق منهم القيادات الواعية والقادرة على بناء الحزب وتحويل السجن إلى مدرسة للثوار.

وللأسف حدث العكس تماما فبدلا من خلق كادر ماركس تم ترك هذه القيادات العمالية للعمل بالمزرعة لتمهيد ونقل الأسمدة وتصنيع الطوب من الرمال لبناء مسرح، وعمل الأفران لطهو الطعام والإشراف عليها، والعديد من الأعمال التى لن تمدنا بالكادر الشيوعى الذى كان فى استطاعته بناء الحزب لو توفر له التوجيه الصحيح وفقدنا فرصة ارجو الا تتكرر فى يوم الأيام، ولكن علينا تقييمها لتقدير مدى الخسائر التى لحقت بالطبقة العاملة والشعب المصرى من جراء هذه الأخطاء. ان ما اشير إليه من أخطاء لا يعنى بأى حال عدم التقدير لما تم تحقيقه من انجازات واعمال قيمة حازت تقدير الجميع واشاد بها المسئولون عن السجن على مستوى المحافظة، وإنما الهدف هو إبراز التقصير الجسيم الذى ارتكب بعدم الاستفادة من وجود القيادات العمالية المخلصة وتنظيم دراسة جادة لتسليحها بالنظرية الماركسية حتى تكون النواة الصلبة لإعادة بناء الحزب بمجرد تواجدها فى صفوف طبقتها.

لقد قادت السلطة الحاكمة معركة الصراع الطبقى بحنكة واقتدار فمنذ وجود التنظيمات الماركسية ورغم انحراف قياداتها، تم القضاء عليها بشتى الأساليب فبدات

منذ الأربعينيات بأسلوب السجون والمعتقلات، فلم تخلُ السجون طوال هذه الفترة وحتى يناير ١٩٥٩ من الشيوعيين، واستخدمت لتحقيق هدفها أساليب حديثة ومبتكرة مسترشدة بالأساليب النازية وخبرة وتوجيهات المنظمات العالمية (مكتب مكافحة الشيوعية بالشرق الأوسط) وبدأت برسم وتنفيذ مخططها لتصفية الحركة الشيوعية والقضاء نهائيا على تنظيماتها، ولما كانت وحدة التنظيمات الشيوعية وتكوين حزبها الواحد هو ما يتطلع إليه جميع الشيوعيين، فلا مانع أن يتم ذلك على أن يكون بداية الطريق للتصفية النهائية، وقد نجحت تماما فى تحقيق هدفها.

بدأت عملية الاتصالات والمناقشات لتكوين الحزب الواحد، واشتد الصراع والتنافس بين قادة جميع التنظيمات، فكل قيادة ترى انها الأكفأ والأحق وانها تمثل التيار الثورى الوحيد بين جميع التنظيمات ومن حقها الحصول على اكبر عدد من المقاعد فى اللجنة المركزية، ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام أساليب غير شريفة لايمكن حدوثها وخاصة فى التنظيمات السرية التى من اهم العوامل لنجاحها المحافظة على أمان أعضائها، لأن التساهل فى السرية والأمان لا ينتج عنه سوى الانهيار. وكنتيجة حتمية لهذه التصرفات اللامبدئية تم كشف منظم لجميع الأعضاء للتأكد من عدد أعضاء كل تنظيم وعمل حصر شامل لعددهم، والزج بعناصر ليس لها علاقة بالتنظيم واستخدام أساليب التزوير التى تطبقها الأحزاب البرجوازية للحصول على الأغلبية فى أى انتخابات.

إن أغلبية تحصل على مراكزها القيادية عن طريق التزوير من المستحيل ان تحقق النجاح فى أى عمل تقوم به.

هذه الأساليب والأخطاء حولت الحزب وأعضاءه إلى كتاب مفتوح تحت أيدى السلطة الحاكمة. ومكنتها من القبض على المئات من قيادات الحزب وأعضائه فى ليلة واحدة، وانتصرت فى توجيه ضربتها الأولى للحزب، وفتحت سجونها ومعتقلاتها، ونظمت المحاكمات الصورية التى كشفت عن بعض العناصر الضعيفة والمريضة سياسيا، وبدأت بضربتها الثانية بإلقاء جميع من صدرت ضدهم احكام ومن المعتقلين بدون محاكمة فى السجون والمعتقلات، وطبقت عليهم حرب الإبادة والتصفية الجسدية، وكان أوردى أبو زعبل من نصيب جميع الزملاء ممن قدموا للمحاكمة بالإسكندرية فى قضية الحزب

الكبرى وقضية حدتو الكبرى كما أطلق عليهما. والقى بالجميع سواء من صدرت عليهم احكام او برئوا، وطبقت عليهم ابشع أساليب التعذيب واعمال السخره واستشهد العديد منهم من شدة التعذيب، واستمرت المعاملة غير الإنسانية والتعذيب الوحشى لذى يفوق طاقة البشر، ولم تنته الضربة الثانية إلا بانتهاء حياة الزميل شهدى عطية، ولم تتوقف حملة التعذيب تلقائيا بعد قتل الزميل شهدى عطية فقد تم قتل عدد من الزملاء قبله وكانت شراهة المجرمين واستمتاعهم وتلذذهم بالقتل تزداد، ولم يحرموا من هذه المتعة إلا بعد ان انتشرت جرائمهم واصبحت حديث المجتمع الدولى والراى العام العالمى، وكان للجهود الخارقة التى بذلتها أسر الزملاء ومن بينهم اسرة الزميل شهدى ونجاحهم فى ان تصل صرخاتهم إلى الصحافة العالمية والمحافل الدولية هو ما اجبر السلطة الحاكمة على التخلى عن سياسة التصفية بالقتل بعد ان تم توجيه الاتهام لمتزعم وقائد حركة التعذيب والقتل ولم يستطع الإنكار كما سبق ان انكر وجود معتقلين، واضطر أن يامر وهو بالخارج بوقف التعذيب.

لقد توقف التعذيب نتيجة جهود اسر بعض الزملاء ممن لهم علاقات بالخارج، وللأسف لم يتم نتيجة اى ضغط او احتجاج داخلى من صفوف الطبقة العاملة او جماهير الشعب مما يؤكد أن الحزب لم يكن له جذور او جماهيرية فى الشارع المصرى، وتنتهى المرحلة الثانية بانتهاء القتل والتعذيب وتبدأ المرحلة الثالثة او الضربة الثالثة وهى عملية الإغراء والترغيب فبعد ان حطمت أجساد الجميع بالتعذيب ، فتحت ابوابها للافراج المشروط بكتابة استنكار، فعلى كل من يرغب فى الإفراج كتابة اقرار يستنكر فيه جميع المبادئ التى ضحى من اجلها ووقف حياته ثمنا لتحقيقها ويعلن موافقته على كل ما تقوم به السلطة الحاكمة. وقد استخدمت أحقر الأساليب للوصول إلى هدفها بالاتصال باسر زوجات الزملاء للضغط عليهم بان السلطة لا تمانع فى الإفراج عنهم فوراً إذا وقعوا على ورقة يعترفون فيها بخطئهم وبعدم عودتهم للارتباط باى تنظيمات، وعليهم اقناع ازواجهم وابنائهم بالكتابة حتى يفرج عنهم، وطلب من الأسر تهديد ابنائهم بالتخلى عنهم والزوجات بتهديد أزواجهم بطلب الطلاق لإجبارهم على التوقيع للحفاظ على أسرهم وعدم تشتيت افرادها، وقد نجحوا فى بعض الحالات فسقط عدد قليل من الضعفاء وصمدت الأغلبية العظمى، وقد كان لما كتبه الشاعر

والمناضل الفلسطيني لعظيم معين بسيسو الذي كان معتقلاً معنا في سجن الواحات مع عدد من المناضلين الفلسطينيين وهو يوجه إلى كل من تسول له نفسه الاستنكار صارخًا حتى يستيقظ قائلا ، اخضع للورقه، اغمس قلمك في عيني طفلك، واكتب ما أمرك ان تكتب، واحذر أن يقع ظلك يوما على عتبة مصنع.

لقد كان لما ألقاه المناضل معين بسيسو من كلمات بصوته القوى ابلغ الأثر في رفع معنويات الجميع، واصبح الجميع يرددون بحماس كلمات النشيد في جميع الظروف والمناسبات، وكان له أثر كبير في إفشال الضربة الثالثة.

وتبدأ الجولة الرابعة بالتخطيط لتوجيه الضربه القاضية للقضاء نهائيا على وجود الحزب، وبدأت بعملية جديدة مدروسة بدقة للتلاعب بأعصاب الجميع وتحطيمها، فروجت السلطة لما يبشر بقرب الإفراج، وفي الوقت الذي تهيأ فيه الجميع نفسيا للإفراج خاصة بعد ترحيل عدد كبير من المعتقلين واستعداد الجميع لتنفيذ إجراءات الإفراج تقوم السلطة بقتل الزميل لويس إسحق والذي كان معروفًا بموقفه الصلب ضد حل الحزب، والأمر الذي كان يناقش في تكتم شديد داخل قيادة الحزب، ولأول مرة يتم القتل بالرصاص وبدون أي مبرر، وكانت صدمة شديدة كان لها تأثير سيء جدا على الحالة النفسية للجميع، وشعر الجميع بأن مصيرهم هو القتل وليس الإفراج، ويتواصل مسلسل حرب الأعصاب، ويتم ترحيل المسجونين على دفعات للإفراج إلى سجن مصر.

كنت قد قضيت مدة السجن بالكامل وهي خمس سنوات ودخلت إلى سجن مصر يوم ٤ مارس ١٩٦٤ قبل مقتل الزميل لويس إسحق: وامضيت في سجن مصر فترة الحبس البسيط لعدم سداد الغرامة حتى ١٩ مايو ٦٤، في تلك الفترة بدأت إجراءات الإفراج عن جميع المسجونين، ووصلت الدفعة الأولى وهي تحمل الخبر السيئ عن مقتل الزميل لويس، وتوالت الدفعات وساد السجن حالة من الارتباك والتخبط وعدم الاستقرار، فكانت الدفعة التي تصل يتم ترحيلها مساء اليوم التالي إلى سجون أخرى، وبعد يوم نجد نفس الدفعه قد عادت مرة أخرى ويتم ترحيل دفعه أخرى، وتكرر ذلك عدة مرات واستمر هذا الوضع حوالي اسبوع قبل أن تستقر الأمور ويتم اعادة جميع من تم ترحيلهم مرة أخرى، وقد كان لهذه التصرفات أثر سيء على الحالة النفسية للزملاء فسيطرت عليهم وأصيبوا بحالة من القلق الشديد وتوتر الأعصاب، وحاولت ان احصل

على تفسير لما يحدث فذهبت إلى الزميل ابوسيف يوسف وسالته إن كان لديه تفسير لما يحدث، فابدى عدم فهمه قائلا لا ادرى ان كانوا سيفرجون عنا او سيعدموننا، وبعد ان تم التلاعب باعصاب الجميع وتحطيمها بدأت تمثيلية الإفراج المشروط (الافراج الصحى) فتم وضع منضدة فى صالة العنبر وجلس حولها مجموعة من الأفراد اعتقد ان بينهم أطباء، وكنا نراقب ما يتم من الدور الأعلى، ونودى على الزملاء الذين اصطفوا فى الصالة باسمائهم، وكان يوجه لكل فرد بعض الأسئلة ويتم كتابة التقرير الذى يطالب بالأفراج لسوء الحالة الصحية.

افرج عن الجميع، وكان ذلك هو المؤشر الحقيقى لحل الحزب.

لقد انتصرت السلطة فى معركتها الطبقية، وحققت ما كانت تصبو إليه، وإذا تتبعنا شريط الأحداث من اول يناير ١٩٥٩، نجد ان عملية القبض نجحت تماما وتبعتها المحاكمات التى كشفت نقاط الضعف عند العديد من الزملاء و تلت ذلك بحرب التصفية الجسدية مستخدمه ابشع الأساليب: وواصلت السلطة مخططها بطلب الاستنكار، وختمت كل ذلك بشن حرب بشعه من قتل وتحطيم الأعصاب وكانت إجابة سكرتير الحزب عندما سالته تفسيرا لما يحدث، بانه لا يعلم إن كان سيتم إعدامنا او يفرج عنا تعكس بوضوح الحالة العصبية والنفسية السيئة التى وصل إليها الزملاء قبل ان يتم الإفراج الذى يعطى للسلطة الحق فى إعادة من تشاء ممن يركب راسه ويحاول العودة لتكوين تنظيم اوالانتساب او المشاركة فى اى عمل لا ترضى عنه السلطة إلى السجن لقضاء ما تبقى عليه من عقوبه، وقد كانت مددا طويله بالنسبه لبعض القيادات، فكان عليهم العمل فورا لتامين انفسهم من الوقوع مرة اخرى فى يد من لا يرحم، فاعلنوا ولاءهم الكامل لكل ما تقوم به السلطة واستعدادهم للمشاركة فى تنفيذ مخططاتها والعمل تحت قيادتها، وتبخرت فى الهواء المبادىء والنظريات والخلافات التى قضينا سنوات السجن فى مناقشاتها، واتفقت الآراء وتوحدت لتعلن القيادة استنكارها لكل محاولاتها لتكوين حزب للطبقة العاملة حيث إن على راس السلطة مجموعة اشتراكية، وإن وجود الحزب يعوق مسيرتها ولابد من حله والأنخراط تحت قيادة هذه المجموعة لبناء الاشتراكية، وتسابق الجميع لإعلان ولاؤهم ولإثبات انهم لايقلون عن تنظيم حدتو اقتناعا وايمانا بالمجموعة الاشتراكية. لقد أعترفوا بخطئهم

لقادة المجموعة الاشتراكية، وبقى ان يعترفوا بذلك لتنظيم حدتو الذى كان أول من اعتنق وآمن بقيادة المجموعة الاشتراكية.

وتم حل الحزب، وحصلت السلطة على الاستنكار الذى طلبته، ولم يكن من أفراد اتابتهم لحظة ضعف، ولم يكن مجرد ورقة مطلوب كتابتها وإنما بالتطبيق العملى من اعلى مستوى فى قيادة الحزب التى فرضت قرارها على الجميع دون الرجوع لأخذ آرائهم، وكما سبق لهم التزوير للحصول على المراكز القيادية عند تأسيس الحزب كرروا نفس التزوير للحصول على الأصوات بالموافقة على حل الحزب، واذكر هذه الواقعه التى تؤكد ماذكرت، فقد كنت من الزملاء الذين مارسوا نشاطهم فور خروجهم، وكانت تضمنى مجموعة مع الزملاء متولى بحر وجوزيف وصلاح عبدالرحمن وفى أحد الاجتماعات اخبرنا صلاح بانه مطلوب منا التصويت على حل الحزب، وان يتم التصويت بالأسماء الحقيقية، واستفسرت عن سبب التصويت بالاسماء الحقيقية وكان جوابه ان الزميل فؤاد مرسى طلب ذلك حتى لا يدعى احد انه لم يؤخذ صوته. فأبديت اعتراضى على حل الحزب وعلى طريقة التصويت معلنا ان ذلك عمل بوليسى ليس له علاقه بالأمان، واتفق معى الزميلان متولى بحر وجوزيف نادر، فكان رد صلاح ان الحزب قد صدر قرار حله فعلا، وان اصواتنا لن تغير من الأمر شيئا. إذا فلماذا أخذ الاصوات على قرار اتخذ فعلا والإصرار على طلب التصويت بالأسماء الحقيقية؟

إنه الإيمان بمبدأ التزوير سواء اثناء تكوين الحزب اوحله.

فى اثناء وجودى بالواحات زارتنى والدتى مرتين، وفى الزيارة الثانية احضرت معها اخى وزوجته وكتبت باسمها زيارة للزميل حمدى مرسى على انها اخته وتمت زيارتنا معا اما فيما يتعلق بفترة السجن من بداية القبض على فى مارس ١٩٥٩ وحتى ٢٠ مايو ١٩٦٤ فاعتبر نفسى من المحظوظين، فقد رحلت من سجن الإسكندرية ووصلت سجن الواحات بعد انتهاء فترة التعذيب ولم اتعرض لأى اعتداءات او إهانات من رجال المباحث بعد القبض على لتاكدهم ان محاولاتهم لن تثمر وكان لأحداث قضيتى الأولى العامل الأساسى لموقفهم هذا.

قضيت مدة السجن كاملة ورحلت إلى سجن مصر، تم الإفراج عن الجميع وانقضت فترة حبس الزملاء الخاصة بعقوبة الغرامة، ولم يتبق فى سجن مصر شيوعى غيرى

حضرت والدتى لزيارتى في هذه الفترة واستفسرت عن السبب فى عدم الإفراج عنى وكان قد تبقى شهر على انتهاء مدة الحبس، وكان الزميل نبيل الهلالى يتابع بعد أن افرج عنه اخبار الزملاء الموجودين بالسجن فارسل برقية لوالدتى يطلب منها تقديم شكوى للنيابة للإفراج عنى، قدمت الشكوى وارسلت النيابة إلى سجن مصر تطلب إفادتها عن السبب فى عدم الإفراج عنى، ووصل الطلب سجن مصر يوم جمعة فطلبنى الضابط النوبتجى وكان ملازما أول وطلب الموظف المسئول، وتم الحوار الآتى امامى، الضابط يطلب اتخاذ الاجرءات للافراج وترحيلى لنيابة الإسكندرية والموظف يعترض بأن النيابة لم تطلب الأفراج وانما تستفسر واصر احد الضابط على موقفه وانه لايوجد مبرر لعدم الإفراج وأن النيابة فى الإسكندرية هى صاحبة الشان، وتم ترحيلى فى نفس اليوم إلى قسم الخليفة ورحلت فى اليوم الثانى ٢٠ مايو ١٩٦٤ بحراسة أحد الجنود إلى الإسكندرية وعند وصولنا طلبت من الجندى ان نذهب أولا إلى المنزل قبل الذهاب إلى مقر المباحث العامه لإخطار اسرتى وإحضار بعض النقود فوافق على أمل أن يستفيد من ذلك، ذهبنا إلى المنزل وفوجئت بوجود صوان أمام المنزل استفسرت من احد الأشخاص فاخبرنى ان صاحب المنزل توفى اليوم وكانت الساعة قد جاوزت الرابعة مساء طلبت من الجندى العودة إلى مقر المباحث قبل ان يرانى احد وهناك اخبرت الضابط المسئول بوفاة والدى وطلبت ان أحضر لأخذ العزاء، وافق واتصل بقسم كرموز وطلب ان يفرج عنى بمجرد وصولى على ان أسلم نفسى فى الصباح وارسل معنا احد رجاله الذى رافقنا حتى أطلق سراحى وصحبنى حتى المنزل وتاكد من صحة الخبر. تسللت إلى داخل المنزل من خلف الصوان وفوجىء الجميع بوجودى، وابدلت ملابسى وجلست بالصوان لأشارك فى اخذ العزاء وكانت مفاجاة المعزين وارتبك البعض فكان منهم من يعزينى بقوله مبروك والبقية فى حياتك لقد ادى قرار الحل إلى تشتيت الزملاء، واصبح لايربطهم سوى طرق الأبواب للحصول على عمل للقمة العيش والبعض حالفه الحظ والبعض فشل، وكان على السلطة أن تواصل مخططها للتصفية النهائية، فبعد أن اجبرتهم على التركيز للحصول على لقمة العيش،كان على السلطة لمواصلة مخططها للتصفيه بنجاح ان تستمر سيطرتها على تحركات جميع الزملاء وتوجيه اهتمامهم وتفكيرهم بعيدا عن طريق النضال، فالقت بشباكها فى شكل

تعويضات ماليه عن فترة السجن والاعتقال والتعذيب، وعلى كل من اضير أن يذهب للقضاء ليحدد له القيمة التى يستحقها، وسارع اغلب الزملاء لدخول هذه الشباك وتناول الطعم الذى القت به السلطة لاصطيادهم، واصبحت قضايا التعويضات هى الشغل الشاغل لهم والمسيطر على كل تفكيرهم وتحركاتهم ومتابعة الأحكام التى صدرت، واصبح تقييم الزملاء يقاس بقيمة التعويض الذى حصل عليه كل منهم، ومناقشاتهم تتم حول من صرف مبلغا اكبر او اقل، وكل ما كان يجمع بين الزملاء هو قضايا التعويضات فى مكاتب المحامين وليست قضايا النضال وحول المناضلين إلى منتفعين كل هدفهم الحصول على المال وقد كانت خطة محكمة فرضت نفسها على تفكير وتحركات الزملاء لسنوات فاقت عدد سنوات السجن والاعتقال، ولازالت حتى يومنا هذا تنظر بعض القضايا امام المحاكم.

فى نفس الوقت خطت السلطة خطوتها الحاسمة الديمقراطية وأصدرت قرارتها بتكوين المنابر وحولتها إلى احزاب واهدت الزملاء حزب التجمع، وكان هو المغناطيس الذى انجذب إليه غالبية الزملاء المتطلعين لوجود حزب يمارسون من خلاله نشاطهم السياسى فى اطار قانونى لايعرضهم للسجون والمعتقلات.

ونجحت السلطة فى تحقيق هدفها فى التصفية النهائية لمحاولات تكوين حزب ماركسى للطبقة العاملة، واخيرا لم يجد الزملاء أمامهم سوى كتابه ذكرياتهم فى شكل شهادات ورؤى، معلنين بذلك نهاية سيرتهم وعلى الأجيال القادمة ان تخوض معركتها من جديد.

إن من يكتب ذكرياته وشهادته يشعر بانه يكتب وصيته، واقترح إضافه كلمة وصايا، لتصبح وصايا وشهادات ورؤى.

لماذا فشلت جميع التنظيمات رغم تعددها؟ ورغم الفترة الزمنية الطويلة التى مارست خلالها نشاطها منذ الاربعينات، ورغم الظروف المواتية التى سادت المجتمع العالمى بعد ان تحقق النصر فى الحرب العالمية الثانية، وانهزام النازية على يد الاتحاد السوفيتى الذى حرر دول اوروبا الشرقية من الاحتلال، وساهم فى وصول الطبقة العاملة بها إلى الحكم، واثمر هذا النصر عن وجود راى عام عالمى يؤمن بالماركسية، وحقق للاحزاب الشيوعية والاتحادات العمالية القوة والجماهيرية.

لقد انعكس كل ذلك على مجتمعنا، فشعبنا الذى كان يخوض معركته مع الاحتلال البريطانى بجميع فئاته من عمال ومثقفين وطلبة وفلاحين، تأثر عدد غير قليل منه بالفكر الماركسى وبالنظام الاشتراكى الذى كان العامل الحاسم لتحقيق النصر فى الحرب العالمية الثانية.

وبدأ العديد من المثقفين، مصريين واجانب ممن سمحت لهم ظروفهم بالاطلاع على النظرية الماركسية وتأثروا بها فى تشكيل بعض التنظيمات لنشر الفكر الماركسى بهدف تكوين حزب للطبقة العاملة، لقد غاب عنهم ان الشرط الأساسى لبناء الحزب ونجاحه هو تمسكه بمبدأ الصراع الطبقى الذى يحتم وجود القيادات العمالية الواعية والمسلحة بالنظرية الماركسية، والتى عليها ان تعمل على خلق طبقة عاملة منظمة ومدربة على القيادة تؤمن إيمانا كاملا بأن الحياة الكريمة لها ولأسرها من المستحيل تحقيقها إلا بوجود حزبها القوى الذى يقودها إلى وضع أسس النظام الاشتراكى الذى يؤمن لها الحياة الكريمة.

لقد وقعت جميع التنظيمات فى خطأ تبنيها افكارا وطنية ديمقراطية تدعو للتحرر الوطنى ومقاومة المستعمر، وساد بينها خط القوات الديمقراطية الذى عارضه البعض وطبقه الجميع فى الواقع العملى.

فكل تنظيم تقوده مجموعة من المثقفين وقواعده مكونة اساسا من الطلبة وإذا وجدت اتصالات عمالية فهى محدودة جدا، كما أن التنظيمات التى اهتمت بالعمل فى صفوف العمال وتمكنت من ضم عدد من قادتهم لم يتم إعدادهم كادر مسلح بالنظرية الماركسية لديه القدرة لبناء حزب الطبقة العاملة من منطلق تطبيقه لمبدأ الصراع الطبقى.

إن المناقشات التى تمت فى مناخ يسوده انعدام الثقة بين جميع التنظيمات وتطلع كل قيادة لفرض سيطرتها على الحزب بمختلف الوسائل دفع هذه القيادات لفتح ابوابها لعناصر ليس لها علاقة بالماركسية بل إن بعضها معاد للماركسية ويعمل لحساب أجهزة الدولة مما مكنها من التغلغل داخل صفوف الحزب وتوجيه ضربتها القاضية إليه بالقاء القبض على أكثر من ٩٠٪ من قياداته وأعضائه فى ضربة واحدة.

لقد تخلت هذه القيادات عن السريه والأمان التى تعتبر الاسس الرئيسية لوجود اى تنظيم او حزب، لقد ارتكبت هذه القيادات هذه الأخطاء الخطيرة لفرض سيطرتها على

قيادة الحزب.

وهل يعقل أن يكتب البقاء لحزب يتولى قيادته مجموعة وصلت إلى مراكزها بطريق الغش والتزوير، ولايحكم تصرفاتها سوى مصالحها الشخصية، أعتقد أن ما تم هو المحصلة الطبيعية لهذه الأخطاء.

إن من أهم الشروط التى ينحتم وجودها لبناء حزب للطبقة العاملة أن يتكون من عناصر تخلت نهائيا عن مصالحها الشخصية وتكثف جهودها لخلق الوعى الثقافى الماركسى الذى يمكن الطبقة العاملة من تنظيم صفوفها وخلق قيادتها الواعية، ولا يعيب الحزب أن يضم بين صفوفه أجانب يقيمون داخل مصر ويقدمون كل إمكانياتهم وخبرتهم للمشاركة فى بنائه.

إن الاستغلال الذى تعانى منه الطبقة العاملة يقع عليها من جميع الجنسيات فالمستغل المصرى والأجنبى يمارس استغلاله للطبقة العاملة بنفس المستوى، وقد يكون المستغل المصرى أكثر شراهة من الأجنبى، فلماذا نحرم حزب الطبقة العاملة من عناصر مخلصة تشاركه مسيرته للقضاء على الاستغلال وتساهم فى بناء حزبه القوى.

إن المناقشات التى يتبارى من خلالها المثقفون وتقودهم إلى الابتعاد عن كل ما يساعد على بناء الحزب، والتى تنصب على نوعية الطبقة المسيطرة على الحكم هل هى رأسمالية وطنية؟ أم رأسمالية عالمية مرتبطة بالاستعمار؟ أم هى رأسمالية صغيرة؟ أو متوسطة؟ إن هذه المناقشات لن تغير من طبيعة الاستغلال الواقع على الطبقة العاملة، ولن يتغير موقف الطبقة العاملة من الاستغلال سواء كان من الرأسمالية الوطنية أو الاحتكارية أو خلاف ذلك. أن الاستغلال لن يتغير حسب طبيعة الطبقة التى تحكم، ولن تجد الطبقة العاملة الصدر الرحب أو الإنسانية والرحمة عند أى منهم.

ولن يتم القضاء على الاستغلال إلا بوجود حزب قوى يعلن عن ذلك فى برامجه، كما أن المناقشات حول التحالف مع الأحزاب الأخرى، أعتقد أنها مناقشات تسبح فى خيال البعض، وأتساءل كيف أتحالف مع أى حزب أو تنظيم وأنا فى الواقع ليس لى وجود كحزب سوى فى الحلقات التى تجمعنا وليس لنا أى تأثير فى الشارع المصرى أو التكتلات العمالية. إن وجود الحزب القوى الذى تمتد جذوره داخل صفوف الطبقة العاملة لا يبحث عن التحالفات، بل إن وجوده وقوته ونفوذه والتفاف الرأى العام حول

برامجه سيكون هو الدافع للأحزاب للسعى للتحالف معه وليس العكس.

إن التركيز على نشر الوعى داخل صفوف الطبقة العاملة وتنظيمها هو الطريق الوحيد لوجود حزب قوى يشق طريقه بنجاح لبناء الاشتراكية.

ستالين الذى بكاه الملايين فى جميع أنحاء العالم عند وفاته :

بكته الطبقة العاملة العالمية وأحزابها الشيوعية وجميع حركات التحرر وكافة شعوب العالم المتطلعة للحرية والاشتراكية، لقد بكت فيه القائد العظيم الذى وقف فى وجه الاحتلال النازى، وحرر منه شعوب العالم الذى احتل أراضيها، واكتسح كافة القوى التى وقفت فى طريقه، وأجبرها على الفرار امام قواته وواصل تقدمه وانتصاراته.

لقد كان لصمود الشعب السوفيتى بقيادة حزبه الشيوعى وبزعامة ستالين الدور الحاسم فى هزيمة دول المحور وتحرير الشعوب من سيطرة قوات الاحتلال لقد حولوه فجأة إلى سفاح ومجرم وديكتاتور فرض على الشعوب استبداده وعبادته، وتناسوا أنه الذى انقذ شعوب العالم وحول مسار الحرب العالمية الثانية من الهزيمة إلى النصر، وحرر شعوب شرق اوربا من الاحتلال وسيطرة رأس المال، وواصل مطاردته لقوات النازى المهزومة إلى داخل أراضيها حتى اجبرها على الأستسلام لينتحر زعيمها وقائدها هتلر.

إن الطعنة الموجهه إلى ستالين هى طعنة موجهة للنظام الاشتراكى بهدف القضاء عليه، وهذا هو الهدف الاستراتيجى للنظام الراسمالى.

لقد تولى ستالين قياده الحزب والثورة بعد وفاة لينين فى ٢١ يناير ١٩٢٤ واستمر فى قيادته حتى وفاته فى مارس ١٩٥٣ وبذلك يكون قد انفرد بزعامة الحزب والثوره تسعة وعشرين عاما، وعلينا تقييم أعماله خلال هذه الفترة من إنجازات وما نسب إليه من اخطاء قبل ان نوجه إليه اى اتهامات.

لقد واصل ستالين الطريق بعد وفاة لينين وتصدى لجميع القوى المعادية للاشتراكية فى العالم. التى أصابها الذعر لمولد اول دولة للطبقة العاملة فعبأت قوات مكونة من ثلاث عشرة دولة، وسلحتها باحدث الأسلحة وخاضت بها حرب التدخل، وتنظيم وتوجيه وتسليح أعداء الثورة بالداخل وامدتهم بالأموال.

وفرضت على الشعب حصارًا اقتصاديا لتجويعه ودفعه للوقوف ضد الثورة وزجت بعملائها داخل صفوف الحزب للسيطرة عليه وتخريبه، وقد وجه الحزب ضرباته بشدة وعنف حتى قضى على هذه التكتلات وانتصر عليها، وخلال الفترة منذ تولى ستالين زعامة الحزب وحتى بداية الحرب العالمية الثانية أصبح الاتحاد السوفيتى قوة اقتصادية تعتمد على مواردها الذاتية رغم الحصار الاقتصادى، ولم يتأثر بالأزمة الاقتصادية الطاحنة التى سادت النظام الرأسمالى العالمى وفجرت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩.

لقد حقق الحزب بزعامة ستالين وقبل اشتعال نيران الحرب العالمية الثانية، وفى فترة زمنية قصيرة صرحا هائلا من الإنجازات، فأقام اقتصادا قويا وقضى على البطالة، وارتفع بمستوى المعيشة لجميع الشعوب السوفيتية وحقق التآلف والوئام بين جميع القوميات، واختفى التعصب العرقى، وحقق الحياه الكريمة للشعوب السوفيتية التى التفت حول الحزب وقيادته بزعامة ستالين ووقف الشعب السوفيتى وقفة رجل واحد خلف قيادته لمقاومة الغزو وتحرير أرض بلاده التى هاجمتها واحتلتها القوات النازية وقدم من التضحيات مالم يقدمه أى شعب آخر خلال هذه الحرب، وفقد أكثر من خمسة وعشرين مليون من شباب الشعب ورجاله أرواحهم، وقضى الاحتلال على اقتصاد البلاد، فخربت وهدمت المصانع والمزارع والمرافق والمؤسسات التى تم بناؤها منذ مولد الثورة وتحولت إلى انقاض، خاض ملايين الشعب السوفيتى معركة التحرير وانتصر على قوات الاحتلال وطردها من اراضيه وطاردها داخل أراضيها وأجبرها على الاستسلام وحقق النصر وهو يهتف باسم ستالين، تنتهى الحرب العالمية الثانية، ويخرج الشعب السوفيتى منها أشد عزمًا وإصرارًا لبناء ما دمره الاحتلال من جديد، ولم يمر أكثر من خمس سنوات حتى أعيد بناء ما خربته النازية، وأصبح للاتحاد السوفيتى من القوة ما أجبر أعداءه على الاعتراف به كثانى أكبر قوة عظمى فى العالم، والجلوس على مائدة واحدة مع قائده وزعيمه ستالين.

لقد تحقق على يد ستالين بعد وفاة لينين المعجزات بعد توليه قيادة الحزب وزعامته، فعلى مدى ثلاثين عاما حقق النصر على القوى المعادية داخل البلاد، وبنى الاقتصاد الاشتراكى، وانتصر على قوات الاحتلال النازى الذى خرب البلاد ودمرها تماما، واعاد

بناء ما خربته الحرب من جديد، وطهر الحزب والبلاد من الخونة الذين تعاونوا مع قوات الاحتلال وحتى وفاته عام ١٩٥٣ كان قد وصل بالاتحاد السوفيتى إلى المكانه التى تفتخر بها جميع الشعوب والقوى المتطلعة للحرية والاشتراكية فى العالم وجعل منه قوة عظمى اعترف بها الجميع. هذا هو ستالين الذى قدم لشعبه وللطبقة العاملة كل ما يملك، ولم يجرؤ اى من اعدائه ان يدعى بانه حقق لشخصه اى مكاسب او لأى فرد من المقربين إليه، والجميع يذكر ما حدث لابنته التى هربت وفضلت الحياة فى الولايات المتحدة بعد أن وجدت انها محرومة من كل ما يميزها عن أفراد الشعب وما يتمتع به ابناء الحكام فى البلاد الأخرى. لقد رحب بها حكام الولايات المتحدة واعلنوا انها هربت من ديكتاتورية والدها ستالين وذلك يؤكد انه إذا كانت توجد ديكتاتورية يمارسها ستالين فإنها ديكتاتورية العدل والمساواة.

ولقد نشرت الصحف الراسمالية وبعد مرور أكثر من اربعين عامًا على وفاة ستالين خبرًا يؤكد ما وصلت إليه ديكتاتوريته، عندما وقع ابنه فى أسر القوات الألمانية وحاولت مساومته لأطلاق سراحه مقابل إطلاق سراح أحد الجنرالات الألمان، كان رده انه لا يفتدى حياة احد الجنود بحياة جنرال، ورفض المساومة، واعدم ابن ستالين، هذه هى ديكتاتورية ستالين الذى كان يطبقها على نفسه وعلى اقرب الناس إليه، إن ما قدمه من عطاء جعل منه رمزًا للوفاء والتضحية تعشقه وتهتف باسمه جميع شعوب العالم.

بعد وفاته تم تنصيب خروتشوف كقائد وزعيم للحزب.

ومن أهم العقبات التى واجهته لفرض زعامته، هو حب الشعوب الجارف لستالين والهتاف باسمه حتى بعد وفاته، وحتى يتمكن من فرض زعامته كان عليه ان ينتزع من قلوب الجماهير حبها لستالين ويحول هذا الحب إليه. فاختلق الأكاذيب للإساءة إلى تاريخ ستالين وتشويه صورته فى اعين الجماهير وسربها إلى عقول الشعوب، وبدا سلسلة أكاذيبه باكذوبة عبادة الفرد، واقنع البعض ان ستالين قد ارتكب ام الكبائر عندما هتفت الجماهير باسمه واشادت باعمال له، واعتبر ذلك عبادة للفرد وجريمة يجب التخلص منها وتقع مسئوليتها على راس ستالين.

ولا أدرى لمن يوجه الاتهام بارتكاب هذه الجريمة؟ هل إلى الشعوب التى بهرتها الانتصارات والإنجازات التى حققتها لها زعامة ستالين فاحبته وهتفت باسمه؟ ام نوجه

الاتهام إلى ستالين على ما قدم من تضحيات وقاد الطبقة العاملة لتحقيق النصر مما دفعها للهتاف له والتغنى باسمه؟

فلمن إذا نوجه اتهام عبادة الفرد؟!!

إن من يعمل على إقناع الجماهير بشعارات زائفة واتهامات كاذبة ليتمكن من السيطرة عليها وخداعها للسير تحت لوائه والهتاف باسمه لا يمكن إلا ان يكون دجالا يهدف للوصول إلى قلوب الجماهير بالتضليل.

إن الانتصارات التى تمت بقيادة الحزب وزعيمه ستالين حقيقة واقعة لا يمكن ان يختلف عليها اثنان، وليست تضليلاً لكسب ثقة الشعوب ودفعها لارتكاب الجريمة التى ابتدعها خروشوف واطلق عليها جريمة عبادة الفرد.

إن الحب والتقدير الجارف الذى عبرت عنه شعوب العالم لزعمائها وقادتها امثال ماو وهوتشي وكاسترو وجيفار. هل يعقل توجيه الاتهام لهؤلاء الزعماء والقادة بأنهم قد ضللوا شعوبهم ودفعوها لارتكاب جريمة عبادة الفرد، وإذا كان هؤلاء الزعماء قد ارتكبوا هذه الجريمة وهم احياء، فكيف ارتكبها جيفارا بعد ان فارق الحياة.

لقد كنا نتغنى فى اواخر الأربعينيات فى سجن الحضرة بالنشيد الذى صاغ كلماته الزميل محمود المستكاوى احتفالا بعيد ميلاد ستالين، واذكر بعض ابيات من هذا النشيد التى بداها قائلا،

عيد الملايين عيد ستالين	عيد الشعوب وعيد الأمم
للعاملين وللكادحين	شمس تضئ أعالى القمم

واختتمها قائلاً .

فى عيده من لن يستكين	قد جدد العزم ثم ابتسم
كم من شيوعى فى يقين	قد اقسموا بالهول القسم

فهل نكون بتعبيرنا عن حبنا وتقديرنا لزعيم وقائد اول دولة للطبقة العاملة فى العالم قد ارتكبنا جريمة عبادة الفرد؟!!!

والأكذوبة الثانية ، الإدعاء بان ستالين قد قدم للمحاكمة حوالى ثلاثة ملايين من

خيرة أعضاء الحزب الذين ناضلوا فى صفوفه تحت راية لينين وقدموا الكثير من التضحيات لبناء الاتحاد السوفيتى، ماهى إلا أكذوبة من أكاذيب خروتشوف واتباعه أعداء الاشتراكية لتحطيم الرمز الذى احبته الجماهير وهتفت باسمه والإساءه إلى النظام الاشتراكى ومحاولة لانتزاع هذا الحب من قلوبها.

إن من يعيد النظر إلى هذا الاتهام الكاذب يكتشف التناقض الواضح، فكيف لحزب يتخلص ويعدم الملايين من أخلص أعضائه أن يحقق هذا الانتصار والتقدم المذهل فى بناء الاشتراكية؟ وإذا كانت الملايين التى قدمها ستالين للمحاكمة لديها من الخبرة والوعى وقدمت من التضحيات ما يضعها فى مصاف اخلص اعضاء الحزب واكثرها خبرة كما يدعون فهل يعقل توافر هذه الصفات في اشخاص لا توجد لديهم القدرة للدفاع عن أرائهم وتصرفاتهم التى اعتبروها لمصلحة الحزب والتمسك بها اثناء محاكمتهم؟ وما يقال من ان الكثيرين منهم قد اعترفوا بأن مواقفهم كانت معادية لحزب وأعلنوا ثقتهم فى قيادة الحزب بعد ان اقنعهم المحققون بانهم باعترافهم يخدمون الحزب، وإذا كان هؤلاء الاشخاص لديهم من الخبرة ما مكنهم من اكتشاف الأخطاء التى ترتكبها قيادة الحزب ومعارضتها الم يكن من الواجب عليهم التمسك بموقفهم والدفاع عنه طالما كانوا مقتنعين بانه يخدم مصالح الحزب. إن اعتراف الكثير منهم بأن مواقفهم كانت معادية يؤكد ان هذه العناصر لم يكن لديها الشجاعة للدفاع عن الأخطاء التى ارتكبتها وانها عناصر فاسدة كان على الحزب التخلص منها لمواصلة مسيرته. بقيت حقيقة تؤكد أن هذا الاتهام مجرد أكذوبة من سلسلة الأكاذيب التى روجها خروتشوف ولا تجد الأقدام التى تقف عليها.

وهى أن الحزب الشيوعى السوفيتى منذ إنشائه وحتى وفاة لينين وبعد تولى ستالين زعامته فى ١٩٢٤ وحتى ١٩٣٤ اى بعد مرور عشر سنوات من تولى ستالين زعامة الحزب لم يصل عدد أعضاء الحزب بالكامل إلى ثلاثة ملايين عضو ومما يؤكد ذلك ان المؤتمر السابع عشر للحزب الذى عقد فى يناير ١٩٣٤ وكان الحزب يضم اكبر عدد من الأعضاء منذ تاسيسه حضره ١٢٢٥ مندوبا لهم حق التصويت و٧٣٦ مندوبا أصواتهم استشارية ويمثلون ١٨٧٤٤٨٨ عضوا لهم حق التصويت و٩٣٥٢٩٨ مرشحا، وإذا جمعنا

عدد الأعضاء والمرشحين نجده أقل من ثلاثة ملايين. (تاريخ الحزب الشيوعى السوفيتى ص ٤٥٦)

كما ان من تمت محاكمتهم وإعدامهم هم من قيادات واعضاء المنظمات الارهابية التى اخذت على عاتقها اغتيال قادة الحزب محاولة اغتيال لينين واصابته رصاصة الغدر ولم تقضى عليه. كما نجحت فى اغتيال كيروف الذى كان من احب القاده عند الطبقة العاملة، وعملت على اغتيال قاده الحزب، وقد اعترف عدد من اعضاء هذه التنظيمات باتصالاتهم بممثلى الدول الأجنبية التى كانت تمدهم بالاموال. هؤلاء هم من يحاول اعداء الاشتراكية إلباسهم ثوب الإخلاص والبطولة واظهارهم كضحايا لدكتاتورية ستالين، إنها اكذوبة مفضوحة من اكاذيب خروتشوف واتباعه من اعداء الاشتراكية، وناتى إلى الاتهام بالدكتاتورية والانفراد باتخاذ القرار. وفرض آرائه على قياده الحزب وإجبارها على الموافقة على أوامره وقراراته والهتاف باسمه خوفا من بطشه وتخلصه منها.

وإذا صح هذا الاتهام فمعناه أن ما حققه الحزب من انتصارات لا تعد ولا تحصى قد تحقق بقيادة دكتاتورية فرد واحد هو ستالين.

وان تحول الاتحاد السوفيتى من بلد متخلف إلى بلد صناعى متقدم، والقضاء علي البطاله والتقدم فى الزراعة، وبناء المجتمع الاشتراكى الذي قضي على استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، والنجاح الذى حققه الحزب فى جميع فروع الاقتصاد والثقافة والانتصارات التى حققها الحزب على القوات النازية، كل هذا التقدم العظيم تم بقيادة فرد واحد فرض ديكتاتوريته على الجميع، فمرحبا بهذا الدكتاتور الذى قاد الحزب والشعب إلى هذا النصر العظيم.

وإذا سلمنا بان هذه الانتصارات نجحت بفضل قيادة الحزب الجماعية نكون قد اعترفنا بان الدكتاتورية والقيادة الفردية ماهى إلا اكذوبة من اكاذيب خروتشوف ليس لها وجود. وأن ما تحقق من انتصارات تم بقيادة الحزب الجماعية وبزعامة ستالين

إن الهدف من توجيه هذه الاتهامات بعد وفاة ستالين هو تحطيم الرمز الذى التفت حوله واحبته الشعوب، وتم بزعامته بناء اول دولة اشتراكية فى العالم، وجعل منها ثانى

اكبر قوة اقتصادية وعسكرية فى العالم.

ان الديمقراطية التى مارسها الشعب من خلال الدستور الذى نظم حكم البلاد عن طريق السوفيتيات التى يتم تكوينها بالانتخاب المباشر هو ابلغ دليل على مشاركة ملايين الشعب فى قيادة البلاد ولم تكن ديكتاتورية الفرد الواحد.

إن العصابات التى حوكمت وإعدمت عام ١٩٢٧ لم تكن فى يوم من الأيام عناصر مخلصة فى صفوف الحزب، وقد عملت على تنفيذ اوامر اسيادها فى المخابرات الأجنبية وخططت لهدم الحزب والدولة، وعملت لتخريب القوة الدفاعية للبلاد وفتح الطريق للتدخل العسكرى الأجنبى وهزيمة الجيش وتقسيم الاتحاد السوفيتى إلى أجزاء يتم تسليمها إلى الدول الأجنبية، وكانت خططها لتنفيذ التقسيم تتلخص فى تسليم المقاطعة البحرية فى الشرق الأقصى لليابان، وبيلاروسيا إلى البولونيين، واوكرانيا إلى الألمان، والقضاء على انتصارات العمال والفلاحين والقضاء على دولتهم الاشتراكية وإعادة النظام الراسمالى، وما لم يتم القبض على هذه العصابات ومحاكمتها وإعدامها بدون شفقة او رحمة لتمكنت من تخريب الدولة السوفيتية وقضت عليها، لقد رحب الشعب السوفيتى بإعدام هذه العصابات من الخونة، والتى لم يكن افرادها فى اى يوم من قيادات الحزب أو من العناصر المخلصة فى صفوفه، وكان التخلص منها وإعدامها من العوامل الهامة التى مكنت الحزب والشعب السوفيتى من تحقيق انتصاراته العظيمة(*) ان هذه الأكاذيب التى نشرها وروجها خروتشوف، كانت بمثابة الزلزال الذى حطم وفتت وحدة الطبقة العاملة واحزابها الشيوعية فى العالم باسره، وقسم صفوفها بين مؤيد ومعارض لهذه الأكاذيب، وافقد أقوى الأحزاب الشيوعية فى العالم جماهيريتها، واشعل فى صفوفها نيران الصراع الداخلى الذى اسفر عن انقسامها وحولها إلى أحزاب تدافع عن خط ستالين وتاريخه وانجازاته واخرى وقعت فى حبائل اكاذيب خروتشوف، وافقد الطبقة العاملة العالمية نشوة النصر التى عاشتها بانتصار الثورة الصينية العظيمة التى عارض قادتها اكاذيب خروتشوف، وتفاقمت الخلافات حتى وصلت إلى القطيعة والعداء، لقد انتصر خروتشوف فى تحقيق ما كان يهدف إليه من تخريب وتقسيم لوحدة الطبقة العاملة وأحزابها الشيوعية فى العالم. واشعل الخلافات بمواقفه العدائية من قيادة الثورة الصينية.

وواصل طريقه للقضاء على النظام الاشتراكى، ففى نفس الوقت الذى أطلق فيه اكاذيبه وهجومه على زعيم الطبقة العاملة وقائدها ستالين أطلق ايضا جميع أعداء الحزب من المسجونين والمعتقلين ممن طهر ستالين صفوف الحزب منهم، وفتح لهم باب عضوية الحزب على مصراعيه وأعاد إليهم عضوية الحزب، ولكل من سبق طرده فى عمليات التطهير، وحول الحزب إلى نادٍ يفتح ابوابه لكل من يطلب عضويته.

وسارع أعداء الحزب والثورة الاشتراكية وعملاء مخابرات الدول الرأسمالية والمتسلقين أصحاب المصالح الخاصة للانضمام إلى الحزب، وتغلغلوا إلى كافة صفوفه ومستوياته ونشروا افكارهم المعادية، وخلال ثلاث سنوات من وفاة ستالين وتولى خروتشوف زعامة الحزب وحتى انعقاد المؤتمر العشرين تمكنوا من فرض افكارهم وسيطرتهم على قيادة الحزب التى افرزت القرارات المعادية للماركسية والاشتراكية، واعلنت عدم حتمية وجود حزب للطبقة العاملة لبناء الاشتراكية وإمكانية تحقق الاشتراكية بقيادة القوى الوطنية وعن طريق التطور اللاراسمالى للاشتراكية، وتوجيه الدعوه للمشاركين لأفساح الطريق لهذه القوى والعمل تحت قيادتها.

أن تطبيق هذه النظرية بعد أن اقرها المؤتمر العشرون أصاب الحزب فى مقتل، فعلى مدى خمسة وثلاثين عاما منذ عقد المؤتمر العشرون ١٩٥٦ وحتى بداية أعلان هدم لنظام الاشتراكى لإعادة بنائه عام ١٩٩١ على يد الخائن جورباتشوف تحول فيها الحزب إلى ارض خصبة يرتع داخلها أصحاب هذه النظرية. اوقفوا خلالها تدريس الماركسية فى جميع مراحل التعليم، ونظموا تدريس نظرياتهم، وفرضوها على شباب الاتحاد السوفيتى، وسقوهم الكراهية والحقد للقادة الذين تم على ايديهم بناء الاشتراكية وعلى رأسهم ستالين.

وانشاوا جيلاً مجهلاً لا يعرف مدى وحقيقة التضحيات والمكاسب التى حققتها له الثوره، واهمية وجود حزب الطبقة العاملة وقيادته للحفاظ عليها وحمايتها، وبثوا فى عقولهم منذ نشأتهم الأفكار والنظريات التى تخدم مصالحهم، وقضوا بذلك على وجود كادر ماركسى ودم جديد من الشباب لحماية الماركسية وتطويرها، أن قرارات المؤتمر العشرين كانت البداية الحقيقية لانتصار أعداء الاشتراكية فقد تمكنوا من ترويج افكارهم ونظرياتهم إلى جميع الأحزاب الشيوعية فى العالم وخاصة احزاب دول اوربا

الشرقية التى سيطرت عيها قيادات خائنة وجدت فى قيادة الحزب السوفيتى القدرة لتحقيق اهدافها.

قاد خروتشوف الحملة للترويج لهذه النظريات، وطالب الأحزاب الشيوعية فى العديد من الدول الراسمالية بحل احزابها والانخراط تحت لواء الأحزاب البرجوازية بادعائه انها تعمل لبناء الاشتراكية ولا داع لقيادة الطبقة العاملة او وجود احزاب مستقله لها.

وإذا قارنا بين الجهود التى تبذلها الإمبريالية العالمية وما تنفقه من اموال للقضاء على الأحزاب الشيوعية والفكر الماركسى فى انحاء العالم، وماعانته الحركة الشيوعية فى مصر من ابشع وسائل التعذيب والقتل من البرجوازية المصرية ما هو إلا جزء من المخطط الإمبريالى للقضاء على الفكر الماركسى وتصفية الأحزاب الشيوعية، وبين ما حققه خروتشوف من تخريب للأحزاب الشيوعية والفكر الماركسى وفى مقدمتها الحزب الشيوعى السوفيتى، نجد ان ما قدمه خروتشوف للإمبريالية العالمية قد فاق كل ما كانت تحلم بتحقيقه من خلال مؤسساتها وفروعها المنتشرة فى جميع انحاء العالم وحشدت بها خبراء وكوادر على اعلى مستوى من رجال مخابراتها المتخصصين فى مكافحة الشيوعية وانفقت ملايين الدولارات لتحقيقه.

وإذا كان خروتشوف قد قدم فى حياته عملاً واحداً يحمد عليه، فقد قدمه للأمبرياليه العالمية، ويجب ان نقيم له تمثالاً اعترافا بما قدمه لها من خدمات.

لقد احكم اعداء الماركسية سيطرتهم على الحزب بعد المؤتمر العشرين وحولوه لخدمة مصالحهم، وحرموا الشعب من المكاسب التى حققتها لهم الثورة، وبمرور الوقت زاد الفساد وانتشر فى جميع مستويات الحزب واجهزة الحكم، وانعدم الوعى عند جماهير الشعب لحرمانها من الثقافة الماركسية، وفقدت القاعدة الحزبية ثقتها فى القيادة، وعبروا عن كراهيتهم لقيادة الحزب بوسائل مختلفة منها البصق على سيارة اى مسئول تمر بهم.

إن الحزب الذى قاده ستالين وحقق عن طريقه المعجزات فى اقل من ثلاثين عاما،

(*) تاريخ الحزب السوفيتى ـ ٤٩٤ - ٤٩٦.

حولته عصابة المؤتمر العشرين بقيادة خروتشوف إلى وكر تمارس من خلاله مختلف السرقات والموبقات، وعلى مدى خمسة وثلاثين عاما من سيطرتهم تمكنوا من هدم الصرح الاشتراكى العظيم. وتفاقمت الخلافات بين عصابات اللصوص على الفوز بأكبر قدر من السرقات والغنائم، وكان اول ضحايا هذه الخلافات هو خروتشوف زعيمهم فكان اول من طرد والقى به على قارعة الطريق، ولم يحزن لطرده او يبكيه فرد واحد من افراد الشعب عند طرده او مماته، لقد روج اكاذيبه محاولا تشويه النظام الاشتراكى فى شخص زعيمه ستالين، غير أن أعمال ستالين الخالدة التي اعترف بها اعداؤه قبل اصدقائه لا يمكن أن يقلل من قيمتها اى افتراءات يروجها خروتشوف وعصابته.

لقد اطلق خروتشوف جميع ما فى جعبته من أسلحة للنيل من زعامة ستالين، وحاول الإقدام على عمل يضعه فى مرتبة الزعماء ولم يسبقه إليه زعيم من قبل فلم يجد امامه سوى حذائه يخلعه ويضعه أمامه فى اجتماعه مع ممثلى دول العالم فى هيئة الأمم المتحدة كوسيلة لإقناعهم بصواب رأيه، فهل يعقل أن تنزع الزعامة عن قائد وزعيم حقق من الانتصارات والإنجازات ما جعل الشعوب تهتف باسمه، وتنسب لمن فشل في كسب تقدير واحترام ممثلى دول العالم لرأيه ولم يجد امامه غير نزع حذائه كوسيلة لانتزاع الزعامة. لقد مهد وخطط منذ توليه قيادة الحزب عام ١٩٥٣ وارتكب ابشع الجرائم وكافة الوسائل حتى يضفى عليه صفة الزعامة ورغم كل ذلك لم يتحقق له النجاح، والقى به فى مكانه الطبيعى وهو مزبلة التاريخ، وتواصل العصابة نهبها لثروات الشعب، وتزداد وتتفاقم كراهية الشعب لها رغم محاولاتها المتعددة لتجميل نفسها بتغيير جلدها وتنصيب زعماء جدد على فترات متقاربة حتى يصل بها المطاف لتنصيب جورباتشوف زعيما وقائدا لها، واراد جورباتشوف الانفراد بالغنيمة وإقصاء منافسيه بخداعهم وخداع الشعب الذى كان يتطلع للقضاء على الفساد الذى ساد البلاد.

وحتى يطمئن منافسوه وشركاؤه فى تخريب البلاد، اعلن ان جميع العيوب والفساد الذى يعانى منه الشعب ليس مصدره قياده الحزب، وإنما مصدره البناء الاشتراكى للدولة، وعلينا لكى نقضى على هذه العيوب هدم البناء من اساسه وإعادة بنائه بشكل جديد، وخرج جورباتشوف على العالم بنظريته ومخططه وطرح ذلك فى كتابه البروستيريكا (إعادة البناء) وروج له فى جميع انحاء العالم، واستقبله الكثير من المثقفين

بالتأيد والهتاف، واعتبره البعض الطريق الوحيد للقضاء على جميع ما تعانيه الماركسية من صعوبات وعقبات على مستوى العالم، وبدأ جورباتشوف هدم البناء الذى شيد من أرواح ودماء الملايين من ابناء الشعب السوفيتى، والحقيقة هى ان جروباتشوف لم يعلن هدم البناء للقضاء على عيوب فى الماركسية الذى ثبت مدى عدائه لها.

لقد خطط لهدم المجتمع الاشتراكى وبناء مجتمع راسمالى بضعه على القمة إلى جانب زعماء الدول الراسمالية، لقد نجح فى هدم البناء وفشل فى حماية نفسه من السقوط معه، لقد فاته أن على راس كل جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتى فرد من أفراد العصابة التى يراسها ويقود ايضا مجموعة من اللصوص شكلها بمعرفته لخدمة مصالحة، وأنه زعيم العصابة الوحيد الذى لا ينفرد بحكم اى جمهورية، ولم تشفع له زعامته لزعماء العصابات الأخرى فى تحقيق اى هدف من أهدافه، فقد سارع زعيم كل عصابة بفرض سيطرته واستقلاله بالجمهورية التى براسها، ولم يجد جورباتشوف أى جمهورية يمارس من خلالها زعامته، وحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه بالانفراد بحكم روسيا الاتحادية، إلا ان يلتسين تصدى له وطردة شر طرده واصبح لا يجد شبرا واحدا من اراضى الاتحاد السوفيتى الذى قام بهدمه ليمارس عليه زعامته حتى أن وزير خارجيته شفرنادزه تركه وسارع لينصب من نفسه رئيسا لجمهورية جورجيا، وتحول جورباتشوف إلى افاق مرتزق يتجول بين جميع الدول الراسمالية يعرض خبراته وخدماته مقابل ما تقدمه له من أجر حتى يعيد بناء مستقبله، وسيفشل كما فشل من قبل لأن تخصصه هو الهدم وليس البناء ، وستظل جرائمة تطارده حتى بعد مماته.

لقد اختلفت اراء المنظرين فى تحديد العوامل والأسباب التى ادت إلى انهيار النظام الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى ودول اوربا الشرقية، وارجعها البعض إلى خطا فى النظرية، والبعض لخطأ فى التطبيق، والبعض إلى الدكتاتورية الذى بفرضها النظام الشمولى وسيطرة الحزب الواحد، وهو الاتهام الذى تروجه الإمبريالية العالمية للقضاء على الاشتراكية التى تطبق الفكر الماركسى.

إن الانهيار الذى شمل النظام الاشتراكى لم يحدث فى يوم وليلة، إنه محصلة طبيعية لأعمال التخريب التي بداها خروتشوف منذ توليه قيادة الحزب.

لقد بدأ بالأكاذيب التى روجها للإساءة إلى زعيم وقائد الحزب ستالين والحط من قدر ما حققته الثورة فى عهده وتحت قيادته من إنجازات وإنتصارات، وفتح أبواب الحزب لأعداء الماركسية وإعطائهم العضوية بعد إطلاق سراحهم من السجون والغى الأحكام التى فرضها عليهم القضاء عقابا لما ارتكبوه من جرائم لتخريب الثورة. ومكنهم من فرض نفوذهم وافكارهم وسيطرتهم على قيادة الحزب، وقاد معهم التحضير للمؤتمر العشرين، الذى أعلنوا من خلاله قرارات عدم حتمية قيادة حزب الطبقة العاملة لتحقيق الاشتراكية، واقر إمكانية تحقيق الاشتراكية بقيادة أحزاب برجوازية.

وقام خروتشوف بجولته للترويج لفكره المعادى للماركسية، ودعا بعض الأحزاب الشيوعية إلى حل تنظيماتها والعمل فى صفوف الأحزاب الراسمالية وتحت قيادتها لتحقيق الاشتراكية.

لقد تلقف أعداء الماركسية قرارات المؤتمر العشرين وخاصة فى دول أوربا الشرقية، وسارعوا بغزو الأحزاب الشيوعية وتمكنوا من فرض سيطرتهم على قياداتها وبعد خمسة وثلاثون عاما من صدور قرارات المؤتمر العشرين تنجح القوى المعادية فى تغيير ميزان القوى لصالحها وفرض سيطرتها الكاملة على هذه الأحزب. لقد كان قرار المؤتمر بان الأحزاب الشيوعية التى نجحت فى بناء المجتمع الاشتراكى، عليها منح عضوية الحزب لكافة أفراد الشعب وأن الحزب يجب أن يصبح حزبا لكل الشعب وليس حزبا للطبقة العاملة فقط. وكان خروتشوف اول من طبق هذا القرار على الحزب الشيوعى السوفيتى، وتبعه قادة الأحزاب فى دول أوربا الشرقية، لقد كان هذا القرار هو القنبلة الموقوتة التى انفجرت بعد خمسة وثلاثين عاما واطاحت بالدول الاشتراكية بعد ان سيطر على احزابها قيادات معادية للطبقة العاملة والماركسية: لقد اسفر الجميع عن وجوههم الحقيقية، واعلنوا عداءهم للماركسية والشيوعية وولاءهم للنظام الراسمالى. وأعلن جورباتشوف فى بعض تصريحات للصحافة العالمية، أن الشيوعية مجرد وهم من المستحيل تحقيقه، لقد اكد بتصريحه أن ما كان يريده هو الخراب والدمار والبؤس والضياع الذى أصاب الشعوب السوفيتية والمجتمعات الاشتراكية، وحقق النصر للامبريالية العالمية وقدمه إليها على طبق من ذهب، وقد تحقق لها على يديه الانفراد والهيمنة على شعوب العالم التى مازالت تمطره بوابل من اللعنات وستظل

تلغنه على ما تعانيه من اعتداءات وتشريد وحصار اقتصادى وعسكرى وغير ذلك من غطرسة وسيطرة ونفوذ لانفرادها بالهيمنة وفرض سياسة القطب الواحد، وحرم حركات التحرر من الحليف الدائم لها وهى الدول الاشتراكية، ان الحقائق تؤكد عدم وجود الخطأ فى النظرية او التطبيق، او لوجود حكم ديكتاتورى شمولى كما تدعى الإمبريالية العالمية.

ان الاسباب الحقيقية لانهيار النظام الاشتراكى هى عدم وجود أحزاب ماركسية للطبقة العاملة، لقد تخلى قادة هذه الاحزاب عن الماركسية، ولن تبنى الاشتراكية إلا بوجود حزب الطبقة العاملة القوى وقيادته المخلصة المسلحة بالنظرية الماركسية، ولن يكتب البقاء لأى دولة اشتراكية إلا إذا آمن قادتها ايماناً كاملا بالماركسية، وقاتلوا بشراسة للحفاظ على نقاء وقوة حزب الطبقة العاملة، وتطهيره الدائم والمستمر من العناصر المعادية التى تحاول التسرب والسيطرة عليه وهى تحمل معها فيروس قرارات المؤتمر العشرين الذى كان العامل الأساسى لانهيار الأنظمة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ودول اوربا الشرقية.

إن الدول الاشتراكية التى دافعت عن المبادئ الماركسية ولم تفتح أبواب حزب الطبقة العاملة لأعداء الحزب، والتى أدانت ورفضت قرارات المؤتمر العشرين، وقضت على حملة فيروس قرار تحويل حزب الطبقة العاملة إلى حزب يضم داخله كافة الفئات وتحويله إلى حزب لجميع افراد الشعب، هذه الدول وعلى رأسها الصين هى التى واصلت شق طريقها لبناء الاشتراكية بنجاح، رغم المؤامرات المستميتة وأعمال التخريب التى تنظمها وتقودها الإمبريالية.

وهم الديمقراطية الراسمالية وما تروجه من اتهامات لكل الشعوب التى تكافح للتخلص من نفوذها وسيطرتها بانها تسعى لبناء نظام ديكتاتورى شمولى يتصدى على حقوق الإنسان.

إن الامبريالية العالمية التى تركز هجماتها للقضاء على اى دولة او حزب يعتنق النظرية الماركسية، مستخدمة كافة الأسلحة للوصول إلى أهدافها، واتهامها الأحزاب والدول التى تعتنق الماركسية وكل القوى التى تقاوم فرض هيمنتها على دول وشعوب العالم بالدكتاتورية والاستبداد والشمولية مدعية أن هدفها هو حماية الديمقراطية من

سيطرة الاستبداد والديكتاتورية.

إن الديمقراطية التى تدافع عنها الإمبريالية، هى ديمقراطيتها التى تتحكم من خلالها فى حياة الغالبية العظمى من الشعوب.

فهل الديمقراطية هى أن تعيش ملايين الأسر التى تعمل للحصول على دخل يحقق لها الاستقرار فى حياتها معرضة للطرد والبطالة عندما تنخفض ارباح أصحاب الديمقراطية؟ وهل الديمقراطية وحقوق الإنسان هى فرض الحصار الاقتصادي على الشعوب وحرمانها من ضروريات الحياة؟ وهل الديمقراطية وحقوق الإنسان هى الوقوف إلى جانب المعتدين وتزويدهم بالأموال والأسلحة لإبادة الشعوب التى تطالب بحقها فى الحياة والمحافظة على أراضيها؟

وهل الديمقراطية وحقوق الإنسان أن تتكتل الدول الغنية لفرض هيمنتها الاقتصادية على الدول الفقيرة لتجويعها وتحويلها إلى دولة تابعة تخضع لسيطرتها وديمقراطيتها؟

لقد عانينا من ديمقراطية الراسمالية واحتلالها العسكرى لبلادنا سنوات طوال اثناء الاحتلال الفرنسى والانجليزى، وقاوم شعبنا وضحى بالمئات من شهدائه للتخلص من سيطرة هذه الديمقراطية ومازالت تحاول فرض سيطرتها الاقتصادية على بلادنا عن طريق مؤسساتها النقدية.

لقد حققت الإمبريالية نصرا عظيما بنجاحها عن طريق مخابراتها وعملائها فى فرض ديمقراطيتها على الدول الاشتراكية وأطاحت بنظامها الشمولى الدكتاتورى كما تدعى وطبقت عليها ديمقراطيتها وحولتها إلى دول مفلسة معدمة فقيرة لا تجد شعوبها الدخل الذى يوفر لها ضروريات الحياة، ولم يعد فى مقدورها سوى صب اللعنات على هذه الديمقراطية واصحابها من اللصوص المافيا والقوادين ممن سرقوا ثروات البلاد وتولوا إدارة شئونها، هذه هى ديمقراطية الإمبريالية.

إن الديمقراطية هى أن يمارس كل فرد حقه فى الحياة، ليس بحرية الرأى أو بتشكيل التنظيمات والأحزاب فقط، إن الديمقراطية هى التى تحقق للفرد الحياة الكريمة والاستقرار له ولأسرته ولا تحوله إلى سلعة تباع وتشترى وتخضع لما تفرضه عليها قوانين سوق المال.

إن تكتل اغنى دول العالم التى تسمى بالدول الديمقراطية، لمناقشة افضل الوسائل

لإحكام قبضتها على ثروات الدول الفقيرة وفرض عولمتها وديكتاتوريتها عليها، دفع بمئات الآلاف من شعوب العالم من مختلف الجنسيات والاتجاهات والآراء للتكتل وتنظيم المظاهرات وملاحقتها فى كافة الأماكن التى تلجأ إليها لتدبير مؤامراتها، مما اجبرها علي البحث عن أماكن منعزلة تحتمى بها من سخط الجماهير وقد فشلت جهودها فى الهروب ولم يعد أمامها سوى عقد مؤتمراتها أو بمعنى أصح مؤامراتها على إحدى سفن الفضاء حتى لا تصل إليها الجماهير الساخطة والهروب بديمقراطيتها من مطاردة المتظاهرين لقد عبرت الجماهير عن رفضها للنظام الرأسمالى وديمقراطيته التى تحولت إلى وحش مفترس ينشب مخالبه لامتصاص دماء الشعوب عن طريق عولمته لنظامه الرأسمالى، إن ما تعانيه شعوب الدول الاشتراكية من إنهيار لاقتصادها وتفكك بعد سيطرة عملاء الرأسمالية على السلطة وتطبيقها ديمقراطية الرأسمالية جعلها تؤمن بأستحالة تحقيق حياة كريمة بدون ديمقراطية الطبقة العاملة وفرض ديكتاتوريتها وتعبئة قواها للوقوف أمام سيطرة العولمة، وعلى من يعلقون الأمال بإمكانية التغير من خلال القنوات التى تسمح بها ديمقراطية الرأسمالية الاعتراف بأن الواقع اثبت ان امالهم مجرد سراب لا يمكن الوصول إليه أو تحقيقه، واستيعاب الدرس الذى تعرض له شعب شيلى عندما تمكن من تحقيق النصر وانتخب قيادته عن طريق ديمقراطية الرأسمالية، فحرمته من نشوة النصر وسرعان ما طبقت عليه ديكتاتوريتها العسكرية وقضت على قادة الشعب بإعدامهم وإلقائهم بالسجون والمعتقلات ومازال الشعب يعانى من هذه الديكتاتورية إلى اليوم. وان مواقفها العدائية تجاه الصين وكوبا وكوريا الشمالية وجميع القوى التى تناضل للتخلص من نظامها واتهامها بالديكتاتورية والشمولية والاعتداء على حقوق الإنسان الهدف منه فرض هيمنتها وعولمتها وديكتاتوريتها على جميع الدول والشعوب. وعلى من يقف مدافعا عن ديمقراطية النظام الرأسمالى ان يعلن بصراحة ووضوح وقوفه وانحيازه للنظام الرأسمالى وعداءه لديمقراطية الطبقة العاملة التى تفرض ديكتاتوريتها على اعدائها أصحاب الديمقراطية الرأسمالية.

أعتقد أن الأسباب التى أدت إلي فشل الطبقة العاملة المصرية فى بناء حزبها لا تختلف كثيرًا عن الأسباب التى أدت إلى انهيار الأحزاب والنظام الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية بعد أن سيطر أعداء الاشتراكية على أحزابها فمنذ

الاربعينيات تمت محاولات من بعض قادة التنظيمات للتحذير من خطورة خط القوات الديمقراطية على تكوين الحزب، غير ان سيطرة المثقفين من البرجوازية ازدادت بعد إتمام الوحدة بين هذه التنظيمات وإعلان تاسيس الحزب، وقد تمت الوحدة بشكل معاد تمامًا لمصلحة الطبقة العاملة، واستخدمت القيادات اسالبب غير اخلاقية ليس لها علاقة بالماركسية لفرض سيطرتها على قيادة الحزب وكان من الطبيعي على قيادات اقدمت على ارتكاب اساليب غير شريفة للاحتفاظ بمراكزها فى القيادة ان تسارع باعلانها حل الحزب بعد أن راودها الأمل فى الحصول على مراكز تحقق من خلالها مصالحها الشخصية دون التعرض من جديد لتجربة ١٩٥٩ - ١٩٦٤، لقد تشكلت هذه القيادات من شرائح مختلفة من البرجوازية تمثل فى مجملها العناصر التى تكون وتنفذ خط القوات الديمقراطية الذى يتعارض مع المبادئ الماركسية لبناء حزب الطبقة العاملة، وتؤكد تجربة الواحات أن هذه القيادات لم تفكر فى خلق قيادة من الطبقة العاملة وهو الشرط الأساسى لوجود الحزب، فعلى مدى خمس سنوات قضيناها فى سجن الواحات ووجود اكبر تجمع من الشيوعيين فى مكان واحد يضم فى صفوفه العشرات من العمال من اخلص قيادات الطبقة العاملة لم تحاول هذه القيادات تكوين مدارس كادر لرفع مستواهم من الثقافة الماركسية وتخلق منهم كادر ماركسى لديه من الوعى ما يمكنه من قيادة الحزب بعد اطلاق سراحه. لقد خططوا لتستمر القيادة حكرًا عليهم فقط وعدم وجود منافسين لهم.

إن خطر سيطرة العناصر البرجوازية التى تنتسب إلى القوى الوطنية الديمقراطية تصبح خطرًا عندما تتخفى فى ثوب الماركسية وتجلب الخراب والدمار لأحزاب الطبقة العاملة، وهذا هو ما حدث عندما فرض أعداء الاشتراكية سيطرتهم على الأحزاب الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى ودول اوربا الشرقية وسرقوا ثرواتها وأعلنوا تخليهم وعداءهم للماركسية وولاءهم للراسمالية، ان من اهم الشروط لبناء الحزب ونجاحه فى تحقيق اهدافه التطهير الدائم والمستمر لصفوفه من هذه العناصر، ولن يبنى حزب ماركسى ولن تتحقق الاشتراكية بدون قيادة الطبقة العاملة لحزبها الشيوعى، كما ان التطلعات المتاصلة داخل كل فرد منذ فجر التاريخ والعصور وطموحاته لفرض سيطرته ونفوذه على المجتمعات التى عاصرها مستخدما كافة الوسائل والأساليب لخدمة

مصالحه لم تتلاشى، والنظام الراسمالى هو التطور الطبيعى لتطلعات سادة هذا النظام، لقد اكدت الماركسية أن البروليتاريا هى الطبقة الوحيدة التى يعيش النظام الراسمالى على ثمار جهودها ويستمد وجوده من وجودها، كما انها الطبقة الوحيدة القادره على تنظيم صفوفها وارتفاع وعيها ووجود حزبها القوى على حفر قبور النظام الراسمالى ودفنه بداخلها، إن تطلعات البروليتاريا تنحصر فى ان تحيا حياة مستقرة كريمة، ولن يتحقق ذلك إلا بالقضاء على النظام الراسمالى وبناء المجتمع الاشتراكى ولن تفقد لتحقيق ذلك سوى الأغلال، وطريقها الوحيد لتحقيق ذلك هى الماركسية لأنها الوصلة التى تقود حزبها وتنير له الطريق لبناء الاشتراكية.

غير أن التطلعات البرجوازية الدفينة داخل كل فرد من حب الذات وتغليب المصالح الشخصية سوف تنمو عند بعض أفراد البروليتاريا عندما تصل إلى مراكز قيادية داخل الحزب وبعد أن تحطمت قيودها بانتصار الاشتراكية تعمل على استغلال مواقعها لخدمة مصالحها وتقف فى صف واحد مع أعداء الاشتراكية.

فإذا لم تكن قيادة الحزب لديها من اليقظة والوعى ما يمكنها من إفشال مخططاتهم والقضاء عليها وطردهم من صفوف الحزب وتطهيره من وجودهم والقضاء عليهم بدون شفقة او رحمة قبل ان يستفحل خطرهم ويتمكنوا من تخريب الحزب وحتى لا تتكرر المأساة التى بداها خروتشوف واختتمها جورباتشوف ومازالت نتائجها تسحق شعوب الاتحاد السوفيتى وشعوب دول اوربا الشرقية.

لقد اختارت اغلب التنظيمات النشاط الجماهيرى وفضلته على التركيز فى صفوف الطبقة العاملة لإثبات وجودها فى الشارع المصرى، ودفعت بكوادرها للمشاركة فى العديد من الأنشطة العلنية، وقد مكن ذلك اجهزة الأمن من اختراق صفوفها، واضعف ذلك من تركيز نشاطها لبناء الحزب داخل المصانع فى صفوف الطبقة العامة وفرض السرية الكاملة على نشاطها. ولا يعنى ذلك ترك النشاط الجماهيرى وإنما يجب على من يقوم به أن يكون بعيداً عن النشاط السرى، إن الدفع بكوادر مرتبطة بالعمل السرى للمشاركة فى جمع توقيعات لحركة انصار السلام او فى تكوين لجان لحقوق الانسان وغير ذلك من الأنشطة العلنية يمكن أجهزة الأمن من اختراق هذه التنظيمات.

ولا يعنى ذلك عدم المشاركة فى النشاط الجماهيرى بل يجب التفرقة بين انشطة

تكشف انتماء من يقوم بها وبين من يقوم بالمشاركة فى المظاهرات والاضرابات التى يشترك فيها المئات ويتزعمها البعض بينهم من ليس له علاقة. لقد كانت بداية الأربعينيات حافلة بالمظاهرات والإضرابات التى شارك فيها العديد من الزملاء وكنت احدهم، وكان من الصعب على اجهزة الأمن ان تحدد انتماءنا لأن ما نقوم به يتم بمشاركة المئات.

ولكى نتمكن من بناء حزب قوى لابد من الفصل بين من يقوم بالنشاط الجماهيرى ومن يقوم بالعمل السرى.

ولن يكتب البقاء لتنظيم او حزب يتهاون فى الحفاظ على سرية وامان كوادره ويلقى بهم فى أيدى أجهزة الدولة لإثبات وجوده وجماهيريته.

المنظمات الشيوعية المصرية منذ العشرينات إلى عام ١٩٦٥

المسلسل	اسم المنظمة	المؤسسون	عام التأسيس
١	الحزب الاشتراكى المصرى		١٩٢١
٢	الحزب الشيوعى المصرى		١٩٢٢
٣	منظمة تحرير الشعب	مارسيل اسرائيل، تحسين المصرى، أسعد حليم، حسين كاظم، فوزى جرجس، أبو بكر سيف النصر، فتحى الرملى وآخرون	١٩٣٩ ١٩٤٠
٤	مجموعة التروتسكيين	أنور كامل، جورج حنين، رمسيس يونان	١٩٤٠
٥	الحركة المصرية للتحرر الوطنى(حمتو)	هنرى كورييل	١٩٤٣
٦	إسكرا	هليل شوارتز، عبد المعبود الجبيلى، عبد الرحمن الناصر، شهدى عطية وآخرون.	١٩٤٣
٧	منظمة القلعة	مصطفى هيكل، عبد العزيز بيومى وآخرون	١٩٤٣
٨	اتحاد شعوب وادى النيل	تنظيم ماركسى إسلامى، انقسام من الحركة المصرية (عبد الفتاح الشرقاوى وآخرون).	١٩٤٦
٩	الطليعة الشعبية للتحرر (طشت)	التى اشتهرت أيضًا بالفجر الجديد عام ١٩٤٥ (يوسف درويش، صادق سعد، ريمون دويك، يوسف المدرك،	١٩٤٦

		محمود العسكري، رشدي صالح، أبو سيف يوسف، طه سعد عثمان وآخرون). ثم تحولت إلى منظمة الديموقراطية الشعبية عام ١٩٤٩ بعد إنضمام حركة تحرير الشعب ثم طليعة العمال في بداية الخمسينيات ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري عام ١٩٥٧.	
١٠	طليعة الاسكندرية	انقسام من الحركة المصرية (دحسونة من الحزب الأول وعدلي جرجس)	١٩٤٦
١١	العصبة الماركسية	انقسام من الحركة المصرية (فوزي جرجس وعبد الفتاح القاضي، شعبان حافظ من الحزب الأول وآخرون.	١٩٤٦
١٢	الطليعة المتحدة	إسكرا + منظمة تحرير الشعب.	١٩٤٦
١٣	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)	الحركة المصرية + إسكرا + بعض أعضاء من تحرير الشعب، ومنهم مجموعة روما.	١٩٤٧
١٤	حركة تحرير الشعب (حتش)	(راؤول مكاريوس، عبد الرحمن عزت، حسين توفيق طلعت) وانضمت إلى الطليعة الشعبية للتحرر عام ١٩٥٩ وسميت بالديمقراطية الشعبية.	١٩٤٧
١٥	التكتل الثوري	انقسام من الحركة الديمقراطية (شهدي عطية الشافعي وأنور عبد الملك).	١٩٤٧

١٦	الجبهة الاشتراكية	فتحى الرملى	١٩٤٧
١٧	صوت المعارضة	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيدنى سلامون، أوديت حزان وسعد الطويل وعنايات المثيرى وفاطمة زكى وآخرون).	١٩٤٨
١٨	القاعدة المشتركة	بقية أعضاء حدتو الذين لم ينفصلوا تماماً كالعمالية الثورية، والتكتل الثورى.	مايو ١٩٤٨
١٩	نحو منظمة بلشفية	انقسام من الحركة الديمقراطية (ميشيل كامل، أحمد شوقى الخطيب وسعد رحمى وآخرون انضمت بعد ذلك إلى صوت المعارضة).	١٩٤٨
٢٠	المنظمة الشيوعية المصرية(م ش م)	صوت المعارضة بعد المؤتمر (أوديت حزان، وسليم سيدنى، ميشيل كامل، فاطمة زكى وآخرون)	١٩٤٨
٢١	نحو حزب شيوعى مصرى (نحشم)	انقسام من حدتو (هليل شوارتز، ريقابا إسكرا منهم أحمد فؤاد، إنجى أفلاطون، إبراهيم المانسترلى وآخرون).	١٩٤٨
٢٢	حدتو العمالية الثورية	انقسام من الحركة الديمقراطية (عبد المعبود الجبيلى، أحمد شكري سالم، مارسيل اسرائيل، عبدالرحمن الناصر، فوزى حبشى وآخرون).	١٩٤٨
٢٣	جبهة التحرير التقدمى (جات)	(عصام الدين جلال، أحمد طه، اسماعيل جبر، صلاح سلمى، يحيى المازنى وآخرون).	١٩٤٨
٢٤	اتجاه النضال الثورى	إبراهيم عرفة وآخرون.	١٩٤٩

٢٥	نواة الحزب الشيوعى المصرى	امتداد العصبة الماركسية بعد تحللها (فوزى جرجس) واتجاه النضال الثورى وبقايا من التكتل الثورى.	١٩٤٩
٢٦	الحزب الشيوعى المصري (الراية)	(فؤاد مرسى، إسماعيل صبرى عبد الله وسعد زهران داوود عزيز، مصطفى طيبة وآخرون)	١٩٥٠
٢٧	النجم الأحمر	بقايا عمالية ثورية (عدلى جرجس، فوزى حبشى، أحمد خضر وآخرون).	فبراير ١٩٥٠
٢٨	طليعة الشيوعيين المصريين	بقايا التكتل الثورى (فخرى لبيب، عبد الله كامل وآخرين ممن خرجوا من النواة).	١٩٥٠
٢٩	وحدة الشيوعيين	إبراهيم فتحى وعلى الشوباشى وآخرون	١٩٥٠
٣٠	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (التيار الثورى)	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيد سليمان رفاعى، حمدى عبد الجواد، فؤاد عبد الحليم).	١٩٥٣
٣١	الحزب الشيوعى المصرى الموحد	الحركة الديمقراطية+ نواة الحزب الشيوعى + طليعة الشيوعيين+ النجم الأحمر + التيار الثورى.	١٩٥٤
٣٢	طليعة الشعب الديمقراطية	عناصر رافضة لوحدة الموحد من النواة وغيرها من التنظيمات (فوزى جرجس)	١٩٥٦
٣٣	الحزب الشيوعى المصرى المتحد	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصرى (الراية).	١٩٥٧
٣٤	الحزب الشيوعى المصرى (حزب ٨	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى	١٩٥٨

	يناير)	المصري(الراية) + حزب العمال والفلاحين ثم خرجت المجموعة الرئيسية من حدتو وكونت الحزب الشيوعى المصرى (حدتو).	
٣٥	الطليعة الشيوعية (طش)	طليعة الشعب الديمقراطية + وحدة الشيوعيين التى خرجت من الوحدة قبل أن تكتمل.	١٩٥٨
٣٦	الحزب الشيوعى المصرى (حدتو)	أعضاء من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى خرجوا من حزب ٨ يناير.	١٩٥٨
٣٧	نواة الحزب الشيوعى المصرى (الجديدة).	بقايا الطليعة الشيوعية خارج المعتقلات بعد تحلل الطليعة فى الواحات، (رمسيس لبيب).	١٩٦٢
٣٨			
٣٩			
٤٠	الشيوعيون داخل السجون		

المؤسسون فى لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

أحمد نبيل الهلالى	عبد الخالق الشهاوى
إسماعيل عبد الحكم	فاطمة زكى
خالد حمزة	فتح الله محروس
داود عزيز	فخرى لبيب
رمسيس لبيب	فوزى حبشى
سعد الطويل	مبارك عبده فضل
سمير أمين	محمد الجندى
سيد عبد الوهاب ندا	محمد فخرى
شكرى عازر	محمود أمين العالم
طه سعد عثمان	نجاتى عبد المجيد

ويتعاون مع اللجنة فى عملها أ. د. عاصم الدسوقى، د. عماد أبو غازى، والسادة الباحثون بشير السباعى -صلاح العمروسى- مصطفى مجدى الجمال- محمود مدحت- حنان رمضان

قائمة مطبوعات
مركز البحوث العربية

١- فؤاد مرسى، مصير القطاع العام فى مصر ١٩٨٧.

٢- لطيفة الزيات (تحرير)، المشكلة الطائفية فى مصر ١٩٨٨.

٣- رشدى سعيد وآخرون، أزمة مياه النيل، ١٩٨٨.

٤- عواطف عبد الرحمن، المدرسة الاشتراكية فى الصحافة، ١٩٨٨.

٥- وداد مرقس، سكان مصر، ١٩٨٨.

٦- أبوسيف يوسف وآخرون، النظرية والممارسة فى فكر مهدى عامل :أعمال ندوة فكرية ، ١٩٨٩.

٧- إبراهيم برعى ، دليل قرارات المجلس الاقتصادى والاجتماعى العربى ١٩٥٢/١٩٨٩.

٨- إبراهيم العيسوى، المسار الاقتصادى فى مصر وسياسات الاصلاح، ١٩٩٠.

٩- إبراهيم بيضون وآخرون، ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية أعمال ندوة لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ١٩٩٠.

١٠- أحمد عبد الله (المحرر) ، الانتخابات البرلمانية فى مصر- نشر مشترك مع دار سينا ١٩٩٠.

١١- حيدر إبراهيم ، أزمة الاسلام السياسى، الجبهة الاسلامية القومية فى السودان ١٩٩٠.

١٢- محمد عبيد غباش ، من لايعرف شيئا فليكتب، خربشات رجل بلاد النفط ، ١٩٩١.

١٣- ألفت الروبى، الموقف من القص فى تراثنا النقدى، ١٩٩١.

١٤- محمد على دوس، حياة مواره فى العمل السياسى العربى الأفريقى ١٩٩١.

١٥- أحمد نبيل الهلالى وآخرون ، اليسار المصرى وتحولات الدول الاشتراكية : أعمال ندوة عقدت بالمركز ١٩٩٢.

١٦- أمينة رشيد وآخرون، قضايا المجتمع المدنى فى ضوء فكر جرامشى (مع دار عيبال بدمشق)، ١٩٩٢.

١٧- سمير أمين،من نقد الدولة السوفيتية إلى الدولة الوطنية، ١٩٩٢.

١٨- المسالة الفلاحية والزراعية فى مصر:أعمال ندوة عقدت بالمركز، ١٩٩٢.

١٩- جويل بنين، زكارى لوكمان ، العمال والحركة السياسية فى مصر ج١، ترجمة أحمد صادق سعد، ١٩٩٢

٢٠- إشكاليات التكوين الاجتماعى والفكريات الشعبية فى مصر: أعمال ندوة بالمركز نشر مع دار

كنعان ، ١٩٩٢.
٢١- أحمد يوسف أحمد : منطق العمل الوطني- حركة التحرر الوطنى الفلسطينيا فى دراسة مقارنة مع حركات التحرر الافريقية بالتعاون مع مركز القدس للدراسات الإنمائية عمان ، ١٩٩٢.
٢٢- ليلى عبد الوهاب ،سوسيولوجية الجريمة عند المرأة ، ١٩٩٢.
٢٣- أحمد محمد البدوى ، لبن الأبنوس بازول ١٩٩٢
٢٤- مركز دراسات المرأة الجديدة ومركز البحوث العربية، المرأة وتعليم الكبار ، ١٩٩٢.
٢٥- ادريس سعيد ، عظام من خزف ، ١٩٩٣.
٢٦- دارلم جاى،(تحرير) ، صندوق النقد الدولى وبلدان الجنوب ترجمة /مبارك عثمان ، نشر مع اتحاد المحامين العرب ١٩٩٣.
٢٧- مايكل دراكوه (تحرير) ، الأنهار الأفريقية وأزمة الجفاف، نشر بالتعاون مع منظمة البحوث الاجتماعية لشرق وجنوب أفريقيا ١٩٩٤.
٢٨- عادل شعبان وآخرون، الحركة العمالية فى معركة التحول ١٩٩٤.
٢٩- نادية رمسيس فرح (تحرير) السكان والتنمية في مصر نشر مع دار الأمين ، ١٩٩٤.
٣٠- آمال سعد زغلول، دور الحركة الشعبية فى حرب السويس، ١٩٩٤.
٣١- لجنة الدفاع عن الثقافة القومية (دراسات ووثائق ١٩٧٩-١٩٩٤)(من مقاومة التطبيع إلى مواجهة الهيمنة) ١٩٩٤.
٣٢- على عبد القادر، برامج التكيف الهيكلى والفقر فى السودان، ١٩٩٤.
٣٣- حلمى شعراوى وعيسى شيفجى، حقوق الإنسان فى أفريقيا والوطن العربى، ١٩٩٤.
٣٤- لطيفة الزيات (ترجمة وتعليق)، حول الفن، ١٩٩٤.
٣٥- جودة عبد الخالق (تحرير)، تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية فى مصر والوطن العربى : ندوة مهداة إلى فؤاد مرسى، ١٩٩٤.
٣٦- عبد الغفار شكر، التحالفات السياسية فى مصر ١٩٩٤.
٣٧- صادق رشيد أفريقيا والتنمية المستعصية، ت/ مصطفى مجدى الجمال، ١٩٩٥.
٣٨- عبد الغفار أحمد، السودان بين العروبة والأفريقية، ١٩٩٥.
٣٩- بيترنيانجو، من تجارب الحركات الديمقراطية فى أفريقيا والوطن العربى، مع اتحاد المحامين العرب ترجمة حلمى شعراوى وآخرون، ١٩٩٥ .
٤٠- سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى: حالة مصر، نشر مشترك مع دار مدبولى ، ١٩٩٦.

٤١- سمير آمين (تحرير) المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة لبنان، مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.

٤٢- مصطفى كامل السيد(تحرير)، حقيقة التعددية السياسية فى مصر، نشر مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.

٤٣- سيد البحراوى (تحرير)، لطيفة الزيات : الأدب والوطن، نشر مشترك مع دار المرأة العربية، ١٩٩٦.

٤٤- عبد الباسط عبد المعطى: بحوث الطفولة فى الوطن العربى، نشر مشترك مع المجلس العربى الطفولة والتنمية ، ١٩٩٦.

٤٥- جويل بنين، زكارى لوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر الجزء الثانى، ترجمة إيمان حمدى، نشر مع دار الخدمات النقابية والعمالية.

٤٦- عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات الأهلية وأزمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٧.

٤٧- سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المشرق العربى نشر مشترك مع دار مدبولى ، ١٩٩٧ .

٤٨- سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المغرب العربى نشر مشترك مع دار مدبولى ، ١٩٩٧ .

٤٩- كمال مغيث (تحرير)، التعليم وتحديات الهوية القومية، نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨.

٥٠- عبد الغفار شكر، اليسار العربى وقضايا المستقبل ١٩٩٨. نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٨.

٥١- عاصم الدسوقى (تحرير)، عمال وطلاب فى الحركة الوطنية المصرية . نشر مشترك مع دار المحروسة ، ١٩٩٨ .

٥٢ - محمد أبو مندور وأخرون، الإفقار فى بر مصر، نشر مشترك مع دار الأهالى، ١٩٩٨.

٥٣- عبد الغفار أحمد (تحرير) ، إدارة الندرة، ترجمة صلاح أبو نار وآخرون، ١٩٩٨.

٥٤ - لايف مانجر وأخرون، البقاء مع العسر، ترجمة صلاح أبو نار - مجدى النعيم، ١٩٩٨.

٥٥ - لايف مانجر، لفوفة النوبة، ترجمة مصطفى مجدى، ١٩٩٩.

٥٦ - أمينة رشيد (تحرير): التبعية الثقافية ، مفاهيم وأبعاد، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٥٧ - محمود عودة، (إشراف)، الأسر المعيشية فى الريف المصرى، نشر مشترك مع جامعة عين شمس، ١٩٩٩.

٥٨ - محمد محيى الدين، (إشراف)، نساء الغزل والنسيج : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية،

١٩٩٩.

٥٩- عبد الحميد حواس وآخرون، المأثور الشعبي في الوطن لعربي، نشر مشترك مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٩.

٦٠- عبد الباسط عبد المعطى(تحرير)، العولة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي، نشر مشترك مع دار مدبولي، ١٩٩٩.

٦١- عزة خليل (إعداد)، خريطة سياسات وخدمات الطفولة في مصر، نشر مشترك مع المركز القومي للثقافة والطفل-١٩٩٩.

٦٢- أمينة رشيد (تحرير)، الحريات الفكرية والأكاديمية نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

٦٣- فاروق القاضي، فرسان الأمل : تأمل في الحركة الطلابية المصرية، ٢٠٠٠.

٦٤- حلمي شعراوى، أفريقيا في نهاية قرن، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.

٦٥- مصطفى مجدي الجمال (تحرير)، فلسطين والعالم العربي، نشر مشترك مع دار مدبولي، ٢٠٠١.

٦٦- عبد الغفار شكر (تحرير)، تحديات المشروع الصهيوني والمواجهة العربية، نشر مشترك مع دار مدبولي، ٢٠٠١.

٦٧- سلسلة كتب شهادات ورؤى : من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ج١،٢،٣،٤،٥، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥.

٦٨- فرانسوا أوتار وفرانسوا بوليه، في مواجهة دافوس، ترجمة : سعد الطويل، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠١.

٦٩- عبد الغفار شكر (إشراف)، الجمعيات الأهلية الإسلامية في مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.

٧٠- كويسي براه، اللغات الأفريقية وتعليم الجماهير، ترجمة وتحرير حلمي شعراوى، بالتعاون مع مركز الدراسات المتقدمة للمجتمع الأفريقي بكيب تاون، الناشر، دار الأمين.

٧١- فيتينو بيكيلي، وآخرون، دراسات مختارة/ التحولات الاجتماعية والمرأة الأفريقية، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، تقديم د. عبد الغفار محمد أحمد، الناشر دار الأمين، ٢٠٠١.

٧٢- رمسيس لبيب (تحرير)، العمال في الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥ - ٢٠٠١.

٧٢- سمير أمين، مستقبل الجنوب في عالم متغير، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

كراسات المركز

١- أحمد هني، حول إجراءات الإصلاح الاقتصادي في الجزائر، ١٩٨٨.

٢- عصام فوزي، ترجمة ثلاثة قراءات سوفيتية في البيريسترويكا، ١٩٨٨.

٣- أشرف حسين ، ببليوجرافيا الطبقة العاملة ، ١٩٨٨.
٤- عبد العظيم أنيس، قراءة نقدية فى كتابات ناصرية، ١٩٨٩
٥- مصطفى نور الدين عطية، المجتمعات التابعة ومشكلات التنمية المستقلة، ١٩٨٩
٦- موشى ليوين وآخرين، تقديم/ فؤاد مرسى ، البيريسترويكا فى عيون الآخرين ، ١٩٩٠
٧- نادر فرجانى، الأزمة العربية الكبرى
٨- محمد أبو مندور وآخرون، أزمة المياه فى الوطن العربي، نشر مشترك مع دار الأمين ١٩٩٩.
٩- إسماعيل زقزوق، المهمشون بين النمو والتنمية، نشر مشترك مع دار الأمين ١٩٩٩.
١٠- عبد الغفار شكر، تجديد الحركة التقدمية المصرية، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠٠.
١١- حنان رمضان (إعداد)، العراق تحت الحصار، نشر مشترك مع در الأمين ٢٠٠٠.
١٢- أحمد صالح، الانترنت والمعلومات، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١ .
١٣- عريان نصيف (تحرير) الأرض والفلاح، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١.
١٤- أحمد عبد الله، عمال مصر وقضايا العصر، نشر مشترك مع دار المحروسة ٢٠٠٢.

أفريقية - عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، مجلد١ (أكتوبر ١٩٩٩)، مجلد٢(مارس ٢٠٠٠) مجلد ٣ (أكتوبر ٢٠٠٠) مجلد ٤ (أكتوبر ٢٠٠١) نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين.

كراسات كوديسريا

١- أوكواديا نولى، الصراع العرقى فى أفريقيا،١٩٩١ .
٢- ايبو هو تشقول، الجيش والعسكرية فى أفريقيا، ١٩٩١.
٣- ديساليجن رحماتو، منظمات الفلاحين فى أفريقيا : قيود وإمكانيات ، ١٩٩١.
٤- جيمى أديسينا، الحركات العمالية وضع السياسة فى أفريقيا، ١٩٩٢.
٥- أديمولات - سالو ،تغير البيئة العالمية: جدول أعمال بحث لأفريقيا ، ١٩٩٣.
٦- م. مامدانى ،آخرون، الحركات الاجتماعية والعلمية الديمقراطية فى أفريقيا.
٧- ثانديكا مكانداويرى ، التكيف الهيكلى والأزمة الزراعية فى أفريقيا .
٨- مومار ديوب، ممادوديوف، تداول السلطة السايسية وآلياتها فى أفريقيا، ١٩٩٢.
٩- أرشى مافيجى، الأسر المعيشية وآفاق إحياء الزراعة فى أفريقيا، ١٩٩٣.
١٠- سليمان بشير ديانى،المسالة الثقافية فى أفريقيا، ١٩٩٦.
١١- ميشيل بن عروس، الدولة - والمنشقون عليها، ١٩٩٦.
١٢- عبدو مالك سيمون، عملية التحضر، والتغير فى أفريقيا، ١٩٩٩.
١٣- أمينة ماما، دراسات عن المرأة ودراسات النساء فى أفريقيا، ١٩٩٩.
١٤- تادى آكين أنيا، العولمة السياسية الاجتماعية فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٥- مامادو ضيوف، ليبرالية سياسية أم انتقال ديمقراطى : منظورات أفريقية، ١٩٩٩.

١٦- حكيم بن حمودة نظريات ما بعد التكيف الهيكلى، ٢٠٠٠.

١٧- كلوبير شوقتان، ماذا بعد ممارسات التنمية المشوهة فى أفريقيا؟، ٢٠٠٠.

١٨- أشيلى مبيمبى، عن الحكم الخاص غير المباشر، ٢٠٠٠.

سلسلة كراسات اللجنة الاقتصادية لأفريقيا

أ- التنمية بالمشاركة

١- تعزيز التواصل بين مؤسسات صنع السياسة الحكومية وبين الجامعات والمراكز البحثية من أجل دعم الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا .

٢- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا: دروس من تجارب قطرية.

٣- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا.

٤- تعبئة وإدارة الموارد المالية فى الجامعات الأفريقية.

٥- تحسين إنتاجية الخدمات العامة فى أفريقيا.

٦- دعم حيوية الجامعة الأفريقية فى التسعينيات ومابعدها.

٧- تهيئة البيئة لتنمية الفعاليات التنظيمية فى أفريقيا.

٨- تعبئة القطاع غير الرسمى والمنظمات غير الحكومية من أجل الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا.

٩- الأخلاقيات والمساءلة فى الخدمات العامة الأفريقية.

١٠- أعمال ندوة حول الديمقراطية والمشاركة الشعبية لقادة نقابات العمال فى أفريقيا.

١١- الإثنية والصراع السياسى فى أفريقيا.

١٢- ميثاق عمل للمنظمات غير الحكومية فى أفريقيا .

ب- سلسلة التنمية بالمشاركة

١- دراسة حالة فى ناميبيا.

٢- دراسة حالة فى أوغندا.

٣- كيف تؤثر المنظمات الأهلية فى السياسات عن طريق البحث والضغط والدعوة .

٤- المبادىء الأساسية لتعزيز الحوار والتعاون والتداخل بين الحكومات والمنظمات الشعبية.

٥- دراسة حالة فى جامبيا.

٦- دراسة حالة فى أثيوبيا.

ج- سلسلة الدليل التدريبى للتنمية بالمشاركة الشعبية

١- الاتصال فى خدمة التنمية بالمشاركة.

٢-المنظمات المحلية غير الحكومية وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء في المجتمعات المحلية.
٣- مناهج تطوير المنظمات الأهلية للمشروعات.
٤- تخفيف الفقر وصيانة البيئة.
٥- تعريف دور وأهمية اتصال دعم التنمية من أجل المشاركة الفعالة في عملية التنمية.
٦- إدارة المشروعات الصغيرة
٧- تصميم فعال لخدمات تنظيم الأسرة
٨- دور مؤسسات المجتمع المدني في منع وإدارة وحل الصراعات في أفريقيا.

النشرات

١- نشرة البحوث العربية
من العدد التجريبي يناير ١٩٩٠ إلى العدد الثالث عشر صيف ٢٠٠١.
٢- نشرة المجلس الأفريقي لتنمية البحوث الاقتصادية والاجتماعية (كوديسريا) من العدد الأول أبريل ١٩٩١ إلى العدد الثامن والثلاثين، أبريل ٢٠٠٠.
٣- نشرة العلوم السياسية الافريقية
من العدد الأول إلى العدد السادس والثلاثون، سبتمبر - ديسمبر ٢٠٠١.
٤- نشرة منتدى العالم الثالث بداكار.
العدد الأول يوليو ١٩٩٦- العدد الثاني يونير ١٩٩٧
٥- نشرة المنتدى العالمي للبدائل- العدد الثاني - أكتوبر ٢٠٠١.

تحت الطبع

١ - سمير أمين (إشراف) : سلسلة المجتمع والدولة في الوطن العربي: حالات : السودان- الجزائر - المغرب- تونس).
٢ - عبد الغفار شكر (تحرير) : ندوة التعاونيات.
٣ - المشاركة الشعبية في التنمية المحية.
٤ - التعليم العالي والتنمية.
٥ - سنوات اليسار في مصر.
٦ - الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
٧ - الجمعيات الأهلية الإسلامية - حالة السودان - الجزائر - تونس - المغرب.
٨ - المجتمع المدني وسياسات مواجهة الإفقار.
٩ - المرأة في القطاع غير الرسمي.
١٠ - الحريات الفكرية في شمال أفريقيا.
١١ - ثقافة وسائل الإعلام وتشكيل الهوية.

شهادات
نشرت فى الأجزاء السابقة

أديب ديمتري
أحمد الجبالى
أحمد القصير
أحمد خضر
أمينة رشيد
إيفون حبشي
بهيج نصار
ثريا إبراهيم
ثريا شاكر
جنيفيف سيداروس
جمال البراد
حلمى ياسين
حمزة البسيوني
خالد حمزة
رزق مكاري
رشاد الملاح
رمسيس لبيب
سامى عجيب
سعاد زهير
سعد الطويل
سعد جويدة
سعيد مصطفى
سيد عبدالوهاب ندا
شحاته عبدالحليم
شريف حتاتة
عبد العال البسطاويسى
عبد المنعم ناطورة
عدلى برسوم
عريان نصيف
فتح الله محروس
فخرى لبيب
فرنسيس كيرلس
فؤاد مصطفى
فوزى حبشي
مارسيل تشيريزى
متولي السلماوى
متولي محمد بحر
محروس سليمان حنا
محمد الجندي
محمد سيد أحمد
محمد شريف
محمد عبد الواحد
محمد فخرى
محمد يونس
محمود العالم
محمود عزمى
معروف عبد الحميد
منصور زكى
نبيل فرنفلى
نجاتى عبد المجيد
هليل شفارتز
وداد مترى
يوسف درويش